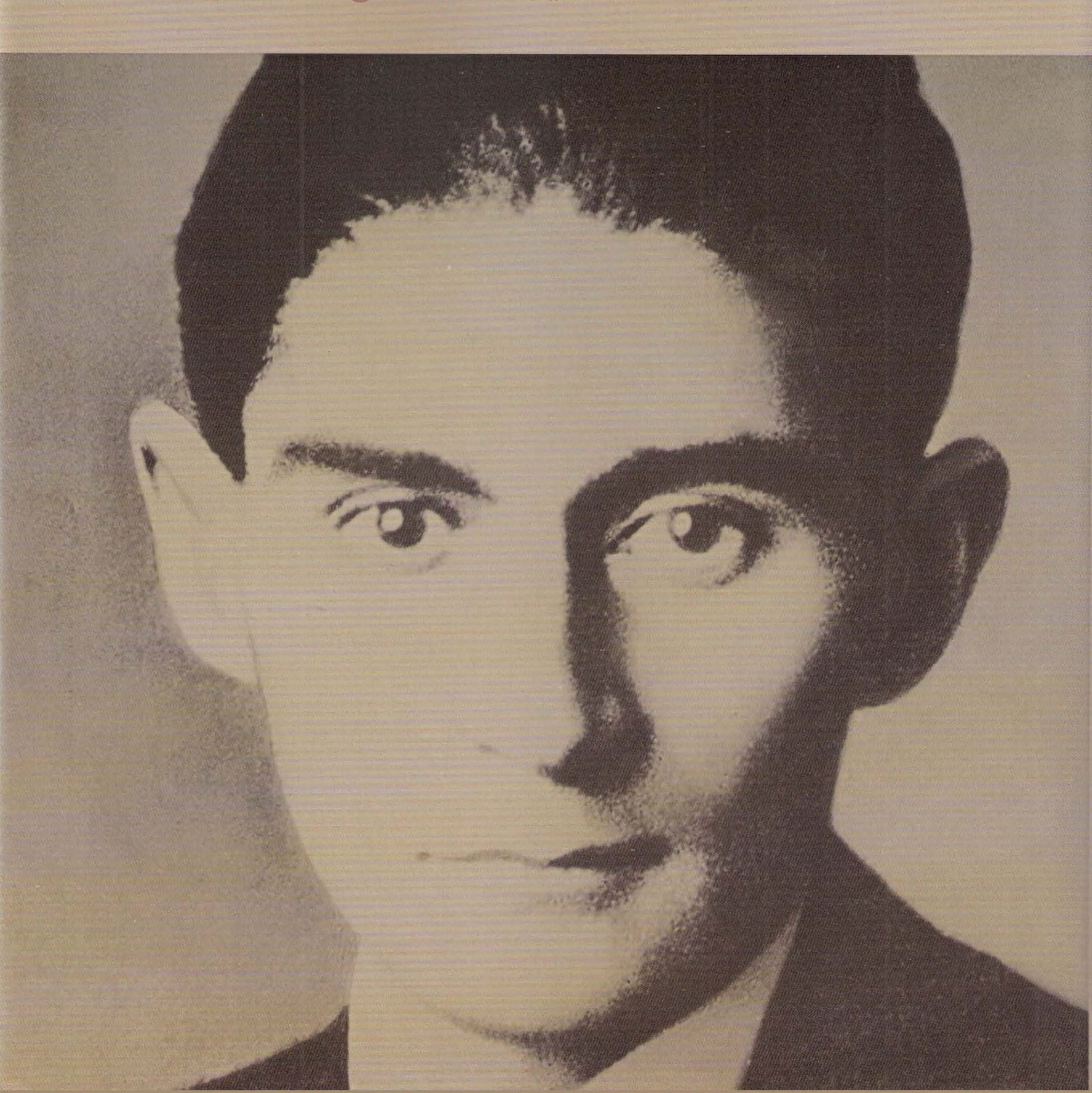
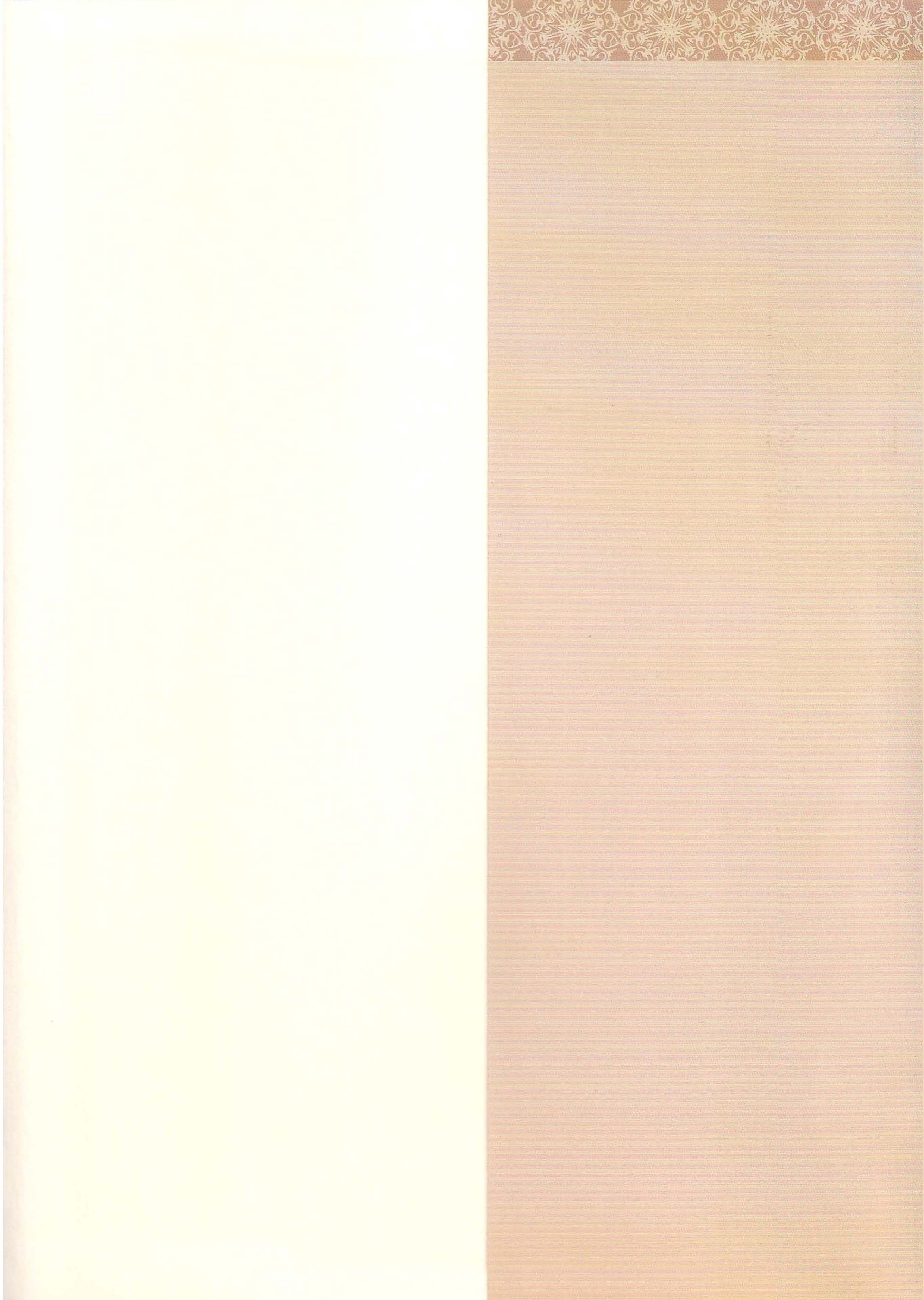
يوميات فرانتس كافكا

1910-1923

تحرير: ماكس برود

ترجمة وتقديم: خليل الشيخ







يوميات فرانتس كافكا

يوميات فرانتس كافكا

1910–1923

تحرير: ماكس برود

ترجمة وتقديم: خليل الشيخ

© هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، المجمع الثقافي
فهرسة دار الكتب الوطنية أثناء النشر

كافكا، فرانتس، 1883 - 1924
يوميات فرانتس كافكا 1910 - 1923 / تحرير ماكس برود؛ ترجمة وتقديم
خليل الشيخ . - ط1 - أبوظبي: هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، المجمع الثقافي، 2009.
ص. : ؛ سم.
ترجمة كتاب: Franz Kafka: Tagelouecher 1910 - 1924
ببليوجرافية (ص.) .
ت دم ك: 978-9948-01-234-4
1- كافكا، فرانتس، 1883 - 1924 - مذكرات. 2- الأدب الألماني - تاريخ
ونقد. أ- برود، ماكس، محرر. ب- خليل الشيخ، مترجم. ج- العنوان.

833 ديوي
ك اي و

هذه هي الترجمة الكاملة لكتاب:
Franz Kafka: Tagelouecher 1910 - 1924



أبوظبي للثقافة والتراث
ABU DHABI CULTURE & HERITAGE

الطبعة الأولى 1430هـ 2009م

صورة الغلاف: مدفوعة الحقوق من موقع Corbis.com
تصميم الغلاف: صالح المرزوقي

أبوظبي - الإمارات العربية المتحدة
ص.ب: 2380 ، هاتف: 300 6215 2 971 +
publication@cultural.org.ae
www.adach.ae

المحتويات

تقديم المترجم

يوميات كافكا: الكتابة بديلاً عن الحياة

(1)

شرع فرانتس كافكا (3/7/1883–3/6/1924) منذ أوائل الثلث الثاني من عام 1910 بكتابة يومياته التي توقف عن كتابتها في الثاني من تموز عام 1923، بعد أن استفحل مرض السل الرئوي الذي أصيب به عام 1917. فاليوميات تبدأ يوم كان كافكا في السابعة والعشرين من عمره، وتتوقف وهو على أبواب الأربعين. مع ضرورة أن يشار إلى انقطاعه عن تدوين يومياته طيلة عام 1918 وندرة كتابته في السنوات 1919، 1920، 1921، 1923 التي لم يزد ما كتبه فيها على عشر صفحات. وبقيت السنوات 1910، 1911، 1912، 1913، 1914، 1915، 1916، 1917، 1922 هي السنوات ذات الحضور الفاعل التي تشكل فيها منظور كافكا للعالم.

في تلك السنوات جاءت يوميات كافكا، ونصوصه السردية ورسائله لتبني فضاءً مأزوماً يقف الإنسان فيه وحيداً ومنعزلاً وعارياً في مجابهة قوى خفيّة، مسيطرة يلاحقه شعور جارف باللاجدوى واهتزاز الكينونة. مثلما تبلور في تلك المدة أسلوب كافكا السردي القائم على التدفق والاسترسال والحوار الداخلي والمزج بين الحلم والواقع، وهو ما أدى إلى إنتاج عوالم رمزية شديدة الغموض، تحيل العالم الماديّ المشخص إلى كيان هلامي مسكون بالسوداوية والرعب.

تتكوّن اليوميات في العادة من مجموعة التجارب والخبرات والملاحظات والرؤى التي يعيشها كاتبها ويقوم ويدونها من غير أن يقصد إلى نشرها. وقد حرص كافكا على الدوام أن تظّل يومياته حبيسة أدراجه لا تكاد تعرف عنها إلا دائرة ضيقة من الأصدقاء والمقربيّن.

إنّ اليوميات– من هذه الزاوية– قريبة من أدب الاعترافات، من حيث ارتفاع منسوب

البوح، وتتقاطع على مستوى الشكل مع الكتابة التاريخية الحولية في اهتمامها باليومي في إطار التعاقب الزمني الكرونولجي. وإذا كانت الكتابة التاريخية الحولية، تفتقر في كثير من الأحيان إلى النسيج الزمني الحيّ الذي يربط اللاحق بالسابق، نظراً لشيوع لون من الزمن الذري فيها يفتّت الوعي التاريخي ويسهم في ضمور حركتيه، وإن كان هذا الزمن يمنح عالم الأمة المتخيّل عبر تواليه وتعاقبه صلابة سوسيولوجية على حدّ تعبير هومي بابا[1]؛ فإنّ الزمن الكافكاوي، عموماً لا يتعاقب إلاّ ظاهرياً، فهو ينبع- ولا سيما في اليوميات- من الداخل، ويتجّه صوبه، لذا تراه منشغلاً بحركة الذات وعالمها وهواجسها، ويسعى ليحيط بوعيها المضُمر في أثناء تنقلّه بين عالم الشهادة الذي تدركه الحواس ويستوعبه العقل، والآخر الخفي الذي يتم حدسه بوساطة المخيلّة.

وعلى الصعيد الآخر فإن اليوميات تشكّل في إطار علاقتها مع نصوص كافكا السردية نصّاً شارحاً يضيء الكثير من أبعاد تلك النصوص، ويفسر غوامضها، ويضيء سياقات ولادتها. فضلاً عن كونها تلقي أضواءً كاشفة على دواخل عالم كافكا، وتبيّن الكثير من أزمات ذلك العالم وما شهده من اضطراب وإحساس باللاجدوى، لكنّ التدّرج الزمني في اليوميات يظلّ مفيداً لإيضاح ما طرأ على عالم كافكا من تحولات، وإن كانت كل حركة فيه تتولّد في إطار ثوابت العالم الكافكاوي المحكوم أبداً بالإحساس المطلق بعجز الإنسان وعبثية وجوده، وفقدان حياته للمعنى. ومع ذلك فإنّ الأمل الباهت الذي كان يلوح في جنبات ذلك العالم من حين لآخر قد تحول إلى يأس عميق، وغدا الإحساس بالسلام الداخلي الهشّ لوناً من الاضطراب، وصارت الرغبة في مجابهة العالم لوناً من التوحّد والاستبطان الذاتي، مثلما غدا هاجس الموت مسيطراً نظراً لتنامي حدّة المرض وسقوط كافكا بين الحين والآخر فريسة للتعب والإجهاد.

(1) انظر: هومي.ك.بابا: موقع الثقافة، ترجمة ثائر ديب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-بيروت، 2006، ص 274.

(2)

كان هاينتس بوليتسر Heinz Politzer[2] من أوائل الدارسين الذين تنبهّوا إلى أن الفرد يحتجز في كتابات كافكا في دائرة من التكرارات يصعب تجنّبها. فهذا الفرد لا يتحرك إلى الأمام ولا إلى الوراء بل يبقى ضمن دائرة. وأغلب الظن أنّ بوليتسر كان ينطلق مما دوّنه كافكا نفسه في الثاني عشر من حزيران عام 1914 في يومياته: «تتحرك الحياة المجتمعية عبر دائرة، وحدهم الذين يحيون أسرى لآلام محدّدة يفهمون بعضهم بعضاً؛ لأنّهم يصنعون نظراً لطبيعة آلامهم دائرة يتبادلون فيها الدعم، إنهم ينزلقون على امتداد الحواف الداخلية لدوائرهم».

ويعدّ جبرا إبراهيم جبرا (1920–1994) من أوائل الذين أشاروا إلى هذه السمة في الأدب العربي الحديث، وإن جاء ذلك على لسان فالح حسيب وهي شخصية كافكاوية بمعنى من المعاني، أقدمت على الانتحار وكتبت في «مذكرات منتحر» عن يوميات كافكا: «من عادة كافكا في مذكراتّه (!) أن يصف تجربة ما، ثم يعود فيصفها على نحو آخر، ثم يكرّر الوصف على نحو ثالث، ويستمر في ذلك لأربع أو خمس مرات، لعله يحاول كل مرّة أن يوجد لتجربته الوصف الأفضل الذي يعتقد أنّه لن يحققه بمحاولة واحدة، ولكنّه يبدأ في كل مرّة على نحو جديد. وما يسهبه من تفصيل في المحاولة الواحدة لا تغني عن الأخريات بل تكملها، كأنما المرء ينظر إلى شيء ضخم ويدور حوله؛ فيرى من كل ناحية بعض ما رآه في المرة السابقة والكثير مما لم يره»[3].

هذا التوصيف صحيح بالمجمل، وهو يمثّل ثقافة جبرا الواسعة التي تدرك أن التكرار في يوميات كافكا لا يقود إلى التماثل بل إلى الاختلاف. وكلما أوغل المرء في اليوميات تتبدّى له– على الرغم من الحركة الدائرية تلك– وجوه كافكا المتعدّدة وتناقضاته وأزماته عبر مشاهد تحفر في العمق، وتنهل من أعماق النفس، مفيدة من الأحلام ومستثمرة دلالاتها لتشكيل ذلك العالم الكافكاوي الذي ألمحنا إليه.

---

(2) 47.-23 p ,6691 sserp ytisrevinu llenroc ,xodaraP dna elbaraP : akfaK znarF

(3) جبرا إبراهيم جبرا: السفينة، بيروت، دار الآداب، ط3، ص 1983، ص 214.

(3)

اليوميات عالم يضّج بالتفصيلات على نحو يتعذّر معه متابعة أبعادها، وهذه التفصيلات تبين مقدار التعقيد والتركيب لذلك العالم الذي كان كافكا يبذل جهده من دون جدوى للموازنة بين معطياته.

كان كافكا الطفل الذكر الوحيد بين شقيقات ثلاث، بعد أن مات شقيقان له في سن الطفولة. وبقدر ما شكلت هذه الحالة امتيازاً له، ألقت بالأعباء على عاتقه، وجعلت علاقته بأبيه هيرمان كافكا (1852–1931) الريفي الجذور الفقير المنبت الذي اضطر للعمل بائعاً متجولاً منذ نعومة أظفاره ملتبسة تجمع بين النفور والإعجاب والكراهية والحب، وهو ما تعبّر عنه الكلمة الألمانية (Hassliebe). تحوي اليوميات من الإشارات والأحداث ما يكفي كي ترسم صورة للأب يبدو فيها غريباً أو كريهاً أو نائياً أو خشناً، وتدّل في مجموعها على مدى الانفصال الوجداني بين الابن وأبيه.

ومن الطبيعي ألا يقتصر تجسيد هذه العلاقة الملتبسة على اليوميات وحدها؛ فهو يمتّد ليشمل كتابات كافكا السردية الأخرى. ويمكن أن نشير هنا إلى قصته الحكم Das Urteil، تلك القصة القصيرة اللافتة التي جاءت «على شكل الولادة» كما صرح كافكا في يومياته، فقد أشار إلى أنه كتب «الحكم» من دون انقطاع، ابتداءً من العاشرة ليلة الثاني والعشرين من أيلول عام 1912 حتى السادسة من صباح اليوم التالي. ولعلّ أهمية هذه القصة المفصلية في تاريخ كافكا الإبداعي يتمثّل في حضور هذا الثالوث الذي ظلّ يشكل هاجساً من هواجس كافكا في يومياته أعني: الأب والخطيبة والصديق[4].

أما في عام 1919 فقد عبّر كافكا عن تلك العلاقة من خلال رسالة مطوّلة صريحة تسمّى الأشياء بأسمائها، وتشخّص معالم الأزمة بين الطرفين سماها «رسالة إلى الوالد» Brief an den Vater.

---

(4) يمكن للقارئ العربي أن يعود إلى ما قدمه إبراهيم وطفي من شروحات وآراء نقدية مهمة في: فرانز كافكا: الآثار الكاملة مع تفسيراتها، المجلد الأول، دار الحصاد، 2003.

ظلّ كافكا يشكو على امتداد يومياته؛ لأنّ عائلته قد دمّرت جزءاً جوهرياً فيه كي تجعله يتماشى مع تطلعاتها، ولم تدع له الحرية الكافية كي يقرر شؤونه بذاته، ويجيء حديث كافكا في التاسع من تموز عام 1910 عن ذلك باستفاضة وتدفق وشعور عارم بالألم على نحو قريب من التداعي الحرّ، وتتكرّر النغمة الرئيسة كلّ مرّة ينضاف إليها العديد من المرتكزات والنقاط الجديدة. وهذا الحديث يُعّد من أكثر الأحاديث إيضاحاً لدائرة التكرار ذات البناء المتراكب والمحتوى الفسيفسائي، وهو حديث سيكرر كافكا كثيراً من مضمونه وهو يتحدث إلى أبيه في الرسالة التي أشرنا إليها، كاشفاً بذلك عن إحساسه المبكرّ بالفجيعة وشعوره بالاغتراب والقمع.

لذا كان من المنطقي أن ينهي كافكا حديثه المتدفّق بأمنية لم يمّل من تكرارها؛ وهي أن يكون أحد قاطني الخرائب، يستمع إلى نعيب الغربان التي تجتازه بظلالها، ويتبرد تحت ضوء القمر، وعندها سيكون قادراً على النهوض، وحتى لو بدا في مستهل الأمر ضعيفاً؛ فإن تأثير مناقبه الحسنة وقوة العشب البري الكامن فيه ستأخذ بيده وتشد من أزره. وهذه الأمنية هي الوجه الآخر للشعور بالفزع العميق الذي ظل يصاحب كافكا وهو يعيش بين أسرته في براغ، وقد جاء تعبيره عن ذلك الخوف المستمر في الرابع من أيار عام 1913 على النحو الآتي: «أتخيّل دائماً أن سكيّناً عريضة لجزّار خنازير تدخل فيّ من الجنب على نحو سريع وبانتظام آلي، وتقطعني على شكل شرائح رقيقة جداً، غالباً ما تتطاير كمعجون الحلاقة، جراء سرعة العمل». إنّ تلك الأمنية التي أشرنا إليها– والتي لم يتوقف كافكا عن ترديدها– توازي لحظة التخيّل هذه المتصّفة هي الأخرى، بالديمومة والاستمرارية. وهي الأخرى لا تنبثق من الواقع بل من المتوقع والمنتظر. وهما معاً– الأمنية والمتخيّل– يشكلان إحدى الكيفيات التي ظلّت اليوميات تتفلت عبرها من الزمن العام لتحيا في زمن الكابوس.

إنّ هذه الأمنيات والتخيّلات ليست وليدة ذات قلقة مغتربة بقدر ما هي نتيجة لمجموعة من العناصر والإشكالات التي عاشها كافكا في مدينته براغ في أواخر القرن التاسع عشر إلى الثلث الأوّل من القرن العشرين. وهي كلّها تحيل على مسألة إحساس كافكا بهوّيته وحواره الدائم بين الذات والآخر.

من المعروف أنّ كافكا كان ينتمي إلى الأقليّة اليهودية في مدينة براغ، وهي أقليّة كانت تتحدث الألمانية، الأمر الذي جعلها- نظراً لتكوينها الديني والثقافي المغاير- موضع رهان وشك ومخاطرة على امتداد تاريخ براغ الطويل، فقد غابت علاقة التجانس مع الأكثرية التشيكية، وحلّت بدلاً منها علاقة صراعية معها، تنتشر في ثناياها أوهام الأقليّة بالتفوق والاصطفاء والرغبة في المحافظة على الثروة، ورغبة الأكثرية في تأسيس مجتمع تشيكي حديث على أسس الدولة القوميّة والمخيال الثقافي الذي يصطدم بالأسس التي قامت عليها القيصرية النمساوية – الهنغارية التي كانت بلاد التشيك جزءاً تابعاً لها.

كانت براغ هذه- التي صارت منذ عام 1918 عاصمة للجمهورية التشيكوسلوفاكية- فضاء يوميات كافكا، ففيها ولد كافكا وعاش وتعلّم وعمل ودفن، صحيح أنَّه سعى للهروب منها والخروج من رحابها، لكنّ كل ذهاب منها، كانت تعقبه عودة سريعة إليها. فقد حاول في بداية الدراسة الجامعية أن يدرس آداب اللغة الألمانية Germanistik في جامعة ميونيخ؛ لكنه لم يقم هناك غير أسبوعين، قفل بعدها راجعاً إلى براغ ليدرس القانون في جامعتها. وحاول أن يغادر براغ إلى ڤيينا بحثاً عن فرصة عمل أفضل، وإلى برلين للغاية ذاتها، وكي يكون على مقربة من خطيبته الأولى Felice Bauer التي أشقاها وأشقته، غير أنه لم يفعل. وكان يحلم بالذهاب إلى مدريد حيث كان خاله يعيش ويخطط للذهاب منها إلى أمريكا الجنوبية. ولم يتحقق ذلك كله، وإن ظلت خيالات أمريكا والعالم الجديد والحديث عن المهاجرين التشيك فيها لا تفارق اليوميات. وهي خيالات وجدت طريقها إلى عمل روائي سماه كافكا «المفقود»، وأطلق عليه صديقه ماكس برود محرر هذه اليوميات اسم «أمريكا». ظل كافكا إذن في براغ لا يستطيع مغادرتها. وقد كتب ذات مرة إلى أحد أصدقائه وهو Oskar Pollak يقول : Prag laesst mich nicht los. Uns beide nicht. Dieses Muetterchen hat krallen.

وهي تعني: إنّ براغ لن تدعني، لن ندع بعضنا؛ إن لهذه العجوز مخالب». وقد عرفت هذه العجوز ذات المخالب تطورات كثيرة جعلتها- على الرغم من تاريخها السياسي المضطرب- من الحواضر الأوروبية المهّمة، فقد أسس فيها كارل الرابع عام 1348 م جامعة كارل، التي كانت

الجامعة الأولى في وسط أوروبا. وفي براغ كانت تعيش جالية يهودية وصلت إلى ذروة قوتها وحيويتها في القرن السابع عشر، وإن عاشت بعد ذلك عزلة وصراعاً واضطهاداً في تلك المدينة المتعددة اللغات والأديان والإثنيات.

ويبدو لي أنّ ذلك كلّه كان يجعل مسألة الهوّية في حياة كافكا وفي كتاباته مسألة مهمة؛ لأن عملية حضورها وتشكلّها في أدب كافكا وحياته ظلّت مرتبطة بفقدانها أو اضطراب ملامحها.

وقد أشار روجيه غارودي في «واقعية بلا ضفاف»[5] إلى ارتباط أزمة كافكا بسؤال الهوّية، فقد كان كافكا يهوديّاً ناطقاً بالألمانية في بلد تشيكي-مسيحي، يتبع لإدارة نمساوية-هنغارية. وكان من الطبيعي- ومدينة براغ تشهد صراعاً قومي الطابع يطالب بالاستقلال القومي- أن تتنامى الأصوات التي تنادي، بتحرير الاقتصاد من سيطرة الأقليات اليهودية والأخرى الألمانية. وقد شهد كافكا- وهو في الرابعة عشرة من عمره عام 1898- الهبّة التي جمعت البعدين القومي والطبقي، وشاهد أعمال العنف ضد اليهود.

كانت اللغة الألمانية حاجزاً يفصل اليهود عن التشيك، مع أن كافكا كان يعرف التشيكية. وكانت اليهودية حاجزاً تفصل بين هؤلاء اليهود، الذين كانوا يتكلمون لغة ألمانية فقيرة على المستوى الثقافي ومحدودة، وبين الأقلية الألمانية. أما كافكا فكان يشعر بالانفصال عن اليهود والألمان والتشيك على المستوى النفسي؛ لهذا تساءل في 1914/12/8 : «ما هي القواسم المشتركة بيني وبين اليهود؟ إنه لا يكاد يوجد قواسم مشتركة بيني وبين ذاتي، ويتوجّب عليّ أن أقف في هذه الزاوية سعيداً لأنني أستطيع التنفس».

لكنّ اليوميات تشير إلى كثير من القواسم المشتركة بين كافكا وبين الأقلية التي ينتمي إليها؛ بدءاً من اسمه العبري أمشيل، مروراً بالأمكنة والشوارع والأزقة الضيّقة اليهودية التي كان يتحرك فيها، وبما كانت ذاكرته تختزن من تراث الحاخامات والقديسّين اليهود وقصصهم وكراماتهم، وما تنبيء عنه إشاراته الكثيرة من معرفة بالشخصيات اليهودية على امتداد التاريخ،

(5) روجيه غارودي: واقعية بلا ضفاف، ترجمة حليم طوسون، القاهرة، دار الكتاب العربي، 1968، ص 147.

ومذاهب اليهودية وتياراتها الكثيرة، ونصوصها المقدّسة، وأعيادها وطقوسها. وتوضح اليوميات مقدار الصلات العميقة التي كانت تربط كافكا بمجموعة من الأصدقاء كان لهم تأثير عميق في حياته من أمثال: ماكس برود وفيليتش وأوسكار باوم وأوتوبك واسحق لوڤي، الممثل اليهودي البولندي، الصهيوني الميول.

استطاعت الفرقة التمثيلية البولندية التي جاءت إلى براغ عام 1911 أن تضفي على حياة كافكا قدراً كبيراً من الحيوية، وعمقت صلته بالحياة الاجتماعية في براغ، فقد أعجب بإحدى الممثلات في تلك الفرقة وارتبط معها بعلاقة عاطفية (السيدة تشيسك)، الأمر الذي جعله يشارك في حضور فعاليات تلك الفرقة، ويهتم بأدب اليهود ولا سيما ذلك المكتوب بلغة الإيديش، ويسعى للبحث عن الروح المناضلة فيه. صحيح أنه ظلّ يقف من الأعمال المسرحية المعروضة موقفاً نقدياً، يوضح ما تنطوي عليه المسرحيات من مبالغات؛ لكنّ ذلك لم يمنعه من الكتابة للنوادي اليهودية والصهيونية لمساعدة تلك الفرقة ودعمها(6).

وقد لاحظ هارتموت بندر أن هذا الاهتمام تطورّ في عامي 1912 و 1913 إلى مستوى آخر يتمثل في اهتمام كافكا بالصهيونية، وما كانت تطرحه من أفكار سياسية ورؤى بهدف إنشاء دولة لليهود في فلسطين. فقد صار يحكي عن الشخصيات اليهودية المهاجرة إلى فلسطين في إطار المشروع الصهيوني لإقامة دولة لليهود فيها.

وانتقلت مستويات اهتمامه من العلاقة ذات الأبعاد الاحتفالية إلى علاقة ذات اهتمامات فكرية وسياسية، ويبدو أنّ علاقته الوطيدة مع اسحق لوڤي نقلت تلك الاهتمامات إلى مستوى جديد؛ ففي الخامس والعشرين من شباط عام 1912 يكتب كافكا: «اجتماع صهيوني، بلومن فيلد أمين سر المنظمة الصهيونية العالمية».

وهذا الحديث المختصر– الذي يختبئ فيه كافكا خلف جمل هي أقرب إلى العنوانات الكبرى للصحف– يدل على مقدار الرغبة في التكتم، إلى درجة أن اسم كورت بلومن فيلد

---

(6) Hartmut Binder : Franzkafka, Leben und persoenlichkeit, 1983, p .341

الذي كان يعمل أمين سر للمنظمة الصهيونية العالمية ما بين 1911–1914 جاء من دون أي إيضاحات، مثلما بقي مضمون الاجتماع غامضاً، كما هو حديثه وإشاراته المتعددة إلى هوغو بيرغمان (1883–1975) الذي انضم إلى الحركة الصهيونية عام 1910، وهاجر إلى فلسطين، وأسس مكتبة الجامعة العبرية وظل مديراً لها حتى عام 1935 من دون أي إيضاحات، وتجيء تعليقاته على الحوارات معه وعلى محاضرته التي ألقاها في السابع عشر من كانون الأول عام 1913 غامضة.

وبصرف النظر عن كون كافكا صهيونياً أم غير صهيوني، وهو سؤال شكل معلماً مهماً من معالم تلقي أعمال كافكا في النقد العربي الحديث، وناقشته بديعة أمين في كتابها «هل ينبغي إحراق كافكا» الذي صدر عام 1983؛ فإنّ مصطلح أرض كنعان لم يبدأ في الظهور في يوميات كافكا إلا في مطلع عام 1922، وهي رغبة تنامت عام 1923 كما جاء في رسالة بعث بها إلى صديقته ميلينا يسينسكا، يقول كافكا في 1922/2/28: «منذ أربعين سنة وأنا أتجول بعيداً عن أرض كنعان وأتلّفت صوبها كالغريب. صحيح أنني في هذا العالم المغاير – وهذا ما تحدّر إليّ من تراث الآباء – الأكثر تفاهة والأكثر جبناً بين كل المخلوقات، وبقائي على قيد الحياة راجع إلى الطبيعة الخاصة بنظام هذا العالم؛ إذ يتمكن الرعاع فيه من الوصول بسرعة إلى القمة. وإن كان يمكن تحطيمهم (...) إنّ المسألة هي في واقع الأمر لون من التيه الصحراوي المعكوس الذي يجد المرء ذاته فيه يقترب على نحو دائم من الصحراء مصحوباً بآمال طفولية (تجاه النساء خاصة). لعلي قد وصلت إلى أرض كنعان في خاتمة المطاف «مع أنني موجود منذ زمن طويل في الصحراء، وهذه التمنيات ليست أكثر من رؤى اليأس، ولا سيما في الأوقات التي كنت فيها الأكثر بؤساً وشقاء بين الجميع؛ لذا ينبغي أن تشكل لي أرض كنعان أرض الميعاد، لأنه ليس ثمة مكان ثالث للنوع البشري».

لقد سبق لبديعة أمين أن توقفت عند هذا النص، ورأت أن أرض كنعان لا علاقة لها بفلسطين بالمعنى الذي كان في أدبيات الحركة الصهيونية. وبصرف النظر عن مدى دقة هذا الاستنتاج فإن من الحق أن يقال إنّ هذه الأمنية جاءت لحظة اشتداد وطأة المرض، وهي لحظة

تستدعي التعويض عن العجز والضعف بالحركة المتخيلة والارتحال الحالم إلى عالم يوتوبي. وهي أمنية تكاد تتشابه مع رغبة كافكا في الارتحال إلى عالم الخرائب؛ لكنّ أمنية كافكا هذه المرة تجيء متسقة مع المخيال الجمعي اليهودي بل نابعة منه.

(4)

في الثالث عشر من آب عام 1912 ذهب كافكا إلى صديقه ماكس برود ومعه كتابه «تأملات» المعدّ للنشر، فوجد عنده فيليس باور (1887–1960)، وهي فتاة تمت لبرود بصلة قربى بعيدة، تعمل منذ عام 1909 في إحدى شركات برلين، وقدمت إلى براغ لأسباب تتعلّق بطبيعة عملها.

ظنّ كافكا في أثناء حديثه معها أنّها كانت تريد عنوانه لتكتب له، وعندما تبيّن له أن ذلك كان وهماً وسوء فهم أصيب بالألم؛ لكنهما اتفقا في نهاية الجلسة على تنظيم رحلة مشتركة لزيارة فلسطين.

جاءت انطباعات كافكا عن هذا اللقاء سلبية في بادئ الأمر، وقد كتب في العشرين من آب عام 1912 : «عندما جاءت الآنسة فيليس باور إلى برود في الثالث عشر من آب جلست على الطاولة، وبدت لي شبيهة بالخادمة. لم أكن على الإطلاق متشوقاً لمعرفة من تكون؛ بل وجدتني أتقبّلها بكّل بساطة وجه عظمي فارغ، يتلبسه الفراغ بوضوح، عنق حرّ، بلوزة ملقاة عليها ... شعرت بالنفور منها قليلاً...».

لكن هذا الانطباع السلبي تلاشى، وجرى حديث كافكا في رسائله إليها عن مزاياها العديدة، طيبتها وصلابتها وحيويتها، وهي خصائص سحرت كافكا لأنه يفتقر إلى تلك السمات.

ليس من هدف هذا التقديم الإحاطة بتفصيلات هذه العلاقة المعقدّة والمضطربة والشائكة[7]، التي استمرت خمس سنوات؛ فهي علاقة تحتاج إلى دراسة مستقّلة، ولاسيما

(7) انظر مثلاً: Hartmut Binder, p. 324-335

عندما نعلم أنّ عدد الرسائل التي كتبها كافكا إلى فيليس تبلغ خمسمئة رسالة، وأنّ عدد اللقاءات التي كانت تجمع بينهما كان قليلاً.

خطب كافكا فيليس بتاريخ 1914/6/1، استمرت الخطبة ستّة أسابيع، ثم فسخت، وخطبها ثانية في تموز عام 1916 لتفسخ في 1917/12/27 الخطبة نهائياً.

ليس من الغريب أن تجيء قصته «الحكم» بعد لقائه بفيليس باور، وبعد أول رسالة بعثها إليها، وقد أشار كافكا في يومياته إلى أنّ انبثاق «الحكم» ولاسيما أسماء الشخصيات فيها مرتبط على نحو من الأنحاء بفرانتس كافكا وفيليس باور. لهذا يجمع كثير من الدارسين على أبعاد السيرة ذاتية في القصة، وإن كانوا يختلفون في تأويلها، على الرغم من وضوح العناصر الذاتية فيها.

والمفارقة في «الحكم» تبدو في أن كافكا أراد بناء القصة لتكون كاشفة عن تداعي عالم الأب وانهياره؛ لكنّ الخطيبة تبرز لتكون سبباً في دمار الطرفين معاً.

عرف كافكا بعد فيليس باور أربع نساء، تفاوتت علاقته بهن.

أما علاقته بغريتي بلوخ Grete Bloch (1892–1944) فقد نشأت في أثناء علاقته بفيليس باور، فقد كانت بلوخ صديقة لها وسعت إلى إصلاح ذات البين بين العشيقين، لتتطور العلاقة بينها وبين كافكا بعد ذلك إلى نوع من العلاقة العاطفية الغامضة، وقد زعم ماكس برود أن بلوخ أنجبت طفلاً توفي في سن صغيرة، هو ثمرة تلك العلاقة. وهو زعم لا يؤيده أحد من دارسي كافكا.

وقد عرف كافكا عام 1919 Juli Wohrycek في أثناء استجمامه في شمال براغ. وقد حاول أن يخطبها، لكنّ صراعه الدائم مع أبيه أفسد الخطبة وأوقف العلاقة.

ثم نشأت بين كافكا وبين Milena Jesenska– وهي مسيحية كاثوليكية تشيكية– علاقة عميقة عندما رغبت ميلينا في ترجمة قصة كافكا «الموقد» إلى التشيكية، لكن تلك العلاقة ظلت ورقية الأبعاد، أدبية السمات وأفلاطونية.

وفي أخريات أيامه عرف كافكا Dora Diamant التي مرّضت كافكا، ورعت أحواله الصحية، وقد استأجر منزلاً في برلين وأمضيا فيه الأسابيع الأخيرة من حياة كافكا.

والخلاصة: إن حياة كافكا هي في أبعادها الكبرى تجسيد للمأساة، وهروب من الحياة إلى الكتابة.

لقد كانت ترجمة يوميات كافكا ونقلها إلى القارئ العربي عملاً مضنياً، ورحلة شاقّة، شابها الكثير من التردد والمراجعة والتعديل، بالنظر لما ينطوي عليه النص الأصلي من صعوبة وغموض وإيجاز في بعض الأحيان، يعرفه كلّ من خبر عالم كافكا وطريقة بنائه لهذا العالم. ويطيب لي في هذا المقام أن أتوجه بخالص الشكر والتقدير إلى أخي الدكتور أحمد خريس الذي تولى بكرمه قراءة التجارب الطباعية، ونبهني إلى كثير من الأخطاء. منبهاً إلى أن الهوامش المنجَّمة هي من صنع المحرر، أما الأخرى المرقمّة فهي من صنع المترجم.

وعسى أن تكون النتائج بقدر الجهد الذي بُذل، وأن تكون ترجمة اليوميات مفيدة لدارسي كافكا، وللقارئ العربي عموماً. سائلاً المولى– عزّ وجل– أن يحميني من التكلّف لما لا أحسن، ومن الزهو بما أحسن.

وبالله التوفيق،،،

خليل الشيخ

أستاذ الدراسات النقدية المقارنة

قسم اللغة العربية – جامعة

اليرموك

نهاية آب 2007

(1910)

يتَسمر النّظارة عندما يمرّ بهم القطار.

كثيراً ما كان يقول لي: «انفصال الإمالة عن الجملة يجعلها تنساب كالكرة فوق المسطح العشبي».

جدّيته تغتالني. رأسه القابع فوق رقبته، شعره المسرّح الثابت على جمجمته، وعضلاته الغائرة تحت وجنتيه (...) ألا تزال الغابة هناك؟ لقد كانت الغابة هناك في أغلب الظن. وعندما كادت نظراتي تبتعد عنه مقدار عشر خطوات تركته ليقع مجدداً أسيراً لمحادثة مملّة. لم أتبيّن الطريق في غابة مظلمة وأرض مبتّلة إلاّ من خلال بياض ياقته*.

في الحلم رجوت الراقصة إدواردڤا *Eduardowa أن تؤدّي رقصة الكزارداس Csárdáns[8] ثانية. كان لها ظلّ– أو على الأصح– نور واسع ممتد على وجهها، من حافة جبينها إلى منتصف ذقنها.

فجأة ظهر رجل ذو حركات قبيحة ومكر خفيّ، ليقول لها إن القطار سيغادر في الحال. وقد بدا لي على نحو جليّ من خلال الطريقة التي تلّقت بها النبأ؛ أنّها لن ترقص بعد ذلك «إنني أنثى شرّيرة وسيئة. أليس كذلك»؟ قالت. «كلا، لست كذلك». قلتُ. ثم استدرتُ على نحو مهذّب مغادراً بلا هدف، وقبل أن أفعل سألتها عن الورود المثبّتة في حزامها. «إنّها من أمراء أوروبا كلّهم». قالت. وقد تأملّت في دلالة هذه الورود اليانعة التي أُهديت إليها من أمراء أوروبا كلهم.

إنّ الراقصة إدواردوڤا عاشقة للموسيقى، تسافر كما يحدث في أي مكان آخر في القطار الكهربائي، بصحبة اثنين من عازفي الكمان اللذين تتركهما يعزفان في كثير من الأحيان. ولا أحد يعرف المانع الذي يحول من دون العزف في القطار الكهربائي، ولاسيما عندما يكون العزف حسناً ومريحاً ومن دون تكلفة. صحيح أنّ العزف يبدو مفاجئاً بعض الشيء في البداية،

(8) لون من الرقص الشعبي الهنغاري، تعود جذوره إلى القرن الثامن عشر.

وقد يراه كلّ واحد غير ملائم بعد ردح من الوقت؛ لكنّه يبدو جميلاً في الرحلة الطويلة والتيار الهوائي القوي والطريق الهادئ.

إنّ الراقصة إدواردوڤا ليست جميلة في الهواء الطلق كما تبدو على خشبة المسرح؛ فلونها الشاحب وعظام وجنتيها تجعلان بشرتها متوترة، على نحو يحجب ظهور أي حركة عنيفة على الوجه، وأنفها الضخم الذي يرتفع وكأنه يجيء من أحد التجاويف على نحو لا يسمح بأي لون من الدعابة، أما ظاهر هذا الأنف فيمكنك أن تحركه يمنة ويسرة، وأن تقوله له: «يمكنك أن تجيء معي».

إنّ هيئتها العريضة وخصرها العالي وظهرها المحدودب – لمن يعجبه ذلك– يبدو شبيهاً بواحدة من عماتي، وهي امرأة عجوز تشبه كثيراً من العمّات العجائز، وكثيراً من كبار السن. وليس ثمة شيء يعوض هذه المعايب عند إدواردوڤا سوى قدميها الرائعتين، اللتين تثيران الحماسة والدهشة، وتشكلان باعثاً من بواعث الاحترام. وكثيراً ما كنت أشاهد إدواردوڤا وهي تُعامل بقدر من اللامبالاة، التي لم يستطع أن يخفيها رجال شديدو اللياقة والتهذيب، مع أنهم كانوا يبذلون جهداً لا يخفى في هذا الاتجاه، وهم يتعاملون مع راقصة معروفة مثلها.

إنّ شحمة أذني تبدو غضّة وصلبة، باردة وطرية وكأنها ورقة. ومن المؤكد أنني أكتب هذا كلّه من واقع اليأس من جسدي، ومن المستقبل مع هذا الجسد. وعندما يتجلّى اليأس على نحو محدّد، ويكون وثيق الاتصال بموضوعه، وحذراً مثل جنديّ يحمي انسحاب رفاقه، ويتمزّق جسده من جراء ذلك؛ فإنّ ذلك ليس اليأس الحقيقي.

إنّ اليأس الحقيقي يتجاوز أهدافه دائماً (عند هذه الفاصلة يبدو أنّ الجملة الأولى وحدها صحيحة).

– هل أنت يائس؟

– أجل؟ أنت يائس؟

– هل ستهرب؟ أتريد الاختباء*؟

الكتّاب يتفوّهون بأشياء كريهة الرائحة

الخيّاطات تحت المطر*

وأخيراً، وبعد مرور خمسة أشهر لم أستطع أن أكتب خلالها حرفاً، كان من المفروض أن أكون في أثنائها سعيداً، لأنها لم تتطلب مني جهداً، في وقت كان يتوجّب فيه على الجميع بذل الجهد، خطرت لي فكرة الحديث إلى نفسي من جديد. هكذا كنت أجيب عندما كنت أتساءل حقيقة. هنا كان ثمة جزء من ذاتي دائماً يقبل أن يخرج من كومة القش هذه الذي كنتها منذ خمسة شهور، التي يبدو أنّ مصيرها قد تحدد، حيث ستشتعل فيها النيران، وتحترق قبل أن يرتد إلى المشاهد طرفه.

هل يحدث ذلك معي وحدي؟ كان ينبغي أن يحدث ذلك عشر مرات معي؛ لأنني لا أندم على الأوقات التعيسة، إنّ حالتي ليست تعيسة لكنها ليست سعيدة أيضاً. إنّها ليست حالة اللامبالاة، أو الضعف أو الإنهاك، وليست هي حالات أخرى؛ فماذا تكون؟

إنّ عدم معرفتي بذلك يرتبط بنقص مقدرتي على الكتابة، وهو أمر يمكنني تفهّمه، من دون أن أكون قادراً على معرفة بواعثه. إنّ كل الأشياء التي تحدث لي لا تبدأ من جذورها؛ بل من منتصفها تقريباً، ومحاولة المرء للإمساك بها تشبه محاولات الإمساك بعشب يبدأ نمّوه من منتصف ساقه. ثمة قلائل– كالمشعوذين اليابانيين– يستطيعون ذلك، فهم قادرون على تسّلق سلّم لا يرتكز على الأرض؛ بل على النعل المرتفع لنصف إنسان مضطجع لا يتكئ على حائط؛ بل يتحرك في الهواء. إنّه لا ذنب لي– بصرف النظر عما قيل– أنّ سلّمي ليس في متناول تلك الأقدام. وليس هذا كل شيء بطبيعة الحال، بل إنّ أيّ استيضاح لن يحملني على الحديث؛ ففي كل يوم توّجه ضدي مجموعة من العبارات، كما يوّجه التلسكوب نحو أحد المذّنبات. ولو قدّر لتلك العبارات أن تنشر لبدوت منجذباً إلى كلّ منها، مثلما بدوت في عيد الميلاد الأخير، على سبيل المثال، مغرقاً في البعد لا أكاد أستطيع التماسك، وكأنني أقف على الدرجة الأخيرة لسلّمي، الذي يقف ثابتاً على الأرض. ولكن أيّ أرض وأيّ حائط؟ ولأنّ ذلك السلّم لم يسقط، فقد ثبتوا قدمّي على الأرض، ورفعوها من ثم إلى الحائط. لقد ارتكبت اليوم مثلاً ثلاث

وقاحات، واحدة مع قاطع التذاكر، وأخرى مع آخر قدم لي. إنهما حماقتان في الواقع، لكنّهما تؤلمان، كما يؤلم وجع المعدة. لقد كانت– من وجهة نظر أي إنسان، كما من وجهة نظري– وقاحات. لقد قاومت تردّدي، وجاهدت في الريح وتحت الضباب. خشية أن يكتشف أحد أنني ارتكبت عملاً وقحاً مع مرافقي، أو أنّه كان يتوجّب عليّ ارتكابه، وأنني أتحّمل مسؤولية التعبير عنه وعن تبعاته. لكنّ الأسوأ كان عندما لاحظ أحد معارفي أنّ هذه الوقاحة ليست سمة من سمات الشخصية؛ بل هي الشخصية نفسها، وقد لفت نظري إلى وقاحتي وتعجّب منها. لماذا لم أبق حبيس نفسي؟ الآن أقول لذاتي: تأمّل ! إنّ العالم ينهزم أمامك. لقد ظلّ قاطع التذاكر، والشخص الذي قُدّم لك هادئيْن، عندما غادرت، حتى أنّ الأخير حيّاك. إنّ هذا لا يعني شيئاً. إنك لا تستطيع أن تصل إلى شيء، إذا لم تغادر، لكن ما الذي تفتقده فوق هذا في دائرتك؟.

لقد أجبت رداً على هذا: إنّني أفضّل أنْ أُجَلد في هذه الدائرة، على أن أَجْلِد في دائرة أخرى. لكنّ أين هي– بحقّ الشيطان– هذه الدائرة؟

شاهدته طويلاً وهو ملقى على الأرض، وكأنّه ملطّخ بالجير، لكنّه الآن يدور حولي؛ بل لم يعد قادراً على الدوران.

ليلة المذنّبات 17/18 آيّار:

مع بلاي Blei الذي كان مع زوجته وطفله كنت أسمع بين الحين والآخر صوتاً طالعاً مني، يشبه نشيجاً عابراً لقّطة صغيرة، لكن ما علينا !.

كم عدد الأيّام الخرساء التي مرّت بنا؟ اليوم هو الثامن والعشرون من أيار، وليس عندي القدرة على الإمساك بهذا القلم وقطعة الخشب هذه كلّ يوم، وأظنّ أنه ليس لدّي مثل هذا العزم.

إنّني أجذّف، وأركب الخيل، وأسبح، وأستلقي تحت الشمس؛ لذا فإنّ بطن ساقي في حالة حسنة، والساق في وضع غير سيئ، والبطن ينمو، أما الصدر فبائس تماماً حتى لو بقي رأسي

فوق عنقي.

الأحد 19 تموز 1910:

نوم، استيقاظ، نوم، استيقاظ، حياة تعيسة. عندما أنعم النظر يتوجّب عليّ أن أقول إن تربيتي قد أضّرت بي كثيراً من مناح متعدّدة؛ فأنا لم أُرّب منعزلاً، أو في إحدى الخرائب في الجبال، وهذا أمر لا أستطيع أن أنبس حياله بكلمة لوم واحدة.

وعلى الرغم من الخطر الذي لم تستطع مجموعة معلميّ السابقين إدراكه؛ فإنّه كان من دواعي سروري ومناي، لو كنت أحد ساكني الخرائب الصغيرة، تلّوحني أشعة الشمس التي تظهر خلال تلك الأنقاض من جميع الجهات، وتبزغ عليّ أشعتها من بين اللبلاب الغض. وحتى لو بدوت في أوائل المدة ضعيفاً؛ فإنّ تأثير مناقبي الحسنة سيعلو، مضافاً إلى قوة العشب البرّي الكامنة فيّ.

وعندما أنعم النظر يتوجّب عليّ أنْ أقول: إنّ تربيتي قد أضّرت بي كثيراً من مناح متعّددة. وهذا اللوم يصيب كثيرين، وأخصُّ منهم والديّ، وبعض أقاربي، وأفراداً من الذين كانوا يختلفون إلى منزلنا، وبعض الكتّاب، وطباخيّن بعينهم، قادوني إلى المدرسة عاماً كاملاً، وأكواماً من المعلمين (الذين يتوجّب عليّ أن أكدسهم معاً في يومياتي، وإلاّ فسيظهر لي واحد منهم، نظراً لأنني حشرتهم معاً، ويفتت هذا كلّه) وأحد مفتشي المدرسة، وواحداً من عابري السبيل المتمهلين. وباختصار فإنّ هذا اللوم سرعان ما يتجّه كالخنجر صوب المجتمع. ولا أحد، أكرّر أنّه لا أحد، يمكن أن ينجو من أن يصيبه رأس هذا الخنجر، بطعنة من الخلف أو في الخاصرة. ولا أحبّ أن أستمع إلى أيّ اعتراض على هذا اللوم؛ لأنّني استمعت إلى الكثير من تلك الاعتراضات ودحضتها. إنني أقرن بين اللوم والاعتراض لأقول إنّ تربيتي إضافة إلى تلك التفنيدات قد أضّرت بي كثيراً من مناح شتى.

غالباً ما أفكرّ، وهو أمر ينبغي أنّ أصرّح به دائماً، طالما أضرّت بي تربيتي. وهذا اللوم

يصيب عدداً كبيراً من الناس. وهم متجمعّون هنا، في كلّ الأحوال، ولا يعرفون، كما هي الحال في الصور الجماعية القديمة أن يبدؤوا معاً، فلا يخطر ببالهم أن يغضوا أبصارهم، أما الابتسام فغير متوّقع منهم وهؤلاء هم: والداي وبعض أقاربي وبعض الطباخين على وجه التحديد، وبعض الفتيات من دروس الرقص، وبعض زوار منزلنا فيما مضى، وبعض الكتّاب، وأحد مدربّي السباحة، وقاطع تذاكر، وأحد مفتشي المدرسة، وبعض الذين التقيت بهم عرضاً في الشارع، وبعض الذين لا أستطيع تذكرهم، وبعض الذين لا أرغب في تذكرهم على الإطلاق. وأخيراً هؤلاء الذين كانت دروسهم تشتت الانتباه، وهو ما لم أتنبّه له يومها. باختصار إنهم يبلغون من الكثرة حداً يجعل المرء في حاجة إلى الحذر من ذكرهم مرّتين. لهؤلاء جميعاً أوجّه لومي. وإذا كنت بهذه الطريقة أعرّفهم ببعضهم بعضاً؛ فإنني لم أعد أتحمّل كلمة اعتراض واحدة. لأنني تحملّت بصدق فيما سبق ما يكفي من الاعتراضات. ونظراً لأنني فندت معظمها فلم يعد بوسعي غير أن أجمع بين اللوم والتفنيد، وأن أقول: إنّه فضلاً عن تربيتي فإنّ هذه التفنيدات قد أضرّت هي الأخرى بي من أوجه شتّى. أيحسب أحد أنّني قد رُبّيت وحيداً؟ كلا. لقد ربيّت في وسط المدينة، نعم في وسط المدينة. ولم أنشأ في خرابة في أحد الجبال أو على ساحل البحر. لقد ظلّ والداي وأتباعهما حتى اللحظة محّل لومي، لكنّهم كانوا يضعون هذا اللوم من دون مبالاة جانباً ويبتسمون، لأنني أبعدت يدي عنهم، ووضعتها فوق جبيني وشرعت بالتفكير: لقد كنت أتمنى أن أكون أحد قاطني الخرائب، أستمع إلى نعيب الغربان، تجتازني بظلالها، أتبرد تحت القمر– وحتى لو بدوت ضعيفاً في البداية؛ فإنني سأنهض بتأثير من مناقبي الحسنة وبقوة العشب البرّي الكامنة فيّ– تلوّحني أشعة الشمس التي تنتشر بين الأطلال، وتبزغ على شجرات اللبلاب التي لي، وتطلع عليّ من جميع الجهات.

يروى– ونحن ميّالون للاعتقاد بصّحة ذلك– أنّ الرجال لا يعبؤون في أوقات الخطر بالنساء الجميلات الغريبات، فيدفعونهن إلى الجدران مستخدمين الرؤوس والأيدي والركب والمناكب، ولاسيما عندما تعيق هؤلاء النسوة هروبهم من المسرح الآخذ بالاحتراق. في تلك الأثناء تصمت هؤلاء النسوة الثرثارات، وتتحوّل ثرثرتهن التي لا تتوّقف إلى فعل وموقف،

فترتفع الحواجب إلى الأعلى، وتكّف الأضلاع والخاصرات عن التنفّس، أما الأفواه السليطة المغلقة فتشرع بسبب ذعرها بإدخال كميّة من الهواء أكثر من المعتاد*، وتبدو الوجنات شاحبة بعض الشيء.

«أنت!» قلت، بينما كنت أدفعه بالركبة دفعة خفيفة (عند الحديث المفاجئ يتطاير شيء من اللعاب كعلامة سيئة).

«لا تنم!» «إنّني غير نائم» أجاب، وهو يهز رأسه، وعيناه مفتوحتان. «وإذا نمت فكيف أستطيع أن أحرسك؟». «ألا يتوّجب عليّ ذلك؟». «ألم تتشبّث بي لهذا السبب أمام الكنيسة آنذاك؟». «صحيح، لقد جرى ذلك منذ وقت طويل. ونحن ندرك ذلك». «دع الساعة في الجيْب، فالوقت في الواقع متأخر جداً». قلت. ولمّا كنت مجبراً على الابتسام. فقد أدرت نظري بتركيز تجاه المنزل لإخفاء تلك الابتسامة الخفيفة.

«هل يعجبك هذا الوضع حقاً؟ إنك توّاق للصعود إلى الطابق العلوي. قل ذلك، فلن أعضّك. انظر، إذا كنت تعتقد أنك ستكون أكثر راحة في الأعلى فاصعد على الفور، ولا تفكّر بي! هذه وجهة نظري. إنها وجهة نظر عابر سبيل ودود. إنّك سرعان ما ستنزل إلى هنا ثانية، وستكون الحالة هنا رائعة، عندما يكون هنا على نحو ما رجل لا ترغب في النظر إلى وجهه، لكنّه سيتأبطّك، ويمضي بك إلى حانة قريبة، فينعشك بالنبيذ، ويقودك إلى غرفته، ومن المؤلم أنّ ثمة مسافة تفصل بينه وبين الليل، لكنك تستطيع مؤقتاً أن تدوس على وجهة النظر هذه. صحيح أنّ حالتنا هنا رديئة؛ بل هي مزرية تماماً، وهو أمر لا أرى مانعاً من تكراره على مسامع من ترغب، لكنني في وضع أعجز فيه عن تأدية أيّ عمل. وإذا كنت أجلس قريباً من البالوعة هنا تدهشني مياه المطر، أو أجلس في الطابق العلوي تحت أضواء الثريا أحتسي الشمبانيا، فالأمر عندي سيّان. وبالمناسبة لم يحدث أن كنت قادراً على الاختيار بين مسألتين، كما لم يسبق لي أن عشت هذه الحالة؛ أن أدع الناس يتنبّهون لي، وكيف يمكن أن يقع لي هذا في إطار الطقوس الضرورية لي، وأنا ما زلت أواصل الزحف في هذا الإطار كحشرة قذرة!

أما أنت، فمن يعرف ما الذي تخفيه في أعماقك؟ فأنت تمتلك الشجاعة، أو تظن أنّك

تمتلكها على الأقل، حاول! ماذا تنتظر ؟ إنّ المرء يعي ذاته عندما يتأمل وجه الخادم وهو بجانب الباب».

«لو كنت أعرف يقيناً أنّك صافي السريرة تجاهي؛ لكنتُ من مدّة في الأعلى، لكن كيف أعرف صدق نواياك نحوي؟ إنك تنظر إليّ كما لو كنت طفلاً صغيراً»، وهذا أمر لا يساعدني؛ بل يعقّد الأمور، ولعلك تريد تعقيدها. لذا لم أعد قادراً على تحمل هواء الزقاق، وقررّت الانتماء إلى المجتمع الأرقى. إنّ حلقي يوجعني عندما آخذ احتياطي، وهو ما تعانيه أنت بالمناسبة، إنّني أسعل. ترى هل تعرف كيف ستسير الأمور معي فوق؟ إنّ القدم التي سأطأ الصالة بها، ستكون قد مسخت، عندما أجرّها نحو الآخرين».

«إنّك على حقّ، فلست حسن النية نحوك». «إنني أريد الهروب وأريد أن أصعد الدرج، ولو دحرجة. إنني أمنّي نفسي بالكثير من المجتمع؛ لكنّي أحتاج إلى تنظيم طاقاتي في مواجهة هؤلاء الذين لا يكفيهم مثل هذا التصعيد، كما يفعل هذا العازب أمام فرصة وحيدة في زقاق ما. إنّه سيكون سعيداً عندما يتمكّن جسده المنهك من الصمود، فيحتفظ ببعض غذائه، ويتحاشى تأثيرات الآخرين. وباختصار يكون أكثر تماسكاً من هذا العالم الآخذ بالانهيار. لكنّه يحاول أن يستعيد بالقوّة ما يخسره من ممتلكاته السابقة، سواء تغيّر أم تداعى أم تظاهر (وهو ما يجري في الغالب). أما طبيعته فتنزع للانتحار، فهو لا يملك أسناناً إلا للحمه، ولا لحماً إلاّ لأسنانه؛ لأنّه من غير أن يكون للمرء نقطة ارتكاز ومهنة وعلاقة حبّ وعائلة وتقاعد؛ أي من دون أن يجرّب مواجهة العالم بكليّته، ومن غير أن يصاب بعقدة الانبهار تجاه ما جمعه من ممتلكات؛ فإنّه لا يستطيع أن يتماسك تجاه ما يعانيه من خسائر مدمّرة. إنّ هذا العازب بملابسه الرقيقة ومهارته في أداء الصلاة، وسيقانه القادرة على التحمّل، وإيجار شقته الباهظ الثمن، وجوهره المتشّظي الذي يحتاج وقتاً طويلاً ليوقظه، يحتضن ذلك كلّه بين ذراعيه لكنه مضطر كي يضيّع أشياءه مرتيّن، عندما يخطو على غير هدى أيّ خطوة بسيطة. ومن الطبيعي أن تكون ها هنا الحقيقة، التي لا تبدو في أيّ بقعة صافية صفاء الحقيقة المشار إليها. لأنّ من يتصرف بوصفه مواطناً كاملاً فعلاً، يبحر بسفينته الخاصّة، يسبقه الزبد ويتلوه الموج؛ أي أنّه ذو فاعلية

كبيرة في محيطه، يختلف عن الرجل الذي يطفو على بضع أخشاب فوق الأمواج، تصطدم ببعضها بعضاً وتتحرك ببطء؛ فذلك السيّد والمواطن لا يخشى من أيّ خطر مهما صغر. لأنه وممتلكاته ليسوا أمراً واحداً، انهما اثنان، ومن يمزّق العلاقة بينهما، يمزقه. إننا وجميع معارفنا في ضوء وجهة النظر هذه مشوّهون، لأننا جميعاً محجوبون، فأنا تحجبني مهنتي وخيالاتي ومعاناتي الحقيقية وميولي الأدبية...الخ. لكنني سرعان ما أكون قادراً على أن ألمس أعماقي بقوة، عندما أتمكن أن أكون سعيداً إلى حدّ ما. ولا يحتاج لمس أعماقي لأكثر من ربع ساعة من العمل المتواصل، وعندها ينساب هذا العالم المسموم في الفم، انسياب الماء في الغرقى. وليس ثمّة بيني وبين هذا العازب في هذه اللحظة كبير فرق، سوى أنّني أفكّر بطفولتي في القرية. ولعلي أقدر– عندما أريد، وتتطلّب الحالة– أن ألقي بنفسي فيها. أما العازب فلا شيء أمامه، ومن ثم فلا شيء خلفه. وليس ثمة فرق في الحاضر، لكنّ العازب لا يملك إلاّ الحاضر.

في ذلك الزمن الغابر الذي لا يستطيع أحد اليوم معرفته، لأنّه ليس ثمة شيء يمكن أن يتلاشى مثل ذلك الزمن؛ في ذلك الزمن أخطأ عندما لم يتوقف عن لمس أعماقه، كالمرء الذي يلحظ فجأة وجود دمّل في جسمه، يظنه الأخير وهو ليس الأخير، ويبدو كأنّه لم يكن بعد، وهو الآن أكبر من كلّ شيء. فهل كنّا حتى اللحظة نعتمد على ما فعلته أيدينا، وما رأته أعيننا، وما سمعته آذاننا، وما مشته أقدامنا، حتى ننقلب فجأة، رأساً على عقب، كما ينقلب مؤشر الريح فوق الجبال؟.

وبدلاً من الهرب يومها، حتى لو سار في الطريق الأخير، لأنّ هربه لا يكون إلا بالمشي على أطراف القدم، وهذه الأطراف هي القادرة على أن تحافظ على بقائه في العالم؛ استلقى كما يستلقي الأطفال في الشتاء على الثلج ليتجمدوا. إنّه يعلم مع هؤلاء الأطفال أنّ ذنبهم أنّهم استلقوا أو استرخوا، مع علمهم بأنّه لا يجوز لهم أن يفعلوا ذلك مهما كان الثمن. لكنهّم لا يستطيعون أن يعلموا أنّ عليهم بعد هذه التغيرات التي وقعت لهم في الحقول أو في المدينة أن ينسوا ذنوبهم وما فعلوه مضطرين، وأن يتحركوا في ضوء هذا العامل وكأنهم يتحركون للمرة الأولى. لكنّ النسيان ليست الكلمة المناسبة في هذا السياق؛ لأن ذاكرة هذا الرجل تعاني تماماً مثلما تعاني قدرته على التخيّل. لكنّ الجبال غير قادرة على الانتقال؛ إنّ هذا الرجل يقع خارج

شعبنا، وخارج إنسانيتنا، وهو يعاني أبداً من الجوع، ولا يأبه إلاّ للحاضر، حاضر المعاناة الموصول الذي لا يحمل أيّ إشارة إلى حاضر الراحة. إنّ آلامه هي الأمر الوحيد الذي يشغله، وليس هناك أمر آخر. وهذه الآلام تؤدي دور الدماء. إن له أرضاً هي أوسع مما تحتاجه قدماه، ومكاناً أكبر مما تستطيع أن تغطيه يداه، أي أقلّ ما يحتاجه بهلوان على خشبة مسرح ليتمكن من نصب شبكة صيد. أما نحن فأمرنا مختلف؛ فنحن مربوطون بماضينا وحاضرنا. ونقضي معظم أوقات فراغنا والكثير من عملنا لنستطيع التحليق بتوازن بينهما. وما يشترطه المستقبل سلفاً على مستوى السَّعة يعوّضه الماضي على مستوى الوزن، ويغدو التمييز بينهما في خاتمة المطاف أمراً غير ممكن؛ فالصبا المبكر يبدو بعد حين رائعاً، مثلما تبدو صورة المستقبل والماضي. ولكننا نعيش نهاية هذا المستقبل بكامل تنهداتنا وحسرتنا، وهكذا تكتمل الدائرة بمحيطها على امتداد سيرنا. وهذه الدائرة لنا طالما احتفظنا بها، ولو حدث أن اطرحناها مرةً جانباً؛ نسياناً أو انشغالاً أو خوفاً أو ذهولاً أو إرهاقاً لتلاشت في الفراغ حالاً. لقد غمسنا أنفنا في تيّار الزمن، وها نحن الآن نتراجع، فنحن سبّاحون سابقاً، مشاؤون الآن وضائعون. إننا خارج القانون، صحيح أنّه لا أحد يعرف ذلك؛ لكنّ الجميع يعاملنا على هذه الشاكلة. «من غير المسموح أن تفكرّ بي الآن، كيف تقدر أن تقارن نفسك بي؟ إنني أقيم هنا منذ نحو عشرين عاماً، هل تستطيع أن تتخيّل ذلك على نحو دقيق؟ لقد عشت كلّ فصل من فصول السنة هنا عشرين مرّة»؟.

– «الآن يهزّ قبضته الرخوة فوق رؤوسنا».

«لقد نَمَت الأشجار هنا على امتداد عشرين عاماً. فكم يبدو المرء صغيراً تحتها! لقد أمضيت الليالي الكثيرة كما تعلم في هذه المساكن جميعها، أنام في ذلك المسكن تارة، وأستلقي فوق ذلك الحائط تارة أخرى. وكأنّ النافذة تدور من حولي. في الصباح يطل أحدهم من النافذة، ويسحب مقعده الوثير، ويجلس لاحتساء القهوة. وفي المساء يثبّت ذراعه ويمسك أذنه بيده. وليت الأمر يقتصر على ذلك! وحبذا لو اعتاد المرء بضع عادات جديدة، مثل ذلك الذي يمكن مشاهدته في الزقاق إنّك قد تتخيّل الآن وكأنني أريد أن أشكو. لا. ولماذا الشكوى؟ والأمران

غير مسموحين لي، وليس لديّ ما أفعله سوى نزهتي، وهذا يكفي، وليس ثمة مكان على وجه هذه الأرض إلا وأستطيع أن أنفذ فيه نزهتي. يبدو الآن كأنني فخور بذلك».

«إنّني آخذ الأمر ببساطة. من غير المسموح لي الوقوف أمام المنزل»، «فلا تقارن نفسك بي، ولا تجعل نفسك في موضع شك عندي. إنّك شاب يافع، ومع هذا تبدو مقطوعاً في هذه المدينة إلى حدّ ما». إنّني قريب من حالتك؛ فالجوهر الحامي لشخصيتي آخذ بالتحلّل. في البداية كان ذلك جميلاً لأنّ هذا التحلّل كان يجري بوصفه نوعاً من تأليه الذات، حيث يتفلّت منا كلّ ما نحصل عليه، لكننا نبقى على الرغم من تلاشيه مبهورين بنوره الإنساني، هكذا أقف أمام صاحبي الأعزب الذي يحبّني من دون أن يكون في غالب الظّن عارفاً بالسبب. إنّ أحاديثه تشير بين الفينة والأخرى أنه يعلم ويعرف من يقف أمامه، ولذا تراه يستبيح لنفسه كلّ شيء. كلا. إنّ الأمر ليس كذلك؛ فهو يبدو دائماً على النقيض من الجميع، لأنّه لا يستطيع أن يحيا إلا معتزلاً أو طفيلياً، إنّه معتزل رغم أنفه، وهو يتجاوز هذه العزلة بقوى مجهولة ليتّحول إلى طفيلي، يتصرّف بوقاحة قدر ما يستطيع.

لا أحد في العالم يستطيع إنقاذه، وسلوكه يذّكر بجثّة أحد السّكارى التي دفعها التيار لتطفو على سطح الموج، فاصطدمت بأحد السّباحين المرهقين، فرمت ذراعيها حوله، وأرادت أن تمسك به. إنّ الحياة لن تسري في تلك الجثة، لأنّها لم تولد ابتداءً؛ ولكنّ ذلك الرجل يستطيع أن يجرّها إلى الأسفل.

السادس من تشرين الثاني :

محاضرة مدام Ch. عن موسيه[9] تقليد نسائي يهودي للتفاصح، تستوعب الفرنسية فيه عبر استعدادات وصعوبات ترافق النادرة إلى ما قبل خاتمتها، هذه الخاتمة التي ترتبط على نحو عضوي ببقية الحكاية. وفي تلك الأثناء تختفي الفرنسية؛ لأنّ التعب قد نال منّا، فالناس الذين يعرفون الفرنسية غادروا قبل الختام، لأنهم استمعوا إلى الحكاية كثيراً، أما الآخرون فلم يستمعوا

(9) شاعر وروائي وكاتب مسرح فرنسي رومانسي (1810–1857).

إليها بما يكفي، لأنّ النظام الصوتي في القاعة يؤثر نقل السعال في المقصورات على نقل الأحاديث التي تُلقى: العشاء عند راحيل، إنها تقرأ موسيه فيدرا Phaedra لراسين[10] Racine، الكتاب يقع بينهما على الطاولة، الاحتمالات كلّها قابلة للوقوع.

القنصل كلاودل Claudel * بعينيه اللامعتين اللتين تزيدان وجهه العريض بهاءً وتألّقاً، دائم الرغبة في الانصراف، وهي مسألة تحقّقت له على صعيد فردي؛ لكنّها لم تتّحقق على صعيد جماعي. فكلّما ودع واحداً ظهر له شخص جديد يصطف مع الذين سبق له أن ودعهّم. على منصّة الخطابة ثمة مكان مُعّد للفرقة الموسيقية، تحيط بها الأصوات المزعجة من كل جانب؛ نادل الممرّ، ضيوف في غرفهم، بيانو، عزف آلات وترية من بعيد، أصوات الطرق، شغب وعراك، يصعب تحديد الأمكنة التي تجيء منها، ولهذا فإنّها تعلو.

في إحدى المقصورات ثّمة سيّدة تتّدلى أقراط الماس من أذنيها، تلك الأقراط التي يتغيّر لمعانها على نحو دائم. عند المحاسب مجموعة من الفرنسيين في سن الشباب، يرتدون الثياب السود، أحدهم يحيّي بانحناءة حادّة، تجبر عينيه على التحديق في الأرض. وهو يقهقه في تلك الأثناء، لكنه لا يفعل ذلك إلاّ للشابات. أما الرجال فإنه ينظر إلى وجوههم مباشرة، بفم مغلق رزين، عاداًّ تحيته السابقة لوناً من الاحتفال الضاحك الذي لا بُدّ منه في كلّ حال.

السابع من تشرين الثاني :

محاضرة لـ wiegler*-d جلر عن هبّل Hebbel[11]. إنّه يجلس على المنصّة، يحيط به ديكور لغرفة حديثة، وكأنّ حبيبته ستقفز من خلال أحد الأبواب، لتبدأ التمثيلية في خاتمة المطاف. كلا، إنّه يتلو: هبّل الجائع، علاقة معقّدة مع إليزا لنسنج Elisa lensing[12]، كانت معلّمته في

(10) مسرحية للكاتب المسرحي الفرنسي الشهير راسين (1639—1699)، وقد ظهرت عام 1677.

(11) كريستيان فريدريش هبّل (1813—1863) شاعر وكاتب مسرحي ألماني.

(12) سيدة ألمانية (1804—1854) ظلت سنوات طويلة عشيقة لهبّل، لكن هبّل تخلى عنها وتزوج من ممثلة شابة وثرية تدعى كريستيني إنغ هاوس Christine Enghaus، ومع ذلك ظلت لنسنج وفية لهبّل حتى وفاتها.

المدرسة عانساً متقدّمة في السن. وكانت تدخّن، وتصاب بنزلات البرد، وتضرب، وتوزّع الزبيب اللذيذ على الأذكياء. إنّه يسافر إلى أمكنة شتّى (هايدلبرغ، ميونيخ، باريس) من دون هدف واضح. في البداية كان خادماً في إحدى الدوائر الكنسية، ينام في سرير واحد مع الحوذي تحت بيت الدرج.

يوليوس شنور فون كارولس فيلد Julius Schnorr von carlosfeld[13]، بريشة فريدريش أوليفر، Friedrich Olivier[14] يرسمه أوليفر على منحدر، كم يبدو جميلاً ورزيناً هناك (قبّعة مرتفعة ومسّطحة وصلبة كقبّعة المهرّج تتّدلى على الوجه، ولها حافة ضيقّة، شعر طويل مجدول، عينان تناسب اللوحة وحدها، يدان هادئتان، اللوّح فوق الركبتين، قدم على المنحدر تنزلق بعمق نسبياً). ولكن لا. إنّه فريدريش أوليفر بريشة شنور.

الخامس عشر من تشرين الثاني:

الساعة العاشرة، لن أدع نفسي تصاب بالإرهاق. سأغمس نفسي في أقصوصتي. حتى لو مزقني ذلك الوجه.

السادس عشر من تشرين الثاني :

الساعة الثانية عشرة. اقرأ «إيفغيني أوف تاوريس» Iphigenie auf Tauris[15]. في هذا العمل– بغض النظر عن هفواته القليلة– تجري اللغة الألمانية الجافة المتكلّفة على لسان أحد الفتيان على نحو يثير الدهشة. وكلّ كلمة في أبياته الشعرية ترتفع لحظة قراءتها من قارئها إلى الذرى، فتظهر في إطار نور خفيف لكنّه ثاقب.

(13) رسام ألماني (1794–1872).

(14) رسام ألماني (1791–1859).

(15) مسرحية كتبها الشاعر الألماني غوته عام 1786.

السابع والعشرون من تشرين الثاني:

بدأ برنهارد كللرمان Bernhard Kellermann[16] بقراءة ما سّماه «بعض ما لم ينشر من تأليفي». في الظاهر كان يبدو ودوداً، بشعره الثابت الميال إلى الرمادي، وبوجهه الحليق بعد جهد جهيد، وأنفه الحاد. أما اللحم الموجود فوق عظام الوجنتين فكان يتحرك كالموج جيئة وذهاباً. إنّه كاتب متوسط الموهبة، وإنّ كانت له بعض الالتفاتات الجميلة (رجل يذرع الممرّ يسعل ويتلّفت حوله ليتأكد أنه لا أحد هناك) وهو امرؤ مستقيم، يرغب في أن يقرأ ما كان وعد به، لكنّ الجمهور لا يتركه يفعل خوفاً من قصته الأولى عن مستشفى الأمراض العصبية، ومللاً من طريقة القراءة؛ لذا لا يتوقف الناس عن مغادرة القاعة فرادى، على الرغم من الإثارة غير الناجحة، وكأنّ ثمّة من يقرأ في المكان المجاور. وبعد أن ينهي قراءة الثلث الأوّل من القصة، ويشرع في شرب بعض المياه المعدنية، يغادر القاعة مجموعة لا بأس بها من الناس. يُصاب بالذعر، ثم يكذب ببساطة ويقول: «إنّها على وشك الانتهاء». وعندما ينهض الحضور، يكون هناك بعض التصفيق، لكنّ هذا التصفيق يعطي الانطباع أنّ آخرين ظلوا جالسين يثرثرون. لكنّ كللرمان يرغب في أن يواصل القراءة، ليقرأ قصة أخرى أو أكثر. وفي مواجهة التململ الذي بدأ يسري في الصالة، يفغر فاه، ويقول بعد أن تلقّى النصيحة: «أريد أن أقرأ قصة، لا تزيد على خمس عشرة دقيقة، وثمة استراحة لمدة خمس دقائق». وفيما هو يقرأ القصة بقي بعضهم، لكنّ بعض فقرات القصّة أعطت المسوّغ لأولئك الموجودين في أقصى موقع من الصالة كي يغادروا على رؤوس الأشهاد.

الخامس عشر من كانون الأول :

استدلالاتي منبثقة من حاضري، أما استمرار هذا الوضع إلى ما يقرب من العام؛ فمسألة غير متوقّعة. لذا فإنّ وضعي خطير جداً، إنني لا أدري إذا كنت أستطيع القول إنّ هذا الوضع ليس جديداً. إنّ رأيي الحقيقي أنّ الوضع جديد. فقد عشت وضعاً شبيهاً، أمّا هذا الوضع فلم أمرّ به

(16) كاتب روائي ألماني (1879–1951). وتعد رواية زالنفقس الصادرة عام 1913 من أشهر أعماله الروائية.

من قبل.

إنني كمن قُدّ من حجر، إنّني أشبه النصب التذكاري لقبري، حيث لا فجوة للشك أو الإيمان، للحب أو الكراهية، للشجاعة أو الخوف، للعام أو الخاص. فهناك أمل غامض، لكنه ليس أحسن حالاً من النقوش على النصب التذكارية للأضرحة.

إنّ معظم الكلمات التي أكتبها لا تنسجم مع بعضها بعضاً، إنّني أستمع إلى الحروف الصامتة وهي تحتك ببعضها على نحو صفيحي، وإلى الحروف الصائتة، وهي تغنيّ وكأنّها زنجي في المعرض. إنّ شكوكي تحيط مثل الدائرة بكلّ كلمة، هذه الشكوك التي كنت أراها فيما مضى كالكلمة، إذ كيف يمكن لي أن أراها؟. إنني لم أر تلك الكلمة قط. لقد اخترعتها، وقد كادت تكون المصيبة الكبرى، لكن يتوّجب عليّ أن اخترع كلمات تكون قادرة على نفخ رائحة الجثث في اتجاه لا يصيبني مثلما لا يصيب القارئ مباشرة.

عندما أجلس إلى طاولة الكتابة فإنّني لا أشعر بالراحة، كمن يقع في ذروة الحركة في الأوبرا فتكسر ساقه. كلّ العربات على الرغم من ضوضائها تسعى صامتة كي تنتقل من جهة إلى أخرى. لكنّ الترتيب الأفضل هو عندما يلحق رجال الأمن الأذى بذلك الرجل، فيغلقون عينيه، ويخلون الساحة والشوارع، فلا تحتاج العربة للدوران.

إنّ الحياة المملوءة تؤلمه، فهو ليس أكثر من عائق للحركة لكنّ الفراغ لا يقلّ سوءاً، لأنه يجعل ألمه الذاتي بلا معنى.

السادس عشر من كانون الأول:

لن أغادر هذه اليوميات بعد ذلك؛ ففيها ينبغي أن أربط نفسي لأنّني أعجز عن أن أفعل ذلك في مكان آخر. يطيب لي إعلان مشاعر الفرح التي أمرّ بها بين الفينة والأخرى، كما هي حالي الآن. إنّه أمر يبعث على النشوة. إنني مملوء برعشة خفيفة ومريحة، وإنني أدعّي لنفسي المقدرة على إقناع ذاتي بعمق في كل اللحظات بعدم الوجود.

هبّل يثني على «ظلال الرحلة» Rnettahcsesie «ليوستينوس كرنر» Justinus Kerner[17] «ومثل هذا العمل بالكاد يمكن العثور عليه لا أحد يعرفه».

«شارع الوحشة» لـ.ف. فريد. W.Fred كيف تجري كتابة مثل هذه الأعمال؟ رجل ذو مهارة محدودة في الإنجاز يمطّ موهبته على امتداد الرواية على نحو يبعث على الرثاء، حتى تغدو كريهة. ولاسيما عندما لا ينسى المرء أن يعجب بالجهد في سوء استخدام الموهبة الذاتية.

هذه الشخصيات الثانوية المتتابعة التي أقرأ عنها في الروايات والمسرحيات إلخ، وهذا الشعور بالتآلف الذي ينتابني! ففي «عذارى بيشوفز بيرغ*» (هل اسمها هكذا؟) يجري الحديث عن خياطتين يخطن ثوب الزفاف للعروس في المسرحية. كيف حال هاتين الفتاتين؟ أين تقيمان ؟ ماذا فعلتا حتى لا يسمح لهما بالدخول إلى عالم المسرحية؛ بل دفعتا لتموتا غرقاً تحت وابل المطر في سفينة نوح، وليسمح لهما في النهاية بإلصاق وجهيهما على حافة القمرة، ليتمكن الزائر للطابق الأرضي من مشاهدة الظلام للحظة؟.

السابع عشر من كانون الأول:

يتساءل زينو Zeno[18] على نحو ملحّ، إذا لم يكن هناك راحة: بلى، إنّ السهم الطائر يرتاح.

لو أنّ جوهر الفرنسيين قد تغيّر ليغدو ألمانيّا؛ فكيف يمكن لهذا الجوهر أن يحظى بإعجاب الألمان؟

إنّ كوني أنحّي جانباً ما كتبته هذا العام وأنني أشطبه أمر يعيقني في الكتابة كثيراً؛ إنّ ما كتبته بحجم الجبل، ويبلغ خمسة أضعاف ما هو موجود هنا. وقد استطاع بوفرته أن يخترق ما أكتبه، وأن يجذبني مع ريشتي إلى ناحيته.

(17) شاعر وطبيب ومؤلف في عالم الطب (1786—1862) والرواية المشار إليها هي من أكثر رواياته شهرة وقد صدرت عام 1811.

(18) أحد فلاسفة اليونان الذي اشتهر بآرائه حول المفارقة.

الثامن عشر من كانون الأول :

إذا كان ثمة شك في أن تركي الرسائل مدة طويلة من غير أن أفتحها (ولاسيما تلك التي يبدو أنّها من غير كبير معنى) هو ضعف وجبن لا أكثر، وأنّ هذا الجبن والضعف في فتح الرسائل يشاكل تردّدي في فتح غرفة ينتظرني فيها شخص بفارغ الصبر؛ فإنّ المرء يستطيع على نحو أكثر دقّة تفسير تركي تلك الرسائل.

ولنفترض جدلاً أنني إنسان مستقيم؛ فإنّه يتوجّب عليّ في مثل هذه الحال المتعلقة بالرسائل، أن أوسّع كلّ ما هو متّصل بها، فأفتحها بهدوء، وأقرأها غير مرّة. وأنعم النظر فيها طويلاً، وأملأ الصيغة النهائية بالكثير من الأفكار، وأتأنىّ في إرسالها. كل هذه أمور في مقدوري عملها؛ لكنّ قدوم الرسالة فجأة تبدو مسألة غير قابلة للتجنّب. لكنني أتباطأ على نحو مصطنع، وأدعها مغلقة مدة طويلة، مع أنها أمامي على الطاولة، تعرض ذاتها باستمرار غير أني لا أتناولها.

الساعة الحادية عشرة والنصف ليلاً، أمّا أنّني لم أستطع التحررّ من مكتبي، وإنّني بكل بساطة، ضائع؛ فـهي مسألة واضحة لي تماماً قبل كل شيء. إنّ المسألة تتمثل في الاحتفاظ برأسي عالية ما أمكن حتى لا أغرق. ما أصعب ذلك! وكم من الجهد يتوجب علي استخراجه من أعماقي. لقد قمت بتنظيم جديد لوقتي، فقد مكثت من الثامنة حتى الحادية عشرة ليلاً من دون انقطاع على مكتبي ومن دون أن أعدّ ذلك كارثة كبرى؛ فـقد كتبت هذه السطور على عجل لأذهب إلى السرير.

التاسع عشر من كانون الأول :

بدأت العمل في المكتب، أما بعد الظهر فسأكون عند ماكس، قرأت قليلاً في يوميات غوته. إنّ المسافة هي التي تبقي الحياة ساكنة، أما هذه اليوميات فهي التي تضرم النيران فيها، إنّ وضوح حوادثها جعلها تبدو غامضة، كسياج الحديقة الذي يريح العين عند التأمل في مسطحات عشبية أخرى، لكن تلك اليوميات لا تضعنا في حالة احترام يليق بها.

الآن وصلت شقيقتي المتزوجة كي تزورنا للمرة الأولى*.

العشرون من كانون الأول :

كيف لي أن أعتذر عن ملاحظة الأمس بخصوص غوته؟ (هذه الملاحظة التي كانت غير حقيقية في الأغلب، شأنها شأن المشاعر الموصوفة فيها، أما الحقيقي فهو أنّ شقيقتي طردتني). لا عذر لي، كيف لي أن أعتذر أنني لم أكتب اليوم شيئاً على الإطلاق؟ لا عذر لي، إنّ صياغتي ليست هي الصياغة الأكثر رداءة، ثمة نداء لا يتوقف في أذني :

– «متى تأتين أيتها المحاكمة غير المرئية»؟[19].

ولأنّ هذه الفقرات الزائفة تحاول جاهدة الخروج عن سياق القصة، ولأنني أريد أن أمنح نفسي الراحة؛ فإنني أكتب هنا مرّتين:

«لقد كانت أنفاسه عالية تشبه التحسّر على حُلُم، يبدو فيه تحمّل المصيبة أكثر سهولة من عالم الواقع، وحسبك أنّ الأنفاس البسيطة غدت تنّهدات».

«إنّني أتأمله الآن بحريّة مثلما يتأمّل المرء لعبة الصبر حيث يقول المرء لنفسه:

«ماذا فعلت لتخفق في إدخال الكرة الصغيرة إلى الحفرة؟ كلّ شيء ملكي؛ الزجاج، والإطار والكرة الصغيرة وكلّ ما هو كائن هنا. إنني أستطيع أن أضع هذا الفن كلّه طوع أمري».

الحادي والعشرون من كانون الأول:

غرائب من «أفعال الاسكندر الأكبر» لميشائيل كوزمين Michail Kusmin[20]. «طفل نصفه العلوي ميّت، ونصفه السفلي حيّ. جثة طفل بسيقان حمر صغيرة متحركة».

«الملكان القذران ياجوج وماجوج اللّذان كانا يتغذيان على الدود والذباب طردهما إلى

(19) يرى كثير من الدارسين أن هذه الجملة تشكل البذرة الأولى لرواية «المحاكمة».

(20) كاتب روسي (1875–1936).

الصخور المهشّمة، وختمهما حتى نهاية العالم بختم سليمان».

«أنهار متحجرة، تتدحرج فيها حجارة ذات ضوضاء، بدلاً من المياه، تتجاوز الجداول الرملية التي تسيل على امتداد ثلاثة أيام في الاتجاه المعاكس للجنوب، وثلاثة أخرى في الاتجاه المعاكس للشمال، الأمازونيات نساء لهن صدور حقيقية جافّة، وشعر قصير وأحذية رجال».

«إنّها التماسيح التي أشعلت الأشجار ببولها».

« كنت تحت عند باوم*، استمعت إلى أشياء جميلة. كنت ضعيفاً في الماضي، كما أنا دائماً. إنّني أشعر بأنّني مقيّد، وأنّني في الوقت ذاته قادر على إغاظة الآخرين، ولاسيما عندما أكون حرّاً.

الثاني والعشرون من كانون الأول:

«إنني لا أستطيع أن أحتمل توجيه اللوم لنفسي؛ ففي هذه الأيام المملوءة بالفراغ؛ أتمنّى أن ينبعث من داخلي ذلك الصدى القبيح.

الرابع والعشرون من كانون الأول:

لقد تأملت للتو مكتبي على نحو دقيق؛ فاكتشفت أنّه لا يمكن لعمل خيّر أن يحدث فوقه. ففي هذا المكتب تتكدّس الأشياء وتصنع فوضى غير منظمّة، تعوزها ألفة الأشياء غير المنظمّة التي تجعل من الفوضى أمراً مقبولاً. ولو أنّ هذه الفوضى وقعت فوق المائدة الخضراء، فذلك دليل على حدوثها في الطابق الأرضي من المسرح، بالقرب من أماكن الوقوف...

[التكملة في اليوم التالي].

الخامس والعشرون من كانون الأول:

... من الدرج المفتوح وأسفل الرف المثبّت تحت المنضدة ثمة أعداد لصحف قديمة، كاتالوجات، بطاقات مصورّة، ورسائل معظمها ممزّق، وبعضها مفتوح على شكل درج خارجي، وهذا الوضع الشائن يشوّه كلّ شيء.

إنّ الأشياء الكبيرة الحجم نسبياً في الطابق الأرضي تظهر بفاعلية دقيقة، وكأنّه من المسموح في صالة المشاهدين أن يرتبّ البائع كتبه، وأن يقوم النّجار بالدّق، والضابط بالتلويح بالسيف، ورجل الدين بمناجاة القلب، والعالم بمخاطبة العقل، والسياسي بالحديث إلى الوعي العام، والعاشق بعدم التحفظ ...إلخ؛ ففوق مكتبي وحده تبدو مرآة الحلاقة بوضعها السليم، وكأنني راغب في حلاقة ذقني، وفرشة الملابس بسطحها الخشن، ومحفظة النقود مفتوحة استعداداً للدفع، وأحد المفاتيح يتقدم حزمة المفاتيح تهيؤاً للعمل، وربطة العنق ملتفّة حول الرقبة العارية نسبياً.

وهذا الدرج الثاني المرتفع المفتوح الملتصق بالرّف، وذو الأدراج الجانبيّة المغلقة ليس أكثر من مستودع أثاث. وكأنّ الشرفة المنخفضة لصالة المشاهدين قد غدت مركزاً للمشاهدة، وصارت محجوزة لأكثر الناس وقاحة؛ رجال متقدّمون في السّن منغمسون في الملذات، تنتقل قذارتهم من أعماقهم إلى الخارج؛ فتيان غلاظ يدعون أحذيتهم معلّقة فوق درابزين الشرفة، عائلات بأطفالها الكثيرين الذين يصعب إحصاؤهم عند تأملهم سريعاً، ومعهم قذارة هؤلاء الأطفال المساكين (التي تتسّرب إلى الطابق الأرضي) ومرضى يستعصي شفاؤهم، يجلسون في العتمة، لكنّ أحداً لحسن الحظّ لا يتمكن من رؤيتهم، إلا عند إضاءة المكان الذي يجلسون فيه.

في هذا الدرج أوراق كان علي أن أرميها منذ زمن طويل، لو كنت أملك سلّة مهملات، وفيها أقلام رصاص مكسورة الرأس، وعلب كبريت فارغة، وثقّالة أوراق من كارلسباد Karlsbad، ومسطرة ذات حواف، يجعلها عدم استوائها غير صالحة حتى للطريق الزراعي، وأزرار، وشفرات حلاقة مثلمّة (ليس لها وجود في العالم) وحافظة لربطات العنق، وثقّالة أخرى حديدية ثقيلة، وفي الدرج أيضاً بؤس بكّل ما في الكلمة من معنى. إنها الآن منتصف

الليل، أما نومي العميق، فيبدو وكأنّه اعتذار، لم أتمكن طيلة النهار من كتابة شيء. إنّ المصباح الكهربائي المشّع، والسكن الهادئ والظلام في الخارج، ولحظات الصحو الأخيرة؛ كلها تمنحني الحق في الكتابة حتى لو كانت الأكثر إيلاماً. وهو حق أُسرع في استخدامه، وهذه طبيعتي.

السادس والعشرون من كانون الأول:

مرّ يومان ونصف – غير كاملين تماماً – وأنا وحيد. ويبدو أنني سائر على هذا الطريق، إن لم تحدث بعض التحولاّت. إنّ للوحدة تأثيرها القويّ الذي لا يخطئ فيّ. إنّ داخلي يتحلّل (على نحو سطحي في الوقت الحاضر)، وهو على استعداد للمضيّ عميقاً في هذا الاتجاه. لقد بدأ شيء من النظام يتسّرب إلى داخلي، ولست أحتاج أكثر من ذلك لأن الفوضى مع الكفاءة المتدنّية هما من أكثر ما يغيظ.

السابع والعشرون من كانون الأول:

إنّ طاقتي لا تكفي لكي أتفوّه بكلمة واحدة، أجل، فعندما يتعلّق الأمر بالكلمات، وعندما يكفي أن تتحدّث بكلمة واحدة، وتستطيع أن تغيّر اتجاهك وأنت مستريح الضمير؛ تكون الكلمة قد أدت وظيفتها.

لقد أمضيت معظم فترة ما بعد الظهر نائماً، وخلال فترة الاستيقاظ كنت أستلقي على الأريكة، مستذكراً بعض التجارب المحبّبة من أيام صباي، ناظراً إلى بعض الفرص الضائعة بغضب (كنت ساعتها أستلقي في الفراش إثر نزلة برد، وكانت مربيتي تقرأ لي «سوناتات كرويتسر» Kreutzersonate[21] مستمتعة على ما يبدو باستفزازي)، واضعة أمامي وجبتي النباتية. كانت مقدرتي على الهضم حسنة؛ لكنني كنت أعيش بعض المخاوف المتعلّقة ببصري،

(21) هي عنوان لأعمال فنية متعددة؛ لكنّ المقصود هنا في أغلب الظن القصة القصيرة التي كتبها تولستوي تحت هذا العنوان عام 1889.

وإذا كان سيكفيني بقية حياتي.

الثامن والعشرون من كانون الأول:

عندما أحسن التصرف لبضع ساعات على نحو إنساني، كما وقع لي مع ماكس اليوم. ومع باوم لاحقا؛ فـإنني أكون قبل الذهاب إلى النوم في حالة من الشعور بالفخر.

(1911)

الثالث من كانون الأول:

«أنت»، قلت وأنا أدفعه بالركبة دفعاً خفيفاً، «إنني أريد أن أذهب». عند الحديث المباغت يتطاير بعض اللّعاب كعلامة سيّئة. «ولكنّك فكرت مطوّلاً بالأمر». قال– وهو يتمطّى ويبتعد عن الجدار هامّاً بالانصراف–: «كلا، ذلك ما لم أفكرّ به على الإطلاق». «بماذا كنت تفكرّ إذن؟».

«لقد أعددت نفسي للمرة الأخيرة بعض الشيء لهذا المجتمع. ابذل ما تستطيع من الجهد، لكنّه لن يكون في وسعك أن تستوعب ذلك، أنا ذلك الريفي الطيّب الذي تستطيع أن تستبدل به عندما تشاء رجلاً آخر من هؤلاء الذين يتجمعون في المحّطات انتظاراً لقطارات معيّنة».

الرابع من كانون الأول:

«الإيمان والوطن» لشون هر Schoenherr[22].

الأصابع المبلّلة لزائري الغاليري الذي يقع أسفل مني، وهم يمسحون الدمع من أعينهم.

السادس من كانون الأول:

«أنت».. «قلت وأنا أدفعه عامداً دفعاً خفيفاً بالركبة»، «الآن سأذهب. فإذا رغبت في مشاهدة ذلك معي فافتح عينيك».

«أصحيح هذا؟» أجاب، وهو يرمقني بنظرة مباشرة من عينين مفتوحتين تماماً، وقد بدت نظرته ضعيفة إلى حدّ كنت أتمنى لو أستطيع أن أحميه بذراعي.

«أتريد حقاً أن تذهب؟ ماذا بوسعي أن أفعل؟ إنّني غير قادر على منعك، وحتى لو كان ذلك

(22) مسرحية للكاتب المسرحي كارل شون هرّ (1867–1943)، صدرت عام 1910.

في مقدوري فإنني لا أريده؛ لكنني أريد أن أوضح لك مشاعرك، والأسباب التي تستطيع بموجبها أن تكون متحفظاً نحوي. «وفي الحال اتخّذ وجهه ملامح الخادم المحتقر التي تكون له في زيّه الجميل، والتي يستطيع عبرها أن يجعل أطفال مخدوميه مطواعين أو خائفين».

السابع من كانون الثاني:

شقيقة ن التي تعشق عريسها على نحو جعلها تسعى للحديث مع كلّ زائر على انفراد، لأنّ المرء في حالة كهذه يستطيع أن يتحدّث عن عشقه على نحو أفضل، مثلما يتمكن من تكرار هذا الحديث. كما يحدث في السحر؛ فلا الظروف الداخلية ولا الخارجية التي تبدو اليوم حسنة قياساً على ما كانت عليه قبل عام، استطاعت أن تحول بيني وبين الكتابة خلال أيام العطل (اليوم هو الأحد). لكن قليلاً من المعرفة بالجوهر البائس لهذا الإنسان الذي هو أنا هو ما منحني العزاء.

الثاني عشر من كانون الأول:

لم أدوّن الكثير في هذه الأيام عن حياتي؛ إما كسلاً، إنني أنام بعمق طويلاً في النهار وقد ازداد وزني جراء ذلك، وإمّا خوفاً من البوح بتجاربي الذاتية.

إنّ هذا الخوف مسوّغ لأن تثبيت هذه التجارب على نحو نهائي بتدوينها لا يحدث إلا على نحو يستوفي أبعادها الثانوية وحقيقتها الكلّية. فإذا لم يحدث ذلك– وهو أمر أنا غير مؤهل لفعله– وفإنّ المدوّن في ضوء مقاصدي الخاصة، ومن خلال سلطة التدوين التي تتحدث عن المشاعر العامة، هو ما يجعل المشاعر الحقيقية تتراجع، أما تفاهة المادة المدوّنة فتتكشّف فيما بعد.

قبل بضعة أيام، فتاة الكباريه ليوني فريبون، في مدينة فيينا، شعرها الأجعد المفكوك، مشدّها الرديء، ملابسها القديمة، لكنّها رائعة بحركاتها التراجيدية، واندفاع سيقانها، وحركة ذراعها

المتّسقة مع الجسد. دلالة العنق الصلب في المواضع المزدوجة الدلالة.

الأغنية: مجموعة الأزرار في اللوفر.

شيللر بريشة فون شادوف[23]. Von Schadow (1804) في برلين، حيث كان يُعامل باحترام كبير. إن لا أحد يستطيع أن يدرك وجهاً له أنف أكثر صلابة من هذا الوجه. تبدو عظمة الأنف متجّهة نحو الأسفل بسبب عادته في توجيه أنفه نحو الأسفل في أثناء العمل. إنّه إنسان ودود، نحيل الخدين نسبياً، وقد صنع وجهه الحليق منه رجلاً عجوزاً إلى حدّ ما.

الرابع عشر من كانون الثاني:

رواية «المتزوجون» Eheleute لبيرادت Beradt[24] تعجّ باليهوديّة الرديئة، ظهور فجائي، رتيب، عابث للمؤلف؛ فعلى سبيل المثال: كلّهم كان شاذّاً باستثناء واحد. أو: يأتي إلى هناك السيّد شتيرن (الذي نعرفه حتى النخاع في الرواية)، وكذا الحال فيما يخصّ هامسون. لكن ظهوره يبدو كالعقدة في الخشب طبيعياً وإن تساقط ذلك على شكل قطرات في الحبكة كما يتساقط الدواء العصري فوق السكر.

–أما التحوّلات غير العادية فتجري من دون تعليل؛ فعلى سبيل المثال كان مشغولاً بشعرها، شديد الانشغال به، ودائم الذكر له – إنّ الأفراد، من دون أن يوضعوا في دائرة الضوء يتصّرفون جيّداً، لدرجة أنّ أخطاءهم الذاتية لا تكاد تضّرهم، أما الشخصيات الثانوية فمعظمها شخصيات بائسة.

(23) تشير اليوميات إلى الرسام الألماني يوهان غوتفريد فون شادوف (1764–1850)، الذي رسم الشاعر الألماني الشهير يوهان كريستوف فريدريش فون شيللر (1759–1805).

(24) روائي يهودي (1881–1949) وقد ظهرت زالمتزوجونس عام 1910.

السابع عشر من كانون الثاني:

قرأ عليّ ماكس الفصل الأول من «وداعاً للشباب». كيف قدّر لي أن أكون كما أنا عليه اليوم، أبحث منذ سنة عن مشاعري الحقيقية؟. أكان يتوجّب عليّ في مواجهة عمل عظيم أن أجلس على الكرسي في المقهى حتى وقت متأخر من المساء. منزعجاً من الغازات الخارجة مني، على الرغم من عسر الهضم الذي أعاني منه؟.

التاسع عشر من كانون الثاني:

كلّ يوم أبدو كأنّني قد انتهيت، فأنا لم أكن يقظاً في العام المنصرم أكثر من خمس دقائق؛ فـإمّا أن أختفي عن سطح الأرض، أو أن أبدأ كطفل صغير من جديد. وإن كنت لا أرى أملاً ممكناً. في الظاهر آخذ المسألة بسهولة، لأنني في تلك الأيام كنت أعيش على وهم يرى أنّ كلّ كلمة ترتبط بحياتي، وتدخل إلى صدري، وتخرجني من ذاتي، فيا لبؤس تلك البداية (طبعاً هي غير قابلة للمقارنة مع اللحظة الحاضرة). أيّ قشعريرة تلك التي طاردتني في أثناء الكتابة، وأي خطر عظيم متواصل كان، بحيث أنني لم أشعر بالقشعريرة، ولم يجعل عدم شعوري بها مأساتي صغيرة.

كنت أخطّط ذات مرّة لكتابة رواية، يتصارع فيها شقيقان، فيسافر أحدهما إلى أمريكا[25]، بينما يقبع الشقيق في أحد السجون الأوروبية. وفور أن شرعت في كتابة بعض السطور شعرت بالإرهاق لذا كتبت عن سجني في أحد أيام الأحد بعد الظهر، عندما كنا في زيارة لجدتي، حيث اعتدنا أن نأكل عندها الخبز الأبيض الطري المدهون بالزبدة.

إنّ الغرور في الأغلب وتأخّر الورق كانا وراء قرعي على غطاء الطاولة بقلم الرصاص، باحثاً بنظراتي في المكان، تحت أضواء المصباح، عمنّ أستطيع لفت نظره، ليتناول هذا الذي كتبت، ويبدي إعجابه به. كان المحور الأساسي لتلك السطور القليلة هو وصف ممر السجن

(25) يشير كافكا إلى روايته «المفقود» التي كتبها في تشرين الثاني وكانون الأول عام 1912، وظهرت فيما بعد تحت عنوان «أمريكا».

بهدوئه وبرودته. أما عن الشقيق الآخر المتبقّي فثمة كلمة تعاطف ينبغي أن تقال بحقّه، لأنّه كان أخاً جيّداً. وربما كانت لدي مشاعر عابرة فيما يخصّ هذا الوصف؛ لكنّني في لحظة ما بعد الظهر تلك لم اعبأ بتلك المشاعر على الإطلاق، لأنني عندما أكون بين الأقرباء الذين سبق أن تعوّدت عليهم (تكون مخاوفي كبيرة، على نحو يجعلني أبدو نصف سعيد) جالساً حول الطاولة في الغرفة المعتادة، وغير ناس أنني ما أزال شاباً، وأنني من ثنايا هذا الهدوء منذور لمهمات جليلة. أحد أعمامي الذين لا يكفّون عن الضحك تناول الورقة التي كنت أرفعها بوهن، تأمّلها سريعاً، ثم أعادها لي من غير أن يضحك، وهو يقول للآخرين الذين كانوا يتابعون المشهد «الهراء المُعتاد». ثم لم يتحدّث على الإطلاق معي.

بقيت في الواقع جالساً، وانحنيت– كما كنت أفعل سابقاً– على ورقتي التي لا لزوم لها. لكنّني– في الحقيقة– طردت من هذه الجماعة على نحو يشبه الصدمة، ورأي عمّي يتردد في أعماقي بمعانيه الحقيقية تقريباً. وقد اكتسبت في خضمّ هذه المشاعر العائلية تصوّراً لهذا المكان البارد في عالمنا، الذي يتوجّب علي أن أشعله بالنار التي يجب أن أبحث عنها أولاً.

التاسع عشر من شباط:

عندما هممت بالنهوض هذا اليوم من السرير خارت قواي، ولهذا سبب بسيط هو أنني قد اشتغلت أكثر مما ينبغي، ليس في المكتب بل بأعمالي الأخرى.

إنّ المكتب يتحمّل نصيباً غير مؤذ من هذا، وبيان ذلك أنّه عندما لا يتوجّب عليّ الذهاب إلى هناك فإنّني أنعم بالهدوء، ولا أضيّع هذه الساعات السّت يومياً التي أمضيها فيه، التي تعذّبني يومي الجمعة والسبت تحديداً؛ لأنها لا تجعلني قادراً على التفكير باحتياجاتي، مع أنني شديد الامتلاء بها. لكنّ المسؤول في خاتمة المطاف هو أنا وأنا أعلم ذلك. غير أنّ الأمر يظلّ يمثّل حياة مزدوجة لي لا مهرب منها إلا بالجنون. إنني أكتب هذا في ضوء هذا الصباح الجميل، ومن المؤكد أنني لن أكتبه لو لم يكن حقيقياً، ولو لم أحبّه كما يحب المرء ابنه. أما غداً صباحاً فسأكون معهم جميعاً في المكتب، وسيكون أول ما أستمع إليه أنهّم يريدون استبعادي من قسمهم.

التاسع عشر من شباط:

إنّ الطبيعة المميّزة لإلهامي التي تجعلني أنا– الرجل الأكثر حظّاً وتعاسة– أخلد إلى النوم في الساعة الثانية بعد منتصف الليل (ربما لو استطعت أن أحتمل عناء التفكير بها لاستمرت، لأنها أنبل ممّا ممضى)، وهذه الطبيعة تتمثّل في كوني أستطيع أن أنجز كلّ شيء، من دون أن أنجز شيئاً على وجه التحديد. فمثلاً عندما أضطر لكتابة جملة مثل: «لقد نظر من النافذة»، فإنها تغدو جملة كاملة.

«هل ستبقى طويلاً ها هنا؟» تساءلت. عند الحديث المباغت يخرج من الفم شيء من اللعاب كعلامة سيئة.

«هل يزعجك؟» إذا كان ذلك يزعجك ويحول بينك وبين الصعود فإنني سأذهب فوراً، وإلاّ فإنّني راغب في البقاء لأنني أشعر بالتعب.

وفي النهاية كان له الحقّ أن يكون سعيداً، وأن يظلّ كذلك كلّما عرفته بدقة. ونظراً لأنه عرفني بوضوح وتحديد؛ فـقد صار قادراً على أن يضعني بكل ما أملكه من معارف في جيبه، كيف يمكن إيضاح أنني بقيت واقفاً في الزقاق، كأنّ ما أمامي ليس داراً بل ناراً. فعندما يُدعى المرء من جماعة معينة فإنّه يدخل المنزل، ويصعد الدّرج من دون أن يلحظ ذلك، الأمر الذي يعني أنّه غارق في أفكاره. وبهذه الطريقة وحدها يمكن للمرء أن يتصرف على نحو سليم تجاه نفسه وتجاه المجتمع*.

العشرون من شباط:

ميلا مارس في ملهى «لوسرينا» صاحبة الأدوار التراجيدية المضحكة التي تظهر على خشبة المسرح، مثلما تبدو الممثلات التراجيديات– في غالب الأحيان– وراء الكواليس.

عند الدخول يكون لها وجهٌ عجوزٌ فارغٌ ومسّطح ومُتعَب، هذا الوجه الذي يشكّل نقطة الانطلاق الطبيعية الأولى للممثلين المشهورين. إنّها تتكلم بحدّةٍ على نحو يشبه حركاتها؛

فـهي تبدأ من إبهام مقوّس للخلف، وكأنّه من الألياف القاسية. أما قدرتها العجيبة على تحريك أنفها فتحدث بفضل حركة العضلات المجاورة له، وعلى الرغم من حركاتها اللامتناهية فإنّها تؤدّي دورها بمهارة.

في المدن الصغيرة أماكن صغيرة للمشاة الشباب* النظيفون الأنيقون في المتنزّه يذكرونني بشبابي، ويتركون لذلك في نفسي انطباعاً يسّد النفس.

رسائل كلايست Kleist[26] في مقتبل العمر يوم كان في الثانية والعشرين من عمره، أنهى الخدمة العسكرية. سألوه في المنزل: كيف ستتّدبر أمورك الحياتية؟ وهو سؤال طبيعي؛ إنّ لك الخيار بين علمي القانون والاقتصاد السياسي. لكن ألك علاقة بالبلاط؟ «أنكرتُ ذلك محرجاً في بداية الأمر؛ لكنّني أعلنت بفخر بعد ذلك أنّني– في ضوء رؤيتي لهذا العصر– أخجل من أن أُحسب على تلك الجهة، حتى لو كانت لي علاقة بها. تبسّموا وشعرت أنّني تسّرعت؛ فمثل هذه الحقائق يحسن الحديث بتحفظ عنها».

الحادي والعشرون من شباط:

تجري حياتي هنا كأنني واثق أنّ ثمّة حياة أخرى غيرها؛ فالإخفاقات التي آلمتني في باريس[27] أطمح في هذه الأيام كي أستعيدها، وبهذا يقع منظر النور الحاد المفصول، وأجزاء الظلّ على الرصيف.

للحظة كاملة شعرت بأنّني مكسوّ بالفولاذ، ما أبعد – مثلاً – عضلات الذراع.

مارس هنري – دلفارد Marc Henry-Delvard :

تولّدت المشاعر التراجيدية بين المشاهدين في الصالة الخالية، مُعلية من تأثير الأغاني الرزينة، ومقلّلة من تأثير الأخرى المرحة. وفيما كان هنري يقدم البرولوغ، كانت دلفارد تبدو– دون أن

(26) يشير كافكا إلى الشاعر والمسرحي الألماني هاينريش فون كلايسيت (1777–1811) وقد ظهرت الطبعة الأولى من رسائله عام 1848.

(27) زار كافكا باريس في تشرين الأول عام 1910.

تدري– من وراء الستارة وهي ترتّب شعرها.

لقد اعتاد المنتج في مثل هذه الأعمال التي لا يقبل عليها كثيرون أن يظهر بلحيته الآشورية السوداء التي وخطها الشيب. ومن الجميل أن يظلّ بهذا المزاج شاعراً بالانتفاخ مدة أربع وعشرين ساعة، لا أكثر.

ثمة عرض ثريّ للأزياء، أزياء بريتونية، أطولها التنورة الداخلية، لدرجة أن المرء يمكن أن يلحظ الثراء عن بعد.

ونظراً لرغبته في توفير دور المرافق يرافق المنتج دليفارد وهو يرتدي زّياً قصيراً، أخضر اللون، بينما هو يرتجف. نداءات الشوارع الباريسية. اختفاء بائعي الصحف. قال لي أحدهم: عندما أبدأ بالتنفس فإنني أكون قد طُردت. إنّ دليفارد سخيفة، إنّ لها ابتسامة عانس عجوز، عانس الملهى الألماني. إنها تصنع ثورة، وهي تجلب الشال الأحمر من وراء الستارة. قصائد دا وثندي Dauthendey[28] بالصوت الخشن المتواصل نفسه. لكنّها كانت فاتنة في البداية، عندما جلست على البيانو بطريقتها المملوءة بالأنوثة. أما في أغنية «باتغنوليس» فإنّ المرء يكاد يستشعر باريس كأنها في حلقه. إنّ باتغنوليس ينبغي أن يكون قد أحيلت على التقاعد بكل ما كان فيها من المتسولين. لقد كتب بروانت Braunt[29] أغنية لكل حيّ من أحياء المدينة.

العالم المديني:

أوسكار م. طالب كبير السن، يصاب الإنسان بالذعر من عينيه عندما يراه عن قرب. ظلّ أوسكار ذات ظهيرة يوم شتائي في أثناء إحدى العواصف الثلجية واقفاً في ميدان خال، وهو يرتدي ملابس شتوية وفوقها معطفه الشتوي، واضعاً شالاً حول رقبته، وقبعة من الفرو على رأسه. كان يغمز بعينيه قبل التفكير، وكان يدع نفسه مستغرقاً في التفكير لدرجة أنه تناول قبعته ذات مرّة ومسح وجهه بفروها المجعّد. ويبدو أنه وصل أخيراً إلى نهاية المطاف؛ فـأدار نفسه

(28) يشير كافكا إلى ماكس داوثندي (1876–1918) وهو شاعر ورسام انطباعي ذو تأثير قوي في الحقبة التي كان يعيش فيها.

(29) يشير كافكا إلى Aristide Braunt (1851–1925) وهو فنان من فناني الكباريهات وكوميدي شهير.

بحركة راقصة متجهاً إلى منزل والديه. وعندما فتح باب غرفة الجلوس رأى أباه، وهو رجل حليق ذو وجهٍ غليظ مكتظ باللحم، يجلس بمواجهة الباب على مائدة فارغة، أخيراً صرخ أبوه وأوسكار لم يكد يضع قدمه في الغرفة «قف بالباب أرجوك، إنني غاضب جداً منك لدرجة أنني لا أعرف كيف أتصرّف»، «لكن يا أبي»، رد أوسكار وهو يلحظ في أثناء الحديث كيف كان يمشي.

«هدوء» صاح الأب ونهض حاجباً النافذة في تلك الأثناء؛ «إنّني آمرك أن تهدأ، كما آمرك أن تدع «لكن هذه» فهل تفهم؟» ثم حمل الطاولة بيديه، وقرّبها قليلاً من أوسكار. إنني غير قادر على تحمل حياتك المستهترة أكثر من هذا، فأنا رجل عجوز وقد ظننت أنّ فيك عزاءً لشيخوختي، لكنك تضايقني أكثر مما يضايقني مرضي. تبّاً لهذا الابن الذي يقود والده بيده إلى القبر من خلال اختفائه وخبثه (ولم لا أقولها صراحة) وغبائه أيضاً. وهنا صمت الأب، لكنّه ظلّ يحرّك وجهه وكأنه يتكلّم، «أبي العزيز» قال أوسكار، وهو يقترب حذراً من الطاولة «هوّن عليك. إنّ كلّ شيء سيكون على ما يرام. لقد خطرت ببالي اليوم خاطرة ستجعلني رجلاً فاعلاً، كما تريدني أن أكون.». «وكيف ذلك؟» تساءل الأب وهو ينظر في زاوية الغرفة. «ثق بي فحسب، وسأشرح الأمر على مائدة العشاء. لقد كنتُ في أعماقي ابناً باراً، لكنّي لم أكن قادراً على إظهار ذلك، وما يؤلمني أنني كنت أضايقك في الوقت الذي كان ينبغي فيه إسعادك. أما الآن فدعني أتمشّى لأتمكن من بلورة أفكاري». أمّا الأب الذي كان يبدي في أوّل الأمر اهتماماً وهو يجلس على حافة الطاولة، فقد نهض وهو يقول: «إنّني لا أظن أنّ ما تقوله يحمل الكثير من المعنى؛ فـأنا أراه ضرباً من الثرثرة – لكنك في النهاية ولدي. تعال في الوقت المناسب، وسنتعشّى، وعندها تستطيع إيضاح ما تريد». «إنّ هذا القليل من الثقة يكفيني، إنني أشكرك من كلّ قلبي، ولكن أليس واضحاً من نظراتي أنني مشغول بهذه الأمور الجادّة تماماً»؟.

«إنني لا ألحظ ذلك في الوقت الحاضر» قال الأب، «لكنّ ذلك يمكن أن يكون من عيوبي. لكنّي تخلّصت من عادة الاهتمام بشؤونك». وفي أثناء الحديث كان الأب كعادته يلفت النظر إلى مرور الوقت بالقرع المنظّم على غطاء الطاولة، «لكنّ الأمر الأساسي هو أنني لم أعد أثق بك

على الإطلاق يا أوسكار. وإذا كنت أصرخ فيك أحياناً – وقد فعلت ذلك عندما دخلت – أليس كذلك؟ – فإنني أفعل ذلك أملاً في تغييرك نحو الأحسن. إنني أفعل ما أفعله لأجل أمك المسكينة الطيّبة التي قد لا تشعر بالحزن من أجلك؛ لكنها تحت وطأة شعورها بأنها تستطيع مساعدتك ودفع الألم عنك تنهار ببطء». «وأخيراً فهذه مسائل تعرفها تماماً. ولم أكن أرغب في استذكارها إكراماً لذاتي، لو لم تستفزّني بوعودك».

وفي أثناء الكلمات الأخيرة دخلت الخادمة كي تعتني بالنار في الموقد. وما كادت تغادر الغرفة حتى صاح أوسكار: «لكن يا أبي!» إنّني لم أتوقع هذا. فإذا كان لدي فكرة بسيطة مثلا؛ فـكرة تخصّ أطروحتي الملقاة في الصندوق منذ عشر سنوات، والخواطر ضرورية كالملح؛ فإنّ من الممكن، وإن كان من غير المحتمل أن أجيء من التمشي، كما وقع اليوم، جرياً إلى البيت لأقول «إنّ لديّ لحسن الحظ هذا الخاطر أو ذاك؛ فـإذا واجهتني عندئذ بصوتك الوقور بالاتهامات؛ فإنّ الخاطرة ستتلاشى بكل بساطة. وعندها يتوجّب عليّ أن أغادر باعتذار أو من دون اعتذار. أما الآن فالوضع مغاير؛ فإنّ كلّ ما تقوله يساعدني على بلورة أفكاري، التي لا تتوقف وهي تملأ رأسي بقوة. والآن سأمضي لأني لا أستطيع تنظيم تلك الأفكار إلا وأنا وحيد، ثم تجرّع أنفاسه في تلك الغرفة الدافئة.

«من الممكن أن يكون ما في رأسك أشياء تافهة» قال الأب ذلك بعينين كبيرتين: «وعندئذ فإنني أعتقد أنها ستسيطر عليك. أما لو أنّ شيئاً مفيداً ضل طريقه إليك؛ فإنه سيختفي في أقل من ليلة. إنني أعرفك».

أدار أوسكار رأسه وكأنّ أحداً يمسك برقبته «دعني الآن إنك تزعجني بلا داع. إنّ الإمكانية الواضحة التي تستطيع بوساطتها أن تتنبّأ بنهايتي على نحو دقيق لا يصّح أن يغريك بإزعاجي في تأملاتي. صحيح أنّ ماضيّ يمكن أن يمنحك بعض الحق؛ لكنّ عليك ألا تستّغل ذلك».

«إنك ترى بوضوح كبير عظيَم قَلَقِكَ كيف يكون عندما يجبرك على الحديث ضديّ».

«لا شيء يجبرني» قال أوسكار، ورقبته تنتفض. وكان أوسكار في تلك الأثناء يدنو من المنضدة على نحو حثيث، حتى لم نعد نعرف لأيّهما صارت تنتمي. «ما قلته كان يصدر عن الاحترام، أو على الأصح عن المحبّة. وسوف تعلم لاحقاً أنني في قراراتي التي اتخذتها كنت آخذك أنت وأميّ بالحسبان».

«إنّ عليّ الآن أن أشكرك» قال الأب «لأنّ من غير المحتمل أن نكون أنا وأمك قادرين على شكرك في الوقت المناسب». «أرجوك يا والدي أن تترك المستقبل نائما؛ فهو جدير بذلك؛ فـالمرء إذا أيقظه قبل الأوان فسيحصل على حاضر نؤوم. ويؤسفني أن يكون ابنك هو أول من يقول ذلك لك. ولست أبغي بذلك إقناعك، بقدر ما أريد أن أُعْلمِك بالمسّتجدات. وهو أمر يمكنني– كما تعترف أنت– أن أفعله به».

«لكن يا أوسكار ثمة أمر واحد يثير استغرابي؛ وهو: لماذا لم تكثر من القدوم إليّ كما يحصل الآن. إنّ هذا يتوافق مع طبيعتك. لا. إنني جاد في الواقع».

«صحيح. لقد كان من الأفضل أن تضربني بدلاً من الاستماع إليّ، لقد جئت إلى هنا راكضاً– يعلم الله– من أجل بناء صداقة معك؛ لكنني لا أستطيع أن أبوح لك بشيء طالما أنّ خطتي لم تكتمل بعد. فلماذا تعاقبني من أجل نواياي الطيّبة؟ وتريدني أن أشرح لك خططي على نحو يضرُّ بي؟».

«اهدأ. فإنني لا أريد أن أعرف، لكنّ عليّ أن أجيبك بسرعة لأنّك تخطو باتجاه الباب، ويبدو أنّ لديك أمراً ملحّاً. لقد هدأت غضبتي الأولى من خلال حيلتك، لكنّ لديّ شعوراً حزيناً أكثر من قبل؛ لذا أرجوك – إذا كُنْتَ مصمّماً فإنني أستطيع أن أرفع يدي – ألا تخبر أمّك عن هذه الأفكار. أنا أكفي». «إنّه ليس أبي هذا الذي يتحدّث معي على هذه الشاكلة». صاح أوسكار وهو يهّم بالخروج «يبدو أنّ أمراً وقع لك منذ منتصف النهار، أم أنك رجل غريب أقابله للمرة الأولى في غرفة أبي. إنّ أبي الحقيقي»، وهنا صمت أوسكار فترة قصيرة وهو مفتوح الفم، «ينبغي أن يعانقني، وأن ينادي أمي»، «ماذا جرى لك يا أبي؟» «من الأحسن لك أن تتعشّى مع أبيك الحقيقي، وبعدها ستكون الأمور أكثر مرحاً».

«هذا ما سيحدث بالتأكيد لكنّني لا أستطيع البقاء. كما أنّ وجود أمي ضروري وكذلك وجود فرانتس سأحضرهم جميعاً؟». وكان أوسكار يضغط في تلك الأثناء الباب السهل الإغلاق بكتفه وكأنّه ينوي كسره.

عند وصوله إلى شقّة فرانتس انحنى أوسكار لمدبرة المنزل الصغيرة الحجم قائلاً: «السيد المهندس نائم، أنا أعرف ذلك، لا بأس». من غير أن يهتم بالمرأة التي كانت تعبّر عن عدم سعادتها بالزيارة من خلال الدخول إلى غرفة الانتظار والخروج منها. فتح أوسكار الباب الزجاجي الذي اهتّز وهو يمسك به، وصاح غير مبال وهو في داخل الغرفة التي كان يرى ما في داخلها بصعوبة».

«استيقظ يا فرانتس؛ إنني أحتاج نصيحتك المهنّية، لكنني لا أستطيع البقاء في الغرفة، لا بدّ أن نتمشّى قليلاً، ولا بدّ أن تتناول طعام العشاء معنا. هيا عجّل!».

«بكل سرور». أجاب المهندس وهو على أريكته الجلدية «لكن قل لي كيف نرتب المسائل». النهوض، العشاء، المشي، الاستشارة؛ ثمّة شيء لم أتبينه بوضوح».

«لا تكن هازلاً يا فرانتس، لأنك بذلك أنسيتني الأهّم».

«سألبّي رغبتك في الحال. أما النهوض، فأنا أفضّل أن أتناول العشاء مرتين بدلاً من النهوض».

«انهض ولا تجادل» ثم أمسك أوسكار بذلك الشاب الهزيل من ردائه وأوقفه «إنك الآن غاضب، أتعرف ذلك. احتراماتي. هل انتزعك من الأريكة؟» ثم مسح عينيه المغلقتين بإصبعيه الصغيرين.

«لكن يا فرانتس» قال أوسكار بوجه منقبض «ارتد ملابسك؛ أنا لست مهّرجاً لأوقظك من نومك بلا داع». «وأنا كذلك لم أنم بلا داع، لقد كان لدي عمل ليلي، ثم إنني صحوت لأجلك من منتصف قيلولتي».

«لماذا؟».

«حسناً، إنّ الرعاية القليلة التي تبديها تجاهي تغضبني. وهذا لا يحدث للمرة الأولى. طبعاً أنت طالب حرّ، وتستطيع أن تفعل ما تشاء، وليس كلّ أحد يمتلك هذا الحظ، أما مسألة الرعاية التي يتوجب القيام فعلها فإلى الجحيم. صحيح أني صديقك، لكنهم لم يفصلوني من وظيفتي إلى الآن» وكان يعبّر عن ذلك من خلال تحريكه ليديه باطناً وظاهراً.

«وهل يتوجّب عليّ أن أصّدق من خلال ثرثرتك أنك لم تنم أكثر من اللازم؟» قال أوسكار وهو يقفز فوق قواسم السرير، متأملاً المهندس، وكأنه صار لديه وقت أطول مما مضى. «ماذا تريد مني تحديداً؟» وبعبارة أخرى «لماذا أيقظتني؟» تساءل المهندس وهو يدلّك رقبته بقوة أسفل لحيته المدبّبة، موضحاً العلاقة الحميمة التي تكون بين المرء وجسده بعد النوم. «ماذا أريد منك؟» قال أوسكار بصوت خفيض وهو يضرب السرير بقدمه ضربة خفيفة «القليل، لقد قلت لك وأنا في غرفة الانتظار إنّ عليك أن ترتدي ملابسك».

«إذا كنت يا أوسكار تريد الإلماح إلى أنّ اهتماماتك الجديدة لا تعنيني كثيراً فأنت بذلك على حق تماماً».

«لا بأس؛ فإنّ النار التي ستضع نفسك فيها على مسؤوليتك الذاتية ستحرقك، من غير أن تمسّ صداقتنا. إنّ المعلومات ينبغي أن تكون واضحة تماماً. فأنا أحتاج إلى معلومات واضحة، ضع ذلك في الحسبان، أما إذا كنت تبحث عن ياقتك وربطة عنقك فإنهما هناك على الكرسي».

«شكراً» قال المهندس وهو يثبّت ياقته وربطة عنقه «إنّ المرء يستطيع أن يعتمد عليك في نهاية المطاف».

السادس والعشرون من آذار:

محاضرات الدكتور رودلف شتاينر Rudolf Steiner(30) عن الثيوصوفية في برلين، تأثير

(30) 1861–1925. ثيوصوفي نمساوي؛ وهو مؤسسس ما يعرف بـ Anthroposophie التي تهتم بالعالم الذي لا تدركه الحواس وتسعى إلى تشكيل رؤية غنوصية للعالم.

بلاغي: مناقشة مريحة لاعتراضات المعترضين. يندهش المستمع لهذه المعارضة العنيفة، ينتاب المستمع القلق، ويغرق على نحو كلّي في تلك الاعتراضات كأنّه ليس ثمة شيء غيرها. يرى المستمع أنّ أيّ اعتراض هو أمر مستحيل تماماً، ويبدو في غاية الرضا عن الوصف السطحي لإمكانيات الدفاع. وهذا التأثير البلاغي يتناسب بالمناسبة مع تعليمات الحالة الخانعة، يديم التأمّل في راحة كفّه الممدودة. حذف النقطة الختامية. كانت الجملة المنطوقة تبدأ بشكل عام. بالحرف الكبير عند المتكلّم، وتنحني في أثناء دورانها قدر المستطاع للمستمعين، ثم تعود مع النقطة الختامية إلى المتكلّم من جديد. فإذا استغني عن النقطة فإنّ الجملة تنتقل حالاً إلى المستمعين.

محاضرة لوس وكراوس السابقة: لقد كدنا نعتاد أن تسعى الحبكة في الأعمال القصصية في أوروبا الغربية، التي تضّم عدداً من الشخصيات اليهودية، لبحث المشكلة اليهودية وإيجاد حل لها. أما «النساء اليهوديات*» Juedinnen فتخلو من الإشارة إلى هذا الحل، أو من مجرّد التفكير فيه؛ فكّل شخصية تنشغل بمثل تلك المسائل، تحتلّ موقعاً هامشيّاً، حيث تتداعى الأحداث بسرعة. صحيح أننا نستطيع تتبّع تلك الأحداث بدقة؛ لكنّنا لا نجد الفرصة كي نتعرف من خلالها على طبيعة تطلّعاتها. وسرعان ما يتكشّف لنا عيب القصة، ونستشعر أنّنا قادرون على الوقوف من مثل هذا العرض موقفاً نقدياً؛ لأنّه منذ ظهور الصهيونيّة التي جَعَلت من إمكانيات الحلّ المتعلقة بالمسألة اليهودية أكثر وضوحاً وتنظيماً، صار على الكاتب ألا يخطو أكثر من بعض خطوات، كي يضمّن قصّته الحلول المناسبة. لكنّ لهذا العيب أصلاً آخر ف «النساء اليهوديات» تفتقد المشاهدين غير اليهود، الذين يشكلون في العادة شخصيات نقيضة تنجذب في القصص الأخرى لكلّ ما هو يهودي، على نحو يجمع بين الدهشة والشك والحسد والذعر. وأخيراً، أخيراً فإنّها تضعه في قالب من الثقة بالنفس، وتستطيع في كلّ الأحوال أن تعتمد عليه في مسيرتها الطويلة. هذا هو ما نبتغيه تماماً، ونحن لا نعترف بأنّ ثمة حلاً آخر لهذا الشأن اليهودي؛ كما أننا لا نتكئ على هذه المشاعر في مثل هذه الحالة وحدها، فهي في هذا المجال ذات صبغة عالمية. وفي الطريق نفسها فإنه يفرحنا تشّنج السحالي تحت أقدامنا، ونحن نسير

على الرصيف، وننحني مراراً وتكراراً؛ لكننا عندما نراها عند الباعة تزحف على نحو فوضوي في الزجاجات الكبيرة التي اعتدنا أن نضع فيها المخلّلات؛ وعندها لا ندري ما نفعل. ثم يتحد العيبان في القصة ليشكّلا معاً عيباً ثالثاً؛ فـ «النساء اليهوديات» تستطيع أن تستغني عن ذلك الشاب المتميّز الذي اعتاد داخل القصّة أن يجتذب الأفضل إليه، وأن يسير في طريق جميل متألق إلى حدود الدائرة اليهودية. إننا لا نستطيع أن نتجاوز عن إمكانية استغناء القصة عن ذلك الشاب المتّميز. ولكننا في هذا المقام نحدس أنّ ثمة خطأ. أكثر من قدرتنا على أن نراه.

الثامن والعشرون من آذار:

زوجة الرسّام ب. كارلين P.Karlin، لها سنّان أماميّتان عريضتان، تجعلان وجهها الضخم المفلطح مدبّباً. أما السيّدة هوفرات ب والدة الموسيقار فقد جعل الكِبَرُ هيكلها العظمي يبرز، بحيث تبدو وهي جالسة على أقلّ تقدير وكأنها رجل. يبدو الدكتور شتاينر Dr. Steiner * شديد الانشغال بتلاميذه الغائبين؛ ففي محاضرته يلتفّ الموتى حوله. هل هي الرغبة في المعرفة؟ وهل يحتاجون إليها حقاً، يبدو ذلك، ينام ساعتين. فمنذ أن قطعت عنه الكهرباء وهو يحمل شمعة بيده. إنّه يقف قريباً من المسيح. قدّم مسرحيته في ميونيخ (وهي مسرحية تستطيع أن تخصص لدراستها عاماً من غير أن تفهم منها شيئاً) وصمم الملابس، ولحن الموسيقى، لقد درّس أحد الكيميائيين. لوڤي سيمون تاجر صابون في جادّة مونسيه، أخذ عنه أصول المعاملات التجارية، وترجم كتابه إلى الفرنسية. وقد سجّلت زوجة مستشار البلاط في مفكرّتها: «كيف يحصّل المرء المعرفة من العوالم العليا؟»[31] بقلم س. لوڤي في باريس.

في أحد المنازل في فيينا ثمة ثيوصوفي في الخامسة والستين من عمره، قويّ كعملاق، كان مدمناً وعنيداً، ويجمع أبداً بين الإيمان والشك. لقد كان يتوقع منه أن يكون مرحا، ففي أحد المؤتمرات التي عُقدت في بودابست، وخلال تناول طعام العشاء في ليلة مقمرة في بلوبسبرغ؛

(31) عنوان أحد كتب شتاينر وقد صدر الكتاب عام 1904.

وصل الدكتور شتاينر إلى الحفل على غير توقّع من الجميع؛ فـاختبأ ذلك الرجل وهو يمسك قدحه وراء برميل البيرة وهو مملوء بالذعر (مع أنّ الدكتور شتاينر لم يكن لحظتها غاضباً).

ليس بالضرورة أنه أكثر العلماء الروحيين المعاصرين أهميّة؛ لكنّه أخذ على عاتقه مهّمة توحيد الثيوصوفية بالعلم لذا فهو عارف بكل شيء. لقد حدث أن جاء إلى مسقط رأسه أحد علماء النبات وهو أستاذ في السحر والتنجيم. فقام شتاينر بتنويره؛ إنّ قدومي إلى الدكتور شتاينر هو بداية استعادة الذاكرة كما وصفته السّيدة لي. إن طبيب السيدة قد سأل الدكتور شتاينر عن الدواء المناسب، عندما بدأت تظهر أعراض الأنفلونزا عليها، فوصفه لها وشفيت في الحال. وقد حدث أن ودعته امرأة فرنسية قائلة «وداعاً» فحرّك يده من خلفها؛ فـتوفيّت بعد شهرين. وثمّة حالة شبيهة في ميونخ؛ فقد التزم أحد الأطباء هناك بعلاج المرضى باستخدام الألوان التي حدّدها الدكتور شتاينر، وأرسل المرضى إلى متحف الصور الزيتية مع تعليمات تبيّن ضرورة أن يقفوا أمام إحدى اللوحات مدة نصف ساعة، وأن يطيلوا التأمّل فيها.

نهاية العالم الأطلسي وأفوله، وهذا يحدث من خلال الأنانّية، إنّ محاولة الدكتور شتاينر لا تنجح إلاّ عندما يكون للقوى الأهرمانية اليد العليا. إنّه يشرب لترين من مستحلب اللوز، ويأكل فواكه لا تنبت إلا في الذُرى. إنّه يتواصل مع تلاميذه الغائبين من خلال أشكال التفكير التي يرسلها لهم، من غير أن يُعنّي نفسه بتلك الأفكار بعد عملية إنتاجها، لكنها سرعان ما تبلى، ويتوجب عليه أن يعيد إصلاحها مجدداً.

- السيدة ف: «إنّ ذاكرتي ضعيفة».
- د. شتاينر: «لا تأكلي البيض».

زيارتي للدكتور شتاينر:

ثمة سيّدة كانت تنتظر من قبل، في الطابق الثاني في فندق فيكتوريّ الطابع في شارع يونغمان، لكنّها ألحّت علي أن أدخل قبْلها. وبينما نحن ننتظر، جاءت السكرتيرة، ومنحتنا

بعض الأمل. لمحتُه من خلال نظرة على الممّر؛ فـجاء فوراً بذراعين نصف مفتوحتين. أخبرته المرأة أنني قبْلها، فتبعته، فقادني إلى غرفته. زيّه القيصري الأسود الذي كان يرتديه في المحاضرة المسائية كان يلمع؛ إنّه لا يلمع في الواقع، لكنّه يشعّ بسبب سواده الخالص، غير أنّه الآن في ضوء النهار (الساعة الثالثة بعد الظهر) ولاسيما في منطقتي الظهر والأكتاف مترب؛ بل ملطّخ.

في غرفته كنت أحاول أن أبدي تواضعاً كاذباً، من خلال البحث عن مكان سخيف لقبعتّي. وقد وضعتها فوق مشجب خشبي صغير لرباطات الأحذية الثقيلة. الطاولة في الوسط. جلستُ وأنا أنظر إلى النافذة، وهو يجلس على الجانب الأيسر للطاولة. فوق الطاولة أوراق عليها بعض الخطوط التي تذكر بتلك المحاضرات عن علم وظائف الأعضاء الخفيّ. كتيّب عن «حوليات الفلسفة الطبيعية»: يُغطيّ كومة صغيرة من الكتب التي تتناثر هنا وهناك. ولم يكن باستطاعة أحد أن يتأمل تلك الكتب؛ لأنه كان دائم التحديق فيها، وعندما لا يفعل فإن على المرء أن يحاذر من معاودة النظر إليها.

لقد بدأ حديثه بجمل غير مترابطة: إذن أنت الدكتور كافكا؟ وهل أنت منشغل بالثيوصوفية من مدة طويلة؟.

وسرعان ما بدأت أتحدث بخطابي المُعدّ سلفاً: إنني أشعر كيف أنّ جزءاً كبيراً من جوهري يتطلّع إلى الثيوصوفية، لكنني أشعر في الوقت ذاته تجاهها بالخوف العظيم. إنني أخشى أن أقع مجدداً بسببها في البلبلة، التي سيكون وقعها رديئاً عليّ؛ لأن تعاستي الحالية تنبع من هذه البلبلة. وهذه البلبلة تبدو على النحو التالي: «إنّ سعادتي وقدراتي وكلّ فرصة يمكن أن أكون فيها نافعاً تكمن منذ وقت طويل في الجانب الأدبيّ لديّ. وقد عشت هنا، وأرجو أن تثق بذلك، حالات من التجربة (ليست كثيرة)، لكنها تتصّل بعمق بالأوضاع الحدسية، التي وصفَتها سيدي الدكتور، التي أكون مستغرقاً في كل فكرة فيها، وأمتلكها في الوقت ذاته على نحو لا أجد نفسي على حافتها؛ بل على حافة الإنسانية عموماً. لكنّ سكون الحماسة كما يتجلّى في غالب الظنّ عند العراف ينقص كلّ تلك الحالات، إنْ لم يكن يمثّل نقصاً عاماً. والخلاصة: إنّ أفضل أعمالي لا أكتبها في مثل تلك الحالات، إنّني لا أكرّس نفسي كاملة للجانب الأدبي كما ينبغي

أن أفعل. ويرجع ذلك إلى أسباب متعدّدة؛ فبصرف النظر عن علاقاتي العائلية فإنني لا أستطيع أن أعيش من الأدب، وذلك لبطء تشكّل أعمالي، ولطبيعة تلك الأعمال المميّزة، كما أنّ صحتي وطبيعة شخصيتي تحولان بيني وبين ذلك التكريس، وتمنحاني في أحسن الأحوال حياة غير مؤكدّة. لذا صرت موظفاً في إحدى شركات التأمين، وهاتان مهنتان لا تتوافقان، ولا تمنحاني سعادة مشتركة؛ فالسعادة القليلة في واحدة منهما تغدو سوء حظ كبيراً في الأخرى. ولو حدث أن كتبتُ شيئاً جميلاً ذات مساء، فسأحترق في المكتب في اليوم الثاني، وأغدو من ثم غير قادر على إنجاز ما كتبت على الإطلاق. إنّ هذا التمزق بين هنا وهناك يغدو أكثر سوءاً؛ ففي المكتب يكفيني أن أنجز واجباتي الخارجية، أما واجباتي الداخلية فلا، وكلّ واجب داخلي لا يتم ينجز يتحوّل إلى تعاسة دائمة. فهل أضيف الثيوصوفية إلى هاتين المهنتين غير القابلتين للانسجام؟ ألن تزعج الثيوصوفية الطرفين، ألن يزعجها الطرفان؟ هل سأحمل أنا السيئ الحظ في هذه اللحظة هذه المسائل إلى نهاياتها؟

لقد جئت إليك سيدي الدكتور لأستشيرك؛ لأنّ لديّ إحساساً داخلياً يرى بأنّك عندما تقول إنني قادر على ذلك فإنني أستطيع أن أحمل ذلك العبء.

كان يستمع إليّ باهتمام بالغ جداً، من دون أن يبدو أنه ينظر إليّ إطلاقاً. لكنه كان قد كرّس نفسه لكلماتي، في البداية أزعجه ذلك الرشح المتواصل من أنفه؛ لكنّه كان يواصل إدخال منديله عميقاً في أنفه، ثم أدخل إصبعاً في كل فتحة من فتحتي أنفه.

السابع والعشرون من أيار:

اليوم هو عيد ميلادك، لكنّي لن أهديك الكتاب الذي اعتدت أن أهديه لك؛ لأنّ ذلك سيكون أمراً مظهرياً. أما في الجوهر فلست في وضع يسمح لي أن أهديك كتاباً، إنّني أكتب إليك لأنه من الضروري بالنسبة لي أن أكون قريباً منك للحظة، حتى لو كان هذا الاقتراب عبر هذه البطاقة. لقد ابتدأت بالشكوى كي تتمكن على الفور من معرفتي.

الخامس عشر من آب:

إنّ الوقت الذي يمضي الآن هذا الوقت الذي لم أتمكنّ فيه من كتابة كلمة واحدة، هو وقت مهم لديّ؛ لأنني لم أعد أخجل من جسدي في بركة السّباحة في براغ، في الصالة الملكية وفي سيزرنوشتس. كم هو متأخّر أن أستدرك الآن، وأنا في الثامنة والعشرين، على تربيتي، وهي بداية متأخرّة كما تسّمى في السباقات. إنّ الضرر لمثل سوء الحظ هذا لا يكمن غالباً في عجز المرء عن الفوز؛ فهذا في الواقع هو الجوهر المرئي والواضح والصحي لسوء الحظ، الذي يجعل المرء يدور حول الدائرة، ويطرده داخلها. وبالمناسبة فقد لاحظت أشياء أخرى كثيرة في نفسي خلال هذه الحقبة التي تبدو سعيدة، في جزء صغير منها، وسأحاول تدوينها في الأيام القليلة القادمة.

العشرون من آب:

إنّ لديّ اعتقاداً تعيساً يتمثّل في أنني لا أمتلك الحدّ الأدنى من الوقت لإنجاز عمل جيّد، لأنني لا أملك في واقع الأمر وقتاً لإنجاز قصّة كما ينبغي أن أفعل؛ فنفسي موزعة في الاتجاهات كلها، كما ينبغي أن أفعل. لكنني أكون أكثر إيماناً بأنّ رحلتي ستغدو أفضل، وأنني سأغدو أفضل إدراكاً، إذا ما ارتحت من خلال الكتابة، وهذا ما سأحاوله ثانية.

استطعت من خلال مظهره أن أحدس* طبيعة المعاناة التي عاشها من أجلي، والتي منحته، ربما بسبب شعوره بالإرهاق الشعور بالأمان. إن جزءاً بسيطاً من الجهد كان يمكن أن يكفي، كما أنّ المكر كان سينجح غالباً، حتى في هذه اللحظة. هل أدافع عن نفسي؟ لقد وقفت في الواقع بعناء أمام المنزل، لكنني رغم عنادي ترددت في الصعود إلى الأعلى، هل كنت أنتظر حتى يأتي الضيوف ليأخذوني وهم يغنون؟*.

لقد قرأت عن ديكنز، إنّه صعبٌ تماماً. ويمكن لمن هو خارج السياق أنْ يفهم أن المرء يعيش القصة في أعماقه منذ بدايتها، من النقطة الأكثر بعداً فيها، حدّ الاقتراب من قطارات الفولاذ

والفحم والبخار، وأنّها لم تغادرك؛ بل إنك راغب في الوقوع في شباكها، وأنك تملك الوقت اللازم لذلك. نعم أنت واقع في شباكها، وبإرادتك الذاتية تهرب منها، حيثما تدفعك وحيثما يمكنها أن تجذبك.

إنني لا أستطيع استيعاب ذلك ولا تصديقه إنني أعيش هنا وهناك في كلمة صغيرة أفقد للحظة في حركة الإمالة (انظر «يدفع» في السابق) الخاصة بذلك الفعل رأسي غير المفيد. إنّ الحرف الأولّ والأخير هما بداية مشاعري السمكيّة الطابع ونهايتها.

الرابع والعشرون من آب:

أجلس مع أحد معارفي في أحد المقاهي في الهواء الطلق، وأتأمل امرأة على الطاولة المجاورة، كانت قد وصلت للتو، وهي تتنفّس بصعوبة من صدر ثقيل، وقد جلست بوجهها البنّي، المشرق المتوهج. أرجعت رأسها إلى الخلف؛ فظهر شيء ثقيل للعيان، أدارت عينيها على الأرجح بالطريقة ذاتها التي تتأمل فيها زوجها الذي كان يجلس بجانبها، وهو يقرأ في أحسن الأحوال مجلّة مصوّرة. ليت أحداً يستطيع إقناعه أن المسموح للرجل وهو يجلس إلى جانب زوجته في مقهى أن يقرأ جريدة؛ أما المجلّة فغير مسموح على الإطلاق بقراءتها. ويبدو أن المرأة قد امتلأ وعيها بعد لحظة بامتلاء جسدها؛ فابتعدت عن الطاولة قليلاً.

السادس والعشرون من آب:

من المفترض أن أسافر إلى إيطاليا غداً، لم يستطع أبي بسبب الإثارة أن ينام هذه الليلة؛ لأنّه غدا أسير هواجسه تجاه محله التجاري وتجاه مرضه المتصاعد. قماش مبلول على قلبه، قيء. شعور بالاختناق، والنفّسَ يعلو ويهبط. أما أمي فقد عثرت هذه الأيام على عزاء جديد؛ لقد كان دائماً مملوءاً بالحيوية وكان يسيطر على كل شيء. لكنني أقول الآن إنّ الشقاء بسبب ذلك المحلّ التجاري يمكن أن يستمر ثلاثة أشهر أخرى، وبعد ذلك تعود الأشياء إلى سابق عهدها. يروح

جيئة وذهاباً، يتنهد ويهز رأسه. إنّ منظره يدلّ أنّ همه ما زال رازحاً على كتفيه، وأننا لم نستطع أن نشعره بالراحة، أما من جهتنا فلا؛ فقد تسّربت إلى نفوسنا قناعة مأساوية ترى أنّ واجبه أن يهتم بعائلته. وقد استطاع من خلال تثاؤبه المستمر، وعبثه المقزّز بأنفه أن يبعث لدينا إحساساً بالطمأنينة عن حالته، وهو ما لا يصنعه عادة عندما تكون حالته الصحيّة جيّدة. وهو ما أكدته أوتللا. أما أمي المسكينة فستذهب غداً إلى صاحب الملك تستجدي.

لقد صارت عادة أن يمضي الأصدقاء الأربعة روبرت وصموئيل* وماكس وفرانتس كلّ صيف أو خريف عطلتهم القصيرة في رحلة جماعية. أما ما يتبقى من العام فقد صممت صداقتهم على أن يجتمع الأربعة مساءً مرة واحدة في الأسبوع، عند صموئيل غالبا؛ فـهو الأكثر غنى والأوسع حجرة، وهناك يتجاذبون أطراف الأحاديث ويحتسون البيرة باعتدال. كانوا لا يتوقفون عن الكلام حتى لحظة تفرقهم في منتصف الليل. ومنذ أن عمل روبرت سكرتيراً لإحدى الجمعيات، وصموئيل مستخدماً في أحد المكاتب التجارية، وماكس موظفاً في الدولة، وفرانتس في أحد البنوك؛ فإنّ معظم ما يمرّ به كل واحد منهم خلال الأسبوع في عمله ليس مجهولاً من الآخرين فحسب، ويمكن لصاحبه أن يرويه على عَجَل. بل إنّ هذا المرويّ من دون تفسير لسياقه يبقى مستعصياً على الفهم. ويبدو أنّ اختلاف هذه المهن كان له أثر أكبر من أيّ شيء آخر، على إجبار أصحابها أن يصف كلّ واحد منهم مهنته للآخرين المرّة تلو الأخرى. لأن هذه الأوصاف لم تستوعب من الآخرين تماماً (لقد كانوا في واقع الأمر أناساً ضعفاء) فلهذا وللصداقة الطيّبة بينهم كان ذلك ضرورياً.

أما الحديث عن النساء فكان نادر الوقوع، لكنّ صموئيل الذي كان يتذوق هذا اللون من الحديث كان يتحفظ في طلبه، وكان مجيء النادلة العجوز التي تحضر البيرة يشكّل إنذاراً له. لقد ضحكوا كثيراً في تلك الأماسي، لدرجة أنّ ماكس كان يقول– وهو في طريقه إلى المنزل– إنّ هذا الضحك الدائم مؤسف؛ لأنّه يُنسي المسائل الجادّة كلّها، التي لدى الإنسان الكثير منها. وبينما يضحك المرء ظاناً أنّه يمتلك الوقت الكافي للأعمال الجادّة، يكون على خطأ؛ لأنّ الجدّ يتطلب الكثير من الإنسان. ومن البيّن أنّ المرء في مجتمع الأصدقاء قادر على النهوض بأعباء

كبرى تفوق قدراته عندما يكون وحده. إنّ على المرء أن يضحك في المكتب؛ لأنه غير قادر على أن ينجز فيه شيئاً واحداً على وجه دقيق. وقد كان هذا الرأي موّجهاً لروبرت الذي عمل بجدّ في جمعية الفنون، وكان يصنع حياة جديدة فيها، وفي الوقت نفسه كان يلحظ في الأشياء القديمة الجوانب الكوميدية. ويحدّث أصدقاءه عنها. وما إن أن يبدأ روبرت الحديث حتى يغادر الأصدقاء أمكنتهم ويلتفّون حوله، أو يجلسون على المنضدة ويضحكون ولاسيما ماكس وفرانتس، لأن صموئيل اعتاد أن ينقل الكؤوس الموجودة على الطاولة إلى حافتّها.

وعندما يتعبون من الحديث يجلس ماكس فجأة بحيوية عالية إلى البيانو، ويعزف، بينما يجلس روبرت وصموئيل إلى جانبه على أحد المقاعد الصغيرة. أما فرانتس الذي لا يستوعب شيئاً في الموسيقى؛ فكان يجلس على طاولة صموئيل وحيداً، ويتأمّل بطاقاته المصوّرة، أو ينشغل بقراءة الجريدة. وعندما تغدو الأمسيات أكثر دفئاً، يمكن الإبقاء على النافذة مفتوحة، ويجيء أربعتهم إلى النافذة، ويتأملون الشارع وأيديهم وراء ظهورهم، من دون أن تلهيهم الحركة الخفيفة فيه عن أحاديثهم. وبين الفينة والأخرى يعود أحدهم إلى الطاولة ليتناول جرعة من البيرة أو ليشير إلى ضفيرتي فتاتين تجلسان أمام إحدى الحانات حيث تعملان، و إلى القمر الذي يفاجئهما بعض الشيء حتى يقول فرانتس: «لقد برد الجو وتوجب أن نغلق النافذة». في الصيف يلتقون أحياناً في إحدى الحدائق العامة، ويختارون منضدة منزوية في مكان مظلم، ويشربون معاً ويقرّبون رؤوسهم في أثناء الحديث، ولا يكادون ينصتون لفرقة الموسيقى النحاسية البعيدة. ثم يغادرون المتنزّه يداً بيد، وعلى إيقاع الخطوة ذاتها يعودون إلى البيت. أما الاثنان اللذان يسيران على الحافة؛ فيحرّكان عصيهم الصغيرة، أو يضربان الشجيرات. يدعوهم روبرت للغناء؛ لكنّه يغنّي وحده، وهذا يكفي الجميع، أما الآخر الذي يقف في الوسط فكان يشعر بالراحة على وجه التحديد.

ذات أمسية قال فرانتس وهو يقّرب اثنين من جيرانه إليه إنه سيكون حسناً أن يكونوا معاً، وهو لا يستطيع أن يستوعب لماذا يكتفون باللقاء مرّة واحدة في الأسبوع، مع أنّ من السهل أن يلتقوا مراراً، أو مرتين على أقلّ تقدير. كانوا كلّهم مع هذا الاقتراح، ولاسيما رابعهم الذي كان

قد سمع حديث فرانتس من بعيد وفهمه على نحو غير واضح. إنّ متعة من هذا النوع تستحق الجهد القليل الذي يتوجب أن يبذله الواحد منهم الآن ومستقبلاً. وقد بدا لفرانتس أنّ لديه صوتاً أجوف، عقاباً له على كلامه المتطفّل معهم، لكنّه لم يتوقف. وإذا حدث أنّ أحداً لم يتمكن من القدوم فهو الخاسر الوحيد، ويمكن مواساته في اللقاء الذي يليه. لكن هل يتوجّب أن يتنازل الآخرون عن بعضهم بعضاً؟ ألا يكفي أن يلتقي ثلاثة أو حتى اثنان في أسوأ الحالات؟ «بالطبع، بالطبع» قالوا. انفصل صموئيل عن نهاية الخط ووقف أمام الثلاثة، لأنهم بَدوا متلاصقين. لكن الأمر لم يكن كذلك، لذا آثر أن يربط نفسه مع الآخرين مجدّداً.

قدّم روبرت اقتراحاً:

دعونا نجتمع كلّ أسبوع ونتعلم الايطالية، نحن مصمّمون على تعلم الإيطالية. لقد لاحظْنا في العام الماضي في الجزء الصغير من ايطاليا حيث كنا أنّ لغتنا الايطالية كانت لا تكفي إلاّ لنسأل عن الطريق عندما نضّل. تذكرّوا ماذا حّل بنا عندما تهنا في مزرعة العنب، ومع هذا فالشكر يستحق أن يوّجه لمن سألناهم، إنّ تعلّم الإيطالية واجب علينا إذا ما فكرنا بالذهاب إلى هناك هذا العام. إن هذا الوضع لا يكفي، أليس الحل الأفضل أن ندرس معاً، «لا» قال ماكس «نحن لن نتعلّم شيئاً معاً؛ إنني واثق من ذاك مثل اعتقادك يا صمويل بأننا ينبغي أن نتعلم على نحو جماعي».

«أنا؟» قال صموئيل «أرى بأننا ينبغي أن نتعلّم على نحو جماعي، لقد كنت دائماً آسف أننا لم نكن معاً في المدرسة. ألم تلحظ أننا لم نعرف بعضنا إلا منذ سنتين فحسب؟» ثم انحنى لينظر في وجوه الثلاثة، الذين أبطؤوا من خطواتهم وأرخوا أذرعتهم.

«لكننا لم نجرب أن نتعلّم شيئاً على نحو جماعي» قال فرانتس، «إنّني أحّب تلك الطريقة أيضاً، إنني لست راغباً في تعلم أي شيء، ولكن إذا كان علينا أن نتعلم الإيطالية فإن من الأفضل أن يتعلمها كلّ واحد منا على انفراد».

«أنا لا أستوعب ذلك» قال صموئيل، «لقد كنت ترغب أن نلتقي في بادئ الأمر أسبوعياً، والآن لست راغباً».

«ليس صحيحاً» قال ماكس، «فأنا وفرانتس نريد ألا تتم لقاءاتنا من خلال عملية التعلّم. وأن لا تؤثر لقاءاتنا سلباً في عملية التعلم، هذا هو كلّ شيء».

«نعم» قال فرانتس، «كما أنّه لم يتبق لدينا كبير وقت» قال ماكس، «إنّنا الآن في حزيران، وسنسافر إلى هناك في أيلول».

«لهذا تحديداً أردت أن نتعلّم معاً» قال روبرت، محملقاً في الصديقين اللذين عارضاه، إنّ عنقه يغدو رشيقاً عندما يعارضه أحد ما.

إنّ المرء يظن أنّ المرء يصفه بدّقة، غير أنّ الوصف يظّل تقريبياً. وتصحّحه اليوميات نفسها.

إنّ ذلك مركوز في جوهر الصداقة، ويتبعها كما يتبع الظل صاحبه؛ فثمة واحد يحييها، وآخر يأسف لها، أما الثالث فلا يلحظ شيئاً على الإطلاق.

السادس والعشرون من أيلول:

أوصى المصمّم كوبن Kubin باستخدام الريجولين مادّةً مُسْهلِةً، وهو مسحوق إحدى النباتات البحرية، الذي ينتفخ في الأمعاء، ويهزّها أي أنه يتفاعل على نحو آلي، بخلاف تأثير المُسهِل الكيماوي غير الصحي، الذي يؤدّي إلى خروج البراز، ويتركه عالقاً بجدران الأمعاء.

لقد التقى بهامسون في لانجن، وكان هامسون يضحك ضحكة صفراوية من دون سبب وفي أثناء الحديث، ومن دون أن يقاطعه أحد وضع قدمه على رقبته، وتناول من الطاولة مقصاً كبيراً، وقص حواف بنطاله. لقد كان رثّ الثياب، مع وجود بعض قطع الملابس الغالية، ربطة العنق مثلاً.

حكايات عن فندق الفنانين في ميونيخ، حيث يسكن رسّامون وأطباء بيطريّون، مدرسة الطب البيطري كانت تقع في الجوار، وكانوا يتصّرفون برعونة، لدرجة أنّ نوافذ البيت المقابل

لهم، التي تطلّ على منظر جميل، كانت تؤجّر. ورغبة في إرضاء المتفرجّين يقفز أحد القاطنين إلى حافة النافذة على طريقة القرود، ويضع الملعقة الخاصّة بالحساء خارج القدر.

صاحب مصنع القطع الأثرّية المزّيفة الذي أدّى بيعه لذخيرة الصيد إلى التحلّل [البيئي] قال من طاولته: يتوّجب علينا الآن أن نحتسي القهوة ثلاث مرات لأجله، وبعدها يمكن أن تجري عملية شحنها إلى متحف إنسبروكر.

كوبين نفسه: قويّ جداً، له تعابير وجه رتيبة، يصف أشياء في غاية التنوّع من خلال حركة عضلات متشابهة. يبدو مختلفاً على مستوى العمر والحجم والقوة تبعاً للمكان الذي يجلس فيه، مرتدياً سترة أو معطفاً.

السابع والعشرون من أيلول:

أمس في فتسن بلاتس قابلت فتاتين، أطلت التأمّل في واحدة منهما، أمّا الأخرى– وكما تبيّن لي لاحقاً– كانت ترتدي معطفاً منزلياً بنيّاً ناعماً كثير الثنيات واسعاً مفتوحاً من الأمام بعض الشيء. أما شعرها فكان جماله من النوع المنسي رجل عجوز ببنطال معلّق على نحو رخو في المكان الجميل، يصفّر، وعندما أنظر تجاهه يتوّقف، ثم يعود يصفّر ثانية عندما أنظر بعيداً. ثمّ صار يصفّر وأنا أنظر نحوه، الزرّ الجميل الكبير، مثبّت على نحو جميل أسفل فستان الفتاة. كانت الفتاة ترتدي الفستان بأناقة على حذاء أمريكي ذي ساقين عاليتين.

من النادر أن يقع لي شيء جميل، وقد نجح هذا الزر غير الملحوظ وخياطته غير المحترفة في صنع ذلك.

كانت المرأة تحكي وهي في طريقها إلى المكان الجميل، وعيناها المملوءتان بالحيوية مستقلتان عن كلمات اللحظة نفسها، حكايتها باقتناع حتى نهايتها، نصف نظرة قوية إلى الوراء لصبّية قويّة.

التاسع والعشرون من أيلول:

يوميات غوته، إنّ الإنسان الذي لا يُدوّن شيئاً يجد نفسه في مواجهة اليوميات في الموقع الخاطئ. فعندما يقرأ في يوميات غوته: «1797/1/11 أمضيتُ اليوم بأكمله في المنزل مشغولاً بقضايا متعدّدة»؛ فإنّ الأمر يبدو وكأنه لم يسبق له أن أنجز في يومه أشياء قليلة كهذه.

تأمّلات غوته المتعلّقة برحلته تبدو مختلفة في هذه الأيام، لأنها تمّت من خلال عربة البريد، وتطوّرت ببساطة من خلال التغيّرات البطيئة التي حلّت بالمنطقة، ويستطيع حتى غير العارف بتلك المناطق من البلد أن يتتبّعها بسهولة، ففيها يظهر شكل من أشكال التفكير الرعوي الهادئ. ونظراً لأنّ المنطقة بقيت كما هي، وتؤدي بعرض ذاتها للمسافر من خلال طبيعتها الفطرية، كما أنّ شوارعها تقسّم البلاد على نحو أكثر طبيعية من السكك الحديدية، إذ تبدو العلاقة بينها كعلاقة الأنهار بالقنوات؛ فإن ذلك لا يتطلب جهداً شاقاً من المشاهد لتتبع الخارطة التي يستطيع أن يتأملها بانتظام من غير أن يبذل كبير جهد. لكنّ هناك بعض الملاحظات التي تنتمي للعصر، ومعظمها يدور وراء الأبواب المغلقة، حين يتخطى أناس بعينهم الحدود كلّها، ويظهرون للعيان فجأة هائجين كالموظفين النمساويين في هايدلبرغ. أما الفقرة الخاصة بالرجال في فيسن هايم فتبدو على النقيض؛ فهؤلاء الرجال يرتدون سترات زرقاء، وبلوزات بيضاء، ويتزينون بورود منسوجة، (اعتماداً على الذاكرة). لقد دون كثير من مساقط الراين في شافن هاوس، وفي منتصف الحروف الكبرى «أفكار مثيرة».

كاباريه لوسيرنا:

تعرض لوسي كونيج صوراً بتسريحات قديمة للشعر، وجهها مبتذل لكنّها تنجح أحياناً بأنفها البارز من الأسفل وذراعها المرفوعة إلى الأعلى وأصابعها المختلّة الترتيب في أن تقدّم شيئاً.

وجه لونجن المخنّث* (للرسام بترمان Pitterman)، نكات تعتمد على تقليد الآخرين ،إنّه عمل يخلو من المرح، لكنّه ليس مملاً تماماً. ولو كان كذلك لما استطاع القائمون عليه أن يعرضوه

كلّ ليلة، ولما استطاعوا عند تأليفه أن يرضوا بخلوّه من النماذج المقنعة التي كانت ستوّفر عليهم ظهور تلك الشخوص على نحو متكرّر.

القفزة الرشيقة للبهلوان فوق الكرسي إلى الجزء الجانبي الفارغ من المسرح تعيد إلى الذاكرة العروض في الجمعيات الخاصة، إذ يضطر المرء بسبب الضرورة الاجتماعية للتصفيق لأداء رديء وتافه، وكأن المبالغة في التصفيق تخفّف من الأداء السلبي للعرض، وتجعل منه عملاً مستوياً ونامياً.

المغنّي فاشاتا رديء إلى درجة أنّ المرء يخسر نفسه وهو ينظر إليه، ونظراً لأنه قويّ فإنه قادر إلى حدّ ما على جذب انتباه المشاهدين بطاقة حيوانية، غير أنني متنّبه لها بوعي. أما غرونباوم فإنّه يتفاعل مع المعطيات الخارجية ظاهرياً، بوصفه نوعاً من العزاء لوجوده.

الراقصة أوديس؛ وركان وصلبتان تخلوان من اللحم تماماً. ركبتان حمراوان تناسبان قصة «مزاج الربيع» فحسب.

الثلاثون من أيلول:

الفتاة في الغرفة المجاورة منذ أمس الأول. كنت أستلقي على الأريكة وأنا على وشك الإغفاء عندما سمعت صوتها. بَدَتْ لي أنّها تسرف في ارتداء الملابس، لا أعني ملابسها هي؛ لكني أقصد الغرفة المجاورة كلّها. لكن كتفها الرشيقة العارية المدوّرة الشديدة السُمرة التي لمحتها في المسبح تتغلّب على ملابسها، للحظة بدت لي وكأنها تأخذ حماماً من البخار، وأنّ الغرفة مملوءة بالأبخرة. ثم نهضت وهي ترتدي صدريتها الرمادية الملّونة، التي كانت تقف في العمق بعيداً عن جسدها، بحيث يستطيع المرء أن يجلس فوقها وأن يركب إلى حدّ ما.

كوبن ثانية:

العادة التي تقوم على تكرار الكلمات الأخيرة للشخص الآخر بصوت موافق، حتى لو

كانت الكلمات مأخوذة من حديث ذلك الشخص؛ لا تعني بالضرورة أنّ الإنسان يتفق مع ذلك الشخص.

تكون مغيظاً، وأنت تستمع إلى حكاياته الكثيرة وتكاد تنسى أهميّته؛ لكنّك تتذكر ذلك فجأة؛ فـتصاب بالرعب. قال له أحدهم إنّ المكان الذي سنذهب إليه خطير؛ فـردّ بأنّه لن يذهب إلى هناك؛ فسألته إن كان خائفا؛ فأجاب وذراعه تشتبك بذراعي «طبعاً» «إنني صغير وما يزال أمامي الكثير لأفعله».

كان غالباً ما يتحدث في المساء بجدّية كبيرة– في رأيي – عن حالة الإمساك التي نعاني منها. وعند منتصف الليل تقريباً، وحين رأى يدي معلقّة على حافة الطاولة، ولمح جزءاً من ذراعي صاح «إنك حقّاً لمريض»، وقد أخذ يعاملني منذ تلك اللحظة على نحو متساهل، وأبعد الآخرين الذين كانوا يرغبون في اصطحابي معهم إلى المبغى وما كدنا نقول له إلى اللقاء حتى ناداني عن بعد قائلاً: «ريجولين».

تشولسكي وتسفرانسكي:

لهجة برلين المحكيّة التي يتطلب الصوت منها فاصلاً هادئاً، المبنيّه على المقطع)خىكو(. الشاب الأول في الحادية والعشرين من عمره، وهو منسجم مع ذاته باستمرار، ابتداءً من حركة عصا المشي القوية المتوازنة في أثناء مشيته التي تمنحه مظهراً شاباً، إلى اللذة المتعالية واحتقار أعماله الأدبية. يرغب في أن يصبح محامياً، ويرى أنّ ثمة عقبات تحول من دون ذلك؛ لكنه يؤمن بإمكانية تجاوزها. صوته الواضح الذي بدا رجولياً يتحول إلى صوت أنثوي بعد نصف ساعة. يشك في قدرته الذاتية على التصوير، ويأمل أن يكتسب من خلالها خبرة في فهم العالم. أخيراً؛ هو خائف من التحول السوداوي في العالم، بعدما رأى ما يحدث ليهود برلين القدماء الذي هو على شاكلتهم، لكنّه لا يرى إشارة تدل على ذلك، سيتزوج عمّا قريب.

تسافرانسكي:

تلميذ بيرنهارد، يتجهّم في أثناء الرسم والمشاهدة على نحو يكشف طبيعة ما يرسم. وهو يذكّرني بأنني أمتلك مقدرة على التحوّل لم يلحظها أحد. كم قلدت ماكس. لو راقبت نفسي من الخارج أمس مساء وأنا في طريقي إلى المنزل لأخذت نفسي إلى تشولسكي. إن الشعور بالغربة في داخلي واضح وخفيّ، وهو يشبه المخبّأ في الصورة – الأحجية التي لا يمكن للمرء أن يعثر فيها على شيء، إذا لم يعرف مسبقاً الصورة المخبأة فيها، وعندما تقع مثل هذه التحولاّت فإنه يطيب لي أن أؤمن على وجه الخصوص بانطفاء عينيّ.

الأول من تشرين الأول:

الكنيس اليهودي القديم – الجديد أمس، كول ندر* Kolnidre، دندنة مقموعة من سوق الأوراق المالية، في المدخل صندوق مكتوب عليه: «هدايا رقيقة تخفّف بهدوء غضب المفجوعين».

الداخل الكنسي: ثلاثة متدينين؛ يبدو أنهم من اليهود الشرقيين. ينحني الأول بجواربه على كتاب الصلاة، ويضع قبعة الصلاة فوق رأسه، يتصاغر قدر الإمكان، الاثنان الآخران يبكيان لا يحرك مشاعرهما إلا اليوم المقدس. واحد يشكو على الأرجح من ألم في عينيه، التي يمرر فوقهما بنعومة منديله المطوي، كي يقرّب وجهه من النصّ قدر المستطاع. إن الكلمة لا تُغنّى في الواقع– أو على الأغلب– على نحو سليم؛ لكنّنا خلف الكلمة نسمع أنغاماً عربية تنبثق من حواف الكلمات ناعمة كالشَعرْ.

الشاب الصغير الذي لا يمتلك أيّ تصوّر عنها، ومن دون أن يملك أيّ إمكانيات لفهمها، والذي يملأ الضجيج أذنيه؛ يندفع بين حشود الناس، ويدفعه الناس أيضاً. رجل الدين المرائي الذي يحرك نفسه في أثناء الصلاة بسرعة، محاولاً بذل أقصى طاقته لاستيعاب نبرة كل كلمة، مع أنّ الصوت رقيق، ويعجز في هذه الضجة عن تشكيل إيقاع واضح. عائلة مالك المبغى، في

كنيس بنكاس كنت مأخوذاً بعمق لا حدّ له باليهودية.

اليوم قبل أمس الأول: الفتاة اليهودية ذات الوجه الهزيل، حَسَنٌ أنه يستدق وصولاً إلى ذقن مدببة، لكنّ تسريحتها العريضة المتموجّة تتحرك بحرّية تامة، الأبواب الصغيرة الثلاثة التي تقود من داخل المبنى إلى الصالون. الضيوف كأنهم في قسم من أقسام الشرطة. المشروبات على الطاولة لم تمسّ، ذات الوجه المفلطح بفستانها القبيح التي بدأت في الممر السفلي بتحريك جسمها، بعض البنات يلبسن كالدمى المتحركة في مسرح الأطفال، التي يشتريها المرء في عيد الميلاد، أي أنها ملصقة ومخيطة بالكشكش والذهب على نحو رخو لدرجة أن المرء يستطيع فصلها بمجرد سحبها، وتمزيقها بإصبع واحد. صاحبة المِلْك بشعرها الأشقر المنطفئ، المسحوب بقوة على حمالتي شعر قبيحتين بلا ريب، بأنفها المائل بحده، الذي يصنع علاقة هندسية مع الصدر المتدلي والبطن المتماسك، تشكو من وجع الرأس، لأن اليوم السبت، وفيه ضجيج عظيم ولا شيء فيه.

المزيد عن كوبن: القصة عن هامسون مشكوك في صحتها؛ لأن المرء يستطيع أن يحكي كثيراً مثلها، بوصفها خبرة شخصية عاشها آلاف المرات.

المزيد عن غوته: «الأفكار المثيرة» وحدها، هي الأفكار التي يثيرها مسقط نهر الراين. يدرك المرء ذلك في رسالة إلى شيللر؛ فالملاحظة اللحظية المنعزلة «إيقاع صنوج الأطفال في أحذيتهم الخشبية» تصنع انطباعاً. تجعلها متقلبة على نحو عام لدرجة ألا أحد يشعر– حتى لو لم يقرأ هذه الملاحظة من قبل– أنها من أفكاره الأصلية.

الثاني من تشرين الأول:

ليلة من من دون نوم، وهي الليلة الثالثة في هذه السلسلة. لقد نمت جيّداً لكنّني بعد ساعة استيقظت، وكأنني قد وضعت رأسي في الحفرة الخاطئة، إنني أغدو بكامل يقظتي عندما أشعر بأنني لم أخلد إلى النوم، أو أنني نمت تحت غشاء رقيق، وأنّ عناء فقدان النوم عاد لي من جديد.

وشعرت بأنني مطرود من عالم النوم.

سارت هذه الليلة على الشاكلة نفسها حتى الخامسة تقريباً. صحيح أنّني نمت لكنّ الأحلام المفعمة بالحيوية تركتني أبقى صاحياً، يمكن لك أن تقول إنني نمت بجانب نفسي؛ لكنه ظلّ عليّ أن أتصارع مع الأحلام. في الخامسة تقريباً استنفدت آخر قطرة من النوم، وأخذت أحلم بما يرهقني أكثر من الصحو. باختصار لقد أمضيت الليلة بأكملها في حالة يجد الإنسان السليم فيها ذاته على مقربة من السقوط في النوم. وعندما أصحو وتبدأ الأحلام بالتجمّع من حولي فإنني أحاذر أن أعيد التأمل فيها. في الصباح الباكر أتنهد فوق الوسادة؛ لأنّ كلّ أماني في هذه الليلة قد ذهبت أدراج الرياح، إنني أفكرّ في هذه الليالي التي كنت أنهض فيها من عميق النوم وأصحو كأنني قد سجنت في حبّة بندق.

أما التجلّي المرعب فقد تمثّل في هذه الليلة في طفلة عمياء تبدو أنها ابنة عمّتي في لايت ميرتس، التي ليست عندها ابنة؛ بل أولاد ذكور، وقد كسرت رجل واحد منهم. نَمَت بين هذا الولد وابنة الدكتور (M) علاقة. كما لاحظتها مؤخراً، تتمّثل في عملية التحول من طفل وسيم إلى هيئة طفلة عنيدة بذيئة صغيرة. هذا الطفل الأعمى أو ضعيف البصر ذو عينان مغطاتان بنظّارة، العين اليسرى تحت عدسة رمادية فاتحة ومنتفخة، أما الأخرى فهي متراجعة عن العين، ومغطاة بعدسة قريبة منها. ولكي يثبت عدسة العين هذه بصرياً على نحو دقيق كان من الضروري بدلاً من تثبيتها كالمعتاد على الأذنين، أن تستخدم رافعة لا يثبت رأسها إلا على عظام الخدّين، فيفتح طريق من هذه العدسة على الخدين، وهناك تختفي في اللحم المخترق، وتنتهي في العظم، بينما يخرج سلك صغير ويرجع إلى الأذن.

إنني أؤمن أنّ سبب الأرق هذا هو أنّني أكتب، وكلّما غدت كتاباتي قليلة ورديئة أغدو حساساً، من خلال هذه الاهتزازات القليلة، وأشعر عند اقتراب المساء وحتى في الصباح، بإمكانية حدوث آلام واقتراب اللحظات الكبرى التي ستغيّرني، وتجعلني قابلاً لكل شيء. ولا أجد الراحة في هذا الضجيج الذي يملأ أعماق حياتي، والذي لا أملك الوقت للسيطرة عليه. وفي النهاية يتحول هذا الضجيج إلى إيقاع ضاغط ومقيّد، يدعني حراً، ويملؤني تماماً، ويوسّعني،

وما يزال يملؤني. لكن هذا الوضع لا يسّبب لي الآن- إلى جانب الآمال الضعيفة الأذى- لأنّ جوهري لا يمتلك القوة الكافية أو الكفاءة التي تساعدني على تحمّل هذا الخليط المعاصر. في النهار يساعدني العالم المرئي، أما في الليل فهو يمزقني من دون إعاقة.

اعتدت أن أفكر بباريس في هذا السياق؛ فمنذ وقت الحصار وبعده وصولاً إلى الكومونة كان سكان الضواحي الشمالية والشرقية، الذين كانوا آنذاك غرباء عن الباريسيين قد تدفقوا في هذه الشهور خلال الشوارع المتشابكة إلى مركز باريس، وكانوا يتوقفون كعقارب الساعة.

إنّ عزائي – وبه أختم وأذهب إلى النوم- هو أنني لم أكتب منذ مدة طويلة، وأن لا تجد هذه الكتابة لها مكاناً صحيحاً في علاقاتي الحاضرة.

وأن أتّمكن من النجاح بشيء من الرجولة، حتى لو كان النجاح مؤقتاً. لقد كنت اليوم ضعيفاً لدرجة أنني أخبرت رئيسي بحكاية الطفل. الآن أتذكر أنّ النظّارة التي رأيتها في المنام تعود إلى أمي التي كانت تجلس بالقرب مني، وكانت تنظر إليّ من تحت نظارتها غير سعيدة، وهي تلعب الورق. وقد كانت عدسة نظارتها اليمنى- وهو ما لم ألاحظه من قبل- أقرب من العدسة اليسرى.

الثالث من تشرين الأول:

الليلة السابقة ذاتها؛ لكنني أخلدت إلى النوم بصعوبة أكبر. وفي أثناء الذهاب إلى النوم كان ألم عمودي يتحرك من رأسي إلى جسر الأنف، وكأنه قادم من تجاعيد تضغط بعنف على جبهتي. وكي أجعل نفسي ثقيلاً قدر الإمكان- وهو أمر أعده ضرورياً للخلود إلى النوم- شبكت ذراعي على كتفي؛ فبدوت وأنا نائم كالجندي الذي يحمل حقيبته. للمرة الثانية إنها قوة أحلامي التي في عالم اليقظة حتى قبل أن أذهب إلى النوم، ثم لا تدعني قادراً على أن أنام.

في المساء والصباح يسكنني وعي الإمكانات المبدعة الكامنة فيّ، على نحو لا أستطيع الإحاطة به. إنني أشعر بالارتعاش تجاه صميم وجودي، ولا أستطيع أن أستخرج من ذاتي ما

أرغب في استخراجه.

إنّ استدراج هذه الطاقات التي لا يسمح لها المرء بالعمل تذكرّني بعلاقتي مع ب. فهناك أيضاً سيول لم يسمح لها بالتدفق؛ بل كان يقضي عليها من خلال صدمات مرتدة. لكنّ الأمر هنا – وهذا هو الفارق – يتعلق بقوى غامضة تبعث بإشارات النهاية لي.

في يوسف بلاتس مرت بجانبي حافلة رحلات، وفيها عائلة يجلس أفرادها متراصين إلى جانب بعضهم بعضاً. بعد مرور الحافلة مرّ على وجهي هواء مشبع برائحة البنزين، كأنه قادم من باريس.

في أثناء إملاء أكثر التقارير طولاً إلى مديرية الأمن في المحافظة، وعلى مشارف النهاية، وعند ترقب لحظات الذروة؛ اختبأت ولم أستطع أن أفعل شيئاً غير النظر إلى الطابعة التي تمتلئ كعادتها بالحيوية، تسحب كرسيها، تسعل، وتضرب على الآلة الكاتبة الموضوعة على الطاولة، وتلفت انتباه من في الغرفة إلى تعاستي. لقد غدا الآن البحث عن فكرة تعيد الهدوء إلى هؤلاء مسألة قيّمة، لأنّه كلما ازدادت قيمتها ازدادت صعوبة العثور عليها. أخيراً تمكنت من العثور على الفعل «يَسِمُ» والجملة المناسبة له، لكنني ظللتُ أحتفظ به بتقزّز وشعور بالخجل في فمي. وكأنه لحم نيء قُدَّ منّي، إلى هذا الحدّ كلفني الأمر من الجهد، وأخيراً رأيت أن أحتفظ بالخوف الكبير، الذي يوضح أنّ كلّ شيء في داخلي على استعداد لعمل أدبي، وعمل كهذا ينبغي أن يكون تنويراً سماوياً، وحياة حقيقية لي، بينما أقبع هنا في المكتب مشغولاً بمراجعة وثائق تبعث على الألم، ولكي أستطيع أن أمنح بعض السعادة لهذا الجسد الكفء فإنه يتوجب علي أن أسلب قطعة من لحمه.

الرابع من تشرين الأول:

إنني قلق وشرير، أمس قبل أن أذهب إلى النوم شعرت باضطرابات متقطعة، ولهب بارد ضعيف في الجانب الأيسر من رأسي. التوترات في عيني اليسرى استقرّت وتوّطنت، وعندما

أفكّر في الأمر يظهر لي أنني لا أستطيع أن أحتمل البقاء في المكتب، حتى لو أعلموني بأنني سأكون حراً خلال شهر واحد. وقد كنت في أغلب الأوقات التي قضيتها في المكتب أعمل ما ينبغي علي عمله، وأكون في غاية الهدوء عندما أتأكد من رضا رؤسائي عنّي، ولا تكون أوضاعي باعثة على الخوف. وبالمناسبة فقد جعلت نفسي ليلة أمس عن عمد، بليداً. فقد ذهبت أتمشّى وأقرأ ديكنز. شعرت بشيء من العافية، وفقدت القدرة على الشعور بالحزن، الذي أراه مسوّغاً عندما يلوح لي من بعيد، لذا صرت أطمع في نوم أحسن.

لقد كان نوماً أكثر عمقاً؛ لكنه لم يكن نوماً كافياً، وكان متقطعاً في كثير من الأحيان. لقد قلت لنفسي معزّياً إنني كبت الهيجان العظيم في أعماقي ثانية، لكنني لم أرغب في الاستسلام فوراً، كما كنت أفعل في السابق في مثل هذه الأوقات. غير أنني رغبت في البقاء واعياً بالبعد الأخير للارتباك العصبي لذلك الهيجان الذي لم أمّر به من قبل. لعلني بمثل هذه الطريقة أستطيع أن أعثر على التجلّد في ذاتي. قبل المساء وفي ظلام الغرفة على الأريكة؛ لماذا يحتاج المرء إلى وقت طويل لتمييز الألوان؟ ثم بعد أن تصل مقدرته على تمييز النقطة الحاسمة يعود بسرعة إلى اقتناعه بالألوان! فعندما ينعكس الضوء من غرفة الانتظار والمطبخ متزامناً مع الضوء القادم من الخارج على الباب الزجاجي؛ فإنّ الخضرة– حتى لا ننقص من دقة الانطباع نقول اللون الأخضر– تنتشر على طول ألواح الزجاج؛ فإذا غاب هذا الضوء عن غرفة الانتظار وبقي ضوء المطبخ وحده؛ فإن لوح الزجاج الأقرب إلى المطبخ يصبح عميق الزرقة، أما الألواح الأخرى فتغدو زرقاء ضاربة إلى البياض، ويبلغ بياضها حداً إلى درجة أن كلّ الرسومات الموجودة على الزجاج المطفأ– زهور الخشخاش المرسومة، الزهور اللولبية، مستطيلات متنوعة، أوراق– تتلاشى.

إنّ الأضواء والظلال المنسكبة من المصابيح الكهربائية على الجدران والسقوف في الأعلى، وعلى الشوارع والجسور في الأسفل غير منظمّة، وهي إلى حدّ ما فاسدة ومتداخلة ويصعب تتبّعها. فعندما ركبوا هذه المصابيح الكهربائية المقوّسة في الأسفل، وأثثوا غرفتي لم تؤخذ الاعتبارات النسائية بالحسبان؛ فـيما يخصّ شكل غرفتي في مثل هذه الساعة من فوق الأريكة

من دون أيّ أضواء ذاتية أملكها. إنّ اللمعان الملقى على الحائط من القطار الكهربائي المار في الأسفل يتموّج على نحو مائل للبياض، وكأنه شبح، ويتوقف على نحو آلي عند كل حائط وسقف ويتكسر على الزاوية. تقف الكرة على صندوق كتّاني، خلال الانعكاس الكليّ، الجديد الأوّل على أضواء الشارع، هناك ضوء نظيف مخضوضر على القمّة، ذو إشراقة على حوافّه، ويعطي الانطباع أنّ وهجه قويّ جداً قياساً إلى قدرته، مع أن الضوء يمرّ فوق نعومته ويتركه بنيّاً مثل قشرة تفاحة. إنّ الضوء القادم من غرفة الانتظار يحمل معه بقعة كبرى من اللمعان، ويضعها على الحائط فوق السرير، هذه البقعة تحدّد بخط مقوّس من نهاية رأس السرير، وتوهم أن السرير في تلك اللحظة مضغوط إلى الأسفل، وتوّسع أعمدة السرير المعتمة، وترفع سقف الغرفة من فوق السرير.

الخامس من تشرين الأول:

يعاودني القلق للمرة الأولى منذ عدة أيام، ولاسيما قبل الشروع في هذه الكتابة، وهو غضبٌ من أختي التي دخلت إلى الغرفة، وجلست على الطاولة وهي تحمل كتاباً في يدها. أنتظر الفرصة القادمة كي أدع هذا الغضب يتفجر. أخيراً أخذت أختي إحدى البطاقات من الحافظة، وشرعت تمررها بين أسنانها عابثة بها. ومع الغضب الذي يترك وراءه بخاراً لامعاً في الرأس، ومع بداية الشعور بالارتياح والإحساس بالثقة؛ بدأت أعمل.

الليلة الماضية في مقهى سافوي*. فرقة يهودية. السيدة ك. «مقلّدة الرجال» في قفطان وبنطال قصير أسود، وجوارب بيض، ومن خلال القميص الأسود تبدو صدرية صوفية رقيقة بيضاء محمولة على العنق من خلال ياقة، وتلتف على قلادة عريضة وفضفاضة وطويلة.

على رأسها شعر نسائي؛ لكن الزيّ الضروري الذي ترتديه ويرتديه زوجها من مدة طويلة هو قلنسوة غامقة بلا حواف، تعلوها قبّعة كبيرة ناعمة ذات حافة عالية. إنني لا أعرف في واقع الأمر طبيعة هذه الشخصيات التي تمثلها هذه المرأة وزوجها، ولو أردت أن أوضح طبيعتهم لأناس لا أحبّ أن أعترف لهم بجهلي؛ فسأقول إنني أعدّهم من خدّام الهيكل، أو الكسالى

سيئي السمعة، وهو مصطلح اتخذته الطائفة على نحو ما، لأسباب دينية، لتصف به أناساً طفيليين ذوي امتيازات، يعيشون نظراً لموقعهم المميّز قريباً من بؤرة الاهتمام في حياة الطائفة، ونظراً لانتقالاتهم وتحركاتهم العابثة، فقد باتوا يعرفون أغاني كثيرة، ويرون بوضوح العلاقات بين أعضاء الطائفة؛ لكنهم نظراً لانقطاع علاقاتهم بالحياة المهنية لا يستطيعون توظيف هذه المعرفة. إنهم يهود من الناحية الشكلية الخالصة لأنهم يعيشون في ذلك الدين، لكنهم لا يبذلون جهداً، ولا معرفة ولا معاناة في حياتهم. إنهم يسعون ليكونوا مهرّجين أمام كلّ واحد، ويضحكون بعد مقتل يهودي نبيل، ويبيعون أنفسهم لكلّ مرتد، ويرقصون بنشوة وأيديهم على زغب خدودهم، عندما يناول القاتل غير المتخفيّ السمّ والدعاء إلى الله، وكلّ ذلك لأنهم خفيفون كالريشة، ويسقطون على الأرض تحت أيّ لون من الضغط، وحساسون، ويبكون بوجه يابس، إنهم يبكون أنفسهم بتجهّم، فإذا زال الضغط عنهم فليس لهم أدنى وزن نوعي؛ بل إنّ عليهم القفز في الهواء.

لذا فإنّهم يسّببون الكثير من الصعوبات في أيّ مسرحية جادة مثل (الميشود) *(المرتد) من تأليف لاتاينر Lateiner، لأنهم غالباً ما يقفزون وهم على أطراف أصابعهم أو بالقدمين كلتيهما في الهواء على أطراف المسرح، ولا يكتفون بإفساد الإثارة في المسرحية؛ بل يقطعون أوصالها. إنّ جدّية المسرحية– على الرغم من كل ذلك– تحوك نفسها بوضوح من خلال كلمات متراصة ومنتقاة بعناية، حتى لو كانت مرتجلة، وتمتلئ بالتوتر والمشاعر المنسجمة، وحتى لو كانت الحبكة لا تجري إلا على مؤخرة المسرح؛ فإنّ المسرحية تظل محافظة على المعنى.

إن المرء لا يشاهد غير اثنين مقموعين في قفطان، وهو ما يتناسب مع طبيعة كل منهما. ويرى المرء– على الرغم من ذراعيهما الممتدتين وأصابعهما المفترسة– شخصاً واحداً، وراءهما هو القاتل الذي يكمن السمّ فيه، ويده على ياقته العريضة، ويتمايل نحو الباب.

الأغاني طويلة، والجسم يستسلم بسعادة لها. ونظراً لطول تلك الأغاني عبِّر عنها باهتزازات الخصور، وبوساطة أذرع ترتفع وتنزل، عبر أنفاس هادئة، ومن خلال تقريب راحات الأيدي من الأصداغ بعناية وإبعادها عنها بدقة، إنّه يذكر إلى حدّ ما بالشلاباك Schlapak.*

في بعض الأغاني تعبير عن لغة «ضحك أطفال اليهود»، وفي بعضها الآخر منظر تلك المرأة التي تقف على خشبة المسرح، وتجذبنا إليها لأنها يهودية ونحن يهود مثلها، من دون أدنى رغبة أو فضول تجاه المسيحيين، وهو ما جعل خدّي يرتعدان.

إنّ ممثل الحكومة، والنادل والخادمتين اللتين كانتا تقفان على الجانب الأيسر من المسرح هم المسيحيون في الصالة، وممثل الحكومة هذا رجل بائس مصاب بتشنج لا إرادي، ولاسيما في الجانب الأيسر من وجهه، وإن كان ينتشر على الجانب الأيمن، وهو تشنج يمر على وجهه بسرعة رحيمة، أعني بانتظام عقارب الثواني. وعندما يصل إلى العين اليسرى يكاد يزيلها، وبسبب هذا الانكماش فقد نمت عضلات جديدة وصغيرة وطرية في هذا الوجه اليابس تماماً. النغم التلمودي يتصدى للأسئلة الدقيقة؛ أيمان وإيضاحات. في إحدى الأنابيب يتحرك الهواء، ويأخذ الأنبوب معه، ويتحرك برغي كبير؛ فخور بكماله، متواضع في دوراته، ملتو في بداياته البعيدة والصغيرة، في اتجاه كلّ من يسأل.

السادس من تشرين الأول:

الرجلان العجوزان في المقدّمة يجلسان على المنضدة الطويلة بالقرب من خشبة المسرح؛ أما الأول منهما فكان يتكئ بذراعيه كلتيهما على المنضدة، ووجهه المنتفخ بحمرته الزائفة، ولحيته الملبّدة ذات الزوايا الأربع غير المنتظمة تخفي سنّه بمرارة، أما الثاني فهو يجلس على نحو معاكس لخشبة المسرح، بوجهه الذي جعله الكِبَرُ يابساً، ويتراجع عن المنضدة بحيث لا يتكئ عليها إلا بذراعه اليسرى، ويحني ذراعه اليمنى في الهواء تعبيراً عن استمتاعه بالأغنية التي يتابعها بحركات أصابع قدميه، وعلى نحو يجعل الأنبوب القصير في يده اليمنى يتراخى. «حياة جميلة، تعال وغن معنا» كانت المرأة تخاطب واحداً، ثم تخاطب الآخر، وتنحني في الوقت نفسه، مادّة ذراعها على نحو تشجيعي. لقد صممت الأغاني لإحكام السيطرة على الأشخاص الذين يقفزون في الهواء، من دون أن تشتتهم تلك الأغاني. لأنها قادرة على احتواء الإثارة الكامنة فيهم، حتى لو لم يرغب ذلك الشخص في الاعتقاد بأنهم قد ألهموه إياها. أما الاثنان

اللذان يرتديان القفطان فقد كانا في عجلة من أمرهما للغناء، وكأنهما يمطان جسديهما للحصول على الأشياء الأساسية في حياتهما، وكأن التصفيق في أثناء الأغنية إشارة لما يتمتع به الإنسان الموجود داخل الممثل من صحة جيدة، أما أطفال صاحبة المِلْك فقد ظلوا في زاوية خشبة المسرح مع السيدة ك، يتمتعون بطفولتهم، وينشدون الأغاني كاملة من بين شفاههم المغلقة.

المسرحية:

زايدمان: يهودي ثرّي، أعّد غرائزه الإجرامية فيما يبدو لتحقيق هدفه. عُمّد قبل عشرين سنة، ودّس السّم لزوجته عندما لم تقبل المعمودية، منذ ذلك الحين عمل جهده كي ينسى الرطانة التي تتردّد بغير قصد في حديثه، ولاسيما في بدايات ذلك الحديث؛ كي يلحظ المستمعون ذلك، ولكي تترك له الأحداث القادمة الوقت الكافي ليظهر اشمئزازه من كل ما هو يهودي.

لقد وعد زايدمان أن يزوّج ابنته، التي ترتبط بعلاقة حبّ مع ابن عمّها إيدلمان الصغير للضابط دراغوميروف، تظهر الفتاة في مشهد درامي طويل وفي وضع متحجر غير عادي. لكن هذا المشهد ينكسر في منتصفه عندما تأخذ الفتاة بالصراخ في وجه أبيها، معلنة تمسكها باليهودية، لينتهي المشهد وهي تضحك ساخرة من أبيها، محتقرة إجباره لها.

الشخصيات المسيحية في المسرحية هم:

خادم بولندي أمين يعمل عند زايدمان، سيكون له دور فيما بعد في كشف القناع عن سيّده، وهو أمين في المقام الأوّل، لأنّ سيده مجمع المتناقضات كلّها. أما الضابط فتتجنّب المسرحية التعرض لجرائمه؛ لأنه– وهو الشخصية المسيحية البارزة– لا يهّم أحداً، وهذا ينطبق على شخصية رئيس المحكمة التي ستظهر لاحقاً. وأخيراً على خادم المحكمة الذي لا يتجاوز خبثه طبيعة عمله، ومرح الشخصيتين اللتين ترتديان القفطان، مع أن ماكس يسميه: (القاتل المنظّم).

إنّ دراغوميروف لا يستطيع الزواج لأسباب شتّى إلا بعد استرداد كمبيالاته التي يحتفظ بها إيدلمان الكبير، الذي لن يسّلمها له مع أنه على وشك السفر إلى فلسطين، ومع أن زايدمان مستعد لدفع المبلغ عداً ونقداً. تتصّرف الفتاة بغطرسة تجاه الضابط المفتون بها، وتتفاخر بيهوديتها، مع أنها عمدت. أما الضابط فلا يعرف ماذا يفعل؛ فقد كادت ذراعاه تموتان، ويداه تتشابكان على نحو ضعيف، وهو ينظر بتوسل إلى أبيها. تهرب الفتاة إلى إيدلمان الصغير؛ لأنها تريد الزواج ممن تحب، حتى لو كان هذا الزواج سرّاً لمدة من الزمن. لأنّ اليهودي طبقاً للقانون المدني لا يستطيع الزواج من امرأة مسيحية. كما أنّ المرأة المسيحية لا تتمكن غالباً من التحول إلى اليهودية من دون موافقة وليّ أمرها. وأخيراً يصل الأب الذي يدرك أنّ عليه القيام ببعض المكائد، وإلاّ فإنه سيخسر كلّ شيء؛ لهذا يتظاهر بمباركته للزواج، فيسامحه الجميع، ويبدؤون بإظهار الحب نحوه، كما لو أنهم كانوا على خطأ قبل ذلك، بما فيهم إيدلمان الكبير الذي يعلم يقيناً أن زايدمان دسّ السم لأخته.

نشأت هذه التناقضات في النصّ المسرحي على الأرجح جرّاء الاختصارات؛ لأنّ النص كان ينتقل من فرقة مسرحية إلى أخرى على نحو شفهي. يحصل زايدمان من خلال هذه المصالحة على كمبيالات دراغوميروف، والسبب «كما تعلم» «هو أنني لا أريد أن يتكلم دراغوميروف عن اليهود على نحو سلبي». وقد أعطاها إيدلمان له من دون مقابل. بعد ذلك يدعوه زايدمان إلى ما وراء الباب في خلفية المسرح بحجة أنه يريد أن يريه شيئاً ما، ثم يطعنه بسكين في ظهره طعنة قاتلة، تخترق ثيابه، بين المصالحة والقتل أبعد زايدمان عن خشبة المسرح، كي يفكّر بالخّطة المناسبة ويشتري سكيناً. وكان يريد أن يقدّم إيدلمان الصغير إلى حبل المشنقة، لأنّ الشبهة تحوم حوله، وبهذا تصبح ابنته من نصيب دراغوميروف. يهرب زايدمان وتبقى جثة إيدلمان وراء الباب. تظهر الفتاة وهي تضع برقع الزفاف على وجهها، وتدخل وذراعها في ذراع إيدلمان الصغير، الذي كان يرتدي قميص الصلاة. أما الأب، لم يكن كما تبيّن لهم لسوء الحظ قد حضر. يظهر زايدمان الذي يبدو سعيداً لمنظر العروسين. وهنا يظهر رجل، ربما يكون دراغوميروف نفسه، وربما يكون ممثّلا؛ لكنه في الواقع مخبر غير معروف، ويعلن أن المطلوب تفتيش المنزل

«لأن المرء غير أمين على حياته هنا».

زايدمان: «لا تقلقوا يا أبنائي؛ إنّ هذا بالتأكيد خطأ واضح. وكلّ شيء سيتّضح عمّا قليل». لقد عثر على جثة إيدلمان، وهنا ينتزع إيدلمان الصغير من حبيبته ويعتقل.

على امتداد فصل مسرحي كامل ظلّ زايدمان يوجّه بصبر كبير وتشديد واضح ملاحظاته الاعتراضية: (نعم، نعم، حسن جداً، لا، هذا خطأ، نعم، الآن هذا أفضل، طبعاً، طبعاً). وكان يبيّن في أثناء تلك الملاحظات للشخصين اللذين يرتديان القفطان كيف سيشهدان في المحكمة، آخذين العداوة التي كانت بين الأب والابن طيلة سنوات بالحسبان. تظهر صعوبات مثلما يظهر الكثير من سوء الفهم. يتقدم الشخصان بتجربة أداء مرتجلة لمشهد المحكمة، ويعلنان أن زايدمان كلفّهم بتمثيل القضية على النحو التالي؛ لقد وجدوا أنفسهم يغرقون في تلك العداوة إلى درجة أنّ زايدمان لم يعد بوسعه أن يمنعهم من تبيان الوضع الذي ظهرت فيه الجريمة، والرجل يطعن المرأة حتى الموت بالخبز الفرنسي. إن هذا بطبيعة الحال يفوق المطلوب، لكن زايدمان كان راضياً عنهما، آملاً من خلال شهاديتهما أن تصل المحكمة إلى نتيجة إيجابية. وهنا يتبدى للمشاهدين المتدينين– من غير أن يجري الحديث عن ذلك لأنها مسألة طبيعية– أنّ الله ذاته يحلّ المسألة بدلاً من المؤلف الذي نكص على عقبيه، ويضرب هذا الأعمى الوغد.

في الفصل الأخير يظهر رئيس المحكمة، ويجسّده الممثل الدائم الذي يؤدي دور دارغويروف. وهنا يتبّدى الاحتقار للمسيحيين؛ فالممثل اليهودي يستطيع تمثيل ثلاثة أدوار لشخصيات مسيحية، وحتى لو كان تمثيله رديئاً فلا بأس. وإلى جانبه محامي الدفاع بشعره الطويل وشاربه. لكن المرء يلحظ حالاً أنها ابنة زايدمان. صحيح أن المرء يتعرف إليها بيسر؛ لكنّها مقابل دور دارغوميروف يسهل الافتراض أنها قبلت بلعب دور ثانوي حتى يتبين لنا في منتصف الفصل أن تنكّرها هو لإنقاذ محبوبها.

طلبت المحكمة من الشخصين صاحبي القفطان أن يؤديا الشهادة على انفراد، وقد أربكهما ذلك لأنهما تدرّبا على أدائها على نحو ثنائي. كما أنهما لم يستوعبا لغة رئيس المحكمة (الألمانية الفصحى)، مع أنّ محامي الدفاع كان يساعد عند حدوث أيّ ورطة، ويلقّن الواحد منهما كيف

يتحدث. ثم يأتي زايدمان الذي حاول من قبل توجيه لا بسيْ القفطان؛ تارة بشدّ ملابسهما، وتارة أخرى من خلال حديثه الحازم المنساب. وقد استطاع من خلال موقفه المعتدل وحديثه الموفّق لرئيس المحكمة أن يترك على خلاف الشهود السابقين انطباعاً حسناً. لكن شهادته كانت تقريباً شكلاً بلا مضمون. فلم يكن يعرف للأسف الكثير عن المسألة. وأخيراً جاء الخادم وهو الشاهد الأخير الذي كان من غير أن يدري عنصر الاتهام الحقيقي لزايدمان. لقد رأى زايدمان وهو يشتري السكّين، وهو يعرف أن زايدمان كان في ذلك الوقت العصيب عند إيدلمان. وهو يعلم، أخيراً أن زايدمان يكره اليهود ولاسيما إيدلمان، ويريد الحصول على كمبيالاته.

وهنا قفز الشخصان اللذان يرتديان القفطان، وكانا سعيدين وهما يؤكدان تلك الشهادة. دافع زايدمان عن نفسه بوصفه صاحب كلمة شرف بشكل مشّوش على نحو من الأنحاء. وهنا بدأت المناقشة حول ابنته: أين هي؟ في البيت بالتأكيد، وهي تمنحه هذا الحق، لا، إنها لن تفعل، كما يزعم محامي الدفاع، ويسعى للبرهنة على ذلك رجل اتجه نحو الحائط وخلع الشعر المستعار، واتجه إلى زايدمان المروّع في شخص ابنته. كان البياض الواضح لشفته العليا يبدو وكأن العقاب حلّ به، وهي تخلع الشارب. زايدمان يحتسي السمّ هرباً من عدالة الأرض، يعترف بخطاياه للناس بصعوبة، وبصعوبة أكبر للإله اليهودي تحديداً. في الوقت نفسه بدا عازف البيانو يعزف أغنية، فشعر لابسا القفطان أن اللحن يهيجهما وأن عليهما أن يرقصا. في خلفية المسرح كان العروسان الملتصقان يغنيان، ولاسيما العروس الجّاد في ضوء تقاليد الهيكل المألوفة.

الظهور الأوّل للشخصين في القفطان، يدخلان غرفة زايدمان الفارغة، يحملان مجموعة صناديق للهيكل، يتلفتان، يشعران بالضيق، ينظران إلى بعضهما، يتحسسان بأيديهما على امتداد قوائم الباب فلا يجدان (ميسوسا)* لا شيء على الأبواب الأخرى. أما هما فلا يريدان تصديق ذلك؛ فيقفزان إلى جانب الأبواب، وكأنهما يمسكان بالذباب، يقفزان عالياً ثم يسقطان، يضربان أعلى قوائم الأبواب مرة ومرة، وكل ذلك بلا فائدة لسوء الحظ. لم يفوها بكلمة حتى الآن.

تشابه بين السيدة ك والسيدة ڤ من العام الماضي. تمتلك السيدة ك شخصية هي فيما أظن أقلّ ضعفاً وأكثر رتابة، لكنها جميلة وأكثر احتراماً. السيدة – نكتة دائمة تضرب زملاء اللعب بخلفيتها العريضة، وتصاحبها فضلاً عن ذلك مغنّية رديئة كانت جديدة علينا تماماً.

«مقلّدة الرجال» هو في الواقع عنوان خطأ. واستناداً إلى حقيقة أنها تلتصق بالقفطان. فإنّ جسمها منسيّ بالكامل. إنها تذكر المرء بجسدها من خلال هزّ الكتفين ودوران الظهر كأن البراغيث عضّتها. كانت تسحب الأكمام كلّ دقيقة، مع أن أكمامها قصيرة. وهو ما يستمتع المشاهد به، ويترقب وقوعه، منتظراً الراحة الكبرى لهذه المرأة التي غنّت وأبانت بأسلوب تلمودي.

إنّها أمنية أن ترى مسرحاً ضخماً بلغة الإيديش؛ لأنّ العروض المسرحية تعاني من الممثلين الصغار والأداء غير المكتمل. وأمنية أخرى تتمثل في أن نعرف الأدب المكتوب بتلك اللغة الذي يتفرّد على نحو واضح، من خلال تجسيده لتقاليد نضال قومي متصّل، وهو ما يتميزّ به كلّ عمل من أعمال ذلك الأدب. إنّه تقليد لا يستثني أيّ آداب أخرى، حتى آداب أكثر الشعوب اضطهاداً، وربما يحدث عند شعوب أخرى في أوقات النضال، أن تعلو أهمية الأدب المناضل القومي، أما الأعمال الأخرى التي تقف بعيداً؛ فإنها تكتسب عبر حماسة الجمهور لها شخصية قومية كما الحال في «العروس المباعة». فهنا تتجلى الأعمال المتميزة، وهو ما يحدث في واقع الأمر دائماً. مشاهدة المسرح البسيط، الذي ينتظره الجمهور، صامتاً كما نفعل، لأنه بجدرانه والكرسي والطاولة والستائر، يكفي المشاهد جميعها، فنحن لا نتوقع شيئاً منه، وننتظر بكامل قوتنا الممثلين من دون مقاومة للغناء، الذي يأتي من خلف الجدران العارية، مصاحباً للعرض.

التاسع من تشرين الأول:

إذا قدر لي أن أحيا إلى الأربعين فإنّ من المحتمل أن أتزوج عانساً متقدمة في السن، لها أسنان علوية بارزة، وشّفة عليا مكشوفة قليلاً. إن أسنان الآنسة ك العلوية، التي كانت في باريس

ولندن؛ ينحدر كلّ منها نحو الآخر قليلاً، مثل السيقان التي تتقاطع سريعاً مع الركب. لكنني سأصل إلى الأربعين بصعوبة. وعلى أيّ حال فالتوتر المتكرر في ذلك الجزء الأيسر من جمجمتي مثلاً يؤكد ذلك. إنني أشعر كأنّه جذام باطني، وعندما أكتفي بمراقبته وتجاهل مضايقته فإنه يمنحني انطباعاً شبيهاً بالمقاطع العرضية للجمجمة في الكتب المقرّرة، أو كتشريح جسم حي من دون ألم تقريباً، باستخدام سكّين باردة وحذرة. تتوقف أحياناً، ثم تعاود الرجوع، وأحياناً تظل تراوح مكانها، وتقطع أجزاء أصغر من الغشاء القريب من الأجزاء الفاعلة في الدماغ الذي هو في سُمك الورقة الرقيقة.

حلم ليلة البارحة الذي لم أستطع أنا نفسي في الصباح أن أعده جميلاً. باستثناء المشهد الهزلي المتضمن ملاحظتين موجهتين ضدّي؛ الأمر الذي ولّد في ذلك الحلم الهائل الرضا الذي نسيته.

مشيت– ولا أذكر إذا كان ماكس معي في البداية – خلال صف طويل من البيوت بارتفاع الطابق الأول أو الثاني، مثلما يمشي المرء في نفق، وهو يتنقل بين عربة وأخرى. مشيت على الأرجح بالسرعة القصوى لأن البيت كان متداعياً، وهو سبب أساسي للإسراع في المشي. لم أستطع ملاحظة الأبواب بين المنازل على الإطلاق، كان ثمة صف عملاق من الغرف، وكان من السهل التمييز بين الشقق المفردة وبين البيوت أيضاً. لقد جهّزوا كلّ الغرف التي ذهبت إليها بالأسِّرة، وما زالت أحتفظ في ذاكرتي بسرير نمطي، كان على جانبي الأيسر، مقابل الحائط المظلم أو القذر، ينحدر مثل غرفة علوية، عليه كومة منخفضة من أغطية الفراش. أما غطاؤه هو فشرشف خشن، تكسّر بسبب أقدام الشخص الذي كان ينام فوقه، وهي تتّدلى من حافته. شعرت بالخجل وأنا أمشي بين غرف الناس، في وقت ما زال معظمهم راقداً في سريره، لذا مشيت على رؤوس أصابعي بخطوات واسعة آملاً أن أريهم بطريقة أو أخرى أنني أسير هنا مجبراً، وبأنني أراعي كل شيء، وأنّ مروري ليس مهما أبداً. لهذا لم ألتفت إطلاقاً صوب أيّ غرفة، ولم أر إلا من كان يستند على اليمين باتجاه الشارع، أو على اليسار باتجاه الحائط.

كانت دور البغاء تتقاطع مع هذه البيوت في الغالب، وعلى الرغم من أنني قمت بهذه

الرحلة من أجل تلك الدور؛ فإنني مررت بها سريعاً لدرجة أنني لا أتذكر منها شيئاً، سوى وجودها هناك. وقد كانت الغرفة الأخيرة من بين تلك البيوت مبغى هي الأخرى. وهناك بقيت. كان الباب الذي دخلت منه يرتفع مقابل حائط هو الأخير في صف المنازل، وهو إما أن يكون زجاجياً أو مثقوباً، ولو مشيت فوقه لوقعت. والأكثر احتمالاً أنه كان حائطاً مخترقاً؛ لأن العاهرات كن يتمددن على حافة الطريق. رأيت اثنتين على الأرض، رأس إحداهن كان مدلّى على حافة الباب الخارجي، إلى اليسار كان ثمة حائط صلب، أما الحائط الأيمن فلم يكن مكتملاً. وتستطيع أن تنظر إلى الأسفل لترى الفناء، وإن لم تستطع رؤية القسم الأسفل منه، وهناك درج متداع يقود إلى عدة طوابق سفلية. وقد بدا السقف شبيهاً بأي سقف آخر في الغرف الأخرى، في ضوء ما في الغرفة من إضاءة.

شغلت على نحو رئيسي بالمومس ذات الرأس المتدليّ إلى الأسفل، أما ماكس فقد شغل بأخرى كانت تجلس على يسارها. تحسست فخذها بأصابعي، وأخذت أضغط بإيقاع منتظم على الجزء العلوي من فخذها. كانت لذتي عظيمة لدرجة أنني تعجبت كيف أنّ المرء لا يدفع من أجل هذه التسلية الأجمل، لقد كنت مقتنعاً أنني (وأنني وحدي) أخدع هذا العالم. رفعت المومس من دون أن تحرك رجليها الجزء العلوي من جسدها، وأدارت لي ظهرها الذي كان مملوءاً بدوائر حمراء كالشمع ذات حواف مسيّجة، وبينها كانت تنتشر بقع حمراء. لاحظت أنّ جسدها كان مملوءاً بذلك، وتبيّن لي أنني كنت أضغط بإبهامي على فخذيها ملامساً تلك البقع، وأن تلك البثور الحمراء الصغيرة على إصبعي تبدو كأنها بقايا ختم ممزق.

تراجعت إلى الوراء بين عدد من الرجال الذين كانوا ينتظرون مقابل الحائط، على بداية الدرج حيث توجد حركة ضعيفة، كأنهم ينتظرون بداية السوق، كما يفعل الرجال في الريف صباح يوم الأحد، لقد وقع هناك مشهد هزلي، عندما جاء رجل شعرت أنا وماكس بالخوف منه، ثم صعد الدرج عائداً واتجه نحوي، وبينما كنت أنا وماكس نخشى أن يجابهنا بتهديد مخيف؛ توجه إليّ بسؤال ساذج وسخيف. جلست هناك وبدأت أرقب قلقاً، كيف جلس ماكس في ذلك المكان على الأرض، وتناول حساء بطاطا سميكاً. وكانت البطاطا تبدو كالكرات

الصغيرة ولاسيما واحدة منها ضغط حبات البطاطا بملعقة، أو ربما بملعقتين داخل الحساء، أو اكتفى بقلبها.

العاشر من تشرين الأول:

كتبت مقالة سوفسطائية مع مؤسسة التأمين وضدها في جريدة «بودن باخر» التشيكية.

أمس مساء على المقبرة مرت بي ثلاث ممثلات قادمات من التدريب. من الصعب أن تألف سريعاً جمال ثلاث نساء، عندما يرغب المرء في رؤية ممثلين آخرين يقتربان من خلف الممثلات الثلاث، ويمشيان في خطى مسرحية متأرجحة ومرحة.

تجاوز الاثنان السيدات؛ كان الممثل الموجود على الجانب الأيسر بوجهه الفتي السمين، وبمعطفه المفتوح الذي يلّف جسده القويّ يمثّل الاثنين معاً، كان يقف على الرصيف، في حين كان الآخر الذي في الجانب الأيمن يقف في أسفل الطريق. رفع الأيسر قبعته عالياً، وأمسك بها بأصابعه الخمس، ورفعها مرة أخرى وصاح، في هذه اللحظة تذكر الرجل في الجانب الأيمن: مع السلامة، ليلة سعيدة! وفي حين فرق هذا التجاوز وتبادل التحية بين السيدين سارت النساء اللواتي حياهن الرجلان كالمقودات من المرأة القريبة من الطريق، التي كانت تبدو أخفّهن وأطولهن وأكثرهن شباباً وجمالاً، وسرن في طريقهن الهادئ من دون أن يقاطعهن شيء في حديثهن المنسجم. بدا المشهد لي لحظتها برهاناً ساطعاً على أن العلاقات المسرحية منظمة وتدار على نحو جيّد.

يوم أمس الأول عند اليهود في مقهى سافوي (ليلة الاحتفال اليهودي Sejdernacht) لفايمان Feimaun. في تلك اللحظات– وهذا ما يؤرق وعيي في هذه اللحظة– لم نتدخل في الحبكة؛ لأننا كنا في غاية الإثارة، وليس لأننا كنا مشاهدين فحسب.

الثاني عشر من تشرين الأول:

أمس، في كتابة ماكس عن يومياته في باريس*. في الظلام شبه الحالك لشارع ريتر، وفي لباسها الخريفي كانت (ر). السمينة الدافئة التي اعتدنا رؤيتها بلوزتها الصيفية ومعطفها الصيفي الأزرق الخفيف، الذي لا تبدو فيه خالية من العيوب؛ لكنه في خاتمة المطاف أسوأ من العري. إنك قادر حقاً على رؤية أنفها الضخم في وجهها الشاحب، وخديها اللذين تستطيع أن تضغط عليهما طويلا من دون أن يحمرا، والشقرة التي تبدو على الخدين والشفة العليا، وغبار السكة الحديدية التائه بين الأنف والخد والبياض الذي يتبدى من بلوزتها الممزّقة.

لكننا اليوم مشينا خلفها باحترام، وعندما كان يجب أن أنصرف عند مدخل أحد البيوت المؤدي إلى شارع فرديناند، لأنني لم أكن حليق الوجه؛ فضلاً عن ثيابي الرثة؛ شعرت نحوها بشيء من بواعث المودة. وعندما أفكر في السبب فإنه يتوجب عليّ القول دائماً: لأن لباسها كان دافئاً.

الثالث عشر من تشرين الأول:

انتقال غير فنّي من الجلد المتوتر لصلعة رئيسي إلى التجاعيد الرقيقة لجبهته؛ إنه تقليد سهل جداً لخطأ الطبيعة. إنّ الأوراق النقدية لا يجوز أن تُصنع على هذه الشاكلة، إنّني أعّد وصف (ر). غير موفق، يجب أن تكون أفضل مما اعتقدت. أو أنّ انطباعي عنها قبل يومين ينبغي أن يكون ناقصاً تماماً، لدرجة أن الوصف يناسبه أو يتفوّق عليه. لأنّني عندما ذهبت إلى المنزل مساء أمس خطر لي هذا الوصف، من غير أن يكون ماكس معي تحديداً، وقد أعددت نفسي لأحكيه له تماماً كما وصفته هنا.

أمس مساء في جزيرة شوتسن لم أعثر على أصدقائي وغادرت المكان فوراً. قمت ببعض الحركة في سترتي القصيرة بوساطة قبعتي الناعمة المجعّدة التي كانت في يدي؛ لأنّ الجو كان بارداً في الخارج وحاراً جداً في الداخل، بسبب أنفاس شاربي البيرة والمدخنين، وعازفي الآلات

الهوائية من الفرقة العسكرية. إن مستوى هذه الفرقة ليس عالياً، ولا تستطيع أن تكون كذلك؛ لأنّ الصالة منخفضة نسبياً، ولأن الفرقة تمتد من نهاية الصالة إلى الحيطان الجانبية. لقد تجّمع هذا الحشد من الموسيقيين في نهاية الصالة وكأنهم فصّلوا على حجمها. لكنّ هذا الشعور بالازدحام أخذ بالتراجع قليلاً في الصالة؛ لأنّ الأمكنة القريبة من الأوركسترا كانت فارغة تقريباً، والقاعة نصف ممتلئة.

استمرّت ثرثرة الدكتور (ك). مدة ساعتين خلف محطة فرانتس يوسف، وكنت أستجديه من وقت لآخر كي يتركني أذهب في حال سبيلي، وشبكت يدي تعبيراً عن نفاد الصبر، وأصغيت إليه أقل ما أستطيع. وقد تبيّن لي أنّ الإنسان الناجح في عمله يغدو لا مبالياً عندما يجد نفسه متوّرطاً في الحديث عن عمله، إنّه يغدو واعياً لبراعته؛ فـثمة تداعيات لكل حكاية؛ بل إنها متعددة في الواقع، وهو يستعرضها جميعها لأنّه عاشها؛ لكنه بسبب العجلة ومراعاته لي، يصمت عن الكثير الذي أدّت أسئلتي إلى بعثرته، لكنها بقيت تذكّره بهذه الحادثة أو تلك، وتريه عمق حضوره في تفكيري، وأنّ لشخصه أثراً رائعاً في الحكايات التي أشار إليها، لأن المسكوت عنه يظلّ أعمق دلالة، غير أنه واثق من إعجابي، لهذا فهو يستطيع أن يشكو، لأنّه رغم سوء حظه ومعاناته وشكه يظل رجلاً جديراً بالإعجاب.

أما معارضوه فهم أناس أكفاء، يستمتعون عندما يكونون موضوعاً للحكي؛ ففي مكتب أحد المحامين الذي يضم أربعة كتاب رئيسيين، دار نقاش كان فيه المعارض الوحيد، وكان موقفه الحديث اليومي لستة محامين. متحدثهم الأفضل هو محام ذكي، وقف معارضاً له، وللمحكمة العليا التي كانت أحكامها رديئة، على ما يظهر، ومتناقضة؛ لقد ألقيت بصوت وداعي كلمة دفاع أمام تلك المحكمة، أما هو فقد قدم البراهين التي لا تستطيع المحكمة دفعها، واضطررنا مراراً أن ننزل إلى الشارع هبوطاً وصعوداً. لقد أبديت دهشتي من سوء هذه المحكمة، عندئذ وضّح لي أسباب حتمية كون الحالة على هذه الشاكلة، وأنه قد أُثقل على المحكمة كثيراً، كيف ولماذا، حسن ينبغي أن أذهب، لكن محكمة الاستئناف أفضل، والمحكمة الإدارية أفضل بكثير... ثم لماذا وكيف.

أخيراً لم أستطع أن أبقى متماسكاً فلجأ إلى محاولة الكلام عن أموري الخاصّة، التي جئت له من أجلها (تأسيس شركة) التي أشبعها حديثاً. آملاً بذلك أن يتمكن من إغرائي للحديث عن حكاياته من جديد. لكنني لوّحت له بيدي بإشارة الوداع، وقلت له شيئاً وهربت، إنّه قاص ممتاز؛ ففي حكاياته نرى التوّسع الدقيق للغة الكتابة ممتزجاً بالأحاديث الشفاهية الحيّة، وهذا يشبه الحديث المرح الذي نراه في حديث اليهود السمينين، الأصحاء مؤقتاً، متوسطي القامة، المملوئين بالإثارة من التدخين المتواصل. إنّ المصطلحات القانونية تمنح الكلام ثباتاً، وتولّد فقرات يصعب عدّها، مما يؤدّي إلى تلاشيها. تطور الحكايات من بداياتها الأولى، وينتج الخطاب والخطاب المضاد الخاص بها. ثم تمزج بملاحظات شخصية ثانوية. ثم إنّ الملاحظات الثانوية التي لا تكاد تلفت انتباه أحد يجيء ذكرها في البداية، ثم تذكر على نحو هامشي، وتوضع جانباً. ثمة رجل، أما اسمه فأمر ثانوي، – أما المستمع فيجتذب ويستجوب في حين يكون الغموض قد بدأ يلف الحكاية التي تجري إلى جانبه. أحياناً يستجوب المستمع بلا جدوى عن حكايات لا يستطيع الاهتمام بها، للكشف عن علاقات تحدّ. أما ملاحظات المستمع المقحمة فلا تقدّم فوراً، وهو أمر يمكن أن يزعج (كوبن)، لكنها توضع باختصار في السياق المناسب لمجريات الحكاية. وبذا يطرى المستمع لأنّه اكتسب حقاً مميّزاً، يتمثل في كونه مستمعاً.

الرابع عشر من تشرين الأول:

أمس مساء في سافوي. (شولاميت Shulamit) غولد فادن Gold fadeu[32]، إنّها أوبرا حقاً؛ لكن كل قطعة منها يمكن أن تسمّى أوبريت. يبدو لي أنّ هذه الأشياء التافهة تشير إلى محاولة فنّية عنيدة وعجولة وحماسية لأسباب خاطئة، تؤدي إلى تقطيع أوصال الفن الأوروبي على نحو اعتباطي تقريباً.

(32) يشير كافكا إلى المسرحي أبراهام غولدفادن (1804–1908)؛ وهو من الذين كانوا يكتبون بالإيديش. أما المسرحية «شولاميت أو ابنة القدس» فقد ظهرت عام 1880.

القصة:

البطل ينقذ الفتاة التي ضلت طريقها في الصحراء (أصلّي لله العظيم القدير)، ورمت نفسها في أحد الآبار بسبب ما عانته من العطش. يتعاهد البطل والفتاة على الإخلاص (عزيزتي، حبيبتي، يا قطعة الماس التي عثرت عليها في الصحراء)، وكان يرقب هذا الحديث قطّة صحراوية حمراء العينين. تعاد الفتاة التي تدعى شولاميت (السيدة ت س) إلى بيت لحم حيث يعيش والدها مانواخ، ويجري ذلك بمساعدة سنغيتانج الخادم المتوحش (أبسالون المتوحش) (ب). يذهب أبسالون إلى القدس ثانية، ويقع هناك في عشق الفتاة المقدسية الثرية أفيغيل (السيدة ك)، وينسى شولاميت ويتزوجها. تنتظر شولاميت حبيبها في بيت لحم، «الكثير من الناس يذهبون إلى أورشليم ويصلون بسلام». «هل يمكن لذلك الشخص النبيل ألا يكون مخلصاً»؟ ومن خلال شحنات عاطفية يائسة بدأت تحضّر ذاتها لاحتمالات شتى، وصمّمت على ادعاء الجنون كي لا يجبرها أحد على الزواج وكي تتمكن من الانتظار. «إن إرادتي حديدية، وقلبي سيغدو قلعة».

صارت الفتاة في هذا الجنون– الذي شرعت بتمثيله منذ عدة سنوات– تتمتع جهراً– على نحو حزين– بذكرياتها مع حبيبها؛ لأن جنونها تمحور حول الصحراء والبئر والقطة. وقد طردت في أثناء جنونها على الفور ثلاثة من خُطّابها، الذين لم يستطع والدها منواخ أن يظلّ سالماً إلا بعد أن قام نظم قرعة لهم: يوئيل غدوني (يو) «أنا البطل اليهودي الأقوى»، أفيدانوف، «مالك الأرض» والراهب الكبير البطن (لوفي) الذي يشعر بالتفوق على الجميع «أعطها لي؛ إنني على استعداد للموت من أجلها».

لقد حلت كارثة بـ(أبسولون)؛ فـقد عضّت قطة صحراوية ابنه الأول فمات، أما الطفل الثاني فوقع في البئر، تذّكر أبسولون خطيئته واعترف لزوجته بكل شيء. «كفى بكاء» «لا تمزق قلبي بحديثك»، «إن كل ما أقوله يبعث على الغثيان». لقد أخذت بعض الأفكار تحاصرهما: هل يعود أبسولون إلى شولاميت؟ ويترك أفيغيل؟ هل تستحق شولاميت الرحمة؟ أخيراً أخلت أفيغيل سراح زوجها. في بيت لحم كان مانواخ ينوح على ابنته «وا أسفاً على شيخوختي». يقول أبسولون، «أما البقية فسأحكيها لك يا أبتي فيما بعد». غاصت أفيغيل في كروم العنب

في القدس، وأما أبسولون فإنّ بطولته ظلّت هي مسّوغه الوحيد.

في نهاية العرض كنا ما نزال نتوقع قدوم الممثل لوفي، الذي أكن له الإعجاب في كل الأحوال، وكان عليه أن يعلن كالعادة: «أعزّائي الضيوف؛ أتقدم إليكم باسمنا جميعاً بالشكر لحضوركم، وأدعوكم من قلبي لحضور الحفل المسرحي غداً إذ إنه ستقدم الرائعة العالمية الشهيرة من تأليف ... إلى اللقاء!» ثم يخرج متباهياً بقبعّته.

وبدلاً من ذلك رأينا كيف أغلقت الستارة بإحكام، ثم ابتعد طرفاها على سبيل التجربة، استمر ذلك مدة غير قليلة. وأخيراً فتحت الستارة، وفي وسطها زر يمسكها، وفي الخلف رأينا لوفي يمشي تحت الأضواء في مقدمة المسرح، وقد أدار وجهه نحونا، نحو الجمهور، وهو يدفع الأذى عن نفسه بيديه، من رجل يهاجمه من الخلف، وفجأة سحب لوفي الستارة كاملة مع السلك الذي يثبتها في الأعلى، لأنه يبحث عبر شيء يمسك به، وأمام أعيننا يحكم الممثل (ب)- الذي مثل دور المتوحش والذي ما زال منحنياً كأن الستارة ما تزال مقفلة- قبضته على لوفي (الجاثم على ركبتيه) من رأسه، ودفعه إلى مقدّمة المسرح. أخذ الناس بالركض على أطراف خشبة المسرح وهم يصيحون «أغلقوا الستارة»، موجهين كلامهم إلى السيدة (ت س) بوجهها الشولوميتي الشاحب، وكانت تقف على نحو يدعو للرثاء، بينما يحاول النادلون الصغار فوق الطاولات والكراسي أن يعيدوا ترتيب وضع الستارة جزئياً.

أما صاحب المِلْك فقد حاول أن يهدأ ممثل الحكومة الذي كانت أمنيته الوحيدة أن يتمكن من الخروج. وفي أثناء عملية التهدئة سمع صوت السيدة ت س: «أنريد أن نعظ الجمهور أخلاقياً من هذه الخشبة؟». إنّ «مكتب رابطة العمال اليهود» (المستقبل) الذي شمل العرض المسرحي في الليلة المقبلة برعايته الخاصة قررّ قبل العرض الذي جرى هذه الليلة عقد اجتماع عام، وفي ضوء ما حدث قرر المكتب أن يدعو لاجتماع غير عادي مدة نصف ساعة، وقد تنّبأ أحد الأعضاء التشيكيين من الجمعية للممثلين في ضوء السلوك الفضائحي لهذه الليلة بالدمار الكامل.

فجأة نشاهد لوڤي الذي كان قد اختفى وكبير النادلين يدفعه بيده وربما بركبتيه إلى الباب، لقد ألقي به إلى الخارج. إنّ كبير النادلين هذا، الذي كان من قبل ومن بعد، يقف أمام أيّ ضيف وأمامنا كذلك كالكلب، بكمامته الكلبية التي تتدلى على فم كبير مغطىّ بالتجاعيد الذليلة إنّ له...

السادس عشر من تشرين الأول:

يوم أمس كان يوم أحد عسيراً. لقد أنذر العاملون جميعهم أبي؛ لكنه استطاع بكلماته الناعمة وإظهاره للمودة واستغلاله الفاعل لمرضه وحجمه وقوته سابقاً، وتجاربه وذكائه أن يكسبهم إلى صفه فرادى وجماعات. المستخدم المهم (ف). طلب وقتاً للتفكير إلى يوم الاثنين، لأنه سبق أن أعطى كلمة لأحد مديرينا الراغبين في الانفصال، وأخذ العاملين معه، في مشروعه التجاري الذي بدا حديثاً... في يوم الأحد كتب كاتب الحسابات أنه لا يستطيع بعد ذلك كله أن يبقى لأنّ (ر) لم يقبل له أن يتخلّى عن وعده.

سافرتُ إلى تسيكوف كي أراه. زوجته الفتية بخدّيها المدوّرين، ووجها الطويل، وأنفها القصير السميك الذي لا يفسد على الإطلاق طبيعة الوجه التشيسكي، معطفها المنزلي طويل جداً، وواسع جداً، تعلوه رسوم وردية ومنقطة. لقد بدا المعطف طويلاً وواسعاً لأن المرأة قامت بحركة سريعة خاصة لتحييني، ولتضع الألبوم على الطاولة بشكل سليم، ولترتب الغرفة بصورة أخيرة، ولتختفي بعد ذلك لتنادي زوجها، دخل الزوج بحركات عجلى مشابهة، ولعله كان يقلد زوجته التي يخضع لها تماماً. كان الجزء الأعلى من جسمه ينحني إلى الأمام بسرعة كالبندول، بينما يقع الجزء السفلي على نحو لافت للنظر خلفه. هذا هو الانطباع عن رجل تعرفه منذ عشر سنوات قلّما رأيته أثناءها، رجل لم تتنبه له إلا قليلاً، ترى فجأة أنك مرتبط معه بعلاقة قوية.

وكلّما قل النجاح الذي أحرزه حواري مع تسيك، لقد وقع في الحقيقة العقد مع (ر)؛ لكنه كان مرتبكاً مساء الأحد من والدي، لهذا لم يتحدث عن العقد ازداد الشبه بين وجهه والقطة.

عند النهاية كنت أتصرّف وأنا في غاية الرضا، لذا بدوت صامتاً بوجهي المائل إلى الطول، وعينيّ الضيقتين، كأنني أتتبع شيئاً مهماً يفوق الوصف. لم أكن في كل الأحوال حزيناً عندما لاحظت ضعف تأثير ذلك فيه، وبدلاً من أن أتركه يخاطبني بنبرة خاصة كان عليّ أن أبدأ بنشاط كي أقنعه. لقد بُدئ الحديث بواقعة أن هناك (ت) آخر يسكن على الجانب الثاني من الشارع، ثم انتهى الحوار عند الباب، وفوجئت بملابسي الخفيفة في الجو البارد، دالّة على آمالي وفشلي النهائي. لقد جعلته يقطع على نفسه وعداً بأن يأتي ليرى والدي بعد الظهر. إنّ مجادلاتي كانت بين الحين والآخر مجرّدة جداً ورسمية. لقد كان من الخطأ أنه لم يجر دعوة زوجته إلى الغرفة.

ذهبت بعد الظهر على رادوتين للاحتفاظ بالكاتب. وافتقدت نتيجة لذهابي اللقاء مع لوفي الذي لم أنقطع عن التفكير فيه.

في العربة: أنف المرأة العجوز المدبّب، وجلدها الغضّ المشدود؛ هل ينتهي الشباب في رأس الأنف، ويبدأ الموت من تلك النقطة؟ الركاب المنزلقو الحناجر يبلعون ريقهم، ويمطون أفواههم دلالة على تقييمهم لمستوى رحلة القطار. تجمّعُ الركاب الآخرين، استعدادهم للجلوس، درجة الحرارة في العربة، دفتر الميزانية الذي أضعه على ركبتي، وينظر إليه بعضهم بين الفينة والأخرى، كأنه شيء لم تكن رؤيته متوقعة في المقصورة؛ كل ذلك غير مؤذ وطبيعي ولا يبعث على الريبة، مع أنهم كانوا يعتقدون أن كل الأمور ينبغي أن تكون أسوأ.

ذهاباً وإياباً في حظيرة السيد (هـ). كلب يضع حافره على رأس قدمي فيجعلني أهتزّ. أطفال، دجاج، بالغون هنا وهناك. ممرضة أطفال تميل على الشرفة* أو تختبئ من وراء الباب، ترغب بي. ولا أدري وهي تتطلع نحوي من أكون؛ هل أنا إنسان لا مبال أم خجول، شاب أم كبير في السّن. وقح أم مؤدّب، هل يداي أمامي أم خلف ظهري، هل أشعر بالبرد أم بالحر، هل أنا مغرم بالحيوانات أم تاجر، هل أنا صديق للسيد (هـ) أم مجرد متّسول، وهل أنا أعلى مستوى هؤلاء المجتمعين الذين يترددون في خط متواصل بين الحانة والمرحاض في أغلب الأحيان أم أنني أبعث على السخرية في ضوء ملابسي الرقيقة، هل أنا يهودي أم مسيحي...إلخ.

الدوران، مسح الأنف، القراءة في دفتر الميزانية، تجنب النظر للشرفة خوف أن أراها فجأة فارغة، مراقبة الطيور الداجنة، تلّقي التحية من رجل آخر، رؤية وجوه الرجال المسطّحة عبر شباك صاحب المنزل وهي منحنية ومتجمّعة، تستمع إلى الخطيب، كل شيء يمكن الاستعانة به. كان السيد (هـ) يغادر الاجتماع بين الفينة والأخرى، وقدْ رَجوته أن يمارس تأثيره في المحاسب الذي أخذه من متجرنا. لحية سوداء بنيّه وذقن غير نام، عيون سوداء، بين العيون واللحية هناك التدرجات السوداء للخدود. إنه صديق، أعرفه منذ طفولتي، والفكرة أنه كان يعمل محمّص قهوة، وكان يصنعها لي على نحو أكثر دكنة ورجولة منه.

السابع عشر من تشرين الأول:

لم أستطع إنهاء شيء لأنّه لا وقت لديّ، والضغط في أعماقي عنيف. عندما يكون اليوم كلّه حرّاً، وهدوء الصباح هذا في داخلي يتمكن من الصعود إلى منتصف النهار، والاستمرار حتى المساء؛ فإنني عندئذ أستطيع أن أخلد إلى النوم. يتبقّى لهذا القلق ساعة غسق مسائية على الأرجح. وهي تشتّد، ثم تقمع، لكنها تفسد عليّ الليل كلّه على نحو ظالم وبلا فائدة. هل سأصمت كثيراً. وهل ثمة غاية لهذا الصمود؟ وهل سيكون عندي وقت لذلك؟

عندما أتأمّل هذه النادرة: نابليون على المنضدة الملكية في إيرفورت يقول: عندما كنت مجرّد ضابط في الفوج الخامس، ينظر أصحاب السمو إلى بعضهم مندهشين؛ فيصحّح نابليون عبارته: عندما كان لي الشرف أن أكون مجرّد ضابط. عندما أتأمل هذه النادرة تمتلئ الشرايين في عنقي بالكبرياء التي أستشعرها بسهولة معه، والتي تجري فيّ نيابة عنه.

مرة ثانية في رادوتين: ذهبت وحدي مقشعراً من البرد، أتمشّى حول الحديقة. لمحت في إحدى النوافذ المفتوحة مربّية الأطفال التي تمشّت معي على هذه الجهة من المنزل.

العشرون من تشرين الأول:

كتابة ماكس عن باريس وهو في الثامنة عشرة؛ لقد كتب عنها على نحو رديء، من دون أن يتمكن من الوصول حقيقة إلى حرّية الوصف الصادق، التي تحرّر قدم المرء من التجربة. لقد كنت غبيّاً بعد التصعيد يوم أمس الذي انتهى بمحاضرة لوڤي. لم أكن في أثناء النهار في حالة توّقد ذهني؛ فذهبت مع ماكس لنلتقي أمّه القادمة من غابلونتس. كنت معهم في المقهى، ثم مع ماكس الذي أدّى لي رقصة غجرية من «فتاة من بيرث»، وهي رقصة يجري فيها على امتداد صفحات طويلة هزّ الورك بلطف في إيقاع رتيب، ويكون للوجه ملامح ودودة وهادئة. أما على مشارف النهاية وعلى نحو مختصر ومتأخر فتظهر النزوات الداخلية المتوحشة؛ فتهزّ الجسد، وتقهره وتضغط اللحن، ليضرب في الأعماق والمرتفعات، نستمع خلاله إلى نغمات غير عادية ومرّة ومملّة، لتصنع نهاية غير جديرة بالانتباه.

في بداية الرقص ثمة اقتراب شعوري من صميم الروح الغجرية، لا تخطئه العين، لأنّ شعباً متوحشاً كهذا الشعب يسعى كي يبيّن روحه الهادئة لأصدقائه، انطباعي عن الحقيقة الكبرى للرقصة الأولى. شرعت بعد ذلك أتصفح «ملاحظات نابليون»: ما أسهل أن يغيّر المرء مدة معيّنة، جزءاً من تصورّه الذاتي الرهيب عن نابليون! ذهبت على المنزل وأنا أكاد أغلي، غير قادر على مقاومة أيّ فكرة من الأفكار، غير منظم، مفعم بالمشاعر، في حالة فوضى، منتفخ من أثاثي الذي كان يدور من حولي، مغمور بآلامي وقلقي، أتحرك في أوسع مكان ممكن. فقد كنت على الرغم من ضخامتي، عصبيّاً. دخلت قاعة المحاضرات، وجلست على نحو مؤدّب، وهي طريقة في الجلوس يستطيع المشاهد من خلالها أن يعرف حالتي فوراً.

قرأ لوڤي مقاطع هزلية من قصة (شلوم عليخم)[33]، ثم قصة لبيرتس zereP[34]، و «بائعة النور»، لروزن فلد Rosenfeld، وقصيدة لبياليك Baialik[35]، إلى النقطة التي توقف عندها

(33) هي قصة قصيرة للكاتب اليهودي الروسي شوليم رابينوفيتش (1859–1916).

(34) يشير كافكا إلى الأديب البولندي اليهودي إسحق لايب بيرتس (1852–1915).

(35) يشير كافكا إلى حاييم ناحوم بياليك الشاعر اليهودي الذي كان يكتب بالعبرية، وهو أكراني الأصل (1873–1934).

صاحب النص الذي ترجم نصّه الأصلي من العبرية إلى لغة الإيديش، كي تحظى بمزيد من الانتشار، وهي عن المذبحة المنظمة لليهود في كيشينيف، التي أسهمت في تدعيم القضية اليهودية. كانت عيون الممثل تتسع على نحو طبيعي مراراً، وقد تركها على هذا النحو مدة من الزمن، وكانت حواجبه المقوسة تشكل إطاراً لها.

الحقيقة الكاملة للمحاضرة:

الضعيف يرفع الذراع اليمنى من الكتف. تعديل النظارة الأنفية التي تبدو كأنها مستعارة لهذه المناسبة ولا تناسب حجم الأنف. وضع الرجل أسفل الطاولة، ومدّها بحيث يكون المفصل الضعيف الذي يفصل الجزء العلوي عن السفلي من الساق في حركة مستمرة. انحناء الظهر ضعيف وهزيل. فالظهر، ليس كالوجه، لا يستطيع خداع المشاهد، عن طريق العيون وتجاويف وبروز الخدّين، أو أيّ لحية مهما كان حظها من البساطة. بعد المحاضرة شعرت وأنا في طريقي إلى البيت بتركيز في قدراتي، لهذا شكوت ذلك لأخواتي ولوالدتي في المنزل.

في التاسع عشر من تشرين الثاني عند الدكتور ك بشأن المصنع. العداوة النظرية البسيطة التي تنشأ في العادة بين الأطراف الموقّعة للعقود عندما توقع. الطريق التي كانت عيناي تبحثان فيها عن وجه (هـ) الذي كان ينظر في هذه الأثناء إلى الدكتور. لقد دأبت هذه العداوة على الظهور بين إنسانين لم يتعودا التفكير بماهيّة العلاقة المتبادلة بينهما، لهذا يصطدمان عند كلّ مسألة صغيرة.

اعتاد الدكتور (ك) أن يمشي على نحو مائل متوتراً من أعلى الصالون إلى أسفله، هازاً الجزء العلوي من جسده إلى الأمام. وفي أثناء ذلك يسرد حكاية، وينفض رماد سجائره خلال ذلك المشي المائل في منافض السجائر الثلاث الموزّعة في الغرفة.

هذا الصباح في شركة (ن.ن.) الطريقة الجانبية التي يتكئ بها الرئيس على كرسّيه، لينال مكانة ودعماً لحركات يديه ووجهه، يربط أحياناً بين الطرفين، إمّا من خلال النظر إلى يديه أو تقريبهما إلى وجه المستمع لإراحته. أنغام الهيكل في إيقاع حديثه، ينتقل النغم من إصبع إلى

إصبع ولاسيما عندما يبدأ بإحصاء بعض النقاط وكأنه ينتقل من سجل لآخر. تقابل بعد ذلك مع أبي في غرابن بحضور السيد (ب. ر)، الذي رفع يده إلى الأعلى، ليتراجع الكمّ قليلاً (حتى وهو لا يرغب في سحبه إلى الأعلى) وهناك في وسط غرابن نفذ حركات الشد العنيفة، وفتح يده ليتركها تسقط بأصابعها المتباعدة.

إنني مريض في الغالب؛ فمنذ أمس وجسدي كلّه يحكّني. أمّا وجهي فكان ساخناً تماماً بعد الظهر، ومملوءاً بالبقع، لدرجة أن من يقص شعري ويراني ويرى صورتي في المرآة يدرك أنني أعاني من مرض خطير. أما الاتصال بين فمي ومعدتي فقد ساء نسبياً؛ فثمة غطاء بحجم الخلدر (العملة الهولندية) يتحرك إلى الأعلى أو إلى الأسفل، أو يستقر في الأسفل، ومن هناك يمارس الضغط الخفيف الذي يتجه تأثيره نحو صدري في الأعلى.

المزيد عن رادوتين:

دعوتها للنزول، كان ردّ فعلها الأول رزيناً، مع أنها بصحبة الفتاة التي تثق بها كانت قد قهقهت وغازلت من الجانب الآخر على نحو لم تتجرأ عليه منذ أن تعارفنا. بعد ذلك ضحكنا كثيراً معاً، مع أنني وأنا في الأسفل، كنت أرتجف من النافذة، في حين تقف هي على النافذة في الأعلى. كانت تضع صدرها على ذراعيها المتشابكتين، وركبتاها منحنيتان، وتتكئ بكامل جسدها على النافذة. كانت في السابعة عشرة من عمرها وتعتقد أنني ما بين الخامسة عشرة إلى السادسة عشرة*، ولم أتمكن من إقناعها بتغيير رأيها في أثناء حديثنا كلّه. أنفها الصغير كان ينحدر قليلاً، ويرمي ظلاً غير عادي على خدها، سيصعّب قدرتي في التعرّف إليها ثانية. لم تكن من رادوتين، وإنما من تشوتشل (المحطة التالية في الطريق إلى براغ)، وهو أمر لا ترغب في نسيانه إطلاقاً. بعد ذلك تمشيت مع الكاتب الذي كان سيبقى في متجرنا حتى لو لم أسافر إليه، كان مشينا في الظلام، خارج البلدة على الطريق العام، لنعود بعد ذلك إلى محطة سكة الحديد. على أحد جوانب الطريق، ثمة تلال قاحلة، تستغل لتزويد مصنع الإسمنت بالرمال الجيرية، وطواحين قديمة، وبقايا شجرة صور سامقة، اقتلعها الإعصار من جذورها.

وجه الكاتب:

عجينة كاللحم المحمّر على عظام قويّة، يبدو متعبا؛ لكنه قوي ضمن حدوده، لم يظهر عليه الاستغراب، حتى في صوته، لأننا نتمشى هنا. قمر منير فوق الحقل الكبير، والدخان الصاعد من المدخنة يشبه الغيوم في الضوء. أما الحقل الواقع إلى يمين البلدة فقد اشتري حماية للمصنع، وترك من دون أن يستخدم في الوقت الحالي. وقد أحيط ببنايات الشركة القوية المضاءة جزئياً بالكهرباء. صفّارات القطار، عراك الجرذان قرب الطريق التي عبّدتها أقدام أهل البلدة، على الرغم من رغبة المصنع.

أمثلة على القوّة التي منحتني إيّاها هذه الكتابة المبتذلة: كنت يوم الاثنين الماضي الموافق للسادس عشر مع لوفي في المسرح القومي لنشاهد ثلاثية من دون بروفنيكا*. العمل والعرض كانا يبعثان على اليأس.

من الفصل الأول: أتذكر الرّنة الجميلة لجرس المدفأة، أداء الفرنسيين القادمين من خارج النافذة للنشيد الوطني الفرنسي، تكرار الأغنية الباهتة من قادمين جدد؛ فتاة ترتدي السواد تحمل ظلّها خلال عرق الضوء الذي ألقته الشمس في الأعلى على صالة المسرح، عنق الفتاة الناعم، الذي يصعد من بين كتفين عليهما زيّ يجمع بين الأحمر والبنيّ، ويتسّع من بين الأكمام المنتفخة، ويمتّد إلى رأسها الصغير. في الفصل الثالث سترة القيصر المسحوق، الصدرية المبهرجة الداكنة، مع سلسلة الساعة المذهبة التي تنحدر قطرياً على صدر سليل الأمراء. ليس هناك الكثير. المقاعد كانت مرتفعة الثمن. لقد رميت أنا المتبّرع الفقير، المال هنا، بينما كان هو في أمسّ الحاجة. أخيراً شعر بالملل أكثر مني. وباختصار فقد برهنت على سوء الحظ الذي يلاحقني في كلّ مهّمة أؤديها وحدي. وبينما كنت أتماهى مع سوء الحظ على نحو غير قابل للتجزئة، كانت حالات سوء الحظ السابقة تهبط عليّ، واللاحقة تنجذب نحوي، وقد كنت آنذاك شبه مستقل. أتحمل كلّ شيء بسهولة كأنه يحدث مرة واحدة، وشعرت للمرة الأولى في المسرح بأنّ رأسي هو رأس مشاهد، يرتفع عالياً خارج الظلام المحتشد للمقعد. وأنّ جسدي في إطار ضوء متميز، مستقل عن المناسبة السيئة لهذه المسرحية وهذا العرض.

مثال ثان: أمس مساءً قدمت بيدي لزوج أختّي في مارين غاسه في الوقت ذاته، شهادتي المهارة، وكأنهما يدان يمناوان، وكأنني الشخص الشبيه.

الحادي والعشرون من تشرين الأول:

مثال مضاد: عندما يتشاور رئيسي معي حول أمور العمل– كان محور حديث اليوم هو خزانة الملفات؛– فإنني لا أستطيع التحديق طويلاً في عينيه، من دون أن تظهر في عينّي على الرغم مني مرارة خفيفة تجبرني أو تجبره على أن يصرف كلّ منا نظره بعيداً. يشيح بنظره لفترات أقصر، لكنّها تتكرّر أكثر مع كلّ مسوّغ للنظر بعيداً، ربما لأنه لا يعرف السبب، لكن نظره يعود حالاً؛ لأنه يعتقد أن الموضوع كلّه ليس أكثر من تعب مؤقت في عينيه. إنني أحمي نفسي من ذلك بطريقة أقوى، وذلك النظر بطريقة متعرّجة. والنظر إلى امتداد أنفه، وظلال خديه، وأبقي وجهي باتجاهه بمساعدة أسناني ولساني في داخل فمي المغلق، وأغض بصري عند الضرورة حتى لا تلتقي عينانا، لكن نظري لا ينخفض إلى مستوى أدنى من ربطة عنقه، وعندما يشيح ببصره أنظر إليه مباشرة، وأتابعه بدّقة ومن دون أي اهتمام.

الممثلون اليهود:

للسّيدة تشيسك نتوءات على خدّيها بالقرب من فمها، وقد تشكل معظمها من خلال خديها المجوفين بسبب آلام الجوع والولادة والسفر والتمثيل، ومن خلال العضلات المرهقة إلى حدّ ما، التي كان عليها أن تطوّرها لتتلاءم مع حركات ممثلة بحجمها، لها في الأصل فم ثقيل. وعندما كانت شولاميت تفك لها شعرها، الذي يغطي خديها، كان وجهها يبدو وكأنه وجه صبّية تنتمي إلى العصر الغابر. إنّ لها جسداً قوّي العظام معتدل القوّة، ومتماسكاً. مشيتها تبدو سهلة وأكثر احتفالية؛ لأنها تعودّت أن ترفع ذراعيها وأن تمدّهما، وأن تحركهما ببطء. وعندما غنّت النشيد القومي اليهودي على وجه الخصوص فإنّها هزت وركها الكبيرة بلطف، وحركت

ذراعيها بموازاة وركها المنحنية إلى الأعلى وإلى الأسفل، بيدين مكورّتين وكأنها تلعب كرة الطائرة ببطء.

الثاني والعشرون من تشرين الأول:

أمس عند اليهود. «كول نيدري» من تأليف شاركانسكي Scharkansky، مسرحية رديئة تقريباً، وإن حَوَتْ مشهداً هزلياً بارعاً لكتابة رسالة. صلاة العشاق وهم يقفون جنباً إلى جنب بأيد متشابكة. استناد المحقق الكبير المتهوّد على غطاء التابوت المذّهب الذي يحوي الألواح المقدّسة. يصعد الدرجات ويظلّ واقفاً هناك، رأسه محني، شفاهه قبالة الغطاء، يحمل كتاب الصلاة وأسنانه تصطك.

للمرة الأولى في هذه الأمسية الرابعة، يتكوّن لدى قصوري المؤكّد، انطباع واضح والمسؤول عن ذلك هم شركتنا الكبرى وزوار منضدة شقيقتي. ومع ذلك فلم يكن من المسّوغ أن أبدو ضعيفاً على هذه الشاكلة. فبفضل عشقي للسيدة ت– الذي يعود الفضل فيه إلى ماكس الذي يجلس بجانبي– أخذت أتصّرف ببؤس؛ لكنني سأتخطى ذلك فقد صرت أشعر بشيء من التحسن.

تحبّ السيدة تشيسك (التي أستمتع كثيراً بكتابة اسمها) أن تحني رأسها على المنضدة حتى وهي تأكل الإوزّة المشوية. إنّك تظن أنه يمكن لنظرك أن يرى ما تحت جفونها؛ فإذا نظرت بحذر على امتداد خدّيها، وتصاغرت بعد ذلك لتنزلق تحت جفونها؛ فإنك ستلحظ أنّ جفونها لا تحتاج إلى من يرفعها؛ فهي مرفوعة أصلاً، وينبعث منها ومضة زرقاء تغريك بالتجربة. ومن تصرّفاتها الصادقة، تزدهر قبضة يدها، ويدور ذراعها الذي يبرز تجعيدات غير مرئية على جسدها، وتضع أصابعها المفتوحة على صدرها، لأن الصراخ البسيط لا يكفي.

إن تمثيلها غير متنوع: النظرة الخائفة من الخصم، والبحث عن طريق للهروب عن الخشبة الصغيرة، والصوت الناعم الذي يغدو بطولياً، عندما يرتفع قليلاً، وبمساعدة رنين داخلي، والبهجة التي تنتشر في تقاسيم وجهها من جبهتها العليا إلى شعرها، والاعتماد على الذات

عندما تغني على نحو منفرد، والاستغناء عن الوسائل الأخرى، واحتفاظها بقامة منتصبة حين تقاوم إجبار المشاهد لها على أن تهتم بجسدها لا أكثر. وهنا تكمن الحقيقة الشاملة، التي لا يمكن لأحد أن ينتقص شيئاً من تأثيراتها، وهي مستقلة عن التمثيل وعنّا معاً.

إنّ التعاطف الذي نبديه لهؤلاء الممثّلين الممتازين، الذين لا يأخذون أجوراً عالية، ولا يحصلون على مجد أو ثناء؛ هو في واقع الأمر تعاطف مع المصير التراجيدي للطموحات النبيلة ولاسيما طموحاتنا. لهذا فهو تعاطف بالغ القوة وإن بدا مرتبطاً بأناس غرباء؛ فـهو يخصّنا في الحقيقة. ومع ذلك فأنا وثيق الصلة بالممثّلين، ولا أستطيع فصم عرى العلاقة بيني وبينهم، ولأنني أدرك بوعي ذلك؛ فإنّ علاقتي تزداد وثاقة بهم. النعومة الظاهرة لخديّ السيدة تشيسك، إلى جانب فمها العضلي، ابنتها الصغيرة غير المتناسقة الشكل. أمضيت، مع لوڤي وشقيقتي ثلاث ساعات ونحن نتمشى.

الثالث والعشرون من تشرين الأول:

إنّ واقع الممثّلين لا يكفّ على نحو متواصل عن إقناعي– وهذا ما يزيد رعبي– أنّ غالبية ما كتبته عنهم إلى الآن كان خاطئاً. إنّه خاطئ لأنني كتبته عنهم من منطلق حب الثبات، حتى ما أدّونه اللحظة سيكون خاطئاً، لكنّ قوة التحوّل التي أكتب بها عنهم، وهذه القوة عموماً، لا تصطدم مع الممثل الحقيقي، بصوت مرتفع وعلى نحو سليم؛ بل إنها تفقد على نحو باهت، طبيعتها لصالح ذلك الحب، الذي لا يمكن له أن يرضى عن تلك القوة، لهذا يفكر بحماية الممثلين بوساطة منعها من ممارسة ذاتها.

شجار بين تشيسك و لوڤي:

تشيسك: إنّ إيدل شتات Edelstatt هو الكاتب اليهودي الأكثر أهميّة. إنّه من أصحاب الأدب الرفيع. أما روزن ڤيلد فهو الآخر كاتب كبير؛ لكنه ليس الأول بطبيعة الحال.

لوفي : تشيسك اشتراكية، ولأنّ إيدل شتات يكتب قصائد اشتراكية، فهو محرّر صحيفة يهودية اشتراكية في لندن؛ فإن تشيسك تعدّه الكاتب الأعظم. لكن من هو إيدل شتات؟ إنّ أعضاء حزبه هم الذين يعرفونه لا أكثر. ولا أحد غير ذلك الحزب، لكنّ العالم كلّه يعرف روزن ڤيلد.

تشيسك: إنّ المسألة لا علاقة لها باعتراف العالم؛ فإنّ كلّ ما يكتبه إيدل شتات هو من الأدب الرفيع.

لوفي : إنني مطلّع على أدبه تماماً. إنّ كتابه «المنتحر» Selbstmocrder مثلاً هو عمل متميّز.

تشيسك: ما فائدة الجدال، نحن لن نتفق، إنني سأبقى حتى الغد، أكرّر رأيي، وأنت كذلك.

لوفي : أما أنا؛ فسأظل أكرره حتى بعد الغد.

تزوّجت غولدفادن من رجل مبذّر، حتى وهو يعيش في حالة عوز شديد. لقد سرق أكثر من مئة عمل، وحولها إلى أغنيات شعبية ذات طابع ديني. لقد صار الشعب كلّه يكررها. الخياط في عمله (يقلدها)، والخادمة ...إلخ.

إنّ الشّجار كما تقول تشيسك في غرفة صغيرة للخياطة كهذه الغرفة مسألة لا يمكن تجنّبها؛ فالمرء يأتي من خشبة المسرح مستثاراً، ولمّا كان كلّ واحد يعدّ نفسه الممثّل الأكثر أهمّية؛ فإنّه لا يكتفي بأن يتشاجر مع الشخص الذي يدوس على أطراف قدمه على نحو لا يستطيع تجنبه؛ بل إنه على أتم الاستعداد للدخول في معركة كبرى. وبالمقابل ففي وارسو خمسة وسبعون محلاً للخياطة صغيرة ومستقلة وكلّها مضاءة.

في الساعة السادسة التقيت الممثلين في مقهاهم متحلقين حول منضدتين، ومنقسمين إلى مجموعتين متخاصمتين. على منضدة مجموعة تشيسك كان كتاب بيرتس، الذي كان لوفي قد أغلقه للتو، ونهض استعداداً للذهاب معي.

حتى العشرين من عمره كان لوڤي بوخيّا Bocher[36] قد تعلّم وأنفق أموال أبيه الذي كان ميسور الحال. كان مجتمع الشباب الأتراب يومها يتجمعّون يوم السبت في حانة مغلقة، يرتدون القفطان ويدخنّون، ويخرجون على وصايا السبت اليهودي.

«النسر الكبير» الممثّل الإيديشي الأكثر شهرة من مدينة نيويورك، والمليونير الذي كتب له غوردن Gordin[37] «الإنسان المتوحش» الذي رجاه لوڤي في كارلسباد ألا يحضر للتمثيل إلى هناك؛ لأنّه لا يمتلك الشجاعة للوقوف أمامه على هذه الخشبة الرديئة التجهيز للتمثيل. نحن نحتاج مسرحاً حقيقياً، وليس هذه الخشبة التعيسة التي يصعب التحركُ فوقها. كيف نستطيع تمثيل «الرجل المتوحش»؟ إنك تحتاج من أجلها إلى ديوان؟ لقد كانت رائعة في القصر الكريستالي في ليبزج. هناك يمكن فتح النوافذ. فتشرق الشمس، ولو احتجت العرش فالعرش موجود، لقد سِرْتَ نحو الجماهير، وكنت ملكاً حقيقياً. من السهل أن تمثّل هناك؛ أما هنا فكل شيء يربكك.

الرابع والعشرون من تشرين الأول:

تشتغل الأم طيلة النهار، وهي مرحة وحزينة كيفما اتفّق من من دون أن تستفيد من ذلك العمل في ظروفها الخاصة على الإطلاق. صوتها فاتح، وهو مرتفع قياساً إلى الحديث المعتاد؛ لكنك تجده جميلاً عندما تكون حزيناً، وتتمكن من الاستماع إليه بعد مدّة.

منذ أمد طويل وأنا أشكو أنني دائم المرض، وإن لم يكن لديّ مرض محدّد، يرغمني على البقاء في السرير. وسبب هذه الرغبة يعود في الأساس إلى أنني أعرف كيف تستطيع أمي أن تريحني عندما تأتي من غرفة مضاءة إلى عتمة غرفة المريض، وعند المساء عندما يأخذ النهار يلج في الليل على نحو رتيب؛ فهي تعود من العمل بقلقها وتعليماتها السريعة؛ فتعطي الفرصة للنهار

(36) يستخدم كافكا كلمة يوصف الألمان بها على المستوى الشعبي في أوروبا وهي من الكلمة Boche.

(37) يشير كافكا إلى يعقوب ميشويلوفيتش غوردن اليهودي من أصل أوكراني (1853–1909). أما مسرحيته المشار إليها فقد ظهرت عام 1893.

كي يبدأ من جديد، ويساعدها في تسلية المريض.

لقد أكنت أرغب في ذلك مراراً؛ لأنّ هذا يعني أن أكون ضعيفاً ومقتنعاً، بكل ما تفعله أمّي، وأستطيع الاستمتاع بسرور طفولي في أكثر سنوات العمر حماسة للمسّرة. أمس تبادر إلى ذهني أنني ما أحببت أمّي كما تستحق، وكما أستطيع، لأنّ اللغة الألمانية تحول بيني وبين ذلك؛ فالأم اليهودية ليست (Mutter) لأن تسميتها على هذا النحو تجعل الأمر شبيهاً بالنكتة (ليست الأم بحد ذاتها؛ بل لأننا في ألمانيا)؛ فـنحن نطلق على الأم اليهودية اسم الأم في الألمانية Mutter وننسى التناقض الموغل في المشاعر كثيراً؛ فكلمة حُمْ لليهود هي ألمانية على نحو خاص، لذا فهي تحوي على نحو غير واع إضافة إلى إشراقها المسيحي، برودتها المسيحية أيضاً. إنّ الأم اليهودية التي تدعى Mutter لا تبدو مضحكة فحسب؛ بل غريبة. «ماما» هو الاسم الأفضل، ولكن عندما لا يتخيل المرء وراءه كلمة Mutter. إنّ ذكريات الجيتو في اعتقادي هي وحدها القادرة على حماية العائلة اليهودية؛ لأن كلمة الأب Vater هي الأخرى بعيدة عن المعنى اليهودي لكلمة الأب.

اليوم وقفت أمام المستشار الذي سألني عن مرضي على نحو غير متوقع، ومتطفّل، وطفولي وكاذب وسخيف، الأمر الذي أفقدني الصبر. لم نتحدث منذ وقت طويل. أو لعلنا لم نتحدث على الإطلاق بهذه الحميمية من قبل. وشعرت أنّ أجزاءً من وجهي– الذي لم يكن قد تأمله من قبل بمثل هذه الدقة على الإطلاق– تتكشف عن صراحة زائفة يصعب عليه استيعابها، لكن ذلك لم يفاجئه على الرغم من هذا. لقد كنت غير قابل للإدراك أمام نفسي؛ لكنني أعرفه على نحو دقيق.

السادس والعشرون من تشرين الأول:

الخميس. لقد أمضى لوڤي بعد ظهر أمس كلّه وهو يقرأ «الله، الإنسان، الشيطان»[38]

(38) ظهر هذا الكتاب عام 1900.

*لغودرن، ثم شرع بعد ذلك يقرأ من يومياته الباريسية (يوميات لوڤي). أمس الأوّل شاهدت عـرض «الإنسـان المتـوحش» لـغـودرن، إنّ غـودرن أفضـل مـن لاتـاينر وشـاركـانسـكـي وفايمان...الخ. لأنّ لديه الكثير من التفاصيل، والكثير من النظام والكثير من التسلسل المنطقي في هذا النظام؛ لكنه يعاني من نقص اليهودية التي اعتادت أن تظهر على نحو مرتجل في المسرحيات الأخرى، وصخب هذه اليهودية يدقّ بخفوت وبتفصيلات أقلّ. لقد حظي الجمهور على كل حال بامتيازات؛ لكنّ المرء يظن أحياناً أنّ عليه أن يشرئب بعنقه ليرى المسرحية من فوق رؤوس جمهور المسرح اليهودي في نيويورك (شخصية الرجل المتوحش؛ القصة الكاملة للسيدة زلده)، لكنّ الأسوأ أنّ ثمة امتيازات ملموسة قد صنعت لهذا الفن المجسّد؛ فعلى سبيل المثال تنمو الحبكة في «الرجل المتوحش» بوصفها نتيجة للتردد، كما أنّ «الرجل المتوحش» يوجه أحاديث غامضة على المستوى الإنساني، وخشنة على المستوى الأدبي لدرجة أنّ المرء يفضل إغلاق عينيه كما تفعل المرأة المتقدمة في العمر في «الله، الإنسان، الشيطان». إنّ حبكة «الرجل المتوحش» حيوية في بعض أجزائها، إذ تتزوج امرأة شابة من رجل عجوز له أربعة أطفال، وتدخل عشيقها ڤلاديمير ڤوروبايشيك إلى عالم ذلك الزواج حالاً... لكنّ العائلتين تنهاران، شموئيل لايبليش (بييز) يضطر لدفع أمواله ويصاب بالمرض، سيمون الابن الأكبر (كلوغ) طالب، يغادر المنزل، الإسكندر يصير مقامراً وسكّيراً، ليزي (تشيسك) تصبح مومساً، وليميخ (لوڤي) الأبله يساق إلى الجنون الأحمق بسبب الحقد، لأنّ السيدة زلده تحلّ مكان أمّه، وبسبب الحبّ لأنّها أوّل امرأة شابة يشعر بأنّها قريبة منه. وهنا تصل الحبكة ذروتها بقتل ليميش للسيدة زيلده، أما الباقي فيبقى ناقصاً وعاجزاً في ذاكرة المشاهدين، إنّ اختراع هذه المرأة وعشيقها– وهو اختراع لا يهتم برأي أحد– منحني لوناً من الثقة الذاتية الغامضة المغايرة.

الانطباع المتحفظ لبرنامج العرض المسرحي:

لا يكتفي المرء بالحصول على الأسماء؛ بل إنّ معلوماته هي أكثر بقليل مما يعرفه الجمهور

الطيّب المتحمّس عن أسرة وضعت ذاتها أمامهم ليحكموا عليها، شموئيل لايليش «تاجر غني»، ولم يزعم أحد أنه عجوز ومريض، وزير نساء سخيف، أب رديء، وأرمل عديم الاحترام لذكرى زوجته، لذا تزّوج في الذكرى السنوية لوفاتها. إنّ هذا الوصف هو أكثر دقّة من برنامج العرض المسرحي، لأن (لايليش) لن يكون غنيّاً في خاتمة المسرحية؛ فالسيدة زلده سرقته، وبقي بالكاد تاجراً، لأنّه أهمل تجارته. أمّا سيمون في برنامج العرض المسرحي فهو (طالب) وهو أمر غامض جداً، لأنه يتشابه بذلك مع الكثيرين من أبناء معارفنا البعيدين، أما الإسكندر الشاب فهو عديم الشخصية، وهو اسكندر ليزي؛ الفتاة المحبة للبقاء في المنزل، التي لا نعرف عنها غير كونها ليزي. أما ليميش فهو أبله لسوء الحظ، وهو أمر لا يمكن إخفاؤه، أما ڤلاديمير ڤوروبايشيك فهو «عاشق زليدر» لا غير، وليس مدمر أسرة، أو كحولياً، أو مقامراً، أو عاطلاً، أو طفيلياً. إنّ تسميته «عاشق زلدر» يفصح عن الكثير، مع أخذ سلوكه بالحسبان، وهذا أقل ما يمكن أن يقال. وفوق ذلك فإنّ الأحداث تجري في روسيا، كما أنَّ الشخصيات التي جمعت بصعوبة هي بين أن تكون متوزعة على مساحة شاسعة، أو متجّمعة في نقطة صغيرة غير معروفة هناك، باختصار لقد غدت المسرحية مستحيلة، وليس في إمكان المشاهد أن يرى منها شيئاً.

ومع ذلك فقد بدأت المسرحية، وأخذت الطاقات الكبرى الظاهرة للمؤلف تعمل؛ فتظهر أشياء لا يكاد برنامج العرض المسرحي ينبئ عنها، لكنها تأتي بثقة، كما لو أن المرء يحث نفسه ليثق بالجَلْد والخطف، والضرب والدق على الكتف، وقطع الأعناق، والعَرَج، والرقص بالحذاء الروسي الطويل، والرقص بالتنورات المرفوعة، والتدحرج على الكنبة، بوصفها أشياء لا يمكن للمرء مقاومتها. وعلاوة على ذلك فإنّ لحظة الذروة في إثارة المشاهد التي يتذكرها المرء لاحقاً ليست ضرورية كي يدرك المرء أنّ الانطباع الرصين الذي صنعه برنامج العرض المسرحي هو انطباع زائف، يمكن أن يصدر عن مشاهد بعيد مرهق، لأن من يحكم بأمانة لا يستطيع أن يرى علاقة مستقيمة بين الإعلان والأداء.

على عجلة بدأت وفي حالة يأس كتبت. وبالنظر لكونهم يلعبون الورق بضجة غير عادية؛ فكان ينبغي أن أجلس إلى منضدة عامة في حين أن (أو) يضحك على اتساع فمه، ينهض،

يجلس، يمدد جسمه على امتداد الطاولة، يتحدث معي، وأنا – حتى تكتمل المأساة– أكتب على نحو رديء، ويتوجب عليّ أن أفكّر بمشاعر غير متقطّعة عن ذكريات لوڤي الباريسية، التي تصدر عن نار مستقلة، بينما أعيش على نحو رئيسي في هذه اللحظة على الأقل، تحت تأثيرات ماكس تماماً، التي تبلغ الذروة، وتفسد علي الاستمتاع بعمله، ولأنّ ذلك يواسيني فإنني أكتب الآن ملاحظات سير ذاتية عن شو Shaw[39]، مع أنها في واقع الأمر تجيء نقيضاً للتعزية: عمل وهو صبي متدرباً في مكتب عقاري بلندن؛ لكنه سرعان ما ترك العمل هناك وسافر إلى لندن وأصبح كاتباً. في السنوات التسع الأولى، وتحديداً بين عامي 1876 و 1885 لم يتجاوز دخله مئة وأربعين كروناً. «لقد كنت شاباً قوياً، أما عائلتي فكانت ترزح تحت وطأة ظروف بائسة، لم أرم نفسي في معترك الحياة، لقد رميت بأمي إلى ذلك المعترك، وجعلت اعتمادي عليها، ولم أكن لوالدي العجوز دعامة على الإطلاق؛ بل لقد كنت، على خلاف ذلك متعلّقاً بذيل معطفه، في الختام إن هذا عزاء لي. إنّ السنوات الحرّة التي أمضاها في لندن قد انقضت بالنسبة لي؛ فالسعادة الممكنة تغدو تدريجياً مستحيلة، لقد عشت حياة رهيبة ومصطنعة، وأنا أكثر جبناً وتعاسة من أن أتبع شو وهذه هي الفقرة التي قرأتها لوالديّ. كيف تومض هذه الحياة الممكنة أمام عيني بلون الفولاذ، بامتداد قضبان الفولاذ، وظلام هوائي يتحرك بينهما؟»

السابع والعشرون من تشرين الأول:

حكايات لوڤي ويومياته: وكيف أثار نوتردام الرعب فيه، وكيف أمسك النمر به في ياردن دس بلانتس. كلون من التصوير لليأس والأمل، الذي يداعب يأسه وأمله بالتهام الطعام. كيف يتخيّل أنه يستشير والده الورع، إن كان يجوز له أن يتمشى يوم السبت، وإن كان يملك الوقت الكافي لقراءة كتب حديثة، وإن كان يسمح له بالأكل أيام الصوم، مع أنه مضطر للعمل يوم السبت. وليس لديه وقت على الإطلاق، ويصوم أطول مما يفرضه أي دين، وعندما كان يتمشى في الشارع وهو يمضغ رغيفه الأسود كان يبدو من بعيد كأنه يأكل الشوكولاته.

(39) الإشارة إلى جورج برناردشو (1856–1950).

العمل في مصنع القبّعات، وصديقه الاشتراكي الذي يعد كل واحد برجوازياً، ولا يعمل بالدقة التي يعمل بها هو؛ فعلى سبيل المثال: لوفي بيديه الناعمتين، الذي يشعر أيام الأحد بالملل، ويحتقر القراءة حدّ القرف، ولا يستطيع القراءة، لوفي هذا يعرض على صديقه ساخراً أن يقرأ له رسالة كانت قد وصلت إليه.

حمام الطهارة اليهودي الذي تملكه كلّ طائفة يهودية في روسيا، أتخيله حجرة فيها حوض ذو معالم محدّدة، نظّمه الحاخام وأشرف عليه، ليغسل الروح من الأوساخ الأرضية؛ لذا فإنّ أشكال تلك الحمامات متشابهة، وهي يمكن أن تكون رمزاً، مع قذارتها ونتانة رائحتها لكنّها تؤدي مهمتها، تأتي المرأة إلى الحمام لتطهر نفسها من الحيض. إن كاتب التوراة هو الذي كان عليه أن يطهّر نفسه من كل الأفكار الآثمة قبل كتابة الآية الأخيرة من التوراة.

جرت العادة أن تنغمس الأصابع في الماء ثلاث مرات بعد الاستيقاظ، لأنّ الأرواح الشريرة اعتادت أن تجثم ليلاً على العقدتين الثانية والثالثة للأصابع.

التفسير العقلاني: ينبغي أن يحال بين الإصبع ولمس الوجه مباشرة؛ لأن الإصبع في النوم وأثناء الحلم غير خاضع للسيطرة، ويستطيع أن يمس مناطق الجسد جميعها الإبط والإست والأعضاء التناسلية.

غرفة الملابس خلف مسرحهم ضيقة تماماً، لدرجة أنّ أحداً لو وقف مصادفة أمام المرآة وخلف الستارة ومر شخص آخر بجانبه؛ فإن عليه أن يرفع تلك الستارة، ليراه الجمهور للحظة من الوقت.

خرافة: إذا شرب المرء من كأس غير ممتلئ تدخل الأرواح الشريرة إلى جسده.

كم بدا لي الممثلون بعد العرض مجروحين، لدرجة أنّني خشيت أن أمسهم بكلمة، وكم طاب لي أن أتركهم سريعاً بعد مصافحة عجولة، كما لو أنني غاضب ومستاء، لأنه كان من المستحيل إظهار حقيقة انطباعي. لقد بدا لي الجميع زائفين، ما عدا ماكس الذي أبدى بعض الملاحظات التي لا معنى لها، كما أنّ الرجل الذي تساءل عن بعض التفصيلات غير ذات الصلة

بالموضوع كان زائفاً، والرجل الذي أعطى إجابة طريفة على ملاحظات أحد الممثّلين كان زائفاً، والشخص الساخر، والآخر الذي شرع يشرح انطباعاته المتنوعة، وكل الرعاع الذين احتشدوا في آخر صالة العرض، والآن في الهزيع الأخير من الليل وقف مدركاً أهميته من جديد، بعيداً جداً عن الصواب.

الثامن والعشرون من تشرين الأول:

كان عندي بطبيعة الحال مشاعر متشابهة، لكنّ التمثيل والنصّ المسرحي كانا بعيدين عن الكمال في ذلك المساء كما أظن. لذا كان يتوجّب عليّ أن أمنح الممثلين احتراماً خاصاً، إذ كيف يمكنك أن تعرف عندما يكونون صغاراً، حتى لو كانت ثمة فجوات داخل الانطباع الموّحد، من هو المسؤول بينهم عن تحمل الخطأ؟.

لقد داست السيدة تشيسك ذات مرّة على طرف فستانها، وترنّحت للحظة مثل عمود ضخم، في فستانها الداعر ذي التصميم الأميري. وقد أخطأت مرّة في دورها؛ فاستدارت بحركة قويّة إلى الحائط الخلفي كي تهدئ من لسانها، وعلى الرغم من أنها لم تجد الكلمات المناسبة فإنّ ذلك أربكني. لكنّه لم يمنع من ظهور الارتعاش المفاجئ على عظام وجنتي، هذا الارتعاش الذي أظلّ أستشعره عندما أسمع صوتها. ونظراً لأن الكثيرين من معارفي قد تولد عندهم انطباع أقل صفاء مما هو عندي؛ فقد بدوا لي أنهم جديرون باحترام كبير، لأن احترامهم أكثر تأثيراً من احترامي، ولذا فقد كان لديّ سبب مزدوج كي ألعن سلوكهم.

«حقائق بديهية عن الدراما» لماكس على (خشبة العرض)، للشخصية عنده حقيقة حلمية بالكامل، الأمر الذي يجعل مصطلح «بديهي» مناسباً لها. وكلّما تضخّم الجانب الحلمي منها ازداد الإحساس ببرودتها. وقد صيغت المبادئ التالية: إنّ الأطروحة التي تشّكل جوهر الدراما تعاني من النقص. إنّ الدراما (على الخشبة) هي أكثر شمولاً من الرواية؛ لأننا هناك نرى كل شيء، بينما نكتفي هنا بالقراءة. غير أنّ ذلك أمر ظاهري؛ لأنّ المؤلف يستطيع أن يرينا ما هو مهم في الرواية، بينما نرى في المسرحية كل شيء: الممثلين والديكورات، أي ليس ما هو مهم

بل ما هو أقل أهمية. ومن وجهة النظر الروائية فإن أفضل المسرحيات تخلو من الإثارات؛ فالمسرحية الفلسفية مثلاً تستطيع أيّ مجموعة من الممثلين أن تقرأها، وهم يجلسون في أيّ غرفة يفضلّونها. والآن فإن المسرحية الفضلى هي التي تمنح أكبر قدر من الإثارة في الزمان والمكان وتتحرر من متطلبات الحياة، وتحصر ذاتها في خطابها وأفكارها، وحواراتها الداخلية، وأحداثها الرئيسية، وتترك الباقي للإثارات التي قامت بها، وترفع عالياً أكثر خواطرها تطرّفاً. وتضعها على عاتق الممثلين والفنانين والمخرجين.

خطأ هذا الاستنتاج: يكمن في أنه يغيّر منظوره من دون أن يبيّنه، ويرى الأشياء تارة من غرفة المؤلف، وتارة من وجهة نظر الجمهور، مع التسليم بأنّ الجمهور لا يشاهد الأشياء من وجهة نظر المؤلف المفاجأ بالأداء. 10/29 (الأحد)، مايزال المؤلف يحتفظ بتفصيلات المسرحية في أعماقه، ويتنقل من تفصيلة إلى أخرى. ونظراً لكونه يجمع التفصيلات كلّها في حديثه؛ فإنه يمنحها الثقل والقوة على الصعيد المسرحي. لذا فالمسرحية في تطورها الأعلى تنجز إنسانية يصعب احتمالها، بينما يهدف الممثل في دوره المكتوب على نحو غير محكم إلى إنهاء العمل وجعل الأمر محتملاً. إن المسرحية تتحرك في الهواء، ليس كالسقف الذي تحمله العاصفة؛ بل كالبناية الكاملة التي انتزعت جدرانها الاستنادية من أعماق الأرض، قوة ما تزال إلى اليوم قريبة من الجنون.

أحياناً تستقر المسرحية في الصالة المزخرفة في الطابق العلوي، بينما تنسحب جماعات الممثلين، وهي تمسك من أجل اللهو بأيدي بعضها، أو تلفّ أيديها على رؤوسها. كما أن تلك الجماعة المتوزعة ترفع أحد الممثلين عالياً، كي ترعب به الجمهور.

حلمت اليوم بحمار له منظر الكلب السلوقي، وقد كان حذراً جداً في حركاته. راقبته عن قرب لأنني كنت مدركاً أنّه ظاهرة غير عاديّة، وكان عليّ أن أتذكّر أنّ أقدامه البشرية الضيقة لا تسرني، نظراً لطولها واتساقها. عرضت عليه حزمة من أوراق شجرة سرو خضراء داكنة طرّية وصلتني للتّو من سيدة من زيورخ، كل هذا جرى في مدينة زيورخ، رغب عنها، شمّها قليلاً، لكنّني عندما تركتها على الطاولة التهمها بالكامل، ولم يبق منها ما يمكن تمييزه إلاّ ما يشبه نواة

حبة كستناء، وفيما بعد كان ثمة كلام أنّ الحمار لم يسبق له أن مشى على أربع، فقد كان يمشي منتصب القامة كالإنسان، مظهراً صدره الفضي اللامع وبطنه الصغير، لكن ذلك لم يكن صحيحاً.

وإلى جانب ذلك حلمتُ برجل إنجليزي، التقيت به في أحد الاجتماعات التي تشبه اجتماعات جند الخلاص في زيورخ، كان هناك مقاعد مثل تلك التي كانت في المدرسة، وكان ثمّة رف مفتوح تحت السبّورة. وعندما ذهبت إلى هناك لأرتب بعض الأشياء، عجبت للسهولة التي يستطيع بها المرء أن يعقد صداقات في أثناء الرحلة. كان الرجل الإنجليزي هو المعنّي بذلك كما تبيّن لي فيما بعد. كان يرتدي ملابس فاتحة فضفاضة وفي حالة ممتازة. ولكنه بدلاً من أن يضع قطعة قماش في الجزء الأعلى من عضديه، ويخيطها علق قطعة قماش رمادية مجعّدة، مقطّعة على نحو شريطي كأنّها من نسيج العنكبوت، وهو ما يذكّر بالحشوة الجلدية في سراويل الفرسان، مثلما يذكّر بواقيات الأكمام للخائطات والبائعات والمستخدمات في المكاتب التجارية. أما وجهه فقد كان هو الآخر مغطىّ بقطعة قماش رمادية قصّت طوليّاً على نحو محكم، للفم والعينين والأنف على الأرجح. لكن تلك القماشة كانت جديدة، وذات زغب ناعم، أشبه بالفانيلة ومرنة جداً وناعمة. وهي من الصناعات الإنجليزية الفاخرة.

أفرحني ذلك لدرجة أنني صرت متشّوقاً للتعرف عليه. وقد رغب في دعوتي إلى منزله، غير أنّ سفري في اليوم بعد القادم حال من دون ذلك. وقبل أن يغادر الاجتماع كان يرتدي ملابس تبدو عملية في ظاهرها، وبعد أن كان يبدو رجلاً رزيناً غريباً ولافتاً للنظر. وعلى الرغم من كونه لم يستطع دعوتي إلى منزله فقد طلب مني أن أتمشى معه في الشارع، فتبعته ووقفنا على حافة الرصيف أمام مقر الاجتماع، أنا في الأسفل وهو في الأعلى، وتبيّن لنا بعد المناقشات أنه لا يمكن أن يحدث شيء بخصوص الدعوة تلك. بعدها حلمت أنّ ماكس وأوتو* وأنا كنا قد اعتدنا على حزم حقائب السفر عندما نصل إلى محطة السكة الحديدية. وهناك كنا نحمل قمصاننا مثلاً عبر القاعة الرئيسية وصولاً إلى حقائبنا البعيدة. وعلى الرغم من أنّ ذلك كان يمثّل تقليداً عامّاً؛ فإنّه لم يكن مناسباً في حالتنا، ولاسيما أننا شرعنا بحزم حقائبنا قبل لحظات من

وصول القطار. لقد أثرنا بطبيعة الحال أن نلحق بالقطار وكان لدينا أمل قليل في ذلك فضلاً عن العثور على مقاعد جيّدة.

مع أنّ الضيوف المنتظمين ومستخدمي المقهى يعشقون الممثّلين إلا أنهم لا يستطيعون الاحتفاظ باحترامهم لهم وسط انطباعات متدنية عنهم تحتقر الممثلين بوصفهم جوعى ومتسكعين، وزملاء لليهود تماماً كما كان يجري في الأزمان الغابرة. فعندما أراد كبير النادلين أن يقذف بلوفي خارج الصالة؛ فإن البواب الذي يعمل في المبغى– وهو الآن قواد– صرخ بوجه تشيسك الضئيلة. عندما أرادت في غمرة تعاطفها في «الإنسان المتوحش» أن تمرر شيئاً للممثلين. ويوم أمس الأوّل عندما صحبت لوفي ونحن عائدان– بعد أن قرأ لي الفصل الأوّل من «أليعازر بن شفيا» في مقهى المدينة– ناداه النادل– كان النادل أحول. وبين أنفه الأعوج وفمه تجويف ينتصب فيه شارب صغير–: «تعال أيّها الغبيّ» (إشارة إلى دوره في الإنسان المتوحش) ثمة رجل ينتظر، وهناك زائر لا تستحقه أبداً. إنّ هناك ضابطاً مرشّحاً في سلاح المدفعية «وأشار إلى نوافذ مغطّاة لأحد المقاهي، حيث يجلس الضابط المزعوم. مرّر لوفي يده على جبهته «من أليعاز بن شفيا إلى هذا».

لقد سيطر عليّ منظر الصعود اليوم. منذ وقت مبكّر، ولمرات عدّة، منذ أن بدأت أستمتع من نافذتي بالقطعة المثلّثة التي قدّت من السور الحجري للدرج الذي ينزل إلى الأسفل على يمين الجسر التشيكي وصولاً إلى مستوى رصيف الميناء الشديد الانحدار، وكأنه يعطي إشارة سريعة، والآن أرى هناك عبر النهر سلّماً متنقّلاً، على المنحدر يؤدي إلى الماء. لقد كان هناك دائما؛ لكنه لا يظهر إلا في الخريف والشتاء عند إزاحة البركة المدرسية من أمامه، وهو ملقى على العشب الداكن، تحت الأشجار البنّية خاضعاً للعبة المنظور.

لوفي: يحكي أن أربعة أصدقاء صغار عندما تقدمت بهم السن كانوا من علماء التلمود العظام. لكنّ مصيراً مختلفاً كان ينتظر كلّ واحد منهم؛ فواحد صار مجنوناً، وآخر توفيّ. أما الحاخام أليعازر، فقد صار مفكراً حراً في سن الأربعين. أما أكيبا أكبرهم سنا، فقد بدأ الدراسة في سن الأربعين ووصل إلى المعرفة الشاملة. كان الحاخام ماير تلميذاً للحاخام أليعازر، وكان

رجلاً ورعاً، وقد بلغ من ورعه أنّ دروس المفكرين الأحرار لم تستطع إيذاءه. كان يأكل– كما يقول– نواة حبة البندق ويرمي الصدفة. وذات مرة وفي أحد أيام السبت قام أليعازر بنزهة على ظهر الجواد، وتبعه الحاخام ماير ماشياً وهو يحمل التلمود. ومشى ألفي خطوة؛ لأنه من غير الجائز لليهودي أن يمشي أكثر من ذلك يوم السبت. وقد نتج عن تلك المشية خطبة رمزية وأخرى ترد عليها، «عد إلى شعبك» قال الحاخام ماير. أما الحاخام أليعازر فقد رفض ذلك من خلال تورية لفظية.

الثلاثون من تشرين الأول:

يكاد يكون لديّ شهوة دائمة عندما أشعر أنّ معدتي سليمة. وهذه الشهوة تتمّثل في تخيّلات جريئة تكدس شتى أنواع الطعام. إنني أرضي شهوتي أمام ملحمة الخنازير؛ فعندما أرى السجق– الذي يصنف عادة بأنه سجق صلب وقديم– فإنني أتخيّل نفسي كالآلة أعضّه، وأبلعه سريعاً من دون تفكير وعلى نحو منظم. إنّ اليأس الذي يخلّفه هذا الفعل المتخيّل بنتائجه السريعة يزيد من عجلتي. فأدفع القطع الطويلة من لحمة الضلع من دون عضّ إلى فمي، ثم أسحبها ثانية من طرفها الخلفي إلى الخارج، ممزّقاً بهذا الفعل معدتي وأمعائي من جديد، كما أقوم بالتهام مخازن فارغة من الأطعمة الجاهزة، القذرة، وأملأ معدتي بسمك الرنجة والمخلّلات والأطعمة القديمة الرديئة الحادّة المذاق، وتجري عملّية سكب حبّات الملبّس من علبها الصفيحية في أعماقي كالبَرَد. إننّي بهذه الأفعال لا أتّمتع بصحتي العادّية فحسب؛ بل أعيش معاناة من دون ألم تمّر بسلام.

إنّها عادة قديمة عندي أنّه عندما تصل الانطباعات درجتها العليا من الصفاء، سواء أكانت تلك الانطباعات محزنة أم مفرحة؛ فإنّني لا أسمح لها أن تجري في أعماقي بسلاسة؛ بل أعكر صفوها وطردها من خلال انطباعات أخرى ضعيفة وغير متوقعة وجديدة. إنني لا أقصد إيقاع الأذى بذاتي على نحو شرير، لكنني أكون في العادة أضعف من أن أحتمل صفاء ذلك الانطباع. وبدلاً من الإقرار بذلك الضعف، بوصفه الصواب الوحيد؛ فإنني أدعو بهدوء عبر

قوة التحكّم الظاهرة لاستدعاء انطباعات جديدة كي أساعد ذاتي.

مساء السبت على سبيل المثال وبعد الاستماع إلى الأقصوصة الجيدة الآنسة (ت)، التي تعود في خاتمة المطاف إلى ماكس*؛ بل إنها تعود إليه، أكثر مما تعود إليه قصصه الذاتية، وبعد سماع المسرحية الممتازة «تنافس» لباوم حيث يمكن ملاحظة قوة درامية مثيرة في المسرحية وفي تأثيرها، كما يتضح في خلق شخصية مهني حيّة – بعد ذلك الاستماع للعملين شعرت بأنني محبط تماماً، وأن داخلي فارغ حقاً لعدّة أيام. وأنّ هذا الداخل قد امتلأ فجأة بحزن عظيم، لدرجة أنني أوضحت لماكس ونحن في طريقنا إلى المنزل أنّه لا فائدة على الإطلاق من «روبرت» و «صموئيل». ولم تكن الشجاعة لتنقصني أو لتنقص ماكس لإطلاق مثل هذا التصريح أبداً. ولذا فإنني لم أعثر على الإجابات الصحيحة، على اعتراضات ماكس. لكنني عندما صرت وحدي فيما بعد، ولم يعد الحديث قادراً على أن يزعج أحزاني، واختفى العزاء الفاعل لماكس، تطوّر يأسي لدرجة أنه فكك تفكيري (عند هذه النقطة وصل لوفي إلى منزلي، في أثناء تناولي طعام العشاء، وعطلّني وأسعدني لمدة تتراوح بين سبع إلى عشر ساعات). وبدلاً من الجلوس في المنزل بانتظار ما سيحدث فيما بعد قرأت من دون تركيز وجهتي نظر عن «الأداء»، في «سيئو الحظ»* ثم في ملاحظاتي الباريسية، بعدها استلقيت على السرير، أكثر سعادة من أيّ وقت مضى. لكنني مملوء بالقسوة. لقد كان الوضع مشابهاً قبل بضعة أيام، عندما رجعت من المشي ووجدت نفسي أقلّد لوفي، لدرجة أنّ قوة حماسته صارت تسير نحو أهدافي، ثم قرأت، وتحدثت في المنزل، على نحو يخلط الأشياء ببعضها بعضاً، ثم انهرت.

الحادي والثلاثون من تشرين الأول:

على الرغم من أنّني قرأت اليوم هنا وهناك في كاتالوغ فيشر ومجلة المناخ[49] وصحيفة (روند شاو)، وسواء استوعبتُ الأشياء على نحو كامل أو سطحي؛ فإنني واع تقريباً، وقادر على رد الأذى عن نفسي. وسأكون في هذه الليلة– إذا لم يتوجّب عليّ الخروج مع لوفي– واثقاً

(40) مجلة أدبية صدرت عام 1906، والكلمة تعني بالألمانية التقويم السنوي.

من نفسي بما فيه الكفاية.

شعرت أمام الخاطبة التي كانت عندنا بعد ظهر اليوم بشأن أخت غير شقيقة بأنّ إحدى عيني تعاني من حيرة ثقيلة الوطأة لأسباب متناقضة. كان ثوب تلك السيدة المهلهل القذر يصبغ عمرها باللون الرمادي. وعندما كانت تنهض كانت تضع يديها في حجرها. كانت حولاء، وكان من الصعب إهمالها عندما كنت أنظر إلى أبي، وهو يسألني عن الشاب المتقدّم للخطبة. لكنّ هذه الحيرة تضاءلت من جديد لوجود وجبة غدائي أمامي، ولانشغالي من دون تردد بسكب الطعام من الصحون الثلاثة الموضوعة أمامي. كان في وجهها كما لاحظت ذلك على نحو جزئي، طيّات عميقة، جعلتني أفكر بالدهشة غير المستوعبة. حين تطل الوجوه الإنسانية من خلال ملامح حيوانية. كان لها جسد صغير لافت للنظر، ويمتد من وجهها أنف حادّ النهاية ومرتفع.

بعد أن تجاوزت بعد ظهر يوم الأحد ثلاث نساء دخلت منزل ماكس وفكرت: إنّ ثمة منزلاً أو منزلين يمكنني أن أقوم فيهما بعمل شيء، كما أن النساء اللواتي يمشين خلفي يستطعن أن يرينني، وأنا أعرّج يوم الأحد بعد الظهر على باب المنزل لأعمل وأتكلم بكياسة وسرعة. إنني أقدّر هذه المسألة على نحو استثنائي، وهو أمر لا ينبغي أن يستمر طويلاً. قرأت أقاصيص ڤيلهلهم شيفر، بصوت جهوري، بالمتعة نفسها التي أحصل عليها عندما أمرّر خيطاً مجدولاً على لساني. لم أستطع تحمل فاللي Valli * بعد ظهر أمس، في بداية الأمر، ولكنني عندما أعرتها «سيئو الحظ» وقرأت قليلاً منها، وصارت واقعة تحت تأثيرها على نحو منظمّ، أحببتها على الرغم من تلك التأثيرات، وربّت على كتفها.

لكي لا ننسى فإنّ أبي سيناديني ثانية بالابن العاق، وقد دوّنت أنّه في حضور بضعة أقرباء، ومن دون مناسبة خاصة، سواء أكان يريد أن يضغط عليّ، أو أنه يريد على ما يظهر إنقاذي؛ فقد دعا ماكس بـ(المتهور المجنون)*، كما أنه عندما رأى لوڤي في غرفتي يوم أمس، هزّ جسمه ولوى فمه وأشار إلى هؤلاء الناس الغرباء، الذين سمح لهم بالدخول إلى المنزل وتساءل ما الذي يمكن أن يثير اهتمام الناس بشخص غريب، ولماذا يقيم الناس علاقات لا طائل من ورائها؟ ومع ذلك

فإنه ما كان ينبغي لي أن أدون ذلك؛ لأنني كتبت هذا في حمّى كراهيتي لأبي، التي لا أجد مسوّغاً لها إلى اليوم، والتي ازدادت فيما يخص لوڤي مع أنني لا أستطيع أن أتذكر أي تصّرف شرّير في سلوك أبي يوم أمس.

الأول من تشرين الثاني:

شرعت اليوم وأنا متلّهف وسعيد بقراءة «تاريخ اليهود» لغريتس Graetz[41]، ونظراً لأنّ طموحاتي تجاوزت بعد ذلك القراءة بكثير؛ فقد بدا لي الأمر غريباً أكثر مما توقعّت. وقد توقفت هنا وهناك لأدع يهوديتي تستجمع ذاتها بهدوء. وقرب النهاية استحوذت عليّ حكايات المستعمرات الأولى في أوائل احتلال بلاد كنعان، والروايات الصادقة عن الضعف الإنساني للأبطال الشعبيين أمثال: (يوشع، القضاة، إيليا).

الليلة الماضية، وداع السّيدة كلوغ، كنّا أنا ولوڤي نجري بمحاذاة القطار. ورأينا السيدة كلوغ وهي تنظر في الظلام من خلف نافذة المقصورة الأخيرة المغلقة. وسرعان ما مدّت نحونا ذراعها، وهي ما تزال في مقصورتها. ثم نهضت وفتحت النافذة، وثبّتتها بعباءتها المفتوحة، حتى نهض قبالتها السيد المكفهّر كلوغ الذي لا يحسن إلا فتح فمه الكبير بمرارة مدة محّددة، ثم يغلقه دائماً.

خلال خمس عشرة دقيقة لم أتحدّث مع السيد كلوغ إلا مدة قصيرة، ولم أنظر إليه لأكثر من ثانيتين، لأنني لم أستطع خلال تلك الحادثة الخفيفة أن أحوّل بصري عن السيدة كلوغ. لقد كانت واقعة بالكامل تحت هيمنة حضوري؛ لكن ذلك كان في خيالها أكثر مما كان في الواقع، وعندما استدارت نحو لوڤي وخاطبته بالجملة التمهيدية المكرّرة: «أنت يا لوڤي»؛ فإنها كانت تتحدث لي، وعندما كانت تميل على زوجها بكتفها الأيمن، مع أنه كان يتركها أحياناً وينظر من النافذة ضاغطاً على فستانها ومعطفها المتهّدل؛ فإنها كانت تحاول أن تعطيني إشارة فارغة.

الانطباع الأول الذي تولّد لدي في أثناء العروض هو أنني لم أكن أثيراً لديها، ولاسيما أنّها

(41) تشير اليوميات إلى هاينريش غريتس (1817–1891) أما كتابه فقد صدر في جزئين 1853–1875.

نادراً ما دعتني للغناء معها وربما كان ذلك صحيحاً، وعندما ظلّت تسألني من دون بهجة: «هل تفهم ذلك!» كنت أجيب لسوء الحظ «نعم»، لكنها كانت تريد «لا»، حتى تستطيع أن تضيف «ولا أنا»، كما أنها لم تعرض عليّ بطاقاتها البريدية للمرة الثانية. لقد فضلّت السيدة تشيسك التي أهديتها بعض الزهور لأغيظ السيدة كلوغ. ويضاف إلى ذلك الإعراض الاحترام لدرجة الدكتوراه التي لم يضعف من أهميتها مظهري الطفولي. بل لعّله ضاعف من تأثيرها. لقد كان ذلك الاحترام كبيراً، وكان يتردّد في كلامها، من دون أن يبرز «هل تعرف أيها السيّد الدكتور»؟. وقد كنت آسف على نحو لا شعوري تقريباً أنني أستحق ذلك بأقّل مما ينبغي، وتساءلت إذا كان لي الحق أن تجري مخاطبتي من الجميع على هذه الشاكلة. وبينما كنت أحظى باحترامها الكبير كإنسان، كنت أحظى باحترام أكبر بوصفي مشاهداً. كنت أتألق عندما كانت تغنّي، أضحك، وأظل أنظر إليها مدّة وقوفها على الخشبة. غنّيت الألحان معها، ثم الكلمات، وكنت أشكرها بعد كل عرض من عروضها، لهذا كان من الطبيعي أن ترتاح لي. لكنّها عندما كانت تتحدّث معي خارج تلك المشاعر كنت حائراً. لأنها لحظتها تعود إلى إعراضها الأوّل وتظل هناك. لقد بذلتْ أقصى ما في وسعها كي تظفر بي بوصفي مشاهداً، وكانت سعيدة بذلك؛ لأنها كانت ممثّلة رديئة، وامرأة حسنة الأخلاق. تأملتني، ولاسيما عندما كانت صامتة وتقف على نافذة المقصورة، بفم ساحر من الحيرة والمكر، وعينين متلألئتين، بينما كانت التجاعيد تنتشر حول فمها. كان عليها أن تعتقد أنني أحبّها كما هو في الحقيقة، وقد منحتني بنظراتها الإنجاز الوحيد الذي يمكن لامرأة مجرّبة وشابة وزوجة جيّدة أن تمنحه لدكتور في خيالها. كانت تلك النظرات ملحّة تماماً وتؤيدّها عبارات مثل «لقد كان هنا ضيوف أعّزاء. ولاسيما بعضهم» فدافعت عن نفسي، وكانت تلك اللحظات التي تأمّلت فيها زوجها وقد وقعت، عندما قارنت بينهما، بدهشة لا مسوّغ لها؛ فقد كانا يغادراننا، ومع ذلك لا يكفّان عن الاهتمام بنا من دون أن يتبادلا أيّ نظرات.

سأل لوقي إن كانت مقاعدهم جيّدة: «نعم، إذا ما ظلّت تلك المقاعد فارغة» أجابت السيدة كلوغ، ونظرت على نحو عادي إلى داخل المقصورة التي أفسد زوجها جوّها الدافئ بتدخينه.

تحدثنا عن أطفالهم الذين غادرونا من أجلهم. إنّ لديهم أربعة أطفال، من بينهم ثلاثة أطفال ذكور، عمر الأكبر تسع سنوات، لكنهم لم يروهم منذ سنة ونصف. ولما صعد أحد الرجال مستعجلاً إلى داخل القطار بدا أنّ القطار على وشك الإقلاع؛ فودعناهم بسرعة وصافحناهم، ورفعت قبعتي، ثم وضعتها قبالة صدري. ثم تراجعنا إلى الخلف كما يفعل المرء عند إقلاع القطار، مشيراً بذلك إلى أن كلّ شيء قد انتهى وأنه يرتضي ذلك. لكنّ القطار لم يسافر فصعدنا إلى الداخل ثانية، وكنت سعيداً بهذا. استفسرت السيدة كلوغ عن أخواتي، وللمفاجأة فقد أخذ القطار بالتحرك ببطء. أعدت السيدة كلوغ منديلها لتلّوح به، ثم صاحت إنه ينبغي أن أكتب لها، وتساءلت إن كنت أعرف عنوانها؛ لكنها صارت أبعد من أن أستطيع الإجابة على سؤالها. أشرت إلى لوفي قاصداً بذلك أنني سآخذ عنوانها منه. حسناً، وأحنت رأسها لي وله، ثم أخذ منديلها يلوّح في الريح. رفعت قبعّتي على نحو سيئ في بادئ الأمر، وكلّما أخذت بالابتعاد غدت أكثر حرّية. بعد ذلك تذّكرت أنّه كان لديّ الانطباع أن القطار ما كان يغادر في واقع الأمر، لكنه كان يتحرك لمسافة قصيرة في محطة السكة الحديدية، ليرينا إحدى حركاته، وليختفي بعد ذلك. وفي في أثناء الإغفاءة المسائية ظهرت لي السيدة كلوغ، وقد بدت لي صغيرة، على نحو غير طبيعي، تعصر بيديها وجهها المشوّه، وكأنّ ألماً عظيماً قد حلّ بها.

بعد ظهر هذا اليوم جاء الألم الناتج عن عزلتي على نحو ثاقب وشديد. لدرجة أنني لاحظت أنني أستهلك القوة التي اكتسبها خلال هذه الكتابة، وأنني لم أحسن توظيفها لهذه الغاية.

حالما يصل السيد كلوغ إلى مدينة جديدة يلحظ المرء أنّ مجوهراته ومجوهرات زوجته تختفي في محل الرهونات. وعندما تقترب مغادرتهم يعوضها على نحو تدريجي.

الحكمة المأثورة لزوجة الفيلسوف مندلسون[42]:

ما أتعس الكون كلّه أمامي.

(42) الإشارة إلى الفيلسوف اليهودي موسى مندلسون (1729–1786)..

إنّ أحد أكثر الانطباعات أهميّة عند وداع السيدة كلوغ أنني كنت مضطراً للاعتقاد أنّها بوصفها امرأة برجوازية بسيطة تضع ذاتها بالقوة تحت مستوى قدرها الإنساني الحقيقي، وأنها تحتاج إلى قفزة لا غير كي تعبر الباب المفتوح، وتعيد وضع الضوء المقلوب لتغدو ممثّلة، وللتمكن من إخضاعي. حتى لو وقفت في الأعلى وأنا في الأسفل، كما كان يحدث في المسرح – لقد تزوجت في السادسة عشرة من عمرها، وهي الآن في السادسة والعشرين.

الثاني من تشرين الثاني:

هذا الصباح وللمرة الأولى منذ مدة طويلة أعيش متعة التخيّل ثانية لسكين تدور في قلبي. في الصحف وفي الحديث وفي المكتب فإنّه غالباً ما تضلّلنا حمّى اللغة، كما أنّ الأمل المولود من الضعف الفجائي من أجل إضاءة مفاجئة قوية للحظة القادمة، لثقة بالنفس أكثر، أو للامبالاة مجردة أو انطباع عن حاضر عظيم، يضطر المرء كي يفكر بالرحيل إلى المستقبل مهما كلّف الأمر. إنّ الرأي الذي يرى أنّ الحماسة الحقيقية في الحاضر تسّوغ أي ارتباط في المستقبل، كما أنّ البهجة بجمل ترتفع في المنتصف بضربة أو ضربتين، وتفتح الفم تدريجياً على سعته، حتى لو ترك بعد ذلك ينغلق على نحو ملتو بسرعة، كما أنّ الاحتمال الضئيل لحكم حازم وواضح، والجهد الذي يمنح لحديث قد انتهى حقاً، والهرب بسرعة من الفكرة، زحفاً على البطن إذا لزم الأمر، واليأس الذي يبحث عن مخرج لتنفّسه الثقيل، والتوق لضوء من دون ظل؛ كلّ ذلك يمكن أن يقود إلى الجملة التالية: «الكتاب الذي انتهيت للتوّ منه هو من أكثر الكتب التي قرأتها جمالاً» أو «إن الكتاب من الجمال لدرجة أنّ أحداً لم يقرأ مثله من قبل».

كي أبرهن أنّ كل ما أفكر فيه، وأكتبه عن الممثلين خاطئ فإنهم (ما عدا السيد والسيدة كلوغ) عاودوا البقاء هنا، مثل لوڤي الذي قابلته مساء أمس، وحكى لي، ترى من يعرف إذا كانوا لم يغادروا للأسباب ذاتها لأن لوڤي لم يزر المكتب مع أنه وعدني بذلك.

الثالث من تشرين الثاني:

ولكي أبرهن أن المسألتين اللتين كتبت عنهما كانتا خاطئتين؛ فثمة دليل يبدو مستحيلاً وهو أن لوڤي زارني أمس مساء، وقاطعني وأنا أكتب.

اعتاد (ن) أن يكرّر كلّ شيء بنغمة الصوت نفسها، فهو يحكي لأحد ما حكاية عن عمله، من دون الخوض في الكثير من التفصيلات، لأنها تقتل الحكاية بطبيعة الحال. غير أن ذلك الحكي كان يجري بوصفه طريقة اتصال بطيئة وشاملة لا أكثر، ينتهي تأثيرها عندما تنتهي. وبعد أن تمر هنيهة من الزمن يجري فيها أمر معيّن، تراه يعثر من حيث لا ينتظر على مدخل الحكاية، فينتجها في صيغتها القديمة، من دون إضافات أو حذف كذلك، ويفعلها ببراءة المرء الذي يدور حول غرفة وهو يحمل شريطاً لفه حول ظهره أحد ما على نحو غادر. كان والداي يحبّانه على نحو غير عادي، ويشعران بعادته أكثر مما يلحظانها، لذا كان يحدث أنّهما وأمي في المقدمّة تمنحه الفرصة من دون وعي كي يعيد حكايته؛ فإذا حدث ذات مساء أن لحظة تكرار الحكاية لا تأتي في مكانها المناسب؛ فإن أمي التي تكون حاضرة تسأل بفضول لا ينتهي، بعد أن ينتهي السؤال كما هو مفروض. أما عن الحكايات التي سبق أن تكررّت، ويصعب استعادتها بناءً على ما فيها من قوة ذاتية فتظل أمي تطاردها بأسئلتها لعدة ليال لاحقة.

إنّ عادة (ن) استحواذية تماماً، وهي تملك القوة كي تسوغ نفسها على نحو شامل، لأنه لا أحد يستطيع من خلال هذا التكرار المنتظم أن يحكي لأعضاء عائلة حكاية تهم كل أفرادها. أما الحكايات فكان يجب أن تروى كلما كان أشخاص ينتمون إلى محيط العائلة، الذي اعتاد أن يتجمع ببطء وعلى مراحل زمنية في تلك الحالات.

ونظراً لأنني كنت الوحيد الذي لاحظ عادة (ن) فقد كنت في الغالب أول من يستمع إلى حكاياته، وقد كان تكراراتها تمنحني بهجة قليلة، لأنها تؤكد صحة ملاحظتي.

حسد من النجاح الأسمى لباوم الذي أكنّ له الكثير من الودّ. إنّ مشاعري تبدو كأن في أعماق جسدي كرة من الصوف، تدور سريعاً وتلتف حولها خيوط كثيرة لا حصر لها، قادمة من سطح جسدي يقول والدي عن لوڤي: «إنّ من ينام مع الكلاب يصحو مع البّق»؛ لم أستطع

أن أكبح جماح نفسي، وقلت كلاماً مضطرباً. كان أبي هادئاً على نحو غير عاديّ (وبعد فترة توقف جرت فيها أشياء كثيرة) قال: «أنت تعلم أنّ من غير المسموح لي أن أنفعل، وأنه يجب مراعاتي، وها أنت تأتيني بهذه الأمور، إنّ لدي ما يكفي من الإثارة، فدع عني أمثال هذه الأحاديث». قلت: «إنني أبذل ما في وسعي لكبح جماح نفسي، وأستشعر وجود الحكمة عند أبي التي اقتبس منها أقل القليل».

وفاة جد لوقي: كان رجلاً مفتوح اليد، عارفاً ببعض اللغات، قام ببعض الرحلات عميقاً في روسيا. وقد رفض ذات يوم سبت أن يتناول الطعام من يد حاخام من أهل الكرامات في يكاترينوسلاف؛ لأن شعر ابن الحاخام الطويل وشاله الملوّن أثارت الريبة حول منزل ذلك الحاخام.

كان السرير قد نصب وسط الغرفة، أما حاملات الشموع فقد استعيرت من الأصدقاء والمعارف، لذا كانت الغرفة ممتلئة بالأضواء ودخان الشموع. كان ما يقرب من أربعين رجلاً يتحلقون حول سريره، ليواسوا أنفسهم بموت هذا الرجل الورع. لقد ظلّ واعياً حتى لحظات نهايته، ثم أخذ يضع يده على صدره في الوقت المناسب، ويردد الأدعية الملائمة للحظات الموت. كانت جدتي تبكي من دون انقطاع في أثناء احتضاره وبعد موته، في أثناء وجودها مع مجموعة من النساء في الغرفة المجاورة. أما في أثناء موته؛ فـقد بقيت هادئة، لأنه من الوصايا، ضرورة تسهيل وفاة الميت قدر الإمكان. «لقد مات وهو يصلّي ويدعو لنفسه». كان محسوداً على هذه الميتة بعد حياة ورعة.

مهرجان عيد الفصح:

تستأجر جمعية الأثرياء اليهود مخبزاً، ويتولى أعضاؤها بالنيابة عن رؤساء العائلات، إنتاج ما يعرف بفطير الفصح اليهودي في ثمانية عشرة دقيقة ويتوّلون: «جلب المياه، وجعل الفطير مباحاً في الشريعة اليهودية، (كوشير) وبالعجن والتقطيع والثقب».

الخامس من تشرين الثاني:

نمت أمس، وبعدها ذهبت إلى [مسرحية] «بار كوخبا»[43]، كنت مع لوقي منذ السابعة، وقرأت رسائل والده. أما المساء فأمضيته عند باوم، إنني أريد أن أكتب برعشة دائمة حول الجبين. أجلس في غرفتي مقرّ الضجيج الرئيسي للمنزل، أستمع إلى الأبواب وهي تصفق، وبسبب ضوضائها؛ فإنه لم يغب عن سمعي سوى وقع خطوات جريهم، مع أنني كنت قادراً على أن أسمع صوت إغلاق باب الفرن في المطبخ. كان أبي يندفع خلال غرفتي، جاراً رداءه، وكان الرماد يكشط خارج الغرف في الغرفة المجاورة، أما فاللي فكانت تتساءل من غرفة الاستقبال على نحو غامض، وكأنها في إحدى شوارع باريس. وسؤالها يتمثل فيما إذا كانت قبعة الوالد قد نظفت أم لا. كانت إشارته تحمل المودة تجاهي، أما صوتها فكان مرتفعاً وهي تجيب» إنّ بوابة المنزل غير مقفلة، ولها صرير يشبه صوت الحلق الملتهب، وكانت تنفتح مصحوبة بصوت نسائي يغنّي، وتنطلق بحركة رجولية خالية من المعنى. لقد ذهب أبي، وسوف يبدأ ضجيج أكثر نعومة وحيرة ويأساً من الأصوات التي تصدر عن طائر الكناري. لقد خطرت ببالي هذه الفكرة من قبل، وعاودتني مع أصوات الكناري من جديد، بأن أشق الباب وأزحف إلى الغرفة المجاورة، مثل أفعى تزحف على الأرض، وأرجو أخواتي ومربيتهن أن يهدأن[44].

المرارة التي استشعرتها أمس مساءً، عندما قرأ ماكس ونحن عند باوم قصتي «سيارتي الصغيرة». كنت منعزلاً عن الجميع، وقد كانت ذقني تضغط على صدري في أثناء قراءة القصة.

(43) الإشارة هنا إلى سيمون باركوخبا Shimon Bar-Kocba الذي قاد ثورة اليهود ما بين 132 و 135 قبل الميلاد ضد روما. وهي لغولدفادن، وقد ظهرت عام 1883.

(44) [ملاحظة من المحرر] لقد سبق لكافكا أن نشر هذا الجزء، باستثناء الجملة الأولى، وبتعديل طفيف تحت عنوان «الضجة الكبرى»، في «أوراق هيردر» التي نشرتها جمعية ج هيردر في براغ في الأعداد، 4، 5، 1912. براغ. دار نشر جمعية هيردر. أما الفقرة التي أصابها التغيير في الطبعة الأولى فهي تقابل الجملة الرابعة في اليوميات التي تبدأ بـ «لقد سألت فالي عبر غرفة الاستقبال، وكانت تصرخ بالسؤال كلمة كلمة، متسائلة إذا ما كان قد نظفت قبعة الوالد، وهي إشارة أنها تريد مصادقتي، وإن كانت ترفع صوتها بالإجابة عن ذلك السؤال».

إنّ جمل القصة غير منظمة، بما تنطوي عليه من فجوات، يستطيع المرء إدخال يده فيها؛ فثمة جملة عالية الإيقاع، وأخرى عميقة الإيقاع كيفما اتفق، وجملة تحتك بالأخرى مثلما يحتك اللسان بتجويف أو بسن خاطئ، وجملة تزحف ببداية قاسية تماماً، لدرجة أنّ القصة كلها تسقط في الدهشة العابثة. تقليد ماكس الناعس (اتهامات يجري إخمادها وإشعالها) يتأرجح؛ فيبدو كربع الساعة الأولى في دورة الرقص. لقد أوضحت لنفسي أنني أملك القليل من الوقت والهدوء كي تكون لديّ إمكانيّة سحب موهبتي كلّها منّي. لهذا السبب فإنّ البدايات غير المتصلة هي التي تصنع وحدها مظهراً، البدايات المتقطعة مثلما تبدو في قصة السيارة.

إذا كنت قادراً على أن أكتب شيئاً كبيراً شاملاً، محكم البناء من بدايته إلى نهايته؛ فإنّ هذا الشيء لن يكون في خاتمة القصة قادراً على الانفصال عنّي على الإطلاق، وسيكون من الممكن بالنسبة لي- بهدوء وعينين مفتوحتين، من خلال قرابة فصيلة الدم لقصة سليمة- أن أستمع إلى تلاوتها؛ لكن كل جزئية من القصة تجري وحدها مشردة، وتطردني في الاتجاه المعاكس، ويمكنني أن أكون سعيداً في الوقت ذاته إذا كان هذا التفسير صحيحاً.

عرض «باركوخبا» لغولدفادن. حكم خاطئ على المسرحية، في صالة العرض وعلى خشبة المسرح.

لقد أحضرت باقة ورد للسيدة تشيسك، عليها بطاقة كتب عليها «عرفاناً بالجميل». وانتظرت اللحظة التي كان يمكن أن أقدمها لها. لقد بدأ العرض متأخراً، وكان توقيت المشهد الرئيسي لها يبدأ في الفصل الرابع، وبسبب نفاد الصبر والخوف من ذبول الزهور، أعطيتها للنادل، خلال الفصل الثالث (كانت الساعة الحادية عشرة) وهي غير ملفوفة، وقد كانت الباقة ملقاة على الطاولة، يعبث بها خدم المطبخ وضيوف دائمون قذرون، وقد شموها، وتداولوها من يد لأخرى، ولم أكن أستطيع أن أفعل شيئاً سوى أن أنظر قلقاً وغاضباً لا أكثر. لقد أحببت السيدة تشيسك خلال تمثيلها لمشهدها الرئيسي وهي في السجن. وما أزال حريصاً على المستوى الداخلي كي تمثله كاملاً. أخيراً انتهى المشهد من دون أن يكون ذلك داخل بسبب انشغالي. وقد أعطاها كبير النادلين باقة الورد. تناولتها السيدة تشيسك لحظة إغلاق الستارة،

ثم انحنت أمام الفتحة الضيقة المتبقية من الستارة، ولم تعد بعدها. لم يلحظ أحد حبي لها، وقد كنت أريد أن يراه الجميع، وأجعله ثميناً في نظرها، أما باقة الورد فلم يكد يلحظها أحد. كان قد مضى ساعتان على ذلك، كان الجميع متعبين، وكان بعض المشاهدين قد غادروا مبكرّين. وكانت لديّ الرغبة أن أرمي كأسي خلفهم.

كان معي المراقب (ب) من شركتنا، وهو مسيحي، وقد أزعجني مع أنني أرتاح كثيراً له. كنت قلقاً على الورود لا عليه. وقد عرفت في تلك الأثناء أنه استوعب المسرحية على نحو رديء، ولم أكن امتلك الوقت والرغبة والقدرة التي تجبرني على تقديم المساعدة له، والتي لا يراها ضرورية. وأخيراً فقد خجلت منه لأنني لم أعره الاهتمام الكافي، فقد أزعجني في أثناء حديثي مع ماكس، وعندما تذكرت أنني أحببته قبل ذلك، وأنني سأحبّه بعد ذلك؛ فإنه لن يعدّ سلوكي الحالي تجاهه لوناً من الرذيلة. لكنني لم أكن وحدي المنزعج. لقد شعر ماكس أنه يتحمل المسؤولية بسبب مقالته التمجيدية في الصحيفة، التي وصلت إلى اليهود التابعين لبيرغمان متأخرة تماماً. فقد جاء أعضاء جمعية باركوخيا لحضور المسرحية نظراً لاسمها، ثم خاب أملهم، ونظراً لأنني لم أعرف باركوخيا إلا من تلك المسرحية فإنني لا أعرف جمعية تحمل هذا الاسم. في نهاية الصالة كان ثمة فتاتان تعملان في أحد المحلات التجارية مع عشاقهن، وترتديان فستانين فاضحين، وقد كان لزاماً عليهم خلال مشهد الموت أن يصمتوا، وقد تم ذلك من خلال الصياح عليهم، وأخيراً كسر الناس ألواح الزجاج الكبرى، غضباً لأنهم لم يروا إلا القليل مما يعرض على الخشبة.

كان كلوغ وزوجته غائبيْن عن الخشبة – كومبارس مضحكون «يهود متوحشون»؛ كما قال لوڤي. باعة متجولون، لم يحصلوا على أيّ أتعاب كان هدفهم أن يخفوا ضحكاتهم أو أن يستمتعوا بها، إذا كانوا يدركون شيئاً من ذلك. ثمة رجل له خدّان مدوّران، ولحية شقراء، لا يستطيع المرء في حضوره أن يسيطر على نفسه من الضحك، كانت لحيته المزيفة تهتز على نحو مصطنع، وبسبب ضحكه بدت وكأنها غير ملتصقة بالمكان الصحيح. أما الثاني فكان يضحك عندما يريد، لكنه كان يضحك كثيراً. وعندما مات لوڤي وهو يغني بين ذراعي هذين

العجوزين، وكان من المفروض أن ينزلق إلى الأرض ببطء عبر هذه الأغنية الذابلة؛ فقد وضعوا رأسيهما خلف ظهره ليمنعاني الضحك، ظانين أن الجمهور لا يرى ذلك. وعندما تذكرت ذلك أمس في أثناء تناول طعام الغداء لم أستطع منع نفسي من الضحك. كان يتوجب على السيدة تشيسك عندما يزورها الحاكم الروماني الثمل (بيبز الشاب) أن تنزع خوذته من على رأسه وتضعها على رأسها. وعندما نزعتها سقط منديل كان قد حشي فيها، لدرجة أن بيبز توقف لأن نزع الخوذة آلمه. ومع أنه كان يعرف أن الخوذة ستنزع من رأسه؛ فإنه نظر إلى السيدة تشيسك على نحو تأنيبي ناسياً أنه سكران.

جميلة طريقة السيدة تشيسك وهي في قبضة الجنود الرومان (لقد شدتهم نحوها في بادئ الأمر لأنهم كانوا يتهيبون لمسها) كانت تتلوى، بينما يحاول الممثلون الثلاثة من خلال اهتمامها، وفنها تتبع إيقاع الأغنية على نحو تقريبي، تلك الأغنية التي تبشر بظهور المسيح. واعتماداً على مقدرتها فإنها كانت تمثل عزف الجيتار، من خلال حركات الكمان المقوّس. وفي السجن كان الاقتراب المتكرر للخطى يقطع أغنية الحداد؛ فتهرع إلى الطاحونة، وتحركها مصحوبة بأغنية من أغنيات العمل، ثم تعود إلى أغنيتها ثانية، ثم إلى الطاحونة مجدداً، وتغني كما تفعل في أثناء النوم. وعندما زارها بابوس وفتح فمها كما تنفتح العين الوضاءة كانت زوايا فمها بشكل عام تذكر بأطراف عينيها وهي تتفتح وقد كانت جميلة في الخمار الأبيض، كما كانت في الخمار الأسود.

جديد بين إشاراتها المألوفة:

ضَغْطُ يدها بعمق على صدريتها الرثّة الحال، خلجةُ كتفٍ فظّة من أكتافها ووركيها في حالة الازدراء، ولاسيما عندما تدير ظهرها احتقاراً لأحد ما. كانت تؤدي العرض كله كأنها أم لعائلة. كانت تشجع كل أحد من دون أن تتعثر إطلاقاً، تدرب الكومبارس، تستدعيهم، وتدفعهم إلى العمل عند الضرورة، صوتها الواضح عندما تكون خارج خشبة المسرح، ارتباطها بالكورس الضعيف على الخشبة، أوقفت الحاجز المطويّ (الذي كان من المفروض أن يؤدي دور

القلعة) الذي ضربه الكورس بعنف عشر مرات.

لقد كنت أتمنى أن أسترضي حبّها لي من خلال باقة الورد؛ لكن ذلك كان بلا فائدة. وهو أمر ممكن، إما من خلال الأدب، أو من خلال النوم معاً.. إنني لا أكتب هذا لأنني لا أعرف ذلك؛ بل لأنه ربما يكون من الحسن أن يكتب المرء إنذارات على نحو متكرر.

السابع من تشرين الثاني:

الثلاثاء. أمس غادر الممثلون مع السيدة تشيسك على نحو نهائي. وقد صحبت لوفي مساء إلى المقهى، غير أنني انتظرت في الخارج، ولم أرغب في الدخول، لأنني لم أرد أن أرى السيدة تشيسك. وعندما كنت أتحرك جيئة وذهاباً رأيت الباب يفتح، وتخرج منه السيدة تشيسك مع لوفي. هُرِعَتْ السيدة لتحيتي، ولقيتها في منتصف الشارع. شكرتني بألفاظ كبيرة لكنها طبيعية على باقة الورد التي عرَفَتْ ساعتئذٍ أنها مني، إذن لم يقل لها هذا الكاذب لوفي. أصابني القلق عليها لأنها كانت ترتدي بلوزة غامقة خفيفة، ذات أكمام قصيرة. ورجوتها، وسرعان ما كدت ألمسها كي أدفعها للدخول إلى المقهى، كي لا تصاب بالبرد، لا قالت. إنها لن تصاب بالبرد لأن معها شالاً، ثم رفعته للحظة كي تريه لنا، ووضعته قريباً من صدرها. لم أستطع أن أقول لها إنني خائف عليها؛ لكنني كنت سعيداً أن أعثر على مشاعر، أستطيع أن أستمتع من خلالها بعشقي، لهذا كررت القول لها إنني قلق عليها. في تلك الأثناء خرج زوجها، وابنتها الصغيرة، والسيد بيبز. وبدا أنه من غير المؤكد أنها ستسافر إلى برون، كما أخبرني لوفي، بل على العكس؛ فإن بيبز كان مصمماً على السفر إلى نورنبرغ. كان هذا هو الأفضل، لأن من لا يتسج أن تعثر هناك على صالة، ولأن المجتمع اليهودي فيها أكبر، إلى جانب أنّ الرحلة إلى لايبتسج وبرلين مريحة. وأكثر من هذا فإنهم تناقشوا طيلة اليوم، أما لوي الذي ظل نائماً حتى الرابعة؛ فـقد تركهم ببساطة ينتظرون، وجعل قطار السابعة والنصف يفوتهم. في أجواء هذا الجدل دخلنا الحانة وجلسنا على الطاولة، وجلست مقابل السيدة تشيسك، لقد أحببت جداً أن أميز نفسي، وهو أمر ليس صعباً تماماً؛ إذ كان يتوجب علي أن أعرف شبكة مواصلات القطارات المتعددة،

والاختلاف بين محطات السكك الحديدية، وكيفية الاختيار بين نورنبرغ وبرون. والأهم أن أستطيع إسكات بيبز الذي كان يتصرف مثل باركوخيا، أما لوفي فقد تصرف تجاه صرخات بيبز على نحو معقول تماماً، وإن حدث ذلك من دون قصد، وبسرعة متوازنة، وبثرثرة متصلة في صوته الطبيعي، كانت غامضة بالنسبة لي آنذاك. وبدلاً من أن أميّز نفسي غرقت في مقعدي، وأخذت أنقل الطرف بين بيبز و لوفي، وعندها فقط أمسكت بالسيدة تشيسك وهي تنظر إلى الطريق، وعندما إجابتني بنظرتها، لقد أرادت أن تبتسم لي بسبب الإثارة التي أحدثها بيبز، أشحت بنظري بعيداً. لم يكن ذلك بلا معنى. فنحن لم نستطع تبادل الابتسام حول هيجان بيبز. لقد كنت جاداً تماماً ومتعباً جراء هذه الجدية. ولو أردت الضحك على أمر ما لكان يمكن أن أنظر من فوق كتفها لأرى المرأة السمينة التي مثلت دور زوجة الحاكم في باركوخيا. لكنني لم آخذ الأمر بجدية. إنّ هذا يعني أنني أحببتها. وقد كان الأمر واضحاً، حتى لبيبز الصغير الجالس خلفي رغم كل ما يتحلى به من براءة. كان يمكن أن يكون ذلك أمراً غير مسموع؛ فأنا الشاب الصغير الذي يقدر عمره ثمانية عشر عاماً، أعلن في حضور ضيوف المساء في مقهى سافوي، وسط تجمع النادلين، وأمام طاولة مكتظة بالممثلين، أعلن لامرأة في الثلاثين من عمرها، يصعب أن يراها أحد جميلة، وهي ذات طفلين واحد في العاشرة وآخر في الثامنة، وزوجها جالس إلى جوارها، وهي نموذج للياقة والتدبير، أعلن لتلك المرأة حبي الذي سقط بالكامل، وهنا يأتي الجزء الأكثر غرابة الذي لم يلحظه أحد؛ إنه يتخلى عن المرأة فوراً كما تتخلّى هي عنه عندما تكون صغيرة في السن وعزباء.

هل أكون ممتناً، أو أنه يجب علي أن ألعن؛ إنّني أستطيع أن أشعر بالحب على الرغم من سوء الحظ الذي عشته. إنه حب غير أرضي، ولكنه ذو أغراض أرضية.

كانت السيدة تشيسك جميلة يوم أمس. الجمال الطبيعي ليدين صغيرتين، لأصابع رقيقة، وسواعد مدورة، تصل حد الكمال، لدرجة أن البصر غير المعتاد على العري لا يفكر بأجزاء الجسد الأخرى، أما شعرها الذي ينير بعضه ضوء مصباح الغاز فينقسم إلى موجتين. والجزء القليل غير الصافي من البشرة يحوم على الزاوية اليمنى لفمها، أما فمها فينفتح وينغلق بنعومة

كما في شكوى الأطفال، حركة إلى الأعلى وأخرى إلى الأسفل في الأقواس المشكلة برقة، وكي يتمثل المرء التشكيل الجميل للحروف، الذي ينشر ضوء الحروف في الكلمات، ويحفظ المعالم الصافية للكلمات بطرف اللسان، كأن الأمر يحدث مرة واحدة، ويبقى إلى الأبد جبين أبيض منخفض، إنني أكره البودرة كلما أراها؛ لكن إذا كان هذا اللون الأبيض هذا اللون الحليبي الغامق يحوم حول البشرة كالنقاب فإن على كل امرأة أن تضع تلك البودرة. كانت تحبّ أن تضع إصبعين من أصابعها على الطرف الأيمن لفمها؛ بل لعلها كانت تدخل بنان تلك الأصابع في فمها، وربما أدخلت إلى فمها عود تنظيف الأسنان. لم تأمل هذه الأصابع عن قرب؛ لكنها بدت كأنها تنقب في سنها المجوف بعود تنظيف الأسنان، وتدعه هناك مدة ربع ساعة بهدوء.

الثامن من تشرين الثاني:

أمضيت وقت ما بعد الظهر مع الدكتور (المحامي) بخصوص الشركة. لم تبدُ الفتاة جميلة إلاّ لأنّها كانت تمشي، وهي تتأبط ذراع حبيبها، وتنظر بهدوء حولها.

تذكرّني المستخدمة عند (ن) بالممثّلة الذي لعبت دور مانيتي سولومون في الأوديون بباريس منذ عام ونصف، وهي جالسة على الأقل. صدر ناعم، أميل إلى الاتساع منه إلى العلو، يغطّيه قماش صوفي ووجه عريض ينحدر نحو الفم؛ لكنه يضيق سريعاً، وضفائر طبيعية غير معتنى بها من خلال تسريحة منسابة. الحماسة والهدوء في جسد قوي.

تتعّزز الذكريات كما ألحظ الآن، لأنّها عملت من دون أن تتحرك (تلاشت المفاتيح من آلة الطباعة نظام أوليفر، تشبه إبر الحياكة في الزمن الغابر، ثم أخذت تروح وتجيء، لكنها لم تكد تنطق إلا ببضع كلمات في نصف ساعة، وكأنّ مانيتي سولومون في داخلها.

وعندما كنت أنتظر عند المحامي، تأملت الآنسة الطابعة، وأدركت صعوبة الاحتفاظ بملامح وجهها، حتى في أثناء التأمل فيه. تبدو العلاقة مرتبكة، ولاسيما بين التسريحة التي تلتف حول رأسها على مسافة واحدة، وبين أنفها المستقيم الذي يبدو طويلاً في الغالب. وعندما كانت الفتاة التي تقرأ ورقة رسمية تقوم بحركات لافتة للنظر، كنت قد وصلت إلى الإدراك أنني أبدو

لها أكثر غرابة، وكأنني أنظف تنورتها بإصبعي الصغير. وعندما كان المحامي يقرأ الاتفاقية لي ووصل إلى الفقرة المتعلّقة بزوجتي المستقبلية المحتملة وأطفالي المحتملين؛ لاحظت أن مقابلي طاولة يحيط بها كرسيان كبيران وآخر صغير. وعندما فكرّت أنني سأكون في وضع لا يمكنني أبداً من امتلاك هذه الكراسي أو غيرها مع زوجتي وأطفالي، صرت منذ البداية يائساً من طلب تلك السعادة، وفي لحظات الإثارة تلك بقي سؤال واحد في أثناء هذه القراءة الطويلة يلاحقني، كي أسأله للمحامي، وقد كشف هذا السؤال عن سوء فهم كلّي للفقرة التي تلاها من الاتفاقية.

الوداع المتواصل:

لأنني شعرت أنه اضطهدني، لاحظت عند بيبز، أولاً؛ النهايات المثلّمة والمنقّطة لأسنانه. وأخيراً تولدت لدي شبه فكرة: «لماذا يسافر بالقطار بعيداً إلى نورمبرغ؟»، تساءلت «ولماذا لا يقدم عرضاً أو عرضين في محطة محّلية صغيرة؟».

«ألا تعرف محطة كهذه؟» سألت السيد تشيسك؛ لكن ليس بهذه الحدّة التي أكتب بها، غير أنها أجبرتني على أن أنظر إليها. كل أجزاء جسدها المرئية من فوق الطاولة، استدارة الكتفين، والظهر والصدر كانت ناعمة، وهي ترتدي فستانها الأوروبي، على الرغم من بنيتها العظيمة الخشنة تقريباً. ذكرتُ بيلزن على نحو سخيف؛ أما بعض الزبائن الدائمين على الطاولة الأخرى فقد ذكروا تبليتس. أما السيد تشيسك فهو يفضل أيّ محطّة محلّية، لأنه يثق بالمشروعات الصغيرة. وافقت السيدة تشيسك من دون أن تتفاهم مع الكثيرين، لكنها استفسرت عن أجور السفر. قالوا لها غير مرّة إنه يكفي أن يكسب المرء ما يقيم الأود*. كانت ابنتها تفرك خدَّها، من غير أن تحسّ بذلك بالتأكيد؛ لكن الكبار كانوا مقتنعين على نحو طفولي أنه لا يمكن أن يحدث لطفل شيء وهو مع والديه، ولاسيما عندما يكون هذان الوالدان ممثلين متجولين، كما أن القلق الحقيقي لا يتجلّى على مقربة من الأرض؛ بل على ارتفاع وجه الكبير. كنت أفضل تيبلتيس لأنه كان بإمكاني إعطاؤهم رسالة توصية للدكتور (ب)، ومن خلالها أمارس تأثيري على السيدة تشيسك. وأمام اعتراضات بيبز الذي أعد بنفسه القرعة بين المدن الثلاث المحتملة

ونفذها بحيوية عظيمة كانت تيبلتس قد اختيرت للمرة الثالثة. ذهبت إلى الطاولة المجاورة؛ وأنا في حالة إثارة، لأكتب رسالة توصيه للدكتور (ب)، ثم استأذنت بالذهاب إلى المنزل لإحضار العنوان الدقيق للدكتور (ب)، الذي لم يكن ضرورياً على كل حال لأنه غير معروف هناك. كنت محرجاً، وبينما كان لوڤي يجّهز نفسه لمرافقتي كان يعبث بيد المرأة وذقن ابنتها الصغيرة.

التاسع من تشرين الثاني:

حلمت ليلة أول أمس أن كل شيء تحوّل إلى مسرح، أكون تارة على الشرفة، وتارة أخرى على الخشبة، بينما كانت الفتاة التي ارتحت إليها قبل بضعة أشهر تشارك في التمثيل. توّتر جسدها اللدن عندما أمسكت مذعورة بظهر الكرسي. من الشرفة أشرت إلى الفتاة التي تؤدي دوراً ذكورياً، أما مرافقي فلم يرتح لها. في أحد المشاهد كان الديكور ضخماً، لدرجة أنّ أحداً لم يشاهد سواه، لا الخشبة ولا الصالة ولا العتمة ولا صفوف الأضواء في المسرح. وأكثر من هذا فقد تجمعت حشود عظيمة من المشاهدين لرؤية المشهد الذي يجسّد الخاتم المدني العتيق، منذ مطلع شارع نيكولاس على الأرجح. ومع أنّ المرء غير قادر على مشاهد المكان الواقع أمام ساحة البلدية والخاتم الصغير؛ فإن بمقدوره أن يصل إلى أرضية خشبة المسرح من خلال دوران قصير وتموجات بطيئة، لدرجة أنه يمكنه أن يلحظ من قصر كنسكي مثلاً الخاتم الصغير. ولم يكن لذلك من هدف سوى إظهار كامل الديكورات، ما أمكن ذلك، هذه الديكورات التي تجلّت بكامل جمالها، وإنه لأمر يبعث على البكاء أن يغيب عنك شيء من هذا الجمال؛ لأنني كنت على وعي أنها أجمل الديكورات في الكرة الأرضية كلها، وفي جميع العصور.

كانت الغيوم الخريفية الداكنة مصدر الإنارة، أما ضوء الشمس الكئيب فينعكس على زجاج هذه النافذة المدهونة أو تلك على الجانب الجنوبي الشرقي من المكان. ولأنّ كلّ شيء نفذ كان في حجمه الطبيعي من دون الإفصاح عن أيّ تفصيلات مهما صغرت، ولما كان مصراع النافذة يفتح ويغلق من دون صوت بسبب ريح ضعيفة نظراً للارتفاع الكبير للبيوت؛ فإن ذلك قد ولّد انطباعاً مُريعاً. كان المكان شديد الانحدار، وكان لون الرصيف ميالاً إلى السواد، أما

كنيسة تاين فكانت في موضعها، وأمامها القصر القيصري الصغير الذي تجمعت في ساحته كلّ النصب التذكارية في نظام كبير.

عمود ماريّا النافورة القديمة أمام دار البلدية التي لم أرها من قبل على الإطلاق، النافورة الواقعة قبل كنيسة نيكلاس، وسياج سميك. يلتفّ حول حفرة التنقيب الخاصة بالنصب التذكاري لهس.

لقد جرى تمثيل احتفال قيصري وثورة؛ لكن المشاهدين في صالة العرض ينسون في الغالب أنّ الأمر محض تمثيل، سواء جرى ذلك على الخشبة أم وراء الكواليس. كانت الثورة عظيمة بالحشود الضخمة من الناس الصاعدة إلى أعلى والهابطة إلى أسفل، وكانت في أغلب الظن من أعظم ما حدث في براغ؛ لكن الثورة لم تقع في براغ، وأغلب الظن أنها نقلت إلى هناك بسبب الديكور، لكنها تنتمي في واقع الأمر إلى باريس. لا يشاهد المرء من الاحتفال في بداية الأمر شيئاً على الإطلاق. فقد سافر البلاط لحضور الاحتفال، واندلعت الثورة في تلك الأثناء، وشقّت الجماهير طريقها إلى القصر، وأنا نفسي هربت من الجانب الأيمن المفتوح على حواف النافورة في باحة الكنيسة، وغدت عودة البلاط إلى القصر مستحيلة. بعدها جاءت عربات البلاط من شارع آيزن بسرعة فائقة، واضطرت لكبح جماحها، وهي ما تزال بعيدة عن مدخل القصر، وأجبرت على الانزلاق على الرصيف بعجلاتها المغلقة.

لقد كانت من العربات التي يراها المرء في المهرجانات والمواكب، التي يجري فيها عرض الصور الحيّة، لهذا كانت مستوية، تعلّق على أطرافها أكاليل الورود، ويتدلّى منها قماش ملون يغطّي العجلات على كامل استدارتها. وكلما ازداد وعي المرء بما تسبّبه من رعب أدرك دلالة سرعتها. كما أنّ الخيول التي شبّت قبل مدخل القصر قد سحبت على نحو غير واع في منحنى شارع آيزن إلى القصر. وفي تلك اللحظة تماماً تجاوزني نهر من الحشد البشري، باتجاه المكان، ومعظمهم مشاهدون سبق لي أن عرفتهم من الشارع، وكانوا قد وصلوا على الأرجح في تلك اللحظة. وبينهم فتاة أعرفها، لكنني لا أعرف من كان بجانبها، وهو رجلٌ فتيّ أنيق، يرتدي معطفاً فضفاضاً يجمع بين اللونين الأصفر والبني، ويضع يده اليمنى عميقاً في جيبه، لقد ذهبوا

إلى شارع نيكلاس، منذ تلك اللحظة لم أعد أرى شيئاً على الإطلاق.

شيللر في مكان ما:

الشيء المهم– أو شيء من هذا القبيل– هو تحوّل العاطفة إلى شخصية.

الحادي عشر من تشرين الثاني:

السبت: أمضيت فترة ما بعد الظهر من يوم أمس عند ماكس، حددت سلسلة مقالات عن «جماليات الصور القبيحة» من دون إحساس جميل. إنّ ماكس يحبني أكثر، أو هذا هو ما يتبدّى لي، على أيّ حال. إلاّ أنّني واع تماماً أنني أستحق القليل من تلك المحبّة. لا. إنّه يحبّني حقيقة أكثر؛ إنّه يريد أن يتضمنّ الكتاب المشار إليه عملي برسكيا Brescia. كلّ الأشياء الحسّنة فيّ تكافح ضدّه، من المفروض أن أسافر معه اليوم إلى برون؛ لكنّ الأشياء الرديئة والضعيفة فيّ أوقفتني، لأنني لا اظن أنّ بإمكاني أن أكتب شيئاً جيّداً حقاً يوم غد. تلتف الفتيات ولاسيما الموجودات في الخلف بمرابيل العمل. ثمة امرأة كانت عند لوفي وفنتربرغ هذا الصباح. كان مريولها يتحرك، لأنه لم يُربْط من الخلف، ولم تجر عملية ضمّه كالمعتاد؛ لذا فهو يتكوّم بعضه فوق بعض، من هنا بدت تلك الفتاة وكأنها ملفوفة كالطفل في القماط. إنّ الانطباع الحسّي الذي تشكل لديّ تجاه الأطفال في أقمطتهم، حتى لو كان هذا الانطباع غير واع؛ أعني الأطفال المعصورين في أغطيتهم وأسّرتهم وأربطتهم، إن ذلك يهدف بوضوح إلى إرضاء الشهوة.

حكى إديسون Edison في مقابلة أمريكية عن رحلته خلال بوهيميا، وفي رأيه أن التطور الراقي نسبياً هناك، شوارع واسعة في الضواحي، حدائق أمام المنازل، ومصانع تبنى شهدها وهو يتجول البلاد؛ يعود لأن هجرة التشيكيين إلى أمريكا كبيرة جداً، وأن رجوعهم إلى بلادهم واحداً بعد واحد يجلب معه طموحاً كبيراً.

حالما أدرك– بصرف النظر عن الطريقة– أنّ لديّ عيوباً ينبغي تصحيحها، مثلاً حياة

شقيقتي المستقرة تماماً التي تبدو كئيبة من وجهة نظري؛ أفقد للحظة كلّ الإحساس في عضلات ذراعي.

سأسعى تدريجياً لتجميع الأشياء الوثوقية فيّ، الموثوق فيه ثم المحتمل، إنّ شرهي بالكتب مسألة غير خاضعة للشك. ليس من أجل امتلاكها أو قراءتها بل من أجل رؤيتها، لأتمكن من إقناع ذاتي بحقيقة وجودها على رفوف بائع الكتب.

وعندما أعلم بوجود عدة نسخ من الكتاب الواحد في أمكنة شتّى فإن كلّ نسخة منها تفرحني. كأن يبدو هذا الشره جاء من معدتي التي يبدو أنّ شهيتها منحرفة، إن الكتب التي أمتلكها تمنحني بهجة أقل، أما الكتب التي تعود إلى شقيقاتي فتبهجني أكثر، والرغبة في امتلاكها قليلة بالمقارنة بها؛ بل هي غائبة تقريباً.

الثاني عشر من تشرين الثاني:

الأحد، محاضرة ريشيبين Richepin[45]، يوم أمس «أسطورة نابليون» في رودلف فينون؛ فارغة تقريباً. وكما لو أنّ ثمة رغبة في امتحان أساليب المحاضر، كان هناك بيانو ضخم يقع بين باب المدخل الصغير ومنضدة المحاضر. يدخل المحاضر إلى القاعة، ويسعى– وعيناه على الجمهور– كي يصل إلى طاولته بأقصر الطرق. يقترب كثيراً من البيانو، يبهت، يتراجع، ويدور حول البيانو بهدوء من دون أن ينظر إلى الجمهور.

وقد كان من الطبيعي نظراً للحماسة التي رافقت نهاية المحاضرة ولشدة التصفيق أن يستمر المحاضر في نسيان البيانو، الذي لم يلتفت إليه طيلة المحاضرة. لأنه يريد أن يفعل ذلك فيما بعد. يضع يديه على صدره ويدير ظهره للجمهور، يمشي بضع خطوات رشيقة جانباً، يمّس البيانو مسّاً رفيقاً، يتوجب عليه أن يحني ظهره قليلاً، قبل أن يصل إلى المنطقة الواضحة، إن هذا هو ما فعله ريشيبين تقريباً.

(45) تشير اليوميات إلى الشاعر والروائي والمسرحي الفرنسي جين ريشيبين (1849–1926).

رجل طويل قوي يبلغ محيط خصره خمسين. شعره قاس ومشعّث (دواديتس Daudets مثلاً) ويضغط على جمجمته باعتدال. إنه كالجنوبيين بأنفهم السميك، ووجهم الواسع المجعّد؛ أما فتحات أنوفهم فهي قادرة على أن تنفث الريح القوية، كالريح التي يخرج من كمّامة الحصان. إن المتأمل في وجهه يدرك أن ملامحه غير قابلة للإصلاح. وأنها ستسمر مدة طويلة ويذكرّني وجهه بوجه إيطالية عجوز وراء لحية تَنَمْت على نحو طبيعي.

كان دهان المنّصة الرمادي الفاتح الجديد الصاعد من خلفه مشتّتاً للانتباه، اختلط شعره الأبيض بهذا اللون فضاعت ملامحه، وعندما أمال رأسه إلى الخلف، تحركّت الألوان وكاد رأسه يغرق في خضمّها. وعندما بلغ منتصف المحاضرة ووصل التركيز إلى ذروته توقّف الاضطراب، ولاسيما عندما كان ينشد رافعاً جسده الضخم بملابسه السوداء، ويوقعّ أبيات الشعر بيديه المتموجتين، ويجعلها تطير. كان حائراً في البداية؛ فـوزع المديح في جميع الاتجاهات، وفي خضّم حديثه عن أحد جنود نابليون، الذي عرفه شخصياً، وأصيب بسبعة وخمسين جرحاً، لاحظ أن تنوع الألوان على جذع هذا الرجل لا يستطيع غير صباغ كبير تقليدها. كصديقه موخا الذي كان بين الحضور.

لاحظت تقدّماً مطرداً في مستوى التأثير في الناس وأنا على المنصّة لم أفكّر بآلامي وهمومي. كنت– وأنا أجلس على الجانب الأيسر لمقعدي الوتير– منشغلاً بالمحاضرة. يداي مشبوكتان بين ركبتيّ، وشعرت أن تأثير ريشيبين فيّ يشبه شعور الملك داود وهو يقود صبيّة إلى فراشه. لقد كان لديّ رؤية بسيطة لنابليون، الذي كان بخيالي المنظّم يتسلّل خلال باب المدخل الصغير، ويتمكن من الدخول على الرغم من خشب المنصّة والأرغن. لقد غمر القاعة كلّها التي كانت تحتشد في تلك اللحظة، وشعرت حقاً بالقرب منه؛ فأنا لم أشك ولن أشك في قوة تأثيره. ولربما أكون قد لاحظت شيئاً مضحكاً في ملابسه، كما هي الحال عند ريشيبين؛ لكن تلك الملاحظة لم تزعجني. كم كنت بارداً كطفل! لقد تمنيت مراراً أن أواجه الإمبراطور وجهاً لوجه، لأريه عجزه عن التأثير. ولم يكن ذلك شجاعة بل نوعاً من البرود.

كان ينشد القصائد كخطابات في حجرة، يضرب المنضدة كمشاهد عاجز في ساحات

المعارك، ويوضح الطريق للحراس خلال منتصف القاعة بذراعه الممدودة وهو يصيح «الإمبراطور» وقد جعل الصدى، من خلال تكرار النداء وكأنه جيش يصيح في السهل، وخلال وصف المعركة، ضربت قدم صغيرة الأرض في مكان ما؛ فتوجهت الأنظار إلى هناك، كانت تلك قدمه لأنّ ثقته بنفسه قليلة. لكن ذلك لم يزعجه. وفي في أثناء «الجنود المسلحون بالقنابل اليدوية» التي قرأها بترجمة جيرارد دي نوفاك، الذي ينظر إليه باحترام، وقع بعض التصفيق.

في شبابه كان ضريح نابليون يفتح مرّة في العام، ويجري عرض، وجهه المحنّط للجنود ذوي العاهات الذي يمرّون بموكبهم. كان الوجه منتفخاً ميالاً للاخضرار وهو منظر أقرب إلى إثارة الرعب منه إلى إثارة الإعجاب، لقد توقفوا فيما بعد عن فتح الضريح. أما ريبشن؛ فقد شاهد هذا الوجه على ذراع عمه الكبير الذي خدم في إفريقيا، وفتح القائد من أجله الضريح.

لقد أعلن مبكراً عن القصيدة التي ينوي قراءتها، كان يمتلك ذاكرة غير قابلة للخطأ، تتوافر عادة عند أصحاب المزاج الحاد، أوضحها، صنعت تلك الأبيات القادمة في ضوء تلك الكلمات زلزالاً صغيراً. وقد صرّح بأنه سيقرأ القصيدة الأولى بنيرانها كمّا وقد كان.

أوصل الأشياء إلى الذروة في القصيدة الأخيرة من دون أن يدرك أنه وصل إلى أبيات (خاصة بفكتور هوجو)، ينهض ببطء، ولا يجلس ثانية حتى بعد انتهاء الأشعار، يلتقط الحركات الكبرى للإنشاد ويضيفها إلى قوة نثره الخاص. وينهي بالقسم الذي يقول إنه بعد ألف عام فإن كل ذرة من جثمانه إذا كانت واعية على استعداد لتلبّي نداء نابليون.

هذا الفرنسي القصير النفس، جرّاء التعاقب السريع لأنفاسه الهاربة، قاوم ارتجالاته غير البارعة كلّيةً، لم ينهر، وهو يتحدث مراراً عن الشعراء، الذين يجمّلون الحياة اليومية، لا تحت تأثير خيالاته (العينان مغمضتان) بوصفه شاعراً، ولا تحت تأثير هلوساته (العينان تنحرفان وتنظران نحو المدى) التي هي هلوسات شاعر ...الخ، وفي تلك الأثناء كان يغطيّ عينيه، ويكشف عنهما ببطء، إصبعاً تلو الآخر. لقد خدم في الجيش في حين خدم عمه في إفريقيا، أما جده فعمل تحت حكم نابليون، وقد غنى مقطعين من أغنية حربية.

الثالث عشر من نوفمبر تشرين الثاني:

وهذا الرجل كما علمت اليوم، هو في الثانية والستين من عمره.

الرابع عشر من تشرين الثاني:

الثلاثاء: كنت أمس عند ماكس العائد من محاضرته في برون. بعد الظهر في أثناء النوم كأن غطاء الجمجمة الصلب، يطوق الجمجمة العديمة الحسّ، وقد تحركت بعمق إلى الداخل، تاركة جزءاً من الدماغ عرضة لحركة الأضواء والعضلات الحرّة.

تصحو على صباح خريفي بارد ذي ضوء أصفر، مجبراً على المرور خلال نافذة نصف مغلقة. وبينما تقف أمام ألواح الزجاج، قبل سقوطها تمتد الذراعان، ببطن مقوس، وساقين مقوستين إلى الوراء كالرسومات على مقدّمة البواخر في الزمن الغابر.

قبل النوم:

يظهر أنّه من المفزع أن تكون عازباً كالرجل العجوز الذي يجاهد كي يحافظ على كرامته وهو يتوّسل من أجل أن يستضاف. وعندما يريد واحد أن يقضي المساء بصحبة بعض الناس، ويكون عليه أن يحمل وجبته إلى المنزل عاجزاً عن انتظار أي أحد بإحساس كسول من الثقة الهادئة، ولا يهدي أحداً إلا بصعوبة وانزعاج، ولا يودع أحداً عند الباب الخارجي، ولا يكون قادراً على صعود الدرج بجانب زوجته، وأن يرقد مريضاً، ولا عزاء له إلا النظر من النافذة، عندما يستطيع النهوض، وأن تكون لديه أبواب جانبية في غرفته تقوده إلى غرفة جلوس لأناس غرباء، وأن يستشعر الغربة عن أقربائه، الذين لا يمكن له أن يحتفظ بصداقتهم إلا بالزواج، أولاً بزواج والديه، وعندما يتلاشى تأثير ذلك الزواج، فبزواجه هو، كما يتوجب عليه أن يعجب بأطفال الآخرين، ومن غير المسموح له أن يظلّ يكرر: «ليس لدي أطفال»، كما يتوجب عليه ألا يشعر بتقدم العمر، لأنه لا يجد حوله عائلة تنمو، وأن يتخذ لنفسه نموذجاً في المظهر

والسلوك واحداً أو اثنين من العزّاب من أيام شبابنا. كل ذلك صحيح. لكنّ المرء يرتكب الخطأ بسهولة، عندما يفتح الآلام المستقبلية، لأن الرؤية ينبغي أن تكون قادرة على تجاوزها، لا أن ترتد نحوها، بينما يقف المرء في الواقع، اليوم وغدا بجسده ورأسه الحقيقي وجبهته الحقيقية، ليضربها بيد واحدة.

أحاول الآن كتابة مسّودة للمقدمة الخاصة بـ «ريتشارد وصموئيل»*.

الخامس عشر من تشرين الثاني:

أمس مساء: سحبت غطاء السرير بتوجسّ مسبق، استلقيت وأنا أدرك جميع قدراتي كما لو أنني أحملها على كفي. لقد وتّرت صدري، ووضعت رأسي في اللهب لمدة قصيرة، وأنا أردّد معزياً ذاتي لعدم نهوضي للعمل: «هذا وضع غير صحي، هذا وضع غير صحي»، محاولاً أن أجعل من النوم هدفاً مرئياً، قابلاً كي أسحبه إلى رأسي. استمر تفكيري وأنا أضع قلنسوة ذات حافة على رأسي. وقد سحبتها إلى جبيني كي أحمي ذاتي. ما أشّد خسارتي يوم أمس، وما أقوى الدم الذي كان يضغط على رأسي الضيق. إنني قادر على أن أفعل أي شيء؛ لكن الطاقات تقيّدني، وهي طاقات لا غنى لحياتي عنها، لكنها مبدّدة.

من المؤكد أنّ كل ما اخترعته سابقاً، سواء أكان حرفياً أم تقريبياً، وحتى عندما كان مزاجي حسناً، يبدو عندما أسعى للتعبير عنه على نحو دقيق جافاً وخاطئاً، وجامداً ومحرجاً لكل من حولي. لكنه يبدو في المقام الأول ناقصاً، عندما أدونه من فوق طاولتي، على الرغم من أنني لم أنس شيئاً من مضمونه الأصلي. إن هذا يعود في القسم الأكبر بطبيعة الحال إلى أنني أخترع أشياء جيّدة، بعيداً عن الورق، وذلك في لحظات السمّو، وهي لحظات نخشاها أكثر مما نشتاق إليها. لكنّ الامتلاء يكون كبيراً يجبرني على أن استغني عنه.

كالأعمى وعلى نحو اعتباطي أملأ كفيّ بقطرات من ماء النهر، وعندما أدونها على نحو هادئ، يتضح أنّ ما حصلت عليه لا شيء ألبتة مقارنة بالغزارة التي يعيشها ذلك النهر. إنني عاجز عن استعادة ذلك الامتلاء، وهو أمر سيئ ومزعج، لأنها محاولة بلا هدف.

السادس عشر من تشرين الثاني:

ظُهْر هذا اليوم قبل النوم: لم أتمكن من النوم إطلاقاً، كان يرقد فوقي جسد امرأة من الشمع، كان جسدها ينحني فوق وجهي، وساعدها الأيسر يضغط على صدري.

لم أنم لثلاث ليال، أبذل أقلّ الجهد لكي أعمل شيئاً؛ لأنّ قوتي قد استنزفت حالاً.

من دفتر ملاحظات قديم*:

«الآن في المساء: بعد أن ابتدأتُ الدراسة منذ السادسة صباحاً، لاحظت كيف كانت يدي اليسرى تمسك بأصابع يدي اليمنى مدة من الزمن على نحو عاطفي».

الثامن عشر من تشرين الثاني:

أمس في المصنع: ركبت العربة الكهربائية راجعاً، وأنا أجلس في الزاوية بسيقان ممتّدة. أرى الناس في الخارج، والأضواء في المخازن، وجدران الجسور تواجهنا حيثما نعبر من الأمام ومن الخلف، مراراً وتكراراً. طريق عام يقود من شارع خدمات الضاحية، ويخلو من أي شيء إنساني سوى أنّ الناس يسيرون فيه في أثناء ذهابهم إلى منازلهم. الأضواء الكهربائية الساطعة لمحطة السكة الحديدية تسطع في الظلام، المداخن المدبّبة لمصانع الغاز. ملصق يعلن عن برنامج مغنية دي تريفيل de Treville يمتد على طول الجدران، قريباً ما أمكن من المقابر، صاحبني من برد الحقول إلى دفء البيوت المعتدل في المدينة. إننا نتقّبل المدن الأجنبية كحقيقة. أما السّكان فيعيشون فيها من دون أن يخترقوا طريقة حياتنا، كما أننا لا نخترق طريق حياتهم. مقارنة تحدث؛ لكنّها لا تساعد في الدفاع عن الذات، ويعي المرء ألا مغزى لها أخلاقياً ونفسياً، وفي النهاية يستطيع المرء التنازل عن تلك المقارنة في غالب الأحيان، لأن الاختلاف الواسع في شرائط الحياة يجعلها غير ضرورية. إنّ ضواحي مدينة الآباء والأجداد هي غريبة عنّا، على أيّ حال؛ لكن المقارنات في هذا السياق ذات قيمة، وتستطيع المشي لمدة نصف ساعة للبرهنة عليها

ثانية. فجزء من الناس يعيشون هنا داخل مدينتنا، والجزء يعيش الجزء الآخر على الحافة المظلمة البائسة للمدينة المثلّمة كخندق عظيم على الرغم من وجود مساحة مشتركة من الاهتمام أعظم من أيّ مجموعة تعيش خارج المدينة. لهذا السبب أدخل إلى الضاحية مع مشاعر هي خليط من الخوف والهجر والتعاطف والغرور والبهجة وأعود مملوءاً بالرضا والرزانة والهدوء ولاسيما من زيزكوف.

التاسع عشر من تشرين الثاني:

الأحد: حلم.

في المسرح: عرض «الأرض المتباعدة الأرجاء» شنتسلر Schnitzler، التي اقتبسها أوتيتس* Utitz[46]. أجلس على اليمين في المقدّمة، معتقداً أنني أجلس في السطر الأوّل، ليتبيّن أخيراً أنّه الصف الثاني. يتجّه ظهر السطر نحو خشبة المسرح، لدرجة أن المرء يمكنه أن يرى الصالة بسهولة، وأن يرى الخشبة عندما ينعطف نحوها. المؤلف قريب في مكان ما، ولا أستطيع أن أخفي رأيي بأن المسرحية التي عرفتها من قبل رديئة، وإن كان ينبغي أن يضاف هنا أنّ الفصل الثالث بارع. بهذا «ينبغي» أن أقول إذا كان الحديث يجري عن الأقسام الجيّدة؛ فإنني لا أعرف المسرحية، وينبغي أن أعتمد على الإشاعة. لذا فإنني أكرر هذه الملاحظة مرّة أخرى، لا لنفسي فحسب؛ بل للآخرين الذين يتجاهلونها، ثمة ازدحام عظيم حولي، ويبدو أن الجمهور قد حضر بملابسه الشتوية، كل واحد يملأ مقعده، حتى يفيض الناس خلفي وعن جانبي، وهذا الذي لا أراه، يقاطعني، مشيراً إلى القادمين الجدد، يذكر أسماءهم، يتركز انتباهي على زوجين، يجبران نفسيهما على السير على امتداد سطر المقاعد، أما المرأة فكان وجهها أصفر داكناً، رجولياً، ذا أنف طويل. وفوق ذلك- بقدر ما يمكن للمرء أن يرى في الحشد في الخارج، وعلى مدى ارتفاع رأسها- فقد كانت ترتدي ملابس الرجال، بالقرب مني كان الممثل لوڤي على نحو يبعث على الدهشة؛ لكنه على خلاف لوڤي الحقيقي يقف ويقول كلاماً كثيراً، تتكرّر فيه كلمة

(46) تشير اليوميات إلى مسرحية للقاص والمسرحي النمساوي (1862–1931)، وقد ظهرت المسرحية عام 1911.

«المبدأ الأساسي» Principium لكنني انتظرت أن يقول «نقطة المقارنة» dertium comparatio nis لكنه لم يقلها. في المقصورة الواقعة في الصف الثاني الموجودة في الواقع في زاوية الصالة على يمين خشبة المسرح المتّصلة بالشرفة هناك يقف الابن الثالث لعائلة كيش* Kisch، خلف أمّه الجالسة، التي تتحدّث في المسرح، وقد ارتدى زيّاً إمبراطورياً أنيقاً واسع الأكمام، كان حديث لوڤي يرتبط بهذا الحديث. وبين أشياء كثيرة يشير كيش عالياً إلى موضع على الستارة ويقول: هناك يجلس كيش الألماني، وهو بذلك يعني زميل دراستي الذي سبق له أن درس الأدب الألماني.

وعندما ترتفع الستارة ويحلّ الظلام على المسرح ينسحب مع أمّه إلى الشرفة في الأعلى، كي تتضّح الرؤية أمامه، بينما تنتشر ذراعاه وستراته، وساقاه على مسافة عريضة.

تقع خشبة المسرح على مستوى أكثر انخفاضاً من صالة المشاهدين؛ فعندما تنظر نحوها تسقط ذقنك على ظهر المقعد. تتألّف الديكورات بشكل رئيسي من عمودين منخفضين سميكيْن يقعان في منتصف خشبة المسرح، تعرض مأدبة يشترك فيها فتيات وشباب. وبصرف النظر عن مغادرة كثيرين للصالة من الصفوف الأولى ذاهبين على ما يظهر خلف الخشبة؛ فإن وجود الفتيات الباقيات بقبعاتهن الزرق، قد غطّى المساحة على امتداد المقاعد، وأدّى إلى حجب الرؤية. وقد استطعت على الرغم من ذلك من رؤية فتى ما بين العاشرة على الخامسة عشرة بوضوح على خشبة المسرح. كان له شعر جاف، مفرّق، قد قصّ على نحو مستقيم، وهو لا يعرف كيف يضع المنديل بشكل صحيح إلى فخذيه. فينظر حذراً إلى الأسفل وهو يفعل ذلك، مع أن من المفترض أن يمثّل دور المنغمس في الملذات في المسرحية. وفي النتيجة فإنّه لم يعد لديّ كبير ثقة بهذا المسرح، وكانت الجماعة على الخشبة تنتظر أشخاصاً متنوعين من الذين يصعدون على الخشبة من الصفوف الأولى للمتفرجيّن، لم يتدربوا على المسرحية جيّدا؛ فعلى حين غرّة تدخل ممثّلة تدعى هاكل برغ، ليخاطبها ممثّل يتكئ على مقعده كرجل العالم (هياكل)، ثم يلحظ خطأه ويصحّحه. ثم تدخل فتاة أخرى (تدعى فرانكل فيما أظن) تصعد على ظهر المقعد حيث أجلس، كان ظهرها عندما صعدت عارياً تماماً، أما بشرتها فلم تكن صافية، وكان على وركها

اليمنى بقعة حمراء مخدوشة، بحجم مقبض الباب. وعندما استدارت فوق الخشبة ووقفت فوقها بوجهها النظيف كانت تمثّل جيّداً. وكان من المفترض أن يظهر مغّن خيّال، وأن يدنو من بعيد وهو يعدو بالفرس، في حين ينتج البيانو صوت الحوافر، فتسمع صوت الأغنية العاصفة وهي تقترب، وأخيراً أرى المغنّي الذي يحرص على إعطاء الأغنية طبيعية التي تتجلّى في اقترابه السريع على امتداد الشرفة وهو يركض تجاه الخشبة. إنه لم يعد الآن فوق الخشبة، ولم يصل إلى خاتمة الأغنية. وقد تجاوز ذروة الأغنية السريعة المملوءة بالصراخ، ولم يعد البيانو قادراً على إنتاج صوت الحوافر، وهي تضرب الحجارة على نحو متميّز. توقف الاثنان إذن، وأخذ المغنّي يقترب بهدوء، وقد بدأ يصغّر نفسه إلى درجة أنّ رأسه الذي يعلو فوق سور الشرفة لم يعد يُرى بوضوح.

بهذا ينتهي الفصل الأول؛ لكن الستارة لم تسدل، وبقي المسرح مظلماً تماماً. على أرض الخشبة كان يجلس ناقدان يكتبان، ويتكئان بظهريهما على الديكور، أستاذ الدراما أو المخرج بلحيته المدبّبة الشقراء، يقفز على الخشبة، ويمّد يده، وهو ما يزال في الهواء إلى الخارج ليعطي بعض التعليمات، بينما يمسك بيده الأخرى عنقود عنب، كان في أحد صحون الفاكهة على المائدة، وهو يأكل الآن منه.

في مواجهة صالة المشاهدين ثانية ألاحظ أنّها مضاءة بقناديل زيت الكاز، التي تشبه تلك الموجودة في الشوارع والمثبتّة على مصابيح بسيطة، وإضاءتها ضعيفة جداً. فجأة هناك مصباح ملّوث، أو فتيلة معطوبة، يؤدّي إلى اشتعال اللهب خارج تلك الفوانيس؛ فيقع الشرر على الجمهور المزدحم، وتتشكّل كتل سوداء كالتراب. ينهض رجل من بين تلك الحشود، ويمشي على نحو متكلّف وكأنّه يريد أن يثبّت القنديل لكنه يتأملّه، ويظل قريباً منه مدة، وعندما لا يحدث شيء يعود بهدوء إلى مكانه ويختفي. أضع نفسي بديلاً عنه، وأحني وجهي في الظلام.

ينبغي أن أكون أنا وماكس مختلفين جذريا؛ فـبقدر إعجابي بكتاباته عندما تكون كلّها مجتمعة أمامي، هذه التي تقاوم تدخلّي أو أي تدخل آخر. أما اليوم بالذات فثمة مجموعة من مراجعات الكتب وتبدو كل جملة فيها كتبها «ريتشارد وصموئيل»ترتبط من زاويتي بتنازل

على كره مني يؤلمني حتى العمق، اليوم على الأقل.

اليوم مساء كنت للمرة الثانية مملوءاً بكفاءة متحفّظة خائفة.

العشرون من تشرين الثاني:

حلم بإحدى اللوحات: إنّها لإنغرس Ingres[47] على ما يبدو. الفتيات في الغابة في آلاف المرايا، أو بالأحرى العذارى. على يمين اللوحة يحتشدن على نحو مشابه، مرسومات بحيوية كالرسومات على ستائر المسرح. على يسار اللوحة مجموعة أخرى تجلس أو تتكئ على غصن عملاق، أو على شريط طائر، ترتفع بقوتها الذاتية في سلسلة تقود إلى السماء ببطء. أما في هذه اللحظة فلا ينعكسن باتجاه المشاهد وحده؛ بل بعيداً عنه؛ فصرن أكثر غموضاً وأشد ازدحاماً. وما خسرته العين في التفصيلات ربحته في الامتلاء. في المقدمة كانت ثمة فتاة عارية، متأثرة بتلك الانعكاسات، تقف على ساق واحدة، أما وركها فيندفع إلى الأمام. هذا ما يستحق الإعجاب برسومات إنجرس لكنني وجدت هنا وأنا أشعر بالراحة أنّ ثمة عرياً حقيقياً في هذه الفتاة، يصل إلى درجة الإحساس باللمس. من موضع خفيّ كانت تأتي ومضة الضوء الأصفر الشاحب.

إن كراهيتي للفرضيات النقيضة مسألة مؤكدّة، صحيح أنهم يجيئون على نحو غير متوقّع؛ لكنهم لا يأتون على نحو مفاجئ، لأنهم موجودون هنا على مقربة منا تماماً. وإذا كانوا في حالة اللاوعي؛ فالحالة ذاتها كانت على الحافة القصوى للوعي. صحيح أنهم ينتجون الإتقان والامتلاء والكمال؛ لكن ذلك يشبه بالرسومات على عجلة الحياة*. لقد حاولنا اصطياد خاطراتنا البسيطة في الدائرة، إنهم يستطيعون أن يكونوا مختلفين. وبقدر الفروقات الدقيقة بينهم فإنهم يكبرون تحت يد واحدة تبدو كأنها قد ترهلّت بسبب الماء. إنهم يبدؤون بتوقع

(47) الإشارة هنا هي إلى الرسام الفرنسي جين أوغست دومينيك إنغرس (1780–1867) وهو ينتمي إلى مدرسة الكلاسيكيين الجدد في فرنسا.

النهاية، وينتهون دائماً في الحجم المتوسط نفسه، يلتفّون على نحو غير قابل للتمدّد، يعطون إشارات. إنهّم فجوات في الخشب وَعدْو سريع، وفرضيات مناقضة لذواتهم، كما سبق أن عرضت إذا ما أرادوا تصوير أنفسهم وإلى الأبد.

المسرحية:

معلم إنجليزي ذكي، بكتفيه المستقيمين، ويديه اللتين تضربان عميقاً في جيبه، ومعطفه الأصفر اللون، حدث ذات مرّة أنّه كان يقطع الشارع بخطوات واسعة، قويّة أمام العربة الواقفة، التي كانت تعطي إشارة المغادرة من خلال جرسها.

إميل: يا أنّا

أنّا: (وهي تنظر إلى الأعلى) نعم.

إميل: تعالي إلى هنا.

أنّا: (بخطوات واسعة، هادئة) ماذا تريد؟

اميل: أريد أن أقول لك. إنني أشعر بالاستياء منك منذ بعض الوقت.

أنّا: حقّا!.

إميل: الأمر كذلك.

أنّا: إذا كان يجب عليك أن تخبرني عن ذلك، يا إميل.

إميل: بهذه السرعة من دون أن تسألي عن السبب؟

أنّا: أعرفه.

إميل: حقّاً.

أنّا: لا يعجبك الطعام.

إميل: (ينهض سريعاً ويصيح) هل تعلمين، أم أنك لا تعلمين أنّ كورت سيغادر الليلة مساء.

أنّا: (غير مستاءة داخلياً): أصحيح ذلك، لسوء الحّظ، إنّه سيسافر لقد كان لزاماً عليك ألا تدعوني إلى هنا.

الحادي والعشرون من تشرين الثاني:

مربيتّي السابقة، المرأة ذات الوجه الأسود والأصفر، والأنف المربّع، والثؤلول على خدّها، الذي اعتاد أن يبهجني تماماً، كانت في منزلنا مؤخّراً للمرة الثانية من أجل أن تراني. لم أكن في البيت في المرة الأولى، أما في هذه المرّة فقد كنت أريد أن أُتْرَك بسلام، كي أنام؛ فـجعلتهم يخبرونها أنني في الخارج. لماذا ربّتني على هذا النحو السيّئ؟ لقد كنت مطيعاً، وقد صرّحت بذلك للطباخة والمربيّة (الحالّية) في غرفة الانتظار. كنت طيّباً وصاحب مزاج هادئ. لماذا لم تستثمر ذلك لصالحي، وتعدّ مستقبلاً أفضل لي؟ إنها امرأة متزوجة أو أرملة، وعندها أطفال، وتمتلك طريقة حيوّية في الحديث تمنعني من النوم. إنها تعتقد أنني رجل مهذّب، طويل القامة، أتمتع بصحة جيّدة، في العمر الجميل، في الثامنة والعشرين، أرغب في تذكر أيام صباي، وبشكل عام أعرف كيف أتعامل مع ذاتي. أستلقي على الأريكة، خارج العالم، أنتظر النوم الرافض للقدوم، الذي يمسّني مساً رفيقاً عندما يأتي، مفاصلي تؤلمني من الإعياء، جسمي الجاف يرتعد مضطرباً باتجاه الدمار على نحو لا يجرؤ أن يعي بوضوح التشنجات المدهشة التي تدور في رأسي. وهنا تقف ثلاث نساء أمام بابي؛ واحدة تمدحني كما كنت، واثنتان تمدحان حالتي الراهنة. قالت الطباخة: إنني سأذهب إلى السماء حالاً، تعني من دون أيّ انعطافات. وهذا ما سيحدث.

لوڤي: في التلمود أنّ أحد الحاخامات جعل من المبادئ التي تنال رضا الله؛ ألا يقبل من أحد شيئاً، حتى لو كان ذلك الشيء قدح ماء. ثم حدث أن الحاخام الأكبر في ذلك العصر أراد أن يتعرف على ذلك الحاخام؛ فـدعاه لتناول الطعام. كان من المستحيل أن يرفض دعوة رجل كهذا. جلس الحاخام حزينا في أثناء الذهاب إليه. ونظراً لأن مبدأه كان عظيما، فقد ارتفع جبل بين الحاخامين.

أنّا : جالسة على الطاولة، وتقرأ في الجريدة.

كارل: يتمشّى في الغرفة، وعندما يصل إلى النافذة، يبقى واقفاً، وينظر إلى الخارج، ويفتح النافذة الداخلية.

أنّا : أرجو ترك النافذة مغلقة، إن الجو صقيع.

كارل: (وهو يغلق النافذة) إن لدينا بواعث متباينة للقلق.

الثاني والعشرون من تشرين الثاني:

أنّا : كلاّ، لكنّك طوّرت عادة جديدة إنّ ذلك مروّع يا إميل. إنك تتمسّك بالتفصيلات الصغيرة، وبمساعدتها تستطيع أن تجد صفة سيئة لدي.

كارل: (يفرك أصابعه) لأنه ليس لديك سبب لأي شيء، ولأنك بشكل عام مبهمة.

من المؤكد أنّ العقبة الرئيسية في تقدمي تكمن في وضعي الجسدي؛ فلا شيء يمكن إتمامه بجسد كهذا. ينبغي أن أتعود عجزه الدائم. ونتيجة لليالي الأخيرة؛ فقد أمضيت بضع ليال في أحلام طائشة، واختلست النوم فيها قليلاً. لقد كنت هذا الصباح مشوشاً، لم أشعر بشيء سوى جبهتي. لقد رأيت وضعاً قابلاً للاحتمال؛ لكنه بعيد جداً عن حالتي الحاضرة. وباستعداد مجرّد للموت، كنت سأكون سعيداً أن أكون داخل كرة تتدحرج على أرض الممر الإسمنتية والوثائق بين يدي. إن جسدي أطول من ضعفه بكثير. إنه لا يمتلك أقل ذرة من الدهون، كي يصنع نعمة الدفء، ويحتفظ بناره الداخلية. لا دهن تستطيع الروح أن تغذي نفسها أحياناً به، على نحو يفوق حاجتها اليومية من دون أن تؤذي الجسد كلّه. كيف يتسّنى لقلبي الضعيف الذي أتعبني كثيراً في المدة الأخيرة أن يضخّ الدم، في هاتين الرجلِين الطويلتين. إنه بحاجة إلى جهد كبير كي يصل الدم إلى الركبتين، ومن هناك يستطيع بقوة الشيخوخة وحدها أن يسكب الدم إلى الأطراف السفلية الباردة من رجلي، أما الآن فإن الحاجة إلى قلبي في الجزء الأعلى من جسدي ثانية. والواحد ينتظره، وهو يبعثر جهوده في الجزء السفلي. كل شيء يجري تمزيقه على امتداد

جسدي. وماذا بوسعه أن ينجز في الوقت الذي لا يمتلك القوة الكافية لما أريد تحقيقه؟.

من رسائل لوقي إلى أبيه: عندما أجيء إلى وارسو، سأتمشّى بينكم مرتدياً ملابسي الأوروبيّة كـ «العنكبوت» أمام العينين، و«كالنادب في أثناء حفل الزفاف».

حكى لوقي قصة صديق متزّوج يعيش في بوستن، وهي مدينة صغيرة بالقرب من وارسو، وهو صديق يشعر بالعزلة نظراً لاهتماماته التقدّمية لهذا فهو حزين.

«هل بوستن مدينة كبيرة؟» «كبيرة جداً» فاتحاً راحته أمامي، المغطّاة بقفاز قاس بنيّ أصفر، يشبه أرضاً صحراوية.

الثالث والعشرون من تشرين الثاني:

في الحادي والعشرين تصادف الذكرى السنوية لوفاة كلايست، وقد وضعت عائلته على ضريحه إكليلاً وكتبت عليه: «إلى الأفضل في سلالتهم».

أيّ ظروف حياتية تجعلني تابعاً؟ نمت الليلة على نحو أفضل بكثير من الأسبوع الماضي. أما اليوم بعد الظهر فقد نمت جيّداً إلى حدّ ما. إنني لا أكون قادراً على الكتابة بعد النعاس الذي يعقبه نوم معتدل. وأشعر بكفاءات منفردة تدور داخلي بعمق أكثر، وأكون مستعّداً لأيّ مفاجآت أتوقعها مسبقاً.

الرابع والعشرون من تشرين الثاني:

شهايت Schite[48] مسرحية لغودرين، فيها اقتباسات من التلمود، على سبيل المثال: عندما يقترف الخطيئة عالم كبير في أثناء المساء أو الليل فلا تواجهه بها صباحاً، لأنه نظراً لعلمه يكون قد ندم عليها مسبقاً. إذا سرقت ثوراً ينبغي أن تعيد اثنين، وإذا ذبحت أحد الثيران المسروقة

(48) هي للكاتب المسرحي يعقوب غودرين (1853–1909)، وقد ظهرت المسرحية عام 1899، وهي تحكي قصة أحد الذين يتدرّبون كي يكونوا جزّارين في ضوء طقوس الذبح اليهودية.

يتوجب عليك أن تعيد أربعة ثيران. أما إذا ذبحت عجلاً مسروقا فعليك أن تعيد ثلاثة عجول فقط، لأنّه يتوجب عليك حمل ذلك العجل وهو عمل شاق. وهذه الافتراضات تؤثر في العقوبة أيضاً، عندما يقتاد العجل بلا صعوبات على الإطلاق.

رقيّ الأفكار الرديئة، شعرت مساء أمس تحديداً بالبؤس. كانت معدتي مضطربة ثانية. كتبت بصعوبة. تابعت بمجهود لوفي وهو يقرأ في المقهى، كان هادئاً في البداية لدرجة أنه كان يتوجب علينا كبح أنفسنا؛ لكنه غدا مملوءًا بالحيوية على نحو يسلب الراحة، مستقبلي القريب الحزين يظهر أمامي على نحو يخلو من القيمة. تركت ذلك وسرت في شارع فرديناند، وعند ملتقى الطرق مع برغشتاين، عاودني التفكير في المستقبل البعيد، كيف يتّسنى لي أن أحيا خلاله مع هذا الجسد المكوّن من مستودع مهجور؟

في التلمود أيضاً: الرجل بلا زوجة ليس إنساناً، لا أملك هذا المساء القدرة على الدفاع أمام أفكار كهذه، إلا أن أقول لنفسي: «الآن تأتي أفكار شريرة، لأنني ضعيف، ومعدتي مضطربة، إنها تصرّ عليّ كي أنعم النظر فيها الآن. لقد انتظرت لأعمل ما في مصلحتها. وقد تعمدّت ذلك. اخجلي، تعالي مرّة أخرى، لا تستغلّي ظروفي بهذه الطريقة». وفي الواقع ومن غير أيّ انتظار للبراهين الأخرى فقد نكصت، وتبعثرت ببطء، ولم تزعجني خلال ما تبقّى من مشيتي التي لم تكن سعيدة بطبيعة الحال. لقد نسيت على ما يبدو أنّه كان يتوجّب عليها أن تحترم أوضاعي الرديئة؛ فإنها ندر أن تأخذ دورها.

رائحة البنزين القادمة من السيارة التي تتحرك نحوي قادمة من المسرح جعلتني ألحظ زوار المسرح القادمين نحوي، وهم يسلّمون معاطفهم، ويضعون النظارات الخاصة بالأوبرا على نحو سليم، جمال الحياة البيتية بانتظاري، حتى لو أنها تضاء بشمعة واحدة؛ فإنها تكفي لمرحلة ما بعد النوم، يظهر بأنهم (المتفرجون) قد أرسلوا من المسرح إلى المنزل، كالأشخاص التابعين الذين تسدل الستارة أمامهم للمرة الأخيرة، وتغلق الأبواب خلفهم، مملوئين بالغطرسة نظراً للقلق السخيف لبعض الذين دخلوا المسرح قبل البداية أو خلال المشهد الأول.

الخامس والعشرون من تشرين الثاني:

أمضيت فترة ما بعد الظهر في مقهى المدينة لإقناع (م)، لتوقيع توضيح يبيّن أنّه كان يعمل كاتباً عندنا، أي أنّه غير مغطىّ بالتأمين. بمعنى أن أبي غير ملزم بدفع مبلغ إضافي من أجل شموله بالتأمين. وعدني بذلك، تحدثت مع بلغة تشيكية طليقة، واعتذرت عن أخطائي برشاقة. وعدني أن يرسل التوضيح يوم الاثنين إلى المكتب، وشعرت أنه إذا لم يجبني فقد احترمني على الأقل. لكنه لم يرسل في يوم الاثنين شيئاً، ولم يعد يقيم في براغ، لقد غادرها.

أمسية باهتة عند باوم من دون ماكس. قراءة «النساء القبيحات» وهي قصة مشوشّة، والفصل الأول هو أكثر من منطقة تشكيل للقصة.

السادس والعشرون من تشرين الثاني:

مع ريتشارد وصموئيل وماكس صباحاً وبعد الظهر حتى الخامسة، بعدها ذهبنا إلى (ن) من لنتس، وقد وصّى به كوبن، الرجل في الخمسين من العمر عملاق، يتحرك كالبرج، يحني المرء رأسه عندما يصمت لمدة من الزمن لأنه صامت تماماً، أما عندما يتحدث فلا يتحدث بكليّته، إن حياته تقوم على الجمع والجماع.

الجمع: بدأ جامعاً للطوابع، ثم انتقل إلى جمع الرسومات، ثم أصبح يجمع كلّ شيء، ثم رأى عدم جدوى تلك المسألة، التي لا يمكن أن تنتهي؛ فاقتصر على جمع التمائم، وعلى ميداليات الحجّاج ومنشوراتهم من النمسا المنخفضة وجنوب باڤاريا. كانت تلك الميداليات والمنشورات التي كانت تصدر لكل رحلة حج خاصة، ومعظمها عديم الأهمية على مستويي المادّة والقيمة الفنية، لكنها كانت تحوي صوراً جميلة غالباً. ثم أخذ يكتب عنها بجدّية، وقد كان في واقع الأمر من أوائل من يكتب حول هذا الموضوع، وقد شكل تنظيمه لهذا الموضوع الذي كان أوّل من وضع الأسس له مرجعية بهذا الخصوص. وكان من الطبيعي أن يغضب منه أولئك الذين كانوا يجمعون تلك الأشياء، ويعدونها للنشر؛ لكن كان عليهم تقبل الأمر الواقع.

إنه الآن خبير معترف به بميداليات الحج، وتأتي الطلبات من كل مكان لتسأل عن رأيه وقراره وتوصياته بشأنها ويكون رأيه قاطعاً. وفضلاً عن ذلك فهو يجمع أي شيء. كبرياؤه تشبه حزام العفة، وتشبه تمائمه التي عرضت في معرض دريزدن الصحيّ، لقد كان هناك ليعد كل شيء للشحن، ثم جاء سيف جميل لفارس من فالكن شتاين. إنّ علاقته بالفن لا يشوبها الغموض فهي واضحة، في تلك الطريقة الرديئة التي يجمع من خلالها.

أخذنا من المقهى إلى غرفته المدفأة؛ هناك في فندق غراف، يجلس في السرير، بينما نجلس نحن على المقعد من حوله، ونشكل مجموعة هادئة، كان سؤاله الأول: «هل أنتم جامعون؟». «لا، إننا مجموعة من الهواة المساكين». «لا بأس»، سحب حقيبته وأرانا كتباً له ولغيره، وهو يخلط ذلك بإعلانات عن كتابه القادم «السحر والمعتقدات الخرافية في العصر الحجري». لقد سبق له أن كتب كثيراً عن «الأمومة في الفن»، ويرى أن جسد المرأة الحامل هو الأجمل، وهو الأكثر راحة في الجماع كما أنه كتب عن التمائم. لقد كان يعمل في متحف البلاط في فيينا، وكان مسؤولاً عن الحفريات في بريلا في مصب نهر الدانوب، وقد سمّيت العملية باسمه لأنها عثرت على مزهريات مدفونة، وهو عضو في ثلاث عشرة جمعية علمية ومتحف. وقد أوصى بمجموعته إلى المتحف الجرماني في نورنبرغ، وقد اعتاد أن يجلس إلى الطاولة حتى الواحدة أو الثانية ليلاً، ويعود إليها في الثامنة صباحاً. كان علينا أن نكتب شيئاً في اليوم التالي في ألبوم سيّدة صديقة هذا الألبوم الذي كان بحوزته ليملأه بتفصيلات رحلته. لأنّ أولئك الذين يصنعون أنفسهم يأتون في المقدّمة. كتب ماكس شعراً معقّداً، أما السّيد (ن) فقد حاول أن يترجم المثل القائل:

«وبعد المطر تشرق الشمس» [وما بعد الشدّة إلا الفرج]، وقبل ذلك حاول أن يقرأه بصوت جاف، أما أنا فكتبت: الأرواح الصغيرة تقفز في أثناء الرقص... إلخ.

قرأ ثانية بصوته الجهوري وأنا أساعده، ثم سأل أخيراً: «إيقاع فارسي؟». «ماذا يدعى ذلك؟ غزل، أليس كذلك؟».

لم نكن نستطيع الموافقة، ولم نتمكن من معرفة ما يعنيه، ثم قال أخيراً باقتباس مقطوعة

Ritornell من شعر ف. روكرت F.Rueckert[49] أجل؛ إنّها من شعر الريتورنل. ولم تكن المقطوعة كذلك في الواقع. حسناً غير أنّ لها إيقاعاً مشابهاً بعض الشيء.

إنّه صديق هالبي، ويحب الحديث عنه. ونحن نفضل الحديث عن بلاي، ليس ثمة الكثير للحديث عنه، وعلى كلّ حال؛ فإنّ مجتمع ميونيخ الأدبي يحتقره بسبب رقاعته الأدبية. انفصل عن زوجته طبيبة الأسنان، صاحبة العيادة الكبيرة، التي وقفت إلى جانبه. أما ابنته الشقراء، ذات العينين الزرقاوين، ابنة السادسة عشرة؛ فهي أكثر الفتيات طيشاً في ميونيخ.

في شتيرن هايم: كان هوزي (ن) مع هالبي في المسرح. وقد مثل بلاي دور رجل متقّدم في السّن، غارق في الملذات. وعندما قابله (ن) في اليوم التالي سأله:

– «سيدي الدكتور؛ لقد مثلّت أمس دور الدكتور بلاي».

– «كيف، كيف؟» سأل محرجاً. «لقد أديت هذا الدور وغيره من الأدوار». عندما نغادر يفتح السرير، كي ينال حصّته من دفء الغرفة، وفوق ذلك يحضّر لإشعال المدفأة.

– من التلمود: عندما يذهب عالمٌ للقاء عروسه؛ فإنّ عليه أن يصحب معه رجلاً من العامة*، لأنه يغرق بعمق في علمه، ويغدو غير قادر على ملاحظة ما ينبغي ملاحظته.

نتيجة للرشوة أحاطت أسلاك البرق والهاتف بمدينة وارسو على شكل دائري مكتمل، وجعلتها بالمعنى التلمودي منطقة محاصرة، أو فناءً إلى حد ما، يستطيع الأتقى يوم السبت أن يتحرك في محيطه، وهو يحمل بعض الأمور الخفيفة (كالمناديل).

تناقش جماعات Chassidim[50] اليهودية بسعادة مشكلات التملود. أما عندما يتلعثم أحدهم في أثناء النقاش أو يمتنع عنه فإن عليه أن يعّوض ذلك من خلال الغناء. أما الأنغام فمخترعة، وإذا ما نجح رجل ما يستدعي أفراد عائلته، كي يعيد اللحن ويتدرب معهم. كان ثمة

(49) الإشارة هنا إلى الشاعر والمترجم الشهير وأستاذ اللغات الشرقية فريدريش روكرت (1788–1866)، أما الريتورنل فهو في الأصل غناء شعبي ظهر مبكراً في إيطاليا، تتكرر فيه ثلاث مقطوعات على شاكلة A-B-A.

(50) هي حركة أنشأها الحاخام إسرائيل بعل شم توف (1698–1760)، وهي تسعى إلى خدمة الله عن طريق الصوفية، إضافة إلى التعاليم اليهودية القانونية المتمثلة في قوة السعادة، وعشق الله، والذات الإلهية، والفناء في الصلاء... إلخ.

حاخام عجيب، اعتاد أن يهلوس؛ فيضع وجهه على ذراعيه الممدودتين فوق المنضدة، ويبقى صامتاً ثلاث ساعات، وعندما كان يصحو كان يبكي وينشد مجدداً لحناً عسكرياً مرحاً. وقد كان هذا اللحن هو اللحن الذي رافقت به الملائكة روح ذلك الحاخام العجيب الذي توفي في الوقت نفسه في إحدى المدن الروسية.

طبقاً للـ(كابالا Kabbala[51] يكتسب الأتقياء روحاً جديدة، أكثر قدسية وحساسية يوم الجمعة، وتظّل تلك الروح معهم حتى مساء السبت.

أما في مساء الجمعة فإنّ ملاكين يرافقان كلّ تقيّ من المعبد إلى المنزل، حيث يقف رب البيت ويحييّهما، وهم واقفان في غرفة الأطفال بعض الوقت.

ظلّ تعليم البنات ونموّهن واعتيادهن على قوانين العالم يشكل أمراً مهّماً بالنسبة لي؛ فهّن لا يركضن، وخيبة الأمل تملؤهن من الشخص الذي يعرفنه على نحو سطحي؛ بل يتحدثن معه، على نحو عابر ويتوقفّن بعض الوقت، حتى لو لم يكن ذلك في الموضع من الغرفة، الذي يتمنى المرء أن يراهن فيه. إنّك لا تحتاج إلى أن تحتجزهن بالنظرات والتهديدات أو بقوّة الحب. أما عندما يستدرن فإنهن يفعلن ذلك ببطء من دون رغبة في إلحاق الأذى، لأنّ ظهورهن غدت أكثر اتساعاً. أما ما تقوله لهن فلا يذهب أدراج الرياح؛ فهن يستمعن إلى الأسئلة جميعها من دون أن تكون مضطراً للاستعجال، صحيح أنهن يجبن بسخرية على تلك الأسئلة؛ لكنّ إجابتهن تتسّم بالدقة. نعم! إنّهن يتساءلن بوجوههن المرتفعة، ويتحملن المحادثة القصيرة. ونادراً ما يتركن المشاهد يزعجهن في أعمالهن، التي يتعهّدن بفعلها، لذا لا يعرنه كبير اهتمام على الرغم من أنه قد ينظر إليهن طويلاً، ولا ينسحبن إلا من أجل ارتداء الملابس، وهو الوقت الوحيد الذي يكون المرء فيه غير آمن، وبخلاف ذلك فلست بحاجة كي تجري في الشوارع، وأن تنتظر على البوابات، وتطيل الانتظار بحثاً عن مصادفة سعيدة، يعلم المرء أنه لا يمتلك القدرة على الاستحواذ عليها بالقوة.

(51) تصوف يهودي نخبوي ظهر في القرن الثاني عشر الميلادي.

وعلى الرغم من هذا التغيير العظيم الذي وقع لهن؛ فليس من النادر بالنسبة لهن أن يجئن نحونا عندما نقابلهن فجأة بوجوه حزينة، ليضعن أيديهن في أيدينا على نحو منبسط، ويدعوننا إلى الدخول في المنزل بحركة بطيئة، كما لو أننا أصدقاء عمل. ثم يتمشّين بقوة من أعلى إلى أسفل، في الغرفة المجاورة، وعندما ندخلها رغبة ونكاية يجلسن فوق حافة النافذة، ويقرأن الجريدة من دون أن ينظرن إلينا على الإطلاق.

الثلاثون من تشرين الثاني:

منذ ثلاثة أيام، لم أكتب شيئاً على الإطلاق.

الثالث من كانون الأول:

قرأت جزءاً من مسرحية (ڤيلهلم) شيفر W.Schaefer «مسيرة حياة كارل شتاوفر. وقائع العذاب» Karl Stauffers Lebensgang, eine chronik der Leiden-schaft [52].

واستحوذت عليّ سريعاً من خلال هذا الانطباع القوي الذي جعلني استمع إليها، وأتعلّم منها. ونظراً لمعدتي العليلة وما يرافقها من شعور بالجوع ابتليت به فإنّه يتوّجب عليّ أن أكتب مثلما يسعى المرء للخلاص من الإثارة الخارجية الملقاة على عاتقه من الخارج عبر التلويح بذراعيه.

من السهل التنبؤ بتعاسة الأعزب، سواء أكانت تعاسته ظاهرية أم حقيقية، لأنه سيلعن القرار الذي اتخذه بأن يبقى عازباً، لأن ما يحصل عليه من متعة يظلّ سراً. إنه يتجول وهو يرتدي معطفه المزّرر، واضعاً يديه في الجيوب العليا من سترته، واضعاً ذراعيه على خاصرته، أما قبعته فتغطيّ وجهه. أما ابتسامته الخاطئة التي أصبحت تبدو طبيعية فمن المفترض أن تحمي فمه مثلما تحمي النظارات العيون. أما بنطاله فأضيق مما يتناسب مع سيقانه الدقيقة. لكنّ كلّ من يعرف

(52) ظهرت المسرحية عام 1912.

ظروفه قادر على أن يحكي معاناته.

إنّ البرودة تهبّ عليه من أعماقه، وهو يحدّق إلى الجزء الأكثر حزناً من وجهه المزدوج. إنّه دائم الرحيل. لكنّ ذلك يحدث على نحو حتمي متوقع. وكلما ابتعد عن المعيش الذي ينبغي أن يدافع عنه وهذا هو ما يبعث على الغيظ يضطر أن يعمل كالعبد الواعي، الذي لا يتجاسر على إبداء وعيه، صار الفضاء الذي يحتاجه أصغر. وإذا أمضى الآخرون، حياتهم كلها على فراش المرض، والموت يتهددهم وكانوا قد سقطوا منذ زمن بعيد جرّاء ضعفهم من دون أن يتوقفوا عن حب أقربائهم الأصحاء، بالدم أو المصاهرة؛ فإن – ذلك العازب – ظلّ بمحض إرادته في معترك الحياة، تاركاً نفسه دائماً إلى الفضاءات الصغرى. وعندما يموت يكون التابوت مناسباً تماماً له.

بدت قراءتي الأخيرة لسيرة موريكي Moerike الذاتية لأخواتي حسنة؛ لكنها صارت أفضل عندما واصلت القراءة. وفي النهاية فإنّ تراكم أطراف الأصابع فوق بعضها بعضاً صنعت مع صوتي الهادئ المستقّر حاجزاً داخلياً، وصنع له بانوراما عريضة لتغدو الغرفة كلّها متمحورة حوله في خاتمة المطاف، ولا تعترف بشيء سواه. وظلّ ذلك حتى عودة والدتي من العمل.

قبل النوم سقط ثِقَلُ قبضتي ذراعَيَّ الخفيفتين فوق جسدي.

الثامن من كانون الأول:

يوم الجمعة: لم أكتب منذ مدة طويلة؛ لكنني كنت هذه المرة راضياً بعض الرضا لأنني أنهيت الفصل الأول من «ريتشارد وصموئيل»، ولاسيما الوصف الأوّلي المتعلق بالنوم في مقصورة القطار، وهو ما أعدّه نجاحاً. وفوق ذلك فإنني أعتقد أن شيئاً ما في أعماقي يتشّكل، قريب مما كان يحدث لشيللر Schiller[53] في تحويله العاطفة إلى شخصية، وعلى الرغم من كلّ أنواع المقاومة التي يبديها داخلي فإنّ عليّ تدوين ذلك.

المشي مع لوفي نحو قصر الحاكم الذي دعوته حصن صهيون، حيث ينسجم لون السماء

(53) لعل كافكا يشير هنا إلى مقالة شيللر الشهيرة عن الشعر الفطري والعاطفي، وعنده أن شعراء الفطرة ينظمون بوحي الموهبة وينسجمون مع الطبيعة، أما شعراء العاطفة فيلتزمون البحث عن الشكل لأنهم يبحثون عن طبيعة مثالية.

مع باب المدخل انسجاماً واضحاً جداً.

أما المشي الثاني فكان نحو جزيرة هتس Hetzinsel، قصة تدور حول السيدة تشيسك التي قبلت في مجتمع برلين بدافع الشفقة. وكانت في بادئ الأمر مغنية عديمة القيمة، ترتدي زياً إفريقياً قديماً وقبّعة.

قراءة رسالة من وارسو، وفيها يشكو شاب يهودي من تدهور المسرح اليهودي، ويكتب أنه يفضل الذهاب إلى نوفوستي Nowosti حيث مسرح الأوبريت البولندي، بدلاً من ذلك المسرح اليهودي؛ لأنّ تجهيزاته البائسة والخلاعة والكوبليهات «العفنة» ... إلخ لم تعد محتملة. إنّ المرء يتخيّل المشهد الكبير في أوبريت يهودي، الذي تكون المغنية الأولى فيه Primadonna، ومن خلفها قطار الأطفال الصغار، يمر من صفوف المشاهدين إلى خشبة المسرح، وكل واحد من أولئك الصغار يحمل لفيفة من التوراة وهو يغني: التوراة هي أفضل بضاعة.

أما المشية الجميلة اليتيمة طبقاً للمواضع الناجحة في «روبرت وصموئيل» فهي فوق هاردشن Hardschin وبلفيردي Belverde. أمـــا في شـــارع نيرودا Neruda فثمة لافتة: أنّا كريستوفا Anna Krizova، خياطة تعلّمت في فرنسا من خلال الأرملة – الدوقة آهرن بيرغ Ahrenberg. (الأميرة آهرن بيرغ) في وسط ساحة القلعة الأولى وقفت، وشاهدت صيحة الإنذار لحراس القلعة.

لم يُعجب ماكس القسم الذي كتبته مؤخراً، ربما لأنه عدّه غير مناسب للجميع. ومن الممكن أن ذلك يعود لأنه يرى أن ما كتبته في حد ذاته. وهذا أمر محتمل تماماً؛ لأنه حذرني من كتابة فقرات طويلة، ولأنه يرى أن تأثير هذا اللون من الكتابات هلامي.

لكي أكون قادراً على التحدّث مع الفتيات الشابات أحتاج رجلاً مسنّاً يكون إلى جانبي؛ فالانزعاج الخفيف الذي يصدر عنهن ينشّط قدرتي على الكلام، وأشعر في الحال أن ما هو مطلوب مني صار قليلاً، وأنّ ما أتفوّه به من دون فحص يمكن أن يعدّ موجهاً للرجل المتقدم في السّن إذا لم يكن مناسباً للفتاة الذي أستطيع إذا لزم الأمر أن اعتمد على مساعدته.

تذكّرني الآنسة (هـ) بالآنسة (ب ل) فأنفها في طوله، وفي انحنائه المضاعف قليلاً، وضيقه النسبي؛ يشبه أنف الآنسة (ب ل) المعطوب، وكان فوق هذا في وجهها سواد يصعب أن يوجد لعوامل خارجية بقدر ما هو قادم إلى الجلد من داخل شخصية قوّية. فالظهر العريض، في طريقه ليغدو ظهراً منتفخاً، والجسم الثقيل الذي يبدو رقيقاً في الجاكيت المفصّل جيّداً، تبدو به السترة الضيقة واسعة، أما رفعها لرأسها على نحو حر فيدل على أنها وجدت مخرجاً، بعد حيرتها في أثناء الحديث، لم أشعر بالهزيمة في أثناء الحديث. ولم أستسلم على المستوى الداخلي، وكان يتوجب عليّ أن أرى ذاتي من الخارج، مثلما كان يتوجّب عليّ أن أستطيع تفسير سلوكي على نحو مغاير. في الماضي لم أستطع أنْ أعبر عن نفسي بحرّية في صحبة أصدقاء جدد؛ لأن حضور الرغبات الجنسية كان يعيقني على نحو غير واع، أما الآن فإنّ غيابهم الواعي هو ما يعيقني.

مقابلة الزوجين Tschissik تشيسك في غرابن، كانت الزوجة ترتدي زيّ العاهرات الذي كانت ترتديه في «الإنسان المتوحش». وعندما كسرت ظهورها عندما رأيتها بين القبور إلى مجموعة من التفصيلات غدت أمراً غير قابل للاحتمال. لقد رأيتها على نحو سطحي؛ لأنني ذعرت عند رؤيتها، لم أحيِّها، كما أنها لم ترني، ولم أستطع أن أستدير فوراً. كانت أصغر بكثير من المعتاد، كانت وركها اليسرى مندفعة نحو الأمام، ولم يكن ذلك في تلك اللحظة وحدها؛ بل كان الاندفاع دائماً، أما ساقها اليمنى فمقوّسة عند الركبة. أما حركات الرأس التي قربّتها من زوجها فكانت سريعة جداً. وكانت تحاول بوساطة ذراعها الأيمن المائل للخارج أن تتعلق بزوجها، أما زوجها فكان يرتدي قبّعته الصيفيّة الصغيرة، التي تنحدر حافّتها على جبهته. وعندما استدار واستداروا من أمامي واختفوا ظننت أنهم ذهبوا إلى المقهى الرئيسي. انتظرت بعض الشيء على الجهة الأخرى من غرابن، وكان من حظي أن أراهما من النافذة قادمين .. وعندما جلست إلى الطاولة لم يكن بوسعي أن أشاهد سوى حافة قبعتها الكرتونية المغطاة بالقطيفة الزرقاء.

في الحلم كنت في منزل ضيّق جداً، مقبّب بزجاج ليس أطول من المعتاد، وله مدخلان يشبهان الممرات غير السالكة في اللوحات الإيطالية البدائية، وهو يشبه عن بعد الممّر المتفرع من

شارع Petits champs الذي شاهدناه في باريس. الفارق أنّ ذلك الشارع الباريسي كان أعرض ومملوءاً بالمخازن، أمّا هذا الشارع فكان يمر بين جدران فارغة وليس فيه مساحة كافية كي يتمشى اثنان إلى جانب بعضهما بعضاً. لكنني عندما عبرته بصحبة السيدة تشيسك كانت المفاجأة التي لم تفاجئنا أن في الشارع متسّعاً. وعندما ذهبت مع السّيدة تشيسك صوب أحد المخارج، باتجاه يمكن منه مراقبة الجميع، وقد بدأت السيدة تشيسك في الوقت ذاته بالاعتذار عن أحد التصرفات، كان يبدو أنّه الإدمان على الكحول، وتوسّلتْ إلي ألا أصدّق من يلومونها. كان السيد تشيسك واقفاً على نهاية المخرج الثاني للمنزل، وهو يضرب بالسوط كلباً من فصيلة بيرن هار دينر Bernhardiner أشقر، أشعث، يقف قبالته على ساقيه الخلفيتين. ولم يكن واضحاً تماماً فيما إذا كان السيد تشيسك يلاعب الكلب ويهمل زوجته بسبب ذلك، أو أن الكلب هاجمه حقاً، أو أنه كان يرغب في إبعاد الكلب

مع (ل) على رصيف الميناء، كنت أستشعر نوبة طفيفة من الضعف، كانت تضغط على كياني، تجاوزتها، ثم تذكرّتها بعد مدة قصيرة، كأمر نسي مدة طويلة.

عندما أتأمل كلّ العقبات الأخرى (الحالة الجسدية، الوالدين، الشخصية) أجد أنّها جميعاً تشّكل عذراً جيّداً لي، كي لا أقصر نفسي على الأدب على الرغم من كلّ شيء. لا يمكن لي أن أغامر طويلاً طالما أنني لم أتمكنّ من إنجاز عمل يرضيني بالكامل. وهي مسألة غير قابلة للنقاش على الإطلاق.

عندي الآن وكان لديّ منذ بعد ظهر اليوم طموح عظيم لتدوين حالتي القلقة كاملة، أستخرجها من أعماقي وأدوّنها في أعماق الورقة، أو أكتبها على شاكلة ما سبق لي أن دونّته في أعماقي. إنّ هذا ليس طموحاً فنّياً. فعندما تحدثّ لوڤي اليوم عن استيائه ولامبالاته تجاه ما صنعته الفرقة علّلت حالته بالحنين إلى الوطن. وعلى الرغم من كون هذا التعليل لا يعني له شيئا؛ فقد صرّحت به. وكان عليّ أن احتفظ به لنفسي وأستمتع به على نحو عابر، في مواجهة حزني الذاتي.

التاسع من كانون الأول:

شتاوفر بيرن:

«إنّ حلاوة الإنتاج تصنع أوهاماً فيما يخص القيمة الحقيقية لذلك الإنتاج».

عندما يطيل المرء التوقف عند كتاب رسائل أو مذكّرات بغض النظر عن المؤلف، وليكن كارل شتاوفر بيرن Karl Stauffer Bern[54] هذه المرّة؛ فإنه يعجز عن السيطرة على الكتاب من خلال طاقته الذاتية، لأنّ امتلاك الكتاب يعني حضور الفن، وللفن متعته الذاتية.

أما من يبذل الجهد للوصول إلى طريق خاص فيسهل عليه ذلك، إذا لم يُجابه بالاختلاف القوي لشخص الكاتب، ليدع ذاته تتشكّل في كتاباته المغايرة. لذا فليس من اللافت للنظر أن يعود المرء إلى جنسه عند إغلاقه الكتاب، ويشعر أنّ عليه من أجل الراحة والاستجمام أن يقبع داخل ذاته التي اكتشفت مؤخراً، ورجت وشوهدت للحظة واحدة عن بعد.

نكتشف فيما بعد ونحن مفعمون بالدهشة أن تلك التجارب التي تخصّ إنساناً آخر قد وصفت في الكتاب، على الرغم من كونها مفعمة بالحيوية، وأن تجاربنا تجعلنا نميل إلى الظن بأنه ليس ثّمة شيء في العالم يجعلك أكثر ابتعاداً عن أيّ تجربة (كالحزن على وفاة صديق) مثل وصفك لتلك التجربة. لكن ما يبدو صواباً لدينا لا يبدو صواباً عند الآخرين. فإذا كانت رسائلنا تعجز عن التعبير عن مشاعرنا الذاتية، وهناك بطبيعة الحال مستويات مختلفة منها — أما عندما يتوجب علينا ونحن في أحسن حالاتنا استخدام تعبيرات مثل «يصعب وصفه» أو «يتعذّر التعبير عنه» أو «بالغ الحزن» أو «بالغ الجمال»، متبوعة بانهيار سريع يؤدي إلى تحطم تلك العبارة؛ فإننا عندئذ نحتاج إلى مساعدة تتمثل في المقدرة على استيعاب ما يكتبه الآخرون في إطار الحدّ الأدنى من الهدوء الذي نفتقد مستواه عندما نواجه ما نكتبه من رسائلنا الذاتية.

إن الجهل الذي نحياه إزاء تلك المشاعر، الذي يجعلنا نتوتر ونتلوّى؛ إن هذا الجهل يضطر الفهم كي يتوّقف عند هذه الرسالة، من أجل أن يصّدق ما فيها، وليجدها حقاً دقيقة في التعبير.

(54) فنّان، ومثّال سويسري (1857–1891).

وإذا كنا نرغب في رؤية الطريق الواضحة لما هو متميّز على المستوى الإنساني؛ فإنّ رسائل كارل شتاوفر تحتوي تقريراً عن حياة قصيرة لفنّان...(انقطاع).

العاشر من كانون الأول:

الأحد: يتوجب عليّ أن أزور شقيقتي ومولودها الصغير. عندما عادت والدتي من عند شقيقتي في الواحدة ليلاً يوم أمس الأوّل، وهي تحمل نبأ ولادة الطفل؛ أخذ والدي يتجول في المنزل وهو يرتدي روبه الليلي؛ فـتح الغرف، أيقظني، وأيقظ الخادمة، وأيقظ شقيقاتي. وأعلن نبأ ولادة ذلك الطفل، لا على أن ذلك الطفل قد ولد فحسب؛ بل على أنه كبر وعاش حياة مشرّفة، وتمت عملية دفنه.

الثالث عشر من كانون الأول:

لم أكتب بسبب الإرهاق، أستلقي على الأريكة في الغرفة الدافئة، أما الآن فأنا في الغرفة الأخرى الباردة، بسيقان مريضة وأحلام تبعث على الغثيان. ثمة كلب يتمدد فوق جسدي، ويده على مقربة من وجهي. استيقظت بسببه؛ لكن لدي بعض الخوف من أن أفتح عينيّ وأنظر إليه.

Biberpelz فرو كلب الماء[55]: مسرحية مملوءة بالثغرات، لا تمتلك القدرة للوصول إلى الذروة، مشاهد غير صحيحة لأحد المديرين الرسميين تمثيل ناعم لليهمان من مسرح لسنج. طيّ التنورّة بين الفخذين، عندما تنحني. النظرة المدروسة للشعب. رفع اليدين على مقربة من يسار الوجه، رغبة في إضعاف قوة الإنكار أو احتجاج الصوت، التمثيل الخشن للآخرين، وقاحة الممثّل الكوميدي تجاه المسرحية (يسحب سيفه، يتبادل القبّعات)، كراهيتي الباردة.

(55) مسرحية اجتماعية نافذة لغيرهارد هاوبت مان، وهو كاتب ألماني يُعدّ من أفضل ممثلي المذهب الطبيعي (1862–1946). وقد عرضت المسرحية للمرة الأولى عام 1893.

الذهاب إلى البيت وتناول الطعام مصحوباً بمشاعر الإعجاب التي يستشعرها الكثير من الناس لمساء مملوء بالإثارة (يصيحون، يَسرقون، ويُسرقون، يضايقون، يهملون). أما في هذه المسرحية– إذا ما نظر إليها بعيون غامزة– فإن الكثير من الأصوات الإنسانية غير المنظّمة والصياح كدست بعضها فوق بعض.

الفتيات الجميلات. واحدة بوجهها الناعم، وجلدها الخارجي المتماسك، وخدودها المستديرة، وشعرها الآخذ بالارتفاع، في تلك النعومة ثمة عيون متروكة وبارزة قليلاً.

فقرات جميلة في المسرحية تبدو فيها ڤولفن لصة وصديقة مخلصه للناس الأذكياء، والتقدميين والديمقراطيين، ولو كان ڤيرهان Wehrhahn[56] بين المشاهدين لتأكّد من ذلك. توازٍ حزين «للفصول الأربعة»؛ في الفصل الأول سرقة، أما في الثاني فهناك محكمة وهو ما يتكرّر في الفصلين الثالث والرابع.

مسرحية «الخياط عضواً في المجلس البلدي» Der Schneider als Gemeinderart عند اليهود من دون أن يكون فيها (الزوجان) تشيسك، ولكن مع ممثلين جديدين هما الزوجان لايبغولد Leibgold، وهما ممثلان فظيعان. مسرحية رديئة لريشتر Richter، البداية موليرية، فقد علق عضو المجلس البلدي المغرم بالمظاهر بالساعات. أما السيدة ليبغولد فلا تستطيع القراءة، لهذا توجب على زوجها أن يتعلّم معها. في الغالب يتزّوج الكوميدي ممثلة جدّية، والممثل الجدّي كوميدية، وهم يصطحبون معهم نساء متزوجات أو قريبات لهم – وقد حدث مرة حوالي منتصف الليل أن أحد عازفي البيانو، وهو عازب على الأرجح، قد انزلق مع نوتاته الموسيقية خارج الباب.

كونسرت براهام في نادي الغناء، إن جوهر لا موسيقيتّي يتضمن عجزي عن الاستمتاع بالموسيقى على نحو مترابط. وكان لذلك تأثير فيّ في بعض الأحيان وكم نادرة هي الأعمال الموسيقية. إن الموسيقى تبني حولي جداراً أما تأثيرها الثابت فيّ فيتمثّل في كوني أكون مختلفاً عندما أكون مقيّداً، عنّي عندما أكون حرّاً.

(56) يشير كافكا إلى شخصيات المسرحية الرئيسة، وقد كان فيرهان يمثّل شخصيته مدير المكتب في المسرحية.

إنّ التبجيل الذي يمنحه الجمهور للموسيقى لا يمنحه للأدب على هذه الشاكلة. الفتيات المغنّيات؛ العديدات منهن لا يفتحن أفواههن إلا لحظة الغناء. كانت الحنجرة والرأس لكل واحدة منهن تتأرجح مع الجسم الثقيل عندما تغنّي.

ثلاثة رجال دين في المقصورة، الأوسط بطاقيّته الحمراء يستمع بهدوء وعزّة، لا يتحرك، ثقيل؛ لكنه ليس متصّلباً. الأيمن: غارق في ذاته بوجهه المدبّب، المتصلب، الكثير التجاعيد. الأيسر: سمين، أسند وجهه على قبضته نصف المفتوحة – تمثيل «تمهيد تراجيدي» Tragische Ouverture (لا أسمع إلاّ خطوات جديدة، بطيئة. الآن هنا. الآن هناك. إنه أمر مفيد تعليمياً أن تراقب عبور الموسيقى بين أفراد فرق العازفين، وأن تفحصها باستخدام الأذن. الشعر المشّعث لقائد الأوركسترا). (Beherzignng من القلب) لغوته، و Naenie لشيللر Schiller و«أغنية آلهات القدر» Gesang der parzen و«أغنية الانتصار» Triumphlied أما النساء المغنيات فقد وقفن على الدربزين كما لو أنهن قادمات من الهندسة الإيطالية المعمارية المبكرّة.

على الرغم من الحقيقة التي ترى أنني منذ وقت طويل، أقف بعمق في رحاب الأدب، وأن هذا الأدب قد تحطّم فوقي في كثير من الأحيان؛ فـمن المؤكد أنّ الأيام الثلاثة الأخيرة، باستثناء رغبة عامة في أن أكون سعيداً، لم أستشعر فيها رغبة حقيقية نحو الأدب. وعلى المستوى ذاته؛ فـقد عددت لوقي في الأسبوع الماضي صديقاً لا غنى عنه؛ لكنني استغنيت عنه منذ ثلاثة أيام بكل سهولة.

عندما أشرع بالكتابة بعد انقطاع طويل أسحب الكلمات من الهواء الفارغ. وعندما أظفر بكلمة واحدة فإنها تكون وحدها، ثم يبدأ العمل بعد ذلك من جديد.

الرابع عشر من كانون الأول:

وجّه أبي لي اللوم ظهراً كوني لا أهتم بالمصنع، وقد أوضحت أنني شاركت فيه لأنني كنت أتوقع الربح. لكنني لا أستطيع أن أقوم بدور فاعل طالما بقيت أعمل في المكتب، انتهرني أبي

مجددا؛ فوقفت بجانب النافذة صامتاً.

في المساء ألقيت القبض على نفسي، وأنا أفكر بالمناقشات التي وقعت ظهراً، وأنني من ثمّ قادر على احتمال وضعي الراهن باقتناع تام، وأنّ عليّ أن أحرص ألا يكون وقتي كلّه خالصاً للأدب. وما كدت أعرض هذه الفكرة لفحص دقيق، حتى بدت غير باعثة على الدهشة، وبدت لي فكرة معتادة تماماً. لقد عارضت فكرة تكريس وقتي كله للأدب. لكن تلك القناعة تولّدت في كل الأحوال من الحالة المؤقتة، لكنها كانت أقوى من تلك الأخرى.

فكرت اليوم بماكس كما أفكر بإنسان غريب، على الرغم من أنّ لديه اليوم في برلين قراءة مثيرة وأمسية موسيقية. ويخطر لي الآن أنني ما فكرّت فيه، إلا عندما اقتربت من منزل الآنسة Taussig تويسغ (صديقته) في أثناء مشيي المسائي.

التمشي مع لوفي على حافة النهر. أحد الأعمدة يرتفع خارج جسر إليزابيث، الذي يضاء داخله بمصباح كهربائي. تعرجات تبدو ككتلة مظلمة بين الضوء الذي يجري على الجوانب، مثل مدخنة مصنع. أما الظلّ المعتم الذي يصعد من فوقه إلى عنان السماء؛ فيتّسع مثل صعود الدخان نحو المناطق الخضراء المحدودة الأضواء المحدودة على جانب الجسر. في الطريق في أثناء قراءة «بيتهوفن والأحبّاء» Beethoven und das Liebespaar من تأليف و. شيفر W.Schaefer كانت تجيء إليّ أفكار مختلفة غير مترابطة؛ عن العشاء، وعن لوفي الذي كان ينتظر، وتمرّ عبر رأسي بوضوح كبير، من دون أن تتمكن من إزعاج قراءاتي التي كانت اليوم صافية تماماً.

السادس عشر من كانون الأول:

الأحد: الثانية عشرة ظهراً. أضعت ما قبل الظهر بالنوم وقراءة الصحف. الخوف من إنهاء مراجعة نقدية لجريدة Prager Tageblatt إن هذا الخوف من الكتابة يعبّر عن ذاته دائماً، عندما أكون بعيداً عن طاولة الكتابة أخترع جملاً استهلالية للموضوع الذي أنوي الكتابة فيه. لكنّ تلك الجمل تثبت على وجه السرعة أنّها جمل غير مستعملة، وجافة، وتتكسّر قبل فترة طويلة من وصولها إلى النهاية وتؤشّر من خلال كِسَرها الضخمة إلى مستقبل حزين.

الخيل القديمة في سوق عيد الميلاد ببغاوان يقفان على أحد القضبان ويسحبان أوراق الحظ. أخطاء. تتنبأ بأنّ فتاة تحصل على حبيبة، سيقّدم لها أحد الرجال زهوراً صناعية لتبيعها بكلام شعري موزون: (هذه الورود مصنوعة من الجلد).

الأنابيب الصغيرة عند الغناء، لعبة الإيماءة الوحيدة تتمثل في قيامه بطيّ ساعده الأيمن جيئة وذهاباً عند المفصل، يفتح يده قليلاً، ثم يسحبهما معاً. العرق يغطيّ وجهه ولاسيما شفته العليا. كما لو أنّها غطيّت بشظايا الزجاج. يدسّ ربطته التي بلا أزرار بعجالة أسفل صديرية جاكيته.

الظلّ الدافئ في الحمرة الناعمة لفم السيدة كلوغ وهي تغنّي. الشوارع اليهودية في باريس. إن شارع Rue rosier يتفّرع من شارع Rue de Rivoli.

إذا كان ثمةّ تعليم غير منظّ، لا يمتلك إلاّ الحدّ الأدنى من الانسجام، من أجل وجود عار، مشكوك فيه، يتحدى فجأة كي ينجز مهّمة محدّدة صعبة، في وقت محدّد، وليطور ذاته ويشكل خطابه؛ فإنّ الاستجابة ستكون مريرة، تتغلب فيها العجرفة على الإنجازات التي لا يمكن أن تتحقق إلا عبر استدعاء طاقاته كلها غير المدرّبة. إنه يلقي نظرة خاطفة على المعرفة التي تفاجئنا بالهرب، لأنّ من السهل عليها أن تتأرجح، كونها ظنّية أكثر منها مستقرة، لتختلط في خاتمة المطاف الكراهية والإعجاب بالبيئة.

يوم أمس: قبل أن أنام كان لديّ تصوّر للوحة فيها مجموعة من الناس عزلت مثل جبل في الهواء. بدا لي تكنيك الرسم جديداً تماماً، وبدا أنّ من السهولة بمكان عملية تنفيذه. اجتمعت حول إحدى الطاولات مجموعة من الناس. وكانت الأرض تمتد أبعد قليلاً من دائرة الجماعة. رأيت أولاً، بين أولئك الناس في تلك اللحظة، وعلى نحو عابر، بلمحة قوية شاباً يرتدي زياً تراثياً. كانت ذراعه اليسرى تستند إلى الطاولة، أما يده فمعلقة بحرّية على وجهه، وهو يتطلّع على نحو تمثيلي تام نحو أحدهم الذي كان ينحني فوقه باهتمام وتساؤل. كان جسده ولاسيما ساقه اليمنى متمدّدة بلامبالاة الشباب.. كان يتمّدد أكثر مما كان يجلس.

إنّ الزوجيّن المميزّين من الخطوط اللذين حددا ساقه تقاطعا وتمازجا بسهولة مع تلك الخطوط التي سبق لها أن حددت جسده. وقد تقوّست نظراً لهزاله الجسدي الملابس الباهتة

اللون الواقعة بين تلك الخطوط. قبل الدهشة من هذا الرسم الجميل الذي بعث الإثارة في رأسي وفي داخلي واستطاع أن يوّلد قناعة وتوتراً دائمين لدي، جعلني قادراً أن أحمل قلم الرصاص وقت الشاي، وأجبرني على الخروج من تلك الحالة المتدهورة. كي أكون أكثر قدرة على التفكير في الرسم. ثم تبين لي سريعاً أنين لم أتخيّل سوى مجموعة صغيرة من الخزف الرمادية–البيضاء.

في فترات الانتقال كالأسبوع الماضي مثلاً، وفي هذه اللحظة على أقل تقدير؛ تسيطر عليّ دهشة حزينة لكنها هادئة غالباً، وتغطي انعدام المشاعر لدي. إنني منقسم تجاه كل الأشياء إلى فضاء مجوّف، ولا أدفع نفسي إلى الحدّ من ذلك.

الآن في المســاء عندما تبدأ أفكاري تتحرك بحريّة، لأصبح أكثر كفاءة على ما يدو، يتوجّب عليّ أن أذهب إلى المسرح الوطني لحضور العرض الأول لـ Hippodamie من تأليف Vrchlicky [57].

من المؤكد بأنّ يوم الأحد لا يمكن أن يكون مفيداً لي أكثر من أي يوم آخر من أيام الأسبوع، لأنه عبر تقسيمه الخاص، يخلط كل عاداتي. مع أنني محتاج إلى وقت فراغ إضافي لتعديل ذاتي جزئياً في هذا اليوم الخاص.

كان يتوجّب عليّ أن أستجيب للحظّة التي رغبتُ فيها بكتابة سيرتي الذاتية، تلك اللحظة التي تحررني من المكتب، وكان يتوجب عليّ أن آخذ تغييراً حاسماً مثل هذا بالحسبان، وأن أعدّه هدفاً رائداً كي أتمكن من الانعطاف إلى كتلة الأحداث. لكنّني لا أستطيع أن أتخيّل أي تغيير واسع آخر غير هذا، الذي هو نفسه غير محتمل تماماً. وفي كل الأحوال فإن كتابة السيرة الذاتية ستشكل لديّ بهجة كبرى؛ لأنها تتحرك وكتابة الأحلام على المستوى نفسه، على الرغم من أنه سيكون لها تأثير عظيم مغاير تماماً عندي، تؤثر نتائجه فيّ، وتكون سهلة الوصول إلى عقول الآخرين ومشاعرهم.

(57) يشير كافكا إلى يروسلاف فيرشلكي (1853–1912)، وهو من أكثر لشعراء التشيكيين شهرة، وقد كتب ملاحم ومسرحيات. وقد ظهرت المسرحية المشار إليها عام 1891.

الثامن عشر من كانون الأول:

أمس الأول: مسرحية Hippodamie مسرحية تعيسة. تجوّل في الأساطير الإغريقية بلا معنى أو مسوّغ. مقالة كڤابلس Kvapils في نشرة المسرح التي تحكي بين السطور، وجهة نظر واضحة في أثناء عرض المسرحية، من حيث إخراجها المسرحي الجيد، وهو ليس في الواقع إلا تقليداً لراينهاردت، Reinhardt الذي استطاع أن يحول عملاً أدبياً رديئاً إلى عمل مسرحي عظيم. كلّ شيء ينبغي أن يكون حزيناً لأجل ذلك التشيكي الذي لا يعرف إلا القليل عما يدور حوله.

وكيل الحاكم الذي اختطف الهواء من الممّر من خلال الباب المفتوح لمقصورته – ظهور أكسيوخا Axiocha الميتة بدا كأنه اقتباس من خيال الظلّ، وهو ظهور يتلاشى سريعاً، لأنها قبل وفاتها بزمن قصير تعيش حزنها مجدداً، وهي تعاين العالم.

إنّني غير دقيق لأنني لا أستشعر آلام الانتظار، إنني أنتظر مثل ثور، ولو كنت أستشعر غرضاً لوجودي المؤقّت، حتى لو كان هذا الغرض مجهول جداً فسأكون مغروراً جداً في ضعفي، لدرجة أنني أفضّل أن أحتمل كلّ شيء من أجل هذا الغرض، ولو كنت عاشقاً فما الذي أستطيع أن أفعله؟ ما أطول ما انتظرت الخاتم لسنوات تحت أوراق الشجر، تجيء (م) حتى لو مرت ومعها عشيقها. لقد تأخر الموعد المنتظر، ويعود ذلك جزئياً إلى اللامبالاة أو إلى الجهل بآلام الانتظار، وكذا من أجل تحقيق أغراض معقّدة جدّت تتمثّل في البحث المجهول لأولئك الناس الذين تواعدت معهم، لإنجاز إمكانية الوصول إلى انتظار غير مؤكد. انطلاقاً من واقع أنني منذ كنت طفلاً كان لديّ خوف عصبي من الانتظار؛ فإنّ المرء يستطيع أن يستنتج أنني أصبحت أفضل، لأنني حدستُ مستقبلي.

إنّ ساعاتي الجيّدة لا تمتلك الوقت أو الفرصة كي تعيش مع ذاتها على نحو طبيعي. أما ساعاتي الرديئة بالمقابل فتمتلك أكثر مما تحتاج. وكما أستطيع أن أخبر– اعتماداً على اليوميات– فإنني أعاني من جرّاء هذه الحالة منذ التاسع من الشهر، أي ما يقرب من عشرة أيام. استلقيت أمس فوق السرير للمرة الثانية برأسي المحترق، وأردت أن ابتهج لأن الوقت الرديء قد مرّ،

وإنني أخشى أن أنام على نحو سيئ. تجاوزت ذلك، وتمكنت من النوم على نحو حسن نسبياً، لكنني استيقظت في حالة رديئة.

التاسع عشر من كانون الأول:

أمس: (David Geige كمان داود) من تأليف لاتاينر Lateiner الأخ المحروم، عازف كمان محترف يعود إلى الوطن، على نحو يشبه أحلامي في بدايات مرحلتي الثانوية رجلاً ثريّاً. يتنكّر في البداية في زيّ متسّول، ويربط أقدامه بأسمال بالية، مثلما يفعل جارف الثلوج، ثم يبدأ باختبار أقربائه الذين لم يغادروا الوطن: ابنته الفقيرة الوفية، أخيه الثري الذي لا يسمح بزواج ابنه من ابنة عمه الفقيرة، والذي يرغب على الرغم من سنّه المتقدمة، في الزواج من امرأة شابة. بعد ذلك يكشف نفسه لاحقاً من خلال تمزيقه لرداء القيصر الذي تعلّق تحته أوسمة ونياشين أوروبا كلها. ويحول بفضل العزف بالكمان والغناء أقربائه وتابعيهم إلى أناس أخيار، وينظم شؤون حياتهم. مثلت السيدة تشيسك للمرة الثانية، كان جسدها أمس أجمل من وجهها، الذي بدا أضيق من المعتاد، لدرجة أنّ جبهتها التي ظهرت عليها التجاعيد منذ الكلمة الأولى التي تلفظت بها، كانت أخاذّة أما جسدها المؤسّس على نحو جميل الكبير باعتدال فلم يكن يمتّ يوم أمس إلى وجهها بصلة، وذكرّني على نحو غامض بالكائنات المزدوجة مثل حوريات البحر، والكائنات السحرية، والأخرى الخرافية. وعندما وقفت أمامي بوجهها المنقبض تبيّن لي أنّ المكياج أفسد نقاء بشرتها. وهناك بقعة على بلوزتها الزرقاء الغامقة ذات الكميّن القصيرين، وقد كانت مشاعري كما لو أنني يتوجب عليّ أن أتحدث مع تمثال في دائرة من المشاهدين عديمي الرحمة.

وقفت السيد كلوغ إلى جانبها وراقبتني. أما الآنسة ويلش فكانت تراقبني من اليسار. تفوهت بأشياء غبيّة قدر استطاعتي، لم أكفّ عن سؤال السيدة تشيسك عن أسباب ذهابها إلى دريسدن، على الرغم من معرفتي بأنها تشاجرت مع الآخرين. لذا فقد غادرت المدينة وكان فتح الموضوع محرجاً لها. وكنت في النهاية متألّما؛ لكن شيئاً آخر لم يحدث لي، وعندما انضمت

السيدة تشيسك إلينا في أثناء حديثي مع السيدة كلوغ، قلت للسيّدة كلوغ وأنا أتوجه بحديثي للسيدة تشيسك «معذرة!» كما لو أنني كنت أنوي أن أمضي ما تبقى من عمري مع السيدة تشيسك. وقد لاحظت من طريقة حديثي مع السيدة تشيسك أنّها لم تنتبه إلى حبّي؛ لكن هذا الحب اكتفى بالتحليق حولها، يقترب تارة، ويبتعد تارة أخرى؛ لكنه لم يتمكن أن يمنحها السلام.

تؤدي السيدة ليبغولد دور شاب، وهي ترتدي زيّاً يبرز حَمْلها على نحو واضح. ونظراً لأنها لا تطيع والدها (يؤدي لوفي الدور)؛ فإنه يضغط الجزء العلوي من جسدها على الأريكة، ويضربها على ظهرها، فوق بنطالها الضيق الشديد الإحكام. قال لوفي بعد ذلك بأنّه لمسها بالاشمئزاز الذي يلمس فيه فأراً. إنّها جميلة على كل حال، وإن كان أنفها يبدو طويلاً جداً، ومدبباً جداً وقاسياً جداً في صورتها الجانبية. وصلتُ في العاشرة تقريباً. تمشيّت أولاً، واستمتعت بشيء من عصبية الحصول على مقعد في المسرح، مثلما حاولت في أثناء العرض أن أتمشّى، في محاولة الذين يغنون على نحو منفرد أن يغنّوا لي. افتقدت السّيدة كلوغ أيضاً التي لا يشّكل الإصغاء الدائم لغنائها، بالنسبة لي أكثر من اختبار لصلابة العالم التي احتاج إليها بعمق.

تحدثت اليوم مصادفة مع والدتي بضع كلمات في أثناء تناول الإفطار عن الأطفال والزواج، لكنني لاحظت للمرة الأولى بوضوح مقدار ما في تصوّرها عنّي من خطأ وطفولية. فهي تعدني شاباً سليماً، يعاني قليلاً من تصورات خاطئة، تجعله مريضاً. هذه التصورات الخاطئة ستختفي وحدها مع مرور الوقت، أما الزواج وتربية الأطفال فستقضي عليها قضاءً مبرماً. وبعد هذا سيتراجع اهتمامي بالأدب ويصل إلى الدرجة الضرورية للرجل المتعلّم. أما اهتمامي بمهنتي أو بالمصنع أو بكل ما يمكن أن يقع بين يدي فسيظهر على نحو بارز. لذا فليس هناك أدنى الأسباب لليأس الدائم بشأن مستقبلي. وإن كان ثمة بواعث ليأس مؤقت، وإن لم تكن بواعث عميقة، في كل الأحوال، عندما أعتقد أن معدتي مرتبكة، أو عندما أظن أنني لا أستطيع النوم لأنني أسرفت في الكتابة. إن هناك آلافاً من الحلول الممكنة، ولعل أكثرها احتمالاً هو أن أقع فجأة في عشق فتاة من دون أن أقوى على الحياة بعيداً عنها. وبعدها سأرى مقدار حسن نواياهم نحوي،

ومقدار تدخلاتهم في حياتي. أما إذا بقيت عازباً مثل عمي في مدريد؛ فلن يكون ثمة مصيبة، لأنني قادر نظراً لما أتحلّى به من ذكاء على تصويب مسار حياتي.

الثالث والعشرون من كانون الأول:

عندما أتأمّل طريقة حياتي بأكملها أراها تقود إلى الاتجاه الغريب والخاطئ لكلّ أقربائي ومعارفي. وعندئذ تظهر المخاوف التي عبّر عنها أبي من أنه سينبثق مني عميّ رودلف ثانية، أحمق الجيل الجديد في العائلة، الذي سيلبّي حاجات زمن مغاير. لكنّني سأكون منذ هذه اللحظة قادراً على فهم مشاعر والدتي التي أخذت معارضتها لمثل هذا الرأي تتضاءل مع مرور الوقت، وإن شَرعتْ تجمع وتعظمّ كلّ ما هو لصالحي، وما هو لغير صالح العم رودلف، وكيف أنّ ثمة هوة تفصل بين التصورين الخاصين بكلّ منا.

لم أستطع يوم أمس الأول في المصنع. وعند ماكس مساء. حيث بدأ الرسام نوفاك للتو بالعمل على الطباعة الحجرية لماكس التعبير عن ذاتي في حضورهم، ولم أستطع أن أقول نعم أولاً. عبّر ماكس عن بعض الآراء التي كان قد شكلها من قبل. بينما كان تفكيري يدور حولها، من دون الوصول إلى أيّ نتيجة. أخيراً اعتدت على تلك الأوراق المفردة، وتغلّبت على الأقل، على دهشة عيني غير المدرّبة، ووجدت ذقناً مدّوراً، ووجهاً مضغوطاً، وصدراً كالدبابة. وكان يظهر كأنه يرتدي الزي الرسمي تحت ملابس عادية. وقد استجاب الرسام على نحو يبدو غير مفهوم، لا في المحاولة الأولى ولا في الثانية. وكان يقلّل من أهمية ذلك بالقول المباشر لنا، إنه إذا حدثت عملية فحصّ آرائه للتأكد من صحتها حقا؛ فستكون في موقع الهراء الرخيص. وقد صرح بأن مهمة الفنان التي يحسها ويعيها، ينبغي أن تتمثّل في استيعاب موضوعه ليناسب شكله الفني الخاص. ولإنجاز ذلك جهز سكتش لصورة جانبية بالألوان التي كانت موضوعة أمامنا، والتي تعكس من خلال ألوانها الداكنة شبهاً حقيقياً جاداً، جافاً، هذه الحدّة الكبرى لا أستطيع إلى الآن أن أعترف بها. عدّ ماكس تلك الصورة الجانبية بأنها الأفضل، فإلى جانب الشبه الخاص بالعينين والفم فإنها تنطوي على ملامح نبيلة تتجلّى من خلال الألوان الداكنة

بالدرجة المناسبة. ولو سئل المرء عن ذلك لما استطاع إنكاره. بعد هذا الرسم شرع الرّسام يشتغل في منزله على الطباعة الحجرية، حيث كان يغير تلك الرسومات واحداً تلو الآخر، كي يبتعد أكثر فأكثر عن الظاهرة الطبيعية من دون أن ينتهك في الوقت ذاته شكله الفنّي الخاص، من أجل أن يكون أكثر اقتراباً منه ضربة إثر ضربة. فقد فقدت على سبيل المثال محارة الأذن التواءاتها البشرية، وحافتها المحدّدة الوضوح، وغدت بمثابة نصف دائرة عميقة حول فتحة صغيرة مظلمة. أما ذقن ماكس البارز العظام ابتداءً من الأذن ذاتها فقد خسر حده البسيط الذي لا غنى عنه، وصنعت ذقن أخرى، بدت للمشاهد حقيقة جديدة، بدلاً من تلك الأخرى القديمة التي أزيلت، أما الشعر فينساب في خطوط عامّة مفهومة وواثقة، وقد ظلّ شَعْراً بشرياً مهما أنكره الفنان.

وفي حين طلب الرسام منا تفهّم هذه التحوّلات مشيراً بسرعة– وإن حدث ذلك على نحو مملوء بالفخر– أنّ كلّ شيء في هذه الأوراق ذو دلالة، وأنّه حتى العرضيّ منها كان ضرورياً، لأنه ذو تأثير قائم في كلّ شيء يتلوه، وهكذا وجد على امتداد أحد الرؤوس بقعة قهوة شاحبة غير عريضة تنتشر على امتداد الصورة، وتبدو كأنها مضافة عمداً، وتصعب عملية إزالتها من غير إلحاق الضرر في جميع الاتجاهات، كما انتشرت على الزاوية اليسرى للصفحة الأخرى بقعة زرقاء كبيرة لا تكاد ترى، وهي بقعة وضعت عمداً هناك، من أجل الإضاءة الطفيفة التي تمرّ منها عبر الصورة، والتي استثمرها الرسام عندما واصل عمله. أما هدفه التالي فكان الفم في المقام الأول، الذي عمل فيه شيئاً، وإن لم يكن هذا الشيء كافياً، كما نوى أن يحول الأنف. ورداً على شكوى ماكس من أن الطباعة الحجرية تبتعد على هذه الشاكلة عن الألوان الجميلة للرسم، أوضح الرسام أنه قد صمّم ألا يقترب منها على الإطلاق.

إنّ المرء لا يستطيع أن يتجاهل الوثوقية التي كان الرسام يصدر عنها في أثناء كلّ لحظة من لحظات المناقشة؛ فـيما يخصّ غير المتوقع في إلهامه. وقد استطاع هذا الموقف أن يعطي العنوان الأفضل ليكون علمياً على وجه التقريب، وقد اشتريت من «بائعة تفّاح» و «المشي» نسختين بالطباعة الحجرية.

من فوائد المواظبة على كتابة اليوميات أن يعي المرء بوضوح مريح التغييرات التي يعاني منها

على نحو دائم، والتي يؤمن الإنسان بها عموماً، ويتوقعها، ويعترف بها، غير أنه ينكرها على نحو لا داعي له عندما يتعلق الأمر بالحصول على أمل وسلام جراء مثل هذا الاعتراف. ففي اليوميات يعثر المرء على براهين تشير إلى أنه– ولاسيما في الأوضاع التي تبدو له اليوم أنها لا تطاق– تمكّن من أن يعيش ويتأمل ويدوّن ملاحظاته، وأنّ يده اليمنى تحركت مثلما تتحرك اليوم. وعندما نكون أكثر حكمة لأننا قادرون على النظر إلى الوراء، اعتماداً على أوضاعنا السابقة، يتوجب علينا أن نعترف على وجه التحديد بجسارتنا السابقة التي واصلناها حتى في حالة جهلنا المطلق.

على امتداد قبل ظهر يوم أمس كان رأسي يبدو كأنه مملوء بالبخار بسبب قصائد فيرفل Werfel. للحظة خشيت أن تنقلني الحماسة مباشرة إلى الهراء.

محادثة مؤلمة مساء أمس الأول مع ڤيلتش Weltsch*. ظلّت نظراتي الوجلة لساعة من الزمن، وهي تصعد وتهبط على وجهه ورقبته. وقد أدركت على الفور في خضم تلك اللحظة المثيرة أن الضعف والشرود التي تثيرها تشوهات الوجه، لا تؤكد إذا ما كنت سأغادر الغرفة من غير أن تلحق بعلاقتنا أضرار دائمة.

في الخارج، في الجو الماطر، صممت على المشي صامتاً، تنفست بعمق، وانتظرت سعيداً، ما يقرب الساعة أمام «المشرق». إنني أجد مثل هذا النوع من الانتظار الذي يحوي النظر البطيء إلى الساعة، والمشي بلا مبالاة جيئة وذهاباً مريحاً يشبه اضطجاعي على الكنبة بساقين ممتدتين، ويدين في جيوب بنطالي. في مرحلة الوسن يظن المرء أنّ اليدين ليستا في جيبي البنطال على الإطلاق؛ بل هما موضوعتان فوق الفخذين.

الرابع والعشرون من كانون الأول:

الأحد: كان يوم أمس ممتعاً عند باوم. كنت هناك مع ڤيلتش. أما ماكس فكان في برسلاو. شعرت بأنني حرّ، وأستطيع أن أقود كلّ لحظة إلى خاتمتها. أجبت وأصخت السمع تماماً، كنت

أكثر من يصنع الضجيج. وإذا تفوهت من حين لآخر بأمر غبيّ، لم يشكّل ذلك مسألة كبرى؛ بل سرعان ما تتجاوز. كان المشي تحت المطر مع ڤيلتش متشابهاً. على الرغم من وجود برك صغيرة موحلة وريح وبرد. وقد مرّت سريعاً كما لو أننا كنا قد ركبنا وسيلة مواصلات. وكأنّه يعزّ علينا معاً أن نفترق.

عندما كنت طفلاً كنت أشعر بالخوف، وعندما لم أشعر بالخوف كنت أشعر بالاضطراب. عندما كان أبي يتحدث مثلما كان يفعل في غالب الأحيان، لأنه كان رجل أعمال، عن آخر يوم في الشهر. (Ultimo)[58] ونظراً لأنني لم أكن فضولياً، ولم أكن قادراً عندما كنت أسأل، نظراً لما أتمّتع به من تفكير بطيء على تحضير الإجابة سريعاً، ونظراً لأن فضولاً ضعيفاً بدأ ينشط، وكان يكتفي بالسؤال والإجابة من دون أن يتطلب فهماً بالضرورة؛ فقد ظل تعبير «الأخير» لاصقاً بي كنوع من السّر المؤلم، هذا التعبير الذي اصطف إلى جانب مصطلح (Ultimo) حتى لو لم يحمل الأخير دلالة حاسمة. من السيئ كذلك أنّ هذا الأخير الذي كان يُخشى منه لمدة طويلة، غير قادر على التجاوز إطلاقاً، لأنه كان لا يمتلك أيّ علامة فارقة، أو على الأصح أي شيء مما يثير الانتباه؛ لأنه كان يجيء دائماً بعد ثلاثين يوماً تقريباً، وعندما يصل اليوم الأول ويكون سعيداً يبدأ المرء، وإن لم يكن بالرهبة نفسها، الحديث عن اليوم الأخير، من دون أيّ اختبارات للأيام الأخرى غير المفهومة التي وضعت إلى جانبه.

عندما وصلت أمس ظهراً إلى (ف) سمعت صوت شقيقته يحيّيني. لكنني لم أرها إلا عندما انفصلت بجسدها الضعيف عن الكرسيّ الهزاز الذي كان يقف أمامي.

اليوم: قبل الظهر ختان ابن أختي، رجل ضئيل، مقوّس الساقين (من عائلة Auterlitz) نفذ 2800 حالة ختان من قبل، وقد نفذ العملية على نحو ماهر تماماً.

إنها عملية تخلق الكثير من الصعوبات؛ فبدلاً من وضع الطفل على الطاولة، يوضع في حجر جدّه، وبدلاً من أن يركزّ صاحب العملية على نحو دقيق عليه أن يتمتم بالأدعية. يمنع أولاً

(58) كلمة لاتينية تعني الأيام الأخيرة في الشهر.

الطفل من الحركة من خلال الأغطية التي لا تترك غير عضوه حراً، ثم يوضع قرص معدني مثقوب يتحكم بمستوى العضو، وينجز العملية بوساطة سكين عادية، أو نوع من سكاكين السمك. وعندما يرى المرء الدم واللحم النيء يسحب «المطهّر»* بأصابعه الطويلة المرتعشة الجلد من مكان ما، ويكون مثل إصبع قفاز فوق الجرح. فجأة ينتهي كل شيء على خير، ولم يذرف الطفل الكثير من الدموع. بعدها تبقى صلاة قصيرة، يحتسى «المطهّر» في أثناءها بعض النبيذ، ويضع أصابعه التي لم يفارقها الدم بعد بعض قطرات النبيذ على شفاه الطفل. أما الحضور فيدعون. «مثلما استطاع أن ينجز العهد؛ ندعو له أن يحقّق المعرفة بالتوراة، وأن يكون زواجه سعيداً، وأعماله موفقة».

وعندما أرى اليوم مرافق «المطهر» وهو يدعو بعد تناول الطعام وما يتبعه من حلوى، وأرى الحاضرين– باستثناء الجدّين– وهم يمضون الوقت في صلاة لا يستوعبونها تماماً أو في الأحلام أو في السأم؛ فإنني أرى حينئذ اليهودية الغرب أوروبية أمامي، غير عابئة بما سيصيبها عما قريب، شأنها شأن الناس في مراحل الانتقال، الذين يتحملون في العادة ما يلقى عليها من تبعات.

إنّ مما لا يقبل الجدل أنّ لهذه الأشكال الدينية التي وصلت إلى نهاياتها الأخيرة شخصية تاريخية محددة، حتى في ممارساتها الحاضرة، إذ إن وقتاً قصيراً قبل الظهر على وجه التحديد كان كافياً لإثارة اهتمام الناس بعادة الختان القديمة، وصلواتها نصف المغنّاة، من خلال وصفها لهم كشيء ضار ينتمي إلى التاريخ.

قال لي لوڤي الذي اعتدت أن انتظره كلّ مساء مدّة نصف ساعة: منذ عدة أيام أنظر إلى نافذتك في أثناء الانتظار. في البداية أرى نوراً هناك، فإذا كنت قد وصلتُ كالعادة مبكراً إلى هنا فإنني أفترض أنك ما تزال تعمل. ثم ينطفئ النور. في حين يظل مشتعلاً في الغرفة المجاورة. وهذا يعني أنك ما تزال تتناول العشاء. ثم يعود النور مجدداً إلى غرفتك، مما يعني أنك تنظف أسنانك. ثم ينطفئ النور. وهذا يعني أنك تهبط الدرج؛ لكن النور يُضاء ثانية.

الخامس والعشرون من كانون الأول:

إنّ ما أفهمه من الأدب اليهودي المعاصر في وارسو من خلال لوڤي، ومن الأدب التشيكي المعاصر من خلال منظوري الذاتي؛ يشير إلى حقيقة مفادها أنّ هناك العديد من الفوائد للأدب هي تحريك العقول وانسجام الوعي القومي الذي لا يظهر في الحياة العامّة، في كثير من الأحيان، ويبدو ممزقاً باستمرار، الفخر الذي تجنيه الأمة من أدبها الخاص بها، والدعم الذي يوفّره لها هذا الأدب في مجابهة محيط معاد من العالم؛ فالمحافظة على كتابة اليوميات عند أيّ أمّة، تختلف جذرياً عن كتابة التاريخ، فهي تؤديّ إلى تطوير سريع مجرّب، متعدّد الأوجه، وإلى إضفاء السمو على الحياة العامة العريضة، وإلى استيعاب العناصر المتذّمرة، والإفادة السريعة منها، لأن الضرر لا ينشأ إلا من خلال الركود؛ أما الفوائد السريعة فتتمثل في الدمج المتواصل للناس على قاعدة احترام الذين لهم نشاط متواصل في إنشاء المجلاّت، وتضييق تمحور الأمّة حول ذاتها، واحترامها للأجنبي من خلال عمليات الانعكاس وحدها، ميلاد الاحترام للنشطاء في مجال الأدب، واليقظة العابرة؛ لكن الفاعلة للمثل العليا بين الأجيال التالية، والاعتراف بالوقائع الأدبية في إطار الهموم السياسية، وتوقير حق الخلاف بين الآباء والأبناء والسماح بمناقشة تلك الخلافات، وعرض الأخطاء الوطنية على نحو يثير الألم، ولكن على نحو يسمح بالتحرر منها، والتسامح معها، ونشوء تجارة حية لبيع الكتب، تحترم ذاتها وتؤدي إلى عشق الكتاب؛ كلّ هذه الفعاليات يمكن للأدب أن يتولّى عملية إنتاجها، هذا الأدب الذي لا يتطوّر في الواقع في مدى عريض لكنه يكتسب هذا المظهر نتيجة الافتقار إلى المواهب البارزة.

إنّ حيوية مثل هذا النوع من الأدب تتجاوز حتى أصحاب المواهب الغنّية، لأنه ليس ثّمة كاتب تسمح موهبته الكبرى له أن يحمل غالبية المتشككين على الصمت. أما الأدب الذي لا تتخلّله موهبة كبرى فإنه لا يظهر أيّ فجوة تسمح لغير المبالين أن يشقوا طريقهم عبرها، وتغدو مطالبة الأدب لمزيد من التنّبه مسألة ملحة. لذا يغدو طبيعياً أن تكون مسألة المحافظة على استقلالية الكاتب الفرد أفضل في إطار الحدود الوطنية. أما النقص في النماذج الوطنية غير المقاومة فيؤدّي تماماً إلى إبعاد غير الموهوبين عن الأدب. لكنّ المواهب الضعيفة لا تكفي أيّ

كاتب كي يكون قادراً على أن يتأثر بالسمات غير الواضحة للكتّاب السائدين، أو قادراً على تقديم الأعمال الأدبية الأجنبية، أو مستطيعاً تقليد تلك الآداب التي أسهم للتو في تقديمها والتعريف بها. ففي إطار الآداب المملوءة بالمواهب كالأدب الألماني مثلاً يقتصر الكتاب الرديئون في تقليداتهم على ما هو موجود في أوطانهم من الإبداعات.

إنّ القوّة المبدعة والفاعلة التي بذلت في هذه الاتجاهات من خلال أدب رديء في مكوناته، تبدأ عندما تشرع بكتابة تاريخ أدبي للكتّاب الموتى ،إنّ تأثير هؤلاء الكتاب غير قابل للإنكار ماضياً وحاضراً، ويمكن أن يشكل بديلاً جاداً عن أدبهم، فهناك من يتحدث عن الأخير وهو يعني الأول؛ بل إنّ أحدهم يقرأ الأخير وهو لا يرى إلاّ الأول. ومنذ أن صارت تلك التأثيرات غير قابلة للنسيان، وغدت تلك الكتابات لا تؤثر في الذاكرة على نحو مستقّل؛ لم يعد ثمّة نسيان ولا تذكر من جديد، فالتاريخ الأدبي يعرض على نحو ومخلص ما لا يكاد يؤثر سلباً في ذائقة هذه الأيام.

إنّ ذاكرة أمة صغيرة ليست أصغر من ذاكرة أمّة كبيرة، وهي قادرة على هضم العناصر الموجودة على نحو محكم. فهناك القليل من الخبراء يشتغلون بتاريخ الأدب؛ لكن الأدب لا يمثل إلا شأناً ضئيلاً من محاور تاريخ الأدب، مقارنة بشؤون الشعب، ولهذا فإذا لم يكن نقياً تماماً فإنه يكون على الأقل محفوظاً لديهم على نحو موثقّ، لأنّ ثمة من يزعم بأنّ الوعي القومي لشعب صغير يقع على عاتق الفرد، بحيث يكون كل واحد مستعداً لمعرفة ما يخصه من الأدب للدفاع عنه، ودعمه وهو لا يعرفه.

تكتسب الكتابات القديمة تفسيرات عدّة مقابل الكتابات الضعيفة التي لا تستطيع الاستمرار إلا بالقوّة، ولا تخفت إلا بالخوف الذي يتمكن من النفاذ إلى أعماق الإنسان بسهولة، أو من خلال الشعور بالرهبة التي تغدو موضع إجماع. كل شيء يحدث على نحو عال من الأمانة، باستثناء ذلك الذي يجري في إطار من التحيّز غير القابل للتراجع، والذي لا يعرف الكلل، وينتشر في دائرة قطرها عدة أميال من خلال إحدى الأيدي الماهرة. وأخيراً فإنّ التحيّز لا يعني منع الرؤية الواسعة فحسب؛ بل الحيلولة من دون أيّ بصيرة، بحيث تلغى هذه

الملاحظات جميعها.

عندما يفتقد الناس الإحساس بالسياق فإنّ أنشطتهم الأدبية تغدو هي الأخرى خارج السياق؛ فهم ينزلون مسألة ما إلى الأسفل، كي يتمكنوا من تأملها من الأعلى، أو يرفعون المسألة إلى الذرى كي يكون لهم مكان إلى جانبها. خطأ. وإذا أمكن التفكير في الشؤون المفردة بهدوء فإنّ المرء لا يصل إلى حدودها، هذه الحدود التي تتعالق مع شبيهاتها من الشؤون؛ فالمرء يصل إلى تلك الحدود سريعاً في السياسة؛ بل إنّ المرء يجاهد بعد ذلك كي يرى تلك الحدود قبل ذلك، ويرى هذا الحدّ النهائي في غالب الأحيان في كل مكان. إنّ ضيق الفضاء وأخذ البساطة والاتساق بالحسبان وأخيراً الاعتبار الذي يجعل الاستقلال الداخلي للأدب لا يتضرّر من التماس الخارجي مع السياسة؛ كلها تقود إلى أنّ الأدب ينتشر في البلاد اعتماداً على شعارات سياسية.

هناك بهجة عامة في المعالجة الأدبية للموضوعات الصغيرة التي لا يسمح لها أن تكبر إلى حدّ يستهلك الحماسة القليلة الخاصة بها، والآراء الجدالية المؤيّدة لها. لقد استطاعت ألفاظ الشتائم من الناحية الأدبية أن تنتصر وتنتشر من حين لآخر، وتحلّق في الأوساط المملوءة بالحيوية؛ فالذي يجري في العالم السفلي في إطار الأدب العظيم ويبني قبواً في أسفل البناية لا غنى عنه يحدث ها هنا في العلن، وما يحدث هناك للحظات على نحو عابر، يشكّل هنا أمراً حاسماً، ليس أقل من مسألة حياة أو موت.

تخطيط يوضح خصائص أدب الصغار:

تتشابه النتائج الجيّدة هنا وهناك، وهنا نتائج أفضل على المستوى الفردي:

1–الحيوية:

أ– النزاع.

ب– المدارس.

ج- المجلات.

2-تخفيف القيود:

أ- غياب المبادئ.

ب- الموضوعات البسيطة.

ج- التشكيل السهل للرموز.

د- التخلّص من غير الأكفياء.

3- الشعبيّة:

أ- الصلة بالسياسة.

ب- تاريخ الأدب.

ج- الإيمان بالأدب، يساعد على إيجاد قوانينه الذاتية.

من الصعب أن تتغيّر عندما ترى هذه الحياة المفيدة السعيدة تدّب في كلّ أرجاء الوجود.

ختان في روسيا: في أرجاء المنزل كلّه. حيث لا شيء إلاّ أبواب، ثمة صحون بحجم الكف، عليها رسومات يهودية رمزية، تعلّق لحماية الأم في الفترة الواقعة بين الولادة والختان من الأرواح الشريرة التي تشّكل لها ولطفلها خطراً كبيراً. ويعود ذلك غالباً لأنّ جسدها يكون قد تفتّح، ومن ثم يسمح لكلّ ما هو شرير بالولوج السهل إلى داخله، ولأن مولودها الذي لم ينضّم بعد إلى الميثاق يبقى غير قادر على مواجهة الشرّ، ولدرء الأرواح الشرّيرة يتوجّب ألا تبقى الأم وحدها، وأن تظلّ تصاحبها امرأة أخرى، ومن أجل الغرض ذاته يتوجّب أن يزور سرير الأم خلال السبعة أيام الأولى بعد الولادة باستثناء الجمعة عشرة إلى خمسة عشر طفلاً، لا يتكرروّن، ويكون ذلك عند الغروب بصحبة مساعد المعلم، ويكرروّن learsl amehc (خطة إسرائيل). أمّا هؤلاء الأطفال البريئون الذين تتوزع أعمارهم بين الخامسة والثامنة فينبغي أن يكونوا عند عودة الأرواح الشريرّة فاعلين على نحو غير عادي؛ لأن تأثيرات تلك الأرواح تظهر وقت الغروب في الغالب.

يقام يوم الجمعة احتفال خاص، كما تقام عدة ولائم خلال الأسبوع ذاته بالتتابع، أما قبل يوم الختان فتكون الأرواح الشريرة في أشد حالاتها وحشية، لهذا تكون الليلة الأخيرة ليلة اليقظة، وعلى المرء أن يمضي تلك الليلة صاحياً إلى جانب الأم. أما عملية الختان فغالباً ما تجري في حضور أكثر من مئة فرد من الأقارب والأصدقاء. ويسمح لأكثر الشخصيات أهمية من بين الحضور بحمل الطفل. أما «المطّهر» الذي يمارس مهنته من دون أجر فهو في الغالب مدمن على شرب الخمرة، ولا يملك الوقت للمشاركة في موائد الاحتفالات المتنّوعة، ويكتفي بشرب العرق. من هنا تكون أنوف «المطّهرين» حمراً، ويستنشقون الهواء من أفواههم. ولهذا فليس من الذوق أن يلثموا بعد انتهاء عملية الختان عضو الطفل الدامي بأفواههم، كما سبقت الإشارة. بعد ذلك يغطى العضو بنشارة الخشب ليشفى في غضون ثلاثة أيام.

لا يمتلك اليهود– ولاسيما أولئك المقيمون– أي نوع من الحياة العائلية المشتركة ذات الملامح المتميّزة؛ فالحياة العائلية توجد عند المسيحيين في خاتمة المطاف. ومما يثير الاضطراب في الحياة العائلية عند اليهود أنّ المرأة مستثناة من دراسة التلمود؛ فعندما يريد الرجل اليهودي أن يناقش مع ضيوفه ما تعلمه من الأمور التلمودية – التي تقع في صميم حياته– تنسحب المرأة إلى غرفة مجاورة، هذا إذا لم تُجبْر على الانسحاب، لذا صار من خصائص اليهود أن يجتمعوا ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، إمّا للصلاة أو للمدارسة أو لمناقشة الشؤون الإلهية أو لتناول طعام معدّ لدوافع دينية، ويحتسون الكحول في أثناء تلك الوجبات باعتدال. إنهم يسارعون في الهرب للقاء بعضهم بعضاً.

لعلّ غوته يعيق من خلال ما تمتلكه أعماله من سلطة تطور اللغة الألمانية. فإذا كان النثر يبتعد عنه في أثناء الفترة الانتقالية؛ فإنه يعود إليه في خاتمة المطاف، كما يجري في الحاضر، مشفوعاً بلهفة قوية، وقد استولت عليه تعبيرات قديمة اخترعها لا علاقة لها به على وجه التحديد، من أجل أن تبتهج بكمالها في ثنايا استقلالها الذي لا حدود لها.

إنّ اسمي العبري هو أمشيل Amschel ، وهو يشبه اسم جدّي لأمّي الذي توفي يوم كانت أمّي في السادسة من عمرها. تتذكّر أمّي جدها كان رجلاً ذا لحية بيضاء، عالماً، ورعاً، وتتذكر

كيف أمسكت بأصابع أقدام جثته وهي تتوسّل إليه أن يسامحها عن أيّ أخطاء ارتكبتها بحقّه، مثلما تتذكر كتبه الكثيرة التي كانت تمتد على عرض الحائط. كان هذا الجد يستحم يومياً في النهر، حتى في فصل الشتاء، كما صنع حفرة ليستحم فيها أيام الثلج. أمّا والدة أمي فتوفيت بمرض التيفوس عن سن صغيرة، فغدت جدّتها منذ تلك الوفاة مكتئبة ترفض تناول الطعام والحديث مع أحد. وقد ذهبت بعد سنة من وفاة ابنتها كي تتمشى، لكنها لم تعد على الإطلاق، وانتشلت جثتها من نهر الإلبي Elbe. أما جدّ جدي من جهة أمي فكان أكثر تعلّماً من جدّها، وكان اليهود والمسيحيون ينظرون إليه بالمستوى ذاته من الاحترام. وفي أثناء اشتعال النيران حدثت معجزة تمثّلت في تجاوز النار لمنزله من دون أن تمس هذا المنزل، بينما احترق ما حوله من البيوت، وكان ذلك بسبب ورعه. كان عنده أربعة أبناء، تحول واحد منهم إلى المسيحية وصار طبيباً. ومات الباقي في سنّ مبكرّة، باستثناء جدّي لأمي الذي كان عنده ولد واحد، كانت أمي تدعوه الخال ناتان المجنون، وبنت واحدة هي أمي.

للتمشّي مقابل النافذة ضعيفاً بعد أن استنفدت قوتّك كلّها؛ فإنَّ عليك أن تتجاوز إطار النافذة عبر الخشب والزجاج المتناثر.

السادس والعشرون من كانون الأول:

نوم رديء ثانية في الليلّة الثالثة. على هذه الشاكلة أمضيت أيامي. العطل الثلاث التي كنت آمل أن أكتب خلالها أشياء كانت ستساعدني على مدار العام، أمضيتها في طلب المساعدة. أمضيت عشية عيد الميلاد بالمشي مع لوقي تجاه شتيرن أمس (بلومالي Bluemale أو لؤلؤة وارسو). خصّها المؤلف بالنظر لعشقها الثابت ووفائها. بالعنوان التكريمي «لؤلؤة وارسو». وحدها كانت السيدة تشيسك بجيدها الناعم الطويل المكشوف أوّل من أوضح معالم وجهها. أما لمعان الدموع في عيني السيدة كلوغ، وهي تؤدي نغماً رتيبا؛ فقد كان يتجاوز عندي في أهميته المسرح واهتمام الجمهور؛ بل مقدرتي على التخيّل. النظر من خلال الستارة الخلفية إلى غرفة الملابس مباشرة، حيث السيدة كلوغ ترتدي تنورة داخلية بيضاء وقميصاً ذا ذراعين

قصيرتين. حيرتي تجاه مشاعر الجمهور، وما تبعها من إثارة داخلية مرهقة بخصوص حماسته. الطريقة المحبّبة الماهرة التي تحدثت فيها مع الآنسة (ت). ومرافقيها. أما ما شعرت به يوم أمس ويوم السبت فقد كان جزءاً من حرّية الجوهر النبيل، حيث لم يكن من الضروري ما استخدمته من الكياسة نحو العالم والتواضع المفرط ومن كلمات وحركات محرجة على ما يبدو. كنت وحيداً مع أمي أتقبل الأشياء بسهولة وعذوبة، وأنظر إلى الجميع بثبات.

قائمة بالأشياء التي يمكن اليوم تخيّلها بوصفها أشياء قديمة: المتسولون من أصحاب العاهات في طرق المتنزّهات وأماكن الاستجمام، الفضاء غير المضاء ليلاً، عوارض الجسر المتقاطعة.

قائمة بتلك الفقرات من «شعر وحقيقة»[59] بخصوصيتها التي لا يستطيع المرء أن يتأكد منها تعطي انطباعاً قوياً غير عادي عن الحيوية التي لا تتّسق على نحو جوهري مع ما يوصف في الحقيقة؛ فصورة الفتى غوته Goethe تستدعي إلى الذهن، كيف كان يتسلل بفضوله ولباسه الفاخر، وحيويته وحب الناس له إلى بيوت معارفه ليرى ويسمع كلّ ما يستطيع أن يراه ويسمعه. واليوم عندما أقلّب الكتاب فإنني لا أستطيع أن أعثر على تلك الفقرات التي تبدو لي واضحة، وتحوي من الحيوية ما لا يمكن للمصادفة أن تبرزه ينبغي عليّ أن أنتظر حتى أقرأ بقراءة بريئة لأتوقف حينئذ عند الفقرات الصحيحة.

من غير المريح الاستماع إلى حديث الأب بما يتضمنه من تلميحات لا تتوقفّ، عن الحظ السعيد للناس في هذا العصر، ولاسيما الأطفال، وعن المعاناة التي تحمّلها في شبابه. ولا أحد ينكر أنّه كان يعاني من اللباس الشتوي غير الكافي، الذي أدىّ إلى تقرّحات في ساقيه. وأنّه غالباً ما كان يعاني من مرارة الجوع، وأنّه كان مضطراً في سن العاشرة أن يجر العربة خلال القرى في صباحات الشتاء الباكرة، لكنّ ما لا يرغب في استيعابه، إنّ هذه الوقائع الصحيحة ينبغي أن تستوعب مقارنة بوقائع صحيحة أخرى. فأنا الذي لم أعان من ذلك كلّه لست بأسعد منه حالاً. وهو يستطيع أن يتفاخر بتلك التقرحات الجلدية على ساقيه التي يفترض وجودها، ويصرّح بها

(59) عنوان الكتاب زمن حياتي. شعر وحقيقةس والكتاب سيرة ذاتية لغوته في المدة الواقعة بين 1749 إلى 1775. وقد بدأ غوته بإملاء الكتاب عام 1811، وانتهى منه عام 1831. وكان ذلك يحدث على تباعد وانقطاع.

منذ زمن مبكر، في حين يتوجب عليّ لأنني لا أستطيع أن أقدر آلالامه السابقة، ولأنني لم أعش تلك الآلام؛ أن أكون ممتّناً له على نحو لا نهائي. إنني أستمع إليه بسرور، وهو يتكلم من دون توقف عن شبابه ووالديه. لكن الاستماع إلى هذا الحديث من خلال نغمة مملوءة بالمباهاة والمشاكسة هو لون من ألوان العذاب، كان يضرب كفّاً بكفّ مراراً وتكراراً ويقول: «من الذي يعرف ذلك في هذه الأيام؟ ماذا يعرف الأطفال. هذه أمور لم يعانها أحدّ هل يستطيع أي طفل في هذه الأيام أن يعي هذا؟». وقد تحدث اليوم مع العمة يولي التي كانت تزورنا على نحو مشابه. كان لها الوجه الضخم شأن أقرباء أبي. وهناك شيء خاطئ ومقلق بعض الشيء يحيط بعينيها أو يلّونهما. لقد استؤجرت في سن العاشرة بوصفها طبّاخة، وكان عليها، في البرد الشديد أن تجري وهي ترتدي تنورة رطبة؛ لذا بدأت بشرة ساقيها بالتشقق، وتنورتها الصغيرة بالتجمد، وكانت تجففها مساء في السرير.

السابع والعشرون من كانون الأول:

إنه رجل غير سعيد ذلك الرجل الذي قدّر له أن يكون من غير أطفال، إنّه سجين سوء حظّه، ليس ثمة أمل في التجديد على الإطلاق، أو مساعدة من النجوم السعيدة، عليه أن يصنع طريقاً سجيناً لسوء حظه، وعندما تنغلق دائرته فعليه أن يتقبل واقعه، وأن لا يبدأ بمحاولة معرفة ما إذا كان سوء الحظ الذي يرزح تحته يمكن أن يتلاشى في هذه الطريق الطويل في ظل ظروف أخرى للجسد والوقت، وأن يحل بدلاً من ذلك شيء حسن.

يمكن تصوير شعوري عندما أكتب شيئاً خاطئاً كما يلي: إنها مشاعر واحد ينتظر أمام فتحتين في الأرض، يبدو منهما شيء لا يسمح له بالبروز إلا عبر الجانب الأيمن من الفتحة. وفي حين يكون على هذا الجانب من الفتحة غطاء مرئي معتم ترتفع في الجانب الأيسر منها أشكال متتالية، تستمر في محاولاتها لتسترعي انتباهه وتنجح في النهاية في تغطية الجانب الأيمن من الفتحة من دون أيّ صعوبات، نظراً لحجمها المتنامي، بصرف النظر عن المحاولات المبذولة للحيلولة دون ذلك. وبالمقابل فلا يملك المرء غير الراغب في مغادرة المكان، مهما كان الثمن

المدفوع، سوى تلك المظاهر العابرة التي تستهلك قوتها بظهورها المجرّد. وهي مظاهر غير قادرة على إرضائه، لأنه يسعى كي يخرجها من ضعفها متى أمكن، ويرفعها في الهواء ويبعثرها، ليتمكن من أن يقدّم للآخرين المشهد الدائم الذي يصعب تحمّله، ويواصل علاوة على ذلك، التمنّي بأنّ الصدق سيظهر في خاتمة المطاف بعد استنزاف المظاهر الكاذبة. ما أضعف تلك الصورة السابقة. إنها فرضية مفككة، كلوح خشب يقع بين المشاعر الفعلية والتوصيف المقارن.

الثامن والعشرون من كانون الأول:

العذاب الذي يسببه المصنع لي؛ لماذا لم أعترض عندما أجبروني على أن أعمل هناك بعد الظهر؟ صحيح أنّ أحداً لم يجبرني على العمل بالقوة؛ لكن أبي أرغمني بلومه، وكارل بصمته، وأنا بتأنيب ضميري. إنني لا أعرف شيئاً عن المصنع، وكنت أبدو عديم الفائدة وكالمضروب عندما فتشت اللجنة هذا الصباح، إنني أنكر إمكانية أن أحيط بالتفصيلات المتعلّقة بشؤون المصنع. وعندما أنجح في عملي من خلال استجوابات لا تنتهي، ومضايقة للمشتركين جميعهم؛ فـما الذي سأحققه جرّاء ذلك؟.

لن أكون قادراً على إنجاز أيّ شيء عمليّ من خلال هذه المعرفة التي تضيف حسب تصور رئيسي في العمل قليلاً من ملح الطعام، الذي يعطي الانطباع بأن عملاً حسناً قد أنجز، ومن خلال هذا الجهد الضائع الخاص بالمصنع فإنني أسرق من جهة أخرى إمكانية الإفادة من بعض ساعات ما بعد الظهر، وهو ما يؤدي بالضرورة إلى التدمير الكلي لوجودي، الذي صار محدوداً أكثر فأكثر.

بعد ظهر اليوم عند أحد المخارج شاهدت بضع خطوات لأعضاء اللجنة المتوهّمة، وهي تتجّه نحوي، أو تقطع عليّ طريقي، وأثارت فيّ الخوف صباحاً.

التاسع والعشرون من كانون الأول:

تلك الفقرات الحية عند غوته، الصفحة 265: «لذلك أوقعت صديقي في الغابات...».

غوته 307: «لم أسمع في أثناء هذه الساعات أيّ محادثة أخرى إلا عن الطب والتاريخ الطبيعي. أما خيالي فقد سحب باتجاه حقل مغاير تماماً».

نمو القوى عبر الاستذكارات الواسعة القوية، الآثار المستقّلة التي تتركها السفن في الماء ترتد إلى سفننا، ويصعد الوعي المتعلق بطاقاتنا من خلال التأثير العالي.

صعوبات إنهاء مقالة صغيرة لا تكمن في الواقع، في أننا نشعر أنّ إنهاء المقالة يتطلب النار التي لا يستطيع المحتوى الحاضر للمقالة، حتى تلك اللحظة إنتاجها ذاتياً. إنها تتشكل من خلال الوعي بأن المقالة الأقصر تتطلّب من مؤلفها درجة من القناعة الذاتية والضياع داخل الذات، على نحو لا يسمح لها بالدخول إلى هواء اليوم المعتاد من دون إرادة كبرى وحافز خارجي، لدرجة أنه قبل أن تستدير المقالة نحو الإغلاق، يمكن للمرء أن ينسل بسرعة، ليطرده القلق قبلها إلى الرحيل، لتجني اكتمال النهاية على نحو اضطراري، من خلال الأيدي التي لا تكتفي بالعمل؛ بل إنّ عليها أن تمسك أيضاً.

الثلاثون من كانون الأول:

لا تتخّذ غريزة التقليد عندي أبعاداً تمثيلية؛ فما ينقصني على نحو رئيسي هو الموقف الموحّد فأنا لا أستطيع على الإطلاق أن أقلّد المدى الكامل للسمات القاسية واللافتة، وقد باءت كلّ محاولاتي بالإخفاق على هذا الصعيد، لأنها على النقيض من طبيعتي. وبالمقابل فإنّ لدي قراراً غريزياً في تقليد التفصيلات؛ كحركات بعض الناس وهم يحملون عصيّ المشي، والطريقة التي يحرّكون فيها أيديهم، وحركات أصابعهم، وهو ما أستطيع أن أفعله من دون جهد. لكنّ عدم العناء هذا والتعطش للتقليد يقصيني عن الممثّل، لأنّ عدم العناء يعكس ذاته في أنّ أحداً لا يدرك أنني أنفذ عملية التقليد. غير أن قناعتي الذاتية وحدها أو على الأصح الاعتراف القسري في

غالب الأحيان يريني أنني كنت ناجحاً في تلك العملية. لكنّ التقليد الداخلي يتجاوز الآخر الخارجي كثيراً، ذلك التقليد الذي يكون قوياً ولافتاً، لدرجة أنه لا يبقى في داخلي موضع لمراقبة هذا التقليد وبلورته؛ بل إنني لا أعثر عليه إلا من خلال التذكر. لكنّ التقليد يبدو كاملاً هنا، ويحل بديلاً عني على نحو فجائي تماماً، لدرجة أنّ الافتراض أن مثل هذا التقليد قابل للرؤية على خشبة المسرح، يبدو أمراً غير محتمل. إذ لا يمكن أن يطلب من المشاهد أن يتحمّل ما يتجاوز حدود التمثيل. فإذا ما جلد أحد الممثلين– ممن يفترض بهم جلد زملائهم طبقاً للنص المكتوب– زميله بحماسة حقيقية وانفعال كبير، في حين أخذ الممثل الآخر يصرخ متألما؛ فإن على المشاهد أن يكون إنساناً ويتدخل. لكن ما يجري على هذه الشاكلة على نحو نادر يجري ما لا يحصى من المرات في أساليب أخرى. فجوهر الممثل الرديء لا يتضمن الحقيقة التي ترى أن تقليده رديء؛ بل تكمن في نقص تعليمه وخبرته واختياره النماذج الخاطئة ليقلدها. أما عيبه الجوهري فيتمثل في عدم إدراكه لحدود المسرحية، ومبالغته في التقليد.

إنّ تصوّره الغائم عن متطلبات خشبة المسرح توصله إلى هذا، وحتى عندما يعتقد المشاهد، أنّ هذا الممثّل أو ذاك رديء؛ لأنه يقف متصنّعاً واضعاً أصابعه في أطراف جيوبه وطاوياً يديه على خاصرتيه، مصغياً إلى الملقن، متمنياً أن تتغيّر الأزمان تماماً، محتفظاً برزانة مشوبة بالخوف؛ فإنّ هذا الممثل الذي سقط على خشبة المسرح من مكان مجهول ممثل رديء؛ لأنّه يبالغ في التقليد، حتى لو كان يفعل ذلك تعبيراً عن رأيه وحده.

الحادي والثلاثون من كانون الأول:

نظراً لأنّ قدراته محدودة فهو يخشى أن يُعطي أقلّ مما عنده، وعندما تكون قدرته غير قابلة للقسمة إلى مستويات أصغر؛ فإنه لا يرغب في أن يعترف أنّه في ظلال ظروف بعينها وعبر تدريبه لإرادته الذاتية يكون تحت تصرفه قليل من الفن، قياساً إلى ما يمتلكه من فن.

عند الصباح شعرت بأنني ناشط للكتابة؛ لكن ما أعاقني تماماً هو تخيّل أنّ عليّ أن أقرأ ذلك لماكس. وهذا يظهر عجزي عن الصداقة، على فرض أن الصداقة ممكنة بهذا المعنى؛ فالصداقة

التي لا تقطع مجرى الحياة اليومية غير ممكنة. وبهذا فإنّ طائفة من أقوالها تنفجر مراراً وتكراراً، وإن بقي جوهرها سليماً.

تتشكل الصداقة مجدداً من الجوهر السليم، وبالنظر إلى احتياجها للوقت شأنها في ذلك شأن كلّ ما يتشكل، ولأنّ كلّ ما هو منتظر لا ينجح بالضرورة؛ فإنه يصعب الارتباط ثانية، بصرف النظر عن المزاج الشخصي، بما سبق للمرء أن تخلّى عنه. وفوق ذلك ففي الصداقة العميقة الأساس يتوجب ظهور شيء من القلق قبل كل لقاء. لكنه ليس قلقاً ضخماً بالضرورة إلى درجة يستشعرها المرء. وإن كان هذا القلق قادراً على إزعاج المرء في حديثه وتصرفاته إلى حد ما، ليصاب المرء بالدهشة على نحو واع، ولاسيما أنه لا يعرف العلّة ولا يستطيع أن يعتقد بها. فكيف يمكنني أن أقرأ على (م) أو حتى أن أفكر بتلاوة ما سأخطه لاحقاً عليه؟.

وقد أزعجني اليوم فضلاً عن ذلك، أنّني قلبت صفحات اليوميات، لأتمكن من معرفة ما الذي أستطيع أن أقرأه لـ (م) وقد تبين لي من خلال هذا الاختبار أنّ ما كتبته ليس ذا قيمة متميزة، ولا هو جدير في الوقت نفسه بأن يُرمى جانباً، أما تقييمي فيقع بين وجهتي النظر السابقتين، وإن كان إلى الأولى أقرب، مع أنه ليس من الطبيعي الحكم على قيمة ما كتبت، حيث يجب علي على الرغم من ضعفي أن أعدّ نفسي مستنزفاً.

وعلى الرغم من ذلك فإنّ رؤية الكم الذي دونته صرفني على نحو غير قابل للتعويض لعدة ساعات قادمة عن منبع كتابتي الذاتية؛ لأنني فقدت انتباهي إلى حدّ معين في مجرى النهر الذي يسير في الاتجاه نفسه.

وفي حين يساورني الاعتقاد أحياناً أنني طيلة مدة دراستي في المرحلة الثانوية وما قبلها كنت قادراً على التفكير بوضوح، وأنّ الضعف الذي أصاب ذاكرتي مؤخراً يحول بيني وبين الحكم الدقيق بشأنها؛ فإنني أرى مجدداً أن ذاكرتي الضعيفة تريد أن تتملقني لأنني كنت بليداً على المستوى العقلي، على الأقل في الأشياء التافهة، التي تنطوي على عواقب خطيرة. كما أتذكر، وإن لم يكن ذلك على نحو تفصيلي، وأنا في المرحلة الثانوية أنني سرعان ما كنت أصاب بالإرهاق في الجدال حول وجود الله مع بيرغمان بالطريقة التلمودية على طريقتي الذاتية، أو

من خلال تقليده.

في ذلك الوقت أحببت أن أبدأ بموضوع عثرت عليه فيما أظن في مجلة مسيحية تدعى «العالم المسيحي»، وفيه مقارنة بين الساعة والعالم وصانع الساعة والله، وأنّ وجود صانع الساعة هو برهان على وجود الله. وكنت أعتقد أنّني بذلك الرأي أستطيع أن أنقض رأي بيرغمان*، وإن لم يكن تفنيد رأيه متجذراً في أعماقي، لأن عليّ قبل استخدامه أن أعيد تركيبه كما يفعل المرء مع أحجية الصور المقطوعة، التي يتعين على المرء ترتيبها لتشكيل صورة ما. وقد حدث مثل هذا التفنيد ذات مرة، ونحن نتجول حول برج مبنى البلدية، إنني أتذكر ذلك تماماً، لأننا قبل سنوات ذكّرنا بعضنا بعضاً بهذا.

وبينما كنت أعتقد أنّني أميّز ذاتي بذلك أكثر مما ينبغي أن أميزها وأنّ متعتي في العمل وفي التأثير كانت نتيجة لتأمّل غير عميق بما فيه الكفاية، لما اعتدت أن أتحمله وأنا أتجول بثياب رثة؛ اعتاد والدي أن يشترياها بالتناوب من زبائن متعددين، ثم فصلاها لي لمدة أطول عند خياط في Nusle[60]. وقد لاحظت بسهولة متناهية أنني كنت أذهب وأنا أرتدي ملابس رديئة، وكنت قادراً على أن ألحظ الآخرين الذين كانوا يرتدون ملابس حسنة. لكنّ تفكيري ظلّ عاجزاً طيلة سنوات عن معرفة أسباب مظهري البائس، ونظراً لأنني كنت أميل إلى التقليل من قيمة نفسي، واقتنعت أنّ الملابس وحدها هي التي أكسبتني منظري المتصلّب مثل لوحة معلّقة ولم أكن أرغب في ملابس جديدة؛ فإذا كان يتوجب عليّ أن أبدو قبيحا؛ فقد كنت أرغب أن أكون مرتاحاً على الأقل، وقادراً على تجنّب عرض الملابس القبيحة الجديدة، على العالم الذي اعتاد رؤية الملابس القديمة، إن هذا الرفض الدائم لمواقف أمي، التي كانت ترغب في أن تصنع لي في كثير من الأحيان ملابس جديدة، لأنها من خلال عيون إنسان بالغ ظلت قادرة على إيجاد الاختلافات بين هذه الملابس الجديدة والأخرى القديمة. وقد أثّر ذلك فيّ عندما كان يتوجب عليّ في ظلال اتفاق والدي أن أبني ذاتي على أسس لا تتكئ على مظهري.

(60) إحدى مناطق مدينة براغ.

(1912)

الثاني من كانون الثاني :

تركت ملابسي نتيجة لذلك تؤثّر حتى في حالتي، وأخذت أتجوّل بظهري المحدودب، وكتفيّ المتهدّلين، وذراعيّ الحائرتين خائفاً من المرايا، لأنها في نظري تريني القبح غير القابل للتجنّب. لكنّها لم تكن قادرة فوق ذلك أن تكون انعكاساً كلياً صادقاً، لأنني لو كنت أبدو على تلك الشاكلة حقيقة؛ لكنت قادراً على جذب أعلى درجة من الانتباه، متحمّلاً في أثناء المشي يوم الأحد وخزات أمّي الناعمة في الظهر، وكثيراً من التحذيرات والنبوءات التي كانت تبدو لي تجريدية، على نحو يتعذّر الربط بينها وبين ما كنت أعانيه يومها من القلق. عموماً كنت أفتقد القدرة على نحو أساسي للتزّود بأقل التفصيلات فيما يخص المستقبل الحقيقي؛ كنت أفكرّ في الأشياء في الزمن الراهن، وفي ظروفها الحقيقية لا بسبب الرغبة في الإتقان أو نتيجة لاهتمامات ذاتية قوية؛ بل بسبب الحزن والخوف، وهو أمر لا يعود إلى ضعف في التفكير. أما عن سبب الحزن فلأنّ الحاضر كان يبدو لي حزيناً تماماً، لدرجة أنني ظننت أنّ من غير المسموح لي أن أغادره قبل أن يتحول إلى سعادة. وأما عن سبب الخوف كخوفي من الخطوة الآنيّة الصغيرة فقد عددت نفسي من خلال ظهوري الطفولي المحتقر، غير جدير بتشكيل رأي جدّي مسؤول عن المستقبل الرجولي العظيم الذي بدا لي مستحيلاً لدرجة أن كلّ خطوة قصيرة إلى الأمام كانت تبدو لي زائفة. أما الخطوة التي تليها فغير قابلة للإدراك، وافقت ببساطة على إمكانية وقوع المعجزات، مقارنة بالتقدم الحقيقي لكني كنت هادئاً فلم أفصل بين مجال المعجزات والتقدم الحقيقي. لذا كنت قادراً قبل النوم أن أتخيل إمكانية أن أصبح ثريّاً ذات يوم، أقود عربة تجرها أربعة أحصنة، أتجول فيها في الحي اليهودي، وأطلق من خلال أمر حاسم فتاة جميلة، كانت قد ضربت على نحو ظالم وأحملها بعربتي. ومن دون أن أتأثر بهذه التخيّلات المضحكة التي غالباً ما تتغذى على تصّورات جنسية غير سليمة، بقي الاعتقاد بأنّني غير قادر على اجتياز الامتحانات النهائية لهذا العام. وإذا ما تمكنّتُ فلن أتقدّم في الصف اللاحق، ولو تمكنّت أن أتفادى ذلك من خلال التحايل فإن رسوبي في امتحان التخرّج سيكون مؤكداً، مع أنّ تحديد

اللحظة على نحو دقيق لم يعد أمراً مهمّا. أما تقدمّي الظاهري المنتظم فيبدو أنّه أدهش على نحو مفاجئ والديّ اللذّين استغرقا في النوم، شأنهما شأن بقية العالم الذي خضع لإلهام العجز غير العادي. ومنذ أن تعوّدت أن أظهر أمام عجزي– بوصفي دليلاً إلى المستقبل– أستثني على نحو نادر الوقوع، ما يتعلّق بنتاجي الأدبي الضعيف؛ فإنّ إطالة التفكير في المستقبل لم تجلب لي أي فائدة على الإطلاق. فلم يكن هذا التفكير أكثر من هذيان معبّر عن حزن الحاضر. ولو أردت، لاستطعت السير على نحو مستقيم، لكنّ ذلك يتعبني. كما أنني لم أستطع أن أتبيّن كيف يمكن لهذا الحال المعوجّ أن يؤذيني في المستقبل. فإذا كان ثمة مستقبل لي فإنّ شعوري يؤمن بأنّ الأشياء ستعدل ذاتها وحدها.

إنني لم أختر مثل هذا المبدأ لأنّه يتضمّن ثقة في مستقبل لا أعتقد بوجوده، إنّ هدفه الوحيد عندي هو أن يجعل الحياة أكثر سهولة فيما يتعلّق بي، وأن أتمشى وألبس وأستحم وأقرأ. ولكي أتمكن من حبس نفسي في المنزل بأقل الجهد وبأقل مستوى من الشجاعة. وإذا تجاوزت ذلك فلا أستطيع أن أفكرّ إلا بحلول مضحكة.

ذات مرة بدا أنّ من المستحيل الدخول من دون بدلة رسمية سوداء، ولاسيّما أنّه كان عليّ أن أقرر إذا ما كنت أرغب في الانضمام إلى الساعة المخصصة للرقص. وقد طلب الخياط الذي سبقت الإشارة إليه في Nusle، واستشير بخصوص تفصيل البدلة. كنت متردداً كعادتي في مثل هذه الحالات التي كان يتوجب عليّ فيها أن أخشى أنه في حالة وجود تعليمات واضحة فلن نكتفي بإبعادي إلى مكان قريب غير مريح؛ بل سأطرد بطريقة سيئة. لم أرغب في البداية في البدلة السوداء؛ لكنّهم عندما عيّروني أمام الرجل الغريب، مشيرين بأنني لا أمتلك بدلة رسمية تحملت ذلك؛ لأن امتلاك بدلة سهرة رسمية Frack أمر خاضع للمناقشة، لكنّي منذ شرعت أنظر إلى بدلة السهرة الرسمية بوصفها انقلاباً مخيفاً، يمكن الحديث عنه إلى ما لا نهاية، من دون أن توضع نهاية لهذا الحديث؛ فقد حدث الاتفاق على السموكنج Smoking الذي بدا لي من خلال تشابهه مع Sakko، وهي السترة الرجالية القصيرة الفضفاضة، محتملاً على الأقل. وعندما سمعت أنّ قصّ صدرية البدلة أمر لازم، وأنه يتوجّب عليّ ارتداء قميص مقوّى، فقد كان

يتوجب عليّ تجنب ذلك، لأن هذا الأمر يتجاوز قوّتي لم أرغب في بدلة سموكنج على تلك الشاكلة؛ بل كنت أتمنى إذا كان ذلك ضرورياً بدلة مخططة ومشّذبة بالحرير، يمكن تزريرها من الأعلى. كانت مثل هذه البدلة غير معروفة للخياط، لكنّه لاحظ أنّه بغض النظر عمّا أنوي أن أفعله بمثل هذا المعطف فإنه لن يكون زياً مناسباً للرقص. حسناً ليس هذا زياً حسناً للرقص، ولست راغباً في الرقص، وهذا ما لم يحسم في أي حال من الأحوال؛ بل على العكس فقد رغبت أن يتم يفصل المعطف على النحو الذي وصفته. كان الخيّاط بليد الفهم، فقد كنت حتى تلك اللحظة، أقيس الملابس الجديدة وأجربها بعجلة خجولة من دون إبداء ملاحظات أو رغبات. ولم يتبق لي نظراً لإلحاح والدتي سوى الذهاب معه– وكانت تجربة مؤلمة تماماً– إلى نافذة عرض لمخزن للملابس المستعملة يقع في دائرة من دوائر المدينة القديمة، حيث كنت شاهدت في نافذة العرض منذ زمن طويل بدلة سموكنج بسيطة تناسبني. لسوء الحظ كانت قد أزيلت البدلة من نافذة العرض، ولم أكن لأستطيع أن أرى ما في داخل المخزن حتى من خلال التحديق الحاد، ولم أكن راغباً في دخول المخزن لمجرد معاينة البدلة؛ لذلك عدنا إلى عدم الاتفاق السابق. وشعرت كما لو أنّ بدلة السموكنج المستقبلية قد لعنت من خلال عدم جدوى هذه الرحلة القصيرة.

استطعت على الأقل أن أوظف انزعاجي من الاعتراضات المتبادلة بخصوص بدلة السموكنج ذريعة لإرسال الخياط ليحضر شيئاً ما، وبقيت أواجه لوم أمي وأنا أستشعر التعب. للأبد، كلّ ما حدث لي كان للأبد؛ ممنوع من الفتيات، ومن الظهور بمظهر أنيق، ومن أحاديث الرقص، أما عن الشعور بالبهجة الذي أحسّه الآن، في الوقت نفسه، فقد آلمني، وخفت في الوقت ذاته أن أبدو مضحكاً أمام الخياط، على نحو لم يفعله أي زبون له من قبل.

الثالث من كانون الثاني :

قرأت كثيراً في «صحيفة» die neue Rund Schau بداية رواية «الرجل العاري» Der nackte Mann*. وضوح كليّ باهت، وغير قابل للاستشعار في التفصيلات. «هروب غابرييل

شيللنج» Gabriel Shillings Flucht لهاوبت مان Hauptmann[61]. تربية الناس مفيدة في السلب والإيجاب. رأس السنة الجديدة. خططت كي أقرأ لماكس من يومياتي بعد الظهر. فرحت لذلك، لكنني لم أتمكن من إنجازه. لم نشعر معاً بالانسجام؛ فقد لمست فيه في تلك اللحظة شيئاً من الاهتمام بصغائر الأمور على نحو نفعي، وشيئاً من العجلة. لم يكن صديقي تقريبا؛ لكنه ما يزال مسيطراً عليّ لدرجة أنني رأيت ذاتي من خلال عينيه، أقلب الدفاتر بلا فائدة، وأحسّ أنّ هذا التقليب الذي يعيد فتح الصفحات وتقليبها جيئة وذهاباً ليرتد إلى الصفحات ذاتها، أمر يبعث على القرف. لقد كان من المستحيل بطبيعة الحال العمل في مثل هذا التوتر المتبادل. أما الصفحة الوحيدة من «ريتشارد وصموئيل» التي أنجزناها ضمن حالة متبادلة من العناد، فهي برهان على ما يتمتع به ماكس من طاقة رديئة. رأس السنة الجديدة عند كادا ليس سيئاً؛ لأنّ فيلتش وكيش ورجلاً آخراً أضافوا دماً جديداً، لأجد ذاتي في خاتمة المطاف من خلال تلك المجموعة على وجه التحديد أستبين طريقي للعودة من جديد إلى ماكس. ضغطت على يده في غرابن المزدحمة من دون أن أراه. وضغط هو على الدفاتر الثلاثة، مثلما أذكر، لأذهب بعدها إلى المنزل مباشرة، وأنا أشعر بالفخر.

اللهب الذي يشبه نبات السرخس، يشتعل من بوتقة على الشارع، أمام بناية قيد الإنشاء.

من السهل ملاحظة تركيز قواي كلها في الكتابة، وعندما أبدو واضحاً في كياني الحي على نحو تغدو معه الكتابة الاتجاه الأكثر جدوى لكياني يتسارع كل شيء في ذلك الاتجاه، ويترك تلك القدرات الفارعة كلها، تلك التي كانت متجهة نحو متعة الجنس والطعام والشراب والتفكير الفلسفي والموسيقى في المقام الأول. لقد ضَمُرَتْ بعد تلك الاتجاهات، وكان ذلك ضرورياً؛ لأن طاقاتي في مجموعها كانت من الضعف إلى الحدّ الذي لا تستطيع فيه مجتمعة أن تخدم هدف الكتابة وصولاً إلى منتصف الطريق. إنني لم أجد هذا الهدف على نحو مستقل وواعٍ بطبيعة الحال. فقد تمكن هو من إيجاد ذاته، وهو الآن يتدخل عبر المكتب؛ لكنه ممنوع من التدخل ها هنا تماماً. وفي كل الأحوال فمن غير المسموح لي أن أنوح لأنني غير قادر على

(61) مسرحية للكاتب الألماني لغيرهارت هاوبتمان (1862–1946) ظهرت 1905–1906، وعرضت للمرة الأولى عام 1912.

تحمّل عشيقة، ولأنني أكاد أفهم في الحب مقدار فهمي في الموسيقى، ولأنه يتوجب على أن أكتفي بالجهود الأكثر سطحية وخفة. فقد تعشّيت ليلة رأس السنة نوعاً من البقول التي تؤكل جذورها Schwarzwurzel مع السبانخ؛ وشربت فوق ذلك كأساً من شراب السيرز Ceres، أما يوّم الأحد فسأكون غير قادر على المشاركة في محاضرة ماكس عن عمله الفلسفي. أما التعويض عن ذلك كله فواضح كالنهار. وكي تكتمل عملية تطوري بمقدار ما أستطيع أن أتوقع فلم يعد أمامي سوى أن أطرّح العمل المكتبي خارج هذه المجموعة، كي تبدأ حياتي حقيقة، وكي يستطيع وجهي من خلال تنامي عملي من التقدم في السّن على نحو طبيعي.

إن التحول المفاجئ الذي يتخذ شكل حديث، وإن كان ينطق في البداية عن القلق المملوء بالتفصيلات للوجود الداخلي؛ فإنه لا ينكسر على نحو واقعّي؛ لكنه لا يتطوّر لغوياً خارج إطاره بطبيعة الحال. وإن كان المرء لا يدري موعد المرة القادمة ومكانها، والظروف التي ينبغي أن تؤخذ بالحسبان في تقرير ذلك. ولو قدّر لهذه المحادثة أن تنتهي بالمصافحة فسيغادر المرء بعدها مملوءاً بالاحترام والإيمان العابر بصفاء حياتنا ومتانة تركيبها.

يصعب أن نتجنّب في السيرة الذاتية جملة «في غالب الأحيان» مع أنّ الحقيقة تتطلب أن تحل «ذات مرّة» بدلاً منها؛ فعلى المرء أن يظّل واعياً أن الذكريات تُسحب من الظلام، وأنّ «ذات مرة» تحدث دوّياً، بينما لا يحافظ على أيّ شيء من خلال «في غالب الأحيان»، وإن كان عبرها على الحدّ الأدنى من رأي الكاتب الذي يتبدّى في الجزئيات، التي لم ليس لها وجود في حياة الكاتب في أغلب الظن، والتي تقدّم البديل للأشياء التي لم تعد ذاكرته تستطيع أن تتوقّعها.

الرابع من كانون الثاني:

أرغب بناء على شعوري بالزهو أن أقرأ لأخواتي، إلى الحد الذي لم يعد فيه وقت اليوم مثلاً للكتابة، ليس لأنني مقتنع أنني سأصل إلى أمر ذي قيمة من خلال القراءة، فإنّ أكثر ما يستحوذ عليّ في أثناء القراءة هو أن أقترب من الأعمال الجيدة، ليس من خلال كفاءتي؛ بل من خلال

يقظة شقيقاتي المستمعات اللواتي كانت المادة المقروءة تستثيرهن من دون أن يلقين بالاً للأمور العرضية. لذا فإنّ بوسعي أيضاً أن أشارك تحت تأثير الزهو الخفي بوصفي سبباً من أسباب التأثير، الذي تمكن العمل المقروء من تأديته. ولهذا كنت أقرأ أمام شقيقاتي على نحو مملوء بالإعجاب، مبرزاً بعض ما يحتاج إلى تركيز، بدقة مبالغ فيها، لأنني لن أكافأ منّي وحدي فيما بعد؛ بل من أخواتي.

أما عندما أقرأ أمام برود أو باوم أو آخرين طلباً للثناء فيتوجب أن تكون قراءتي مفزعة تماماً لكلّ واحد منهم، ولاسيما لمن لا يعلم عن جودة قراءاتي الأخرى. إنني ألحظ أنّ المستمع قادر على التمييز بيني وبين المادة المقروءة؛ لأنني لا أسمح لنفسي أن أتماهى على نحو تام مع المقروء من غير أن أبدو مضحكاً، كما أعتقد، وهو رأي لا أظن أنه قادر على أن يحظى بدعم المستمع. إنني أحلّق بصوتي حول المادة المقروءة، وأحاول أن أشق طريقي بالقوة هنا وهناك، ولكنني لا أنوي ذلك على نحو جدّي، لأنهم لا يتوقعون الكثير مني على الإطلاق، أما ما يريدونه مني حقيقة فهو أن أقرأ من دون إحساس بالزهو، وعلى نحو هادئ، تاركاً مسافة بيني وبين المادة المقروءة، وأن أكون عاطفياً، عندما تتطلب عاطفتي أن أكون، وهو ما أعجز عن فعله. ومع ذلك فإنني أعتقد أنني قد عثرت على ذاتي، مكتفياً بأنّني أقرأ على نحو رديء لكل واحد باستثناء شقيقاتي. أما شعوري بالزهو الذي لا مسوّغ له هذه المرّة فإنّه ما يزال يُظهر ذاته على نحو يشعرني بالإهانة، إذا ما تعرّض أحد لقراءتي، التي تغدو متدفقة وسريعة، مثلما اعتدت عندما شرعت ذات مرة بالقراءة آملاً أن أظلّ أقرأ إلى ما لا نهاية، بعيداً عن اللهفة غير الواقعية التي استطاعت بمرور القراءات الطويلة أن تنتج الشعور الخاطئ المتكبر للتوحّد مع المادة المقروءة، ناسياً في هذا السياق أنني لن أمتلك القوة الكافية العابرة على الإطلاق لفرض مشاعري على الرؤية الواضحة للمستمع، وأنّ لي في البيت شقيقات يبدأن بهذا التبديل المرغوب.

الخامس من كانون الثاني :

لاحظت منذ يومين أنّ ثمة برودة ولا مبالاة في داخلي عندما أرغب في فعل شيء، أمس مساءً في أثناء المشي كان كلّ صوت صغير في الشارع، وكلّ نظرة تستدير صوبي، وكل صورة في خزائن العرض؛ أكثر أهمية عندي من ذاتي.

النسقيّة، التاريخ :

عندما* يقرّر المرء، على نحو نهائي أن يبقى في المنزل مساءً، ويرتدي السترة المنزلية، بعد أن يتناول طعام العشاء ويجلس على الطاولة المضاءة، ويؤدي العمل أو اللعب الذي اعتاد أن يفعله قبل ذهابه إلى النوم، وعندما يكون الجو في الخارج كئيباً، بحيث يبدو البقاء في البيت أمراً طبيعياً، وعندما يجلس المرء بهدوء كذلك إلى الطاولة، إلى الحد الذي يتوجب أن تغدو مغادرته مثيرة للغضب الأبوي؛ بل لغضب الجميع، وعندما يهبط المرء بالدرج المعتم، وتكون بوابة المنزل مغلقة، وعندما يقف المرء على الرغم من ذلك كله في حالة استياء مفاجئة، فيغيّر سترته، ويرتدي في الحال ثياباً مناسبة للشارع، مفسراً ذلك بأنه يتوجب عليه الخروج، مستخدماً كلمات وداع مقتضبة، ضارباً باب الشقة على نحو يتناسب وسرعته، مقاطعاً للمناقشات العامة الدائرة، معتقداً بأنه يخلّف وراءه غضباً يزيد أو ينقص، وعندما يجد المرء نفسه في الشارع من جديد بأعضائه التي تنعم بهذه الحرية غير المتوقعة التي صنعها لها، لترد الجميل من خلال حركاتها المميزّة، وعندما يرغب المرء من خلال هذا القرار الحاسم أن يشعر بأنه يستثير طاقاته الحاسمة جميعها، وعندما يكتشف المرء من خلال دلالة تفوق المعتاد أنه يمتلك طاقة تفوق حاجته، وأن من السهل عليه أن يؤثّر في التغيرات الأسرع، وأن يكون قادراً على تحمّلها، تلك التغيّرات التي تركها تنمو على مهلها في العقل والهدوء؛ فإن المرء يكون في هذا المساء قد انفصل عن عائلته تماماً على نحو لا تستطيع الرحلة الأبعد أن تفعله. وقد جرب المرء أقصى درجات العزلة التي لم يكن بوسع أوروبا إلا أن تسّميها روسيّة. كل ذلك يقوى عندما يبدأ المرء في الساعات الأخيرة من ذلك المساء بالبحث عن صديق ليرى كيف تسير أحواله*.

لقد دعي فيلتش لمصلحة السيدة كلوغ. لوڤي بصداعه الحاد الذي قد يشير إلى مرض جدّي خطير اتكأ على سور في أسفل الشارع، حيث كان ينتظرني. كانت يده اليمنى تضغط على جبهته بيأس. جعلت ڤيلتش الذي كان يتكأ على حافة النافذة وهو جالس على الأريكة يراه. أعتقدت أنها المرة الأولى في حياتي التي ألحظ فيها بسهولة عبر النافذة أمراً يتعلّق مباشرة بي ويجري في الشارع. وهذا النوع من الملاحظة عرفته من شرلوك هولمز.

السادس من كانون الثاني :

أمس مسرحية «نائب الملك» Vice Koenig لفايمان Feimann، تهجرني قدرتي على تقبّل اليهوديّة في هذه المسرحيات لأنّها رتيبة جداً، وتتّشكل في إطار من الشقاء، لدرجة أنها تبدو فخورة بالتمردات القويّة المنعزلة. عندما رأيت المسرحية الأولى كان من الممكن أن أعتقد أنني وصلت إلى يهودية فيها بدايات راحتي الذاتية، بمعنى أنها تطورْت باتجاهي ونورتني وحملتني بعيداً عن يهوديتي الخاملة؛ لكنها بدلاً من ذلك تبتعد عني كلّما ازداد استماعي لها. أما الناس فباقون بطبيعة الحال، وأنا أتجه صوبهم.

حصلت السيدة كلوغ على منافع، لذا غنّت بعض الأغاني الجديدة، وصنعت بضع نكات جديدة، لكنني لم أكن تحت تأثيرها الكلّي إلاّ في أثناء أدائها لأغنيتها الافتتاحية، بعد ذلك كان لدي العلاقة الأقوى، لكلّ جزء يتعلّق بمظهرها. لذراعيها اللتين تمتدان عندما تغنيّ لأصابعها الجسورة إلى ضفائرها الملتوية بإحكام على صدغيها، إلى قميصها الرقيق الممتد ببراءة تحت صدريتها، إلى شفتها السفلى التي تبدو مزمومة وهي تتذّوق إحدى النكات، ألا ترون أنني أتكلّم اللغات جميعها، لكن من خلال الإيديش؟ وصولاً إلى قدميها الصغيرتين المكتنزتين في الجوارب النسائية البيضاء السميكة، حتى أصابع القدمين التي يمنعها الحذاء من النمو الطبيعي.

وقد أفسدت تأثيرَها القويّ فيّ، عندما غنت أمس أغنيتها الجديدة، فبدت مثل شخص يعرض ذاته، وقد اكتشف بعض النكات والأغاني ليعرضها بحيويته وطاقاته كلها على النحو الأكمل. ونظراً لنجاح هذا العرض فإن كلّ شيء قد نجح، وجَعَلنا سعداء. وإذا ما تركنا ذلك

الشخص يؤثر فينا في الغالب فنحن سنتفق، وسيوافقني المشاهدون جميعاً بطبيعة الحال بأننا لن ندع أنفسنا نرتبك من خلال هذا التكرار الثابت للأغاني ذاتها، فسنستخدم هذا التكرار وسيلة مساعدة للتركيز، مثل إطفاء الأنوار في الصالة، على سبيل المثال، أما عن المرأة فنحن نلمح من خلاله شجاعتها ووعيها الذاتي، وهُما ما نبحث عنهما. لقد عجزت هذه الأغاني الجديدة أن تظهر شيئاً جديداً في شخصية السيدة كلوغ نظراً لأن الأغاني القديمة قد سدّدت تماماً عنها دينها. وعندما زعمت هذه الأغاني الجديدة أنها تمتلك الحق كي تعامل بوصفها أغاني مع أنه لا مسوغ لذلك على الإطلاق؛ استطاعت أن تحرف السيدة كلوغ عن وجهتها، وأن تكشف في الوقت ذاته أنها لم تكن مرتاحة في أداء بعضها، تخطىء في بعضها، وتبالغ في تجهّم وجهها وحركاتها في بعضها الآخر. لذا فإن من واجب المرء أن يشعر بالانزعاج، وعزاؤه الوحيد يكمن في استذكار المثالي في الماضي، الذي يصعب على المشهد المعاصر أن يعكّر ما كان يتحلى به من إخلاص غير قابل للاهتزاز.

السابع من كانون الثاني :

تؤدي السيدة تشيسك لسوء الحظ أدواراً لا تعرض جوهر شخصيتها؛ فهي تؤدي دائماً أدوار نساء وفتيات تعيسات ومحتقرات ومخزيّات ومظلومات، لكنهن لا يمتلكن الوقت لتطوير شخصياتهن على نحو طبيعي. إنّ القوة المتفجرّة التي يتم يعبر بها عن هذه الأدوار تجعلها تبلغ إلى الذرى، عندما تؤديها السيدة تشيسك على النقيض مما يحدث في العمل المسرحي المكتوب، بالنظر لما يتحلى به ذلك النص من خصب كونه يتطلب تلميحات وإشارات. لكن ذلك يظهر طبيعة ما تستطيع السيدة تشيسك أن تؤديه. تبدأ إحدى حركاتها المهمة باهتزازة من ردفيها الساحرين الصلبين، أما ابنتها الصغيرة فتمتلك على ما يبدو ردفين صلبين تماماً، وعندما يتعانق الممثلون تمسك كل واحدة منهما بباروكة الأخرى.

أخيراً صعدت مع لوفي إلى غرفته كي يقرأ لي الرسالة التي كتبها إلى أحد الكتاب في وارسو ويُدعى نومبيرغ، وفي أثناء الصعود التقينا مع الزوجين تشيسك وهما يصعدان إلى غرفتهما،

يحملان ملابسهما من أجل Kol Nidre، ملفوفة بورق ناعم، كما يلف الفطير. توقفنا بعض الوقت. استخدمت الدرابزين لدعم يديّ، ومن أجل أن أتمكن من ترنيم جُملي. كان فمها الكبير يتحرك قريباً مني على نحو مفاجئ، لكن على شكل طبيعي.

كانت المحادثة– وهذا ذنبي– تنذر بالانتهاء على نحو يائس، وكان جهدي أن أعبر عن الحبّ كله والولاء، لكنني تأكدت أنّ عمل الفرقة يسوء على نحو مؤلم، وأنّ ذخيرتها الفنية تستنزف، وأنها لن تستطيع أن تصمد طويلاً، وأنّ نقص الاهتمام عند يهود براغ تجاهها غير قابل للاستيعاب. يوم الاثنين يتوجب عليّ كما طلبت منّي أن أجيء إلى «ليلة سيدر»[62]، على الرغم من أنني أعرف المسرحية، حيث سأسمعها وهي تغني أغنية (اسمعي يا إسرائيل) التي أحبها على نحو خاص، مثلما تتذكر هي من خلال ملاحظة قديمة لي.

«Jeschiwes» اليشيفز مدارس تلمودية تدعمها جمعيات كثيرة في بولندا وروسيا، تكلفتها غير مرتفعة؛ لأن هذه المدارس في العادة في بنايات قديمة غير صالحة للاستعمال، تحتوي فضلاً عن غرف التدريس وغرف النوم الخاصة بالطلبة على شقّة Rosch-Jeschiwe للمعلم الذي يؤدي خدمات أخرى للجماعة، وأخرى لمساعده. لا يدفع الطلاب نفقات التعليم، ويحصلون على وجبات طعام تتغير بتغيّر أعضاء الجمعية المختلفين. وعلى الرغم من صدور هذه المدارس عن أصول عقائدية صارمة؛ فإنها تشكّل مراكز انطلاق للتقدم المرتد عن العقيدة؛ لأن هؤلاء الشباب القادمين من مناطق بعيدة، ولاسيما الفقراء منهم والنشطاء والراغبين في الابتعاد عن منازلهم لا يخضعون هنا للإشراف الصارم، مما يسمح للشباب أن يعتمد على بعضه بعضاً اعتماداً كليّاً. ونظراً لأن القسم الرئيس من الدراسة يتكون من تعلّم جماعي مشترك، وتفسيرات متبادلة للموضوعات الصعبة، لأنّ الأصولية في أماكنها الأصلية المختلفة، التي يأتي الطلبة منها، متشابهة دائماً، ولا تحتل حيزاً من موضوعات النقاش، تأخذ ميول التقدمّ المقموعة، الأشكال الأكثر تنوعاً. وهي تختلف في القوة تبعاً لظروف الأمكنة الأمر الذي يدع

(62) احتفال ديني يجري الاحتفال به في الدياسبورا (المنفى). أما كلمة Seder فتعني النظام؛ ويتكون الاحتفال من طقوس تجري فيها قراءة خروج بني إسرائيل من مصر.

المجال للحديث بقوة عن الموضوع. وعلاوة على ذلك فقد كان من المعتاد أن يحضر شخص أو آخر نسخة من الأدب التقدمي المحظور، ليتجمّع في الشيفز الكثير من هذه النسخ التي تنتمي إلى أمكنة شتّى، ويكون تأثيرها قويا؛ لأن مالك كلّ نسخة من تلك النسخ لا يكتفي بمضاعفة مخطوطاته؛ بل يضاعف حماسته الذاتية. لهذه الأسباب وما ترتب عليها من نتائج لاحقة، تخرج في هذه المدارس في الآونة الأخيرة كتاب تقدميون وسياسيون وصحفيون وعلماء. ولذا ساءت سمعة هذه المدارس تماماً عند المتشددّين، وتدفق إليها بالمقابل أكثر مما كان في الماضي شباب ذوو ميول تقدمية.

هناك مدرسة يشيفيي شهيرة في أوسترو Ostro ، وهي بلدة صغيرة تقع على مسافة ثماني ساعات بالقطار من وارسو. ويزعم لوڤي أن أوسترو ليست في واقع الأمر أكثر من قطعة أرض صغيرة يحيط بها الطريق السريع، وأنها ليست أطول من عصاه. وعندما توقف ذات مرة كونت أفذ بعربته التي تجرّها أحصنة أربعة، وقف الحصانان الأماميان والجزء الخلفي من العربة خارج المكان.

قرّر لوڤي في نحو الرابعة عشرة من عمره، يوم غدت قيود الحياة بالنسبة له في المنزل، غير قابلة للاحتمال، أن يذهب إلى أوسترو. وقد ربت والده على كتفه، وهو يغادر الصومعة، قبيل المساء وأخبره أنه سيأتي لرؤيته لاحقا؛ لأن ثمة أمراً سيناقشه معه. ونظراً لأن لوڤي لم يكن يتوقع شيئاً سوى اللوم فقد ذهب من الصومعة على الفور إلى محطة السكة الحديدية من دون أمتعة، وهو يرتدي قفطاناً أفضل من المعتاد. لأنه كان مساء السبت، ولأنه كان يحمل معه كلّ ما بحوزته من المال، ركب قطار العاشرة المتجه نحو أوسترو، حيث وصل في صباح السابعة من اليوم التالي. واتجه من ثمّ مباشرة إلى اليشيفي من دون أن يجهز أي ترتيبات خاصة؛ لأن كلّ واحد يستطيع الدخول إلى اليشيفي، ولا شروط خاصة للقبول. أما غير المألوف فهو رغبته في الدخول في هذا الوقت، كان الوقت صيفاً وارتداؤه قفطاناً جيداً. لكنّ تغلب على كل ذلك سريعا؛ لأن هؤلاء الشباب يرتبطون من خلال يهوديتهم، على نحو لا نعرفه، ويتعارفون بسهولة. أما في التعلم فإن لوڤي تميزّ باكتسابه مقداراً كبيراً من العلم في منزله. وقد أعجبه

الحديث مع الشباب الغرباء، الذين احتشدوا حوله، يعرضون عليه أن يبيعوه أشياءهم، عندما اكتشفوا مقدار ما يملك من مال. وقد أدهشه على وجه الخصوص ذلك الذي أراد أن يبيعه «أياماً». أما «أيام» فهي اسم وجبات الغداء الخاصة بالطلبة. كانت سلعاً قابلة للبيع؛ لأن أعضاء الجماعة الذين كانوا يرغبون في تأدية عمل يرضي الله، من خلال الموافقة على بيع وجبات من دون تمييز بين الأشخاص لم يهتموا بمن كان قد جلس حول هذه الطاولات. ولو وجد طالب حاد الذكاء فإنه كان يستطيع أن يتزود بوجبتي طعام في اليوم. ويستطيع أن يحتمل هذه الوجبات المضاعفة، عندما لا تكون دسمة، كما يستطيع أن يبتلع الوجبة الثانية بعد الوجبة الأولى بكل سرور، لأنه قد يحدث أن يزوّد بالطعام ذات يوم على نحو مضاعف، في حين يكون صحنه فارغاً في اليوم التالي. وعلى الرغم من ذلك فقد كان كل واحد منهم سعيداً، إذا ما وجد فرصة لبيع هذه المجموعة الإضافية من وجبات الطعام المجانية، مقابل الربح. وعندما يصل أحد الأشخاص في الصيف، كما حصل مع لوڤي؛ أي في وقت وزعت فيه الوجبات المجانية؛ فإن الطريقة الوحيدة للحصول على الوجبة الغذائية لا تكون إلا بشرائها، لأنه حجزت مجموعة الوجبات الإضافية المجانية التي كانت متوافرة في البداية من قبل المضاربين.

كان الليل في اليشيڤي لا يطاق، صحيح أنّ النوافذ ظلت مفتوحة؛ لأن الجو كان دافئاً، لكن الرائحة الكريهة والحرارة، أبت أن تغادر الحجرات – لأن الطلاب الذين لا يمتلكون أسرة نوم حقيقية، ينامون من دون أن ينزعوا ملابسهم، ويظلون يرتدون ملابسهم المملوءة برائحة العرق، كانت البراغيث تنتشر في كل مكان، أما في الصباح فيبلل كل واحد من الطلبة يديه ووجهه بالماء على عجل ويستأنف دراسته. يدرس الطلبة على نحو جماعي غالب الوقت، وقد اعتادوا أن يدرس الطالبان في كتاب واحد، لتتوزع الحلقات النقاشية إلى عدة دوائر. يشرح الروش – يشيڤي أكثر الفقرات صعوبة هنا وهناك. وعلى الرغم من أنّ لوڤي بقي بعد ذلك عشرة أيام في أوسترو، فقد ظلّ ينام ويتناول وجباته في الفندق. وقد عثر على صديقين يوافقانه الرأي، لم يعثر الواحد منهم بسهولة على الآخر، لأنهم اعتادوا أن يتفحصوا في البداية آراء الشخص الآخر، وإمكانية الوثوق به. وقد عاد لوڤي إلى بيته سعيداً، لأنه اعتاد على حياة منظمة، ولأنه لم يستطع

التوقف عن الحنين إلى الوطن.

في الغرفة الكبيرة، كان هناك صخب لعب الورق، ثم الحديث المعتاد لأبي، عندما يكون بصحة جيدة كاليوم. الذي يجري بصوت عال، وإن لم يكن متماسكاً. شكّلت الكلمات توترات صغيرة لصخب لا شكل له. ينام فيليكس الصغير في غرفة البنات، ذات الباب المفتوح على مصراعيه. وأنام في غرفتي الخاصة، في الجهة الأخرى المقابلة. أما باب الغرفة فقد كان مغلقاً، مراعاة لسني كما كان يرى والداي. وكان الباب المفتوح يشير فضلاً عن ذلك أنهم يريدون اجتذاب فيلكس إلى العائلة، بينما يسعون إلى استثنائي.

أمس عند باوم كان المفترض أن يجيء ستروبل، لكنه كان في المسرح. قرأ باوم العمود الخاص بـ «الأغنية الشعبية» على نحو رديء، ثم فصلاً من «مصير الهزل والجّد» على نحو جيّد جداً. كنت لا مبالياً، سيئ المزاج، ليس عندي انطباع واضح عن المشهد الكلّي. في أثناء العودة إلى المنزل تحت المطر، حكيت لماكس عن الخطة المعاصرة لـ (إيرما بولاك ma Polak)[63]. إنني لا أستطيع أن أقرّ ما أنا فيه؛ لأن ماكس لم يعترف به على نحو صحيح مطلقاً. لذا كان يتوجب علي أن أكون مخادعاً، وهو ما أفسد عليّ كلّ شيء. لقد كنت متألماً لأنني فضلت الحديث مع ماكس، عندما كان وجهه في الظلام، على الرغم من أنه يستطيع أن يخون وجهي بسهولة أكثر في الضوء. لكنّ النهاية الغامضة للرواية أمسكت بي على الرغم من العقبات كلّها. في الطريق إلى المنزل، بعد الوداع، ندمت على زيفي، وألمي حول عدم القدرة على تجنب ذلك. نويت أنّ أجعل دفتراً خاصاً لعلاقتي بماكس. حيث يطفو غير المكتوب فيه أمام العينين، أما الحوادث المرئية فهي التي تقرّر الحكم النهائي.

وعندما استلقيت فوق الكنبة وارتفع الحديث من الغرفتين كان الحديث من النساء على الجانب الأيسر، ومن الرجال على الجانب الأيمن، فقد تولّد لديّ الانطباع أن لهم طبيعة فظة متوحشة، تستعصي على التهدئة. وهم يهرفون بما لا يعرفون. وحديثهم لا يهدف إلاّ لتحريك الهواء. ثم يرفعون وجوههم عند الحديث، ويتأملون ما ينطقون من كلام.

(63) ممثلة كوميدية من أصل يوغوسلافي (1876–1931).

هكذا مرّ بي يوم الأحد الهادئ الماطر، وأنا أجلس في غرفة النوم بسلام. لكنّني بدلاً من أن أقرّر الكتابة التي أستطيع من خلالها أن أستفيض في ما جرى يوم أمس الأول، تجمّدت نظراتي فوق أصابعي لمدة طويلة. كنت على مدى هذا الأسبوع واقعاً تحت تأثير غوته تماماً. لكنّني استنزفت قوة هذا التأثير، وأصبحت عديم الفائدة.

من قصيدة لروزنفلد Rosenfeld، تصف عاصفة بحرية: «تصفّق الأرواح، وترتجف الأجسام». عندما أنشدها لوڤي كان يثبت على نحو محكم جلدة جبهته وأرنبة أنفه على نحو يحسب المرء معه أن الأيدي وحدها هي التي يجري تثبت في الفقرات الأكثر تأثيراً التي يسعى إلى تقريبها للمستمع كان لوڤي يقترب منا، أو بالأحرى يضخم ذاته، بحيث يبدو مظهره أكثر وضوحاً، يتقدم قليلاً، يبقى عينيه مفتوحتين، يشد بيده اليسرى الشاردة معطفه الأسود، ويبقي اليد اليمنى مفتوحة ممتدة نحونا، ومن المفروض حتى لو عجزنا عن الفهم أن نعترف بتأثره، وأن نشرح له أن المصيبة التي جرى وصفها كانت ممكنة.

من المفروض أن أقف أمام الرسام Arehcs[64] بوصفي نموذجاً للقديس سبستيان.

لو كنت أعرف الآن أنّ عليّ أن أرجع مساء إلى أقربائي، ما كنت كتبت شيئاً على الإطلاق، يمكن أن يفرحني، فلا أحد يبدو لهم غريباً ومحتقراً وعديم الفائدة أكثر منّي. كلّ هذا لا يظهر بطبيعة الحال إلا في باطن مشاعري غير القابلة للخداع حتى من الملاحظة الدقيقة، لكنهم في الحقيقة، يحترمونني ويحبونني.

الرابع والعشرون من كانون الثاني :

الأربعاء: لم أكتب منذ زمن طويل للأسباب التالية: كنت غاضباً من رئيسي في العمل، ولم أستطع أن أزيل سوء التفاهم إلا بعد رسالة طيبة، كما كنت غير مرّة في المصنع، كما قرأت بنهم شديد كتاب (Pines تاريخ الأدب الألماني اليهودي- L?historie de La Litterature Judeo)

(64) لعل كافكا يشير إلى تسيكا أشر الذي غادر براغ إلى انجلترا عام 1939. أمّا القديس سبستيان فهو قديس مسيحي توفي عام 287م، ويعد أحد شهداء المسيحية.

Allemande، الواقع في خمسمئة صفحة، وهو كتاب لا شبيه له بين أقرانه، من حيث الإتقان والاندفاع والبهجة. أما الآن فإنني أقرأ كتاب فرومر Fromer[65] لهيئة اليهودية Organismus des Judentums. أخيراً لقد أمضيت مدة طويلة من الزمن مع الممثلين اليهود، كتبت رسائل لهم، وألححت في إقناع الجمعية الصهيونية كي تستفسر من الجمعيات الصهيونية في بوهيميا، إذا كانت راغبة في استضافة مسرحيات تؤديها هذه الفرقة، كتبت الخطاب المطلوب ونفذت عملية استنساخه. شاهدت للمرة الثانية شولاميث Sulamith وشاهدت للمرة الأولى Herzele Mejiches لريشتر Richter، وكنت في الأمسية الخاصة بالأغنية الشعبية في نادي بار كوخيا، أما يوم أمس الأول فقد شاهدت Graf von Gleichen (إحصاء النظائر) لشميدت بون Schmidthbonn[66].

أمسية الأغاني الشعبية، ألقى الدكتور ناتان بيرن باوم محاضرة. التقاليد اليهودية الشرقية التي اعتادت أن تحشر جملة «سيداتي وسادتي المحترمين»، أو أن تضيف جملة «الأعزاء المحترمين» التي تكررت في بداية حديث بيرن باوم على نحو يبعث على الضحك. لكنّ معرفتي بلوڤي كما أعتقد توضح أنّ مثل هذه التعبيرات التي تتكرر كثيراً في الحوارات اليهودية الشرقية مثل: «يا ويلي» Weh ist mir! أو «إنها لا شيء» S'ist nischt أو «إنها تتحدث كثيراً» S'ist viel zu reden ، لا تنوي التغطية على الإحراج، بقدر ما تنوي شأنها شأن الينابيع الجديدة إثارة التيار البطيء للخطاب، الذي لا يتناسب مع المزاج اليهودي الشرقي لكنّ هذا لا ينطبق على بيرن باوم.

السادس والعشرون من كانون الثاني :

ظَهْر السيد فيلتش والهدوء الكامل الذي ساد القاعة في أثناء الاستماع إلى القصائد الرديئة- بيرن باوم: تسريحة شعره الطويل تَقْطعُ رقبتَه على نحو حاد، هذه الرقبة التي تبدو من خلال

(65) تشير اليوميات إلى يعقوب فرومر وهو من دارسي التلمود 1865-1938، وقد ظهر كتابه عام1909.

(66) كاتب ألماني (1876-1952) وقد ظهرت مسرحيته عام 1908.

تعريتها المفاجئة أو من خلال طبيعتها ذاتها منتصبة تماماً. الأنف الكبير المعوج غير الضيّق ذو الحواف العريضة التي تبدو بصورة رئيسية. جميلة لأنها تبدو مناسبة تماماً للحيته الجميلة، المغنّي غولانين. وجه مسالم، حلو، سماوي، يتدّلى إلى الجانب وإلى الأسفل، بأنف مجعّد وابتسامة حادّة، يمكن أن تكون جزءاً من تقنيات فمه*.

الحادي والثلاثون من كانون الثاني :

لم أكتب شيئاً، أحضر لي ڤيلتش كتباً عن غوته. سببّ لي إثارة مشتتة، غير قابلة للتوظيف على الإطلاق. تخطيط لمقالة بعنوان «طبيعة غوتة المخيفة»، التمشي ساعتين في المساء، وهو ما شرعت بممارسته.

الرابع من شباط :

قبل ثلاثة أيام ڤيديكند Wedekind[67] في «روح الأرض» Erdgeist، ڤيديكند وزوجته تللي Tilly يمثّلان معاً فيها. الصوت الدقيق الواضح للمرأة. وجه ضيّق على هيئة هلال. كان الجزء السفلي من الساق يتفرّع نحو اليسار عندما وقفت على نحو هادئ. وضوح المسرحية، حتى في حالة الاسترجاع، يجعل المرء يرجع إلى المنزل هادئاً واعياً. انطباع متناقض، يتأسس على نحو شامل ويبقى غريباً.

عندما ذهبت آنذاك إلى المسرح، كانت أموري على ما يرام. تذوقّت أعماقي فكانت كالعسل. شربتها دفعة واحدة من دون توقف. جرى الأمر في المسرح على تلك الشاكلة. كان الأمر كذلك في الليلة السابقة: «أورفيوس في العالم السفلي»[68] مع باللبينبيرغ Pallenberg كان الأداء رديئاً جداً، لدرجة أنني لم أستطع التفكير بأيّ مخرج؛ بل؛ بل بالهرب بعد الفصل الثاني،

(67) كاتب مسرحي ألماني، فرانك فيدي كند (1864–1918)، وقد ظهرت مسرحيته المشار إليها عام 1895.

(68) أوبريت مسرحي أعده جاك أوفن باخ، أما النص الفرنسي فقد كتبه لودفيج هالفي. وقد كان أول عرض له على المسارح الألمانية عام 1861.

وأن أحملهم كلهم جميعاً من خلال ذلك على الصمت.

كتبتُ أمس الأول رسالة حسنة إلى (مدينة) تراوتناو Trautenau[69] عن ظهور لوفي ضيف شرف في إحدى المسرحيات. وقد هدأتني كلّ قراءة جديدة للرسالة، ومنحتني القوة، ففيها كانت الكثير من التلميحات المسكوت عنها بخصوص كل شيء حسن فيّ. الحماسة التي تتخلّل كلّ جزء منّي، وأنا أقرأ عن غوته (حوارات غوته، سنوات الدراسة، ساعات مع غوته، إقامة غوته في فرانكفورت)، تحول بيني وبين شتّى أنواع الكتابة.

(س) تاجر في الثانية والثلاثين من عمره، لا ينتمي إلى طائفة دينية، ذو تكوين فلسفي، مهتم، بصورة رئيسية بالأدب إلى الحد الأقصى أكثر مما يتعلّق بكتابته. رأس مستدير، عينان سوداوان، شارب حيوي صغير، خدان صلبان مكتنزان، قامة قصيرة. منذ سنوات وهو يدرس من التاسعة إلى الواحدة بعد منتصف الليل. ولد في Stanislau[70] ستانيسلاو. يجيد العبرية والإيديش[71]. متزوج من امرأة تعطي الانطباع بأنها قليلة العقل، من خلال الشكل المستدير لوجهها.

منذ يومين [أستشعر] بروداً نحو لوفي الذي يسألني عن الأمر لكنني أنكره.

حوار هادئ متحفّظ مع الآنسة تويسغ Taussig، بين فصول «روح الأرض». على المرء إذا أراد أن ينجز حواراً جيّداً أن يدفع يده بعمق وخفّة وتكاسل أسفل الموضوع الذي سيتعامل معه، بعد ذلك يمكنه أن يرفعه بشكل يبعث على الدهشة. وباستثناء ذلك تتكسر أصابع المرء، ولا يفكرّ بشيء سوى آلامه. قصة: المشي مساءً. اكتشاف المشي السريع، الدخول إلى غرفة مظلمة جميلة.

أخبرتني الآنسة تويسغ عن مشهد في قصتها الجديدة، إذ تدخل بنت سيئة السمعة إلى

(69) مدينة في إحدى المقاطعات السلافية.

(70) مدينة تقع في أوكرانيا.

(71) يستخدم كافكا مصطلح (Jargon) وهو مصطلح يشير في دلالاته اللغوية إلى لغة أو لهجة هجينة، مبسّطة تستعمل للتفاهم بين الناطقين بلغات شتى. وهي أقرب ما تكون إلى الإيديش عند اليهود الأوروبيين.

مدرسة للخياطة، تأثير ذلك في البنات الأخريات، إنني أظنّ أن أولئك الذين يمتلكون القدرة والرغبة كي يكونوا أصحاب سمعة رديئة، سيشعرون بأنفسهم بوضوح، وسيكونون قادرين على التخيّل على نحو مباشر، معنى سوء الحظ الذي قذفوا أنفسهم فيه.

في الأسبوع المنصرم، محاضرة في قاعة الاحتفالات بمبنى البلدية اليهودي، للدكتور تايل هابر Theilhaber[72] عن تدهور اليهود الألمان. إن هذا التدهور حتمي ويستحيل تجنّبه؛ لأن اليهود يتجمعون أولاً في المدن، مما أدى إلى اختفاء المجتمعات اليهودية في البلاد. كما أنّ السعي للربح يستهلكهم ولا يُراعي في عقد الزواج سوى مصلحة العروس، نظام الطفلين. أما السبب الثاني فيعود إلى الزواج المختلط. وأما الثالث فهو التعميد.

مشاهد مسلّية، عندما قام البروفسور إيرن فلز Ehren Fels * الذي تزداد وسامته وقد تشكّل برأسه الأصلع على نحو حاد أمام الضوء في منحنى يبرز نحو الأعلى. يداه فوق بعضهما، تضغط الواحدة على الأخرى. صوته الجهوري الذي تتغيّر طبقاته كالآلة الموسيقية. يبتسم بثقة في الاجتماع، ويقف مع اختلاط الأعراق.

الخامس من شباط:

الاثنين: مرهق كذلك، توقفت عن قراءة «شعر وحقيقة». أنا صلب من الخارج، وبارد في الأعماق. عندما جئت اليوم إلى الدكتور (ف. بَدْونا) على الرغم من أننا اقتربنا من بعضنا بعضاً ببطء وتروٍّ، كأننا كرات قد اصطدمت ببعضها، لتقذف كل كرة الأخرى إلى الوراء، ولتفقد قدرتها على التحكم بذاتها. سألته إن كان يشعر بالإرهاق. لم يكن مرهقاً. لماذا أسأل؟ أجبت: أنا متعب ثم جلست*.

كي تكون قادراً على إخراج ذاتك من هذه الحال، عليك أن تعتمد على إرادتك الذاتية، وعندئذ يسهل الأمر، أدور حول الطاولة بخطوات كبرى، وأحرك رقبتي ورأسي، وأجعل عيني

(72) تشير اليوميات في أغلب الظن إلى فيليكس أ. تايل هابر (1884–1956) المختص بالدراسات السكانية. وكان من الشخصيات الصهيونية. وقد مات في «إسرائيل».

تتألقان، وأشّد عضلاتي حولها، أتحدّى مشاعري الذاتية، وأحيّي لوڤي بحماسة شديدة عندما يأتي، أتحمل بود شقيقتي في الغرفة. وأبتلع في أثناء الكتابة كلّ ما قيل عند ماكس، بصرف النظر عما سببته الأحاديث الطويلة لي من آلام ومشقّة. صحيح أن من الممكن أنني إذا ارتكبت زلة ظاهرة، وزلات أخرى غير قابلة للتجنب؛ فستتوقف العملية بأكملها، السهل منها والصعب، ليتوجب عليّ أن أعود إلى الدائرة من جديد. أما النصيحة المثلى فهي أن يظلّ المرء محتفظاً بهدوئه إلى الحد الأقصى، وأن يتصرّف بوصفه كتلة ثقيلة، وإذا شعر المرء بأنه يُحمل بعيداً فعليه ألا يدع نفسه تحت غواية القيام بخطوات غير ضرورية، ليحدق في الآخرين بعين حيوان من دون أن يشعر بالندم. وأن يستسلم للوعي لدرجة أن يعتقد المرء أنه بعيد، بينما هو يحترق. وعلى المرء أن يقوم يكبح ما بقي فيه من الحياة على شكل شبحي، لتتّسع الراحة وتزداد، ولا يبقى غيرها. أما الحركة المميّزة لمثل هذه الحال، فتتمثّل في أن يمرّر المرء بنانه فوق حواجبه.

نوبة إعياء قصيرة أمس في كافي سيتي مع لوڤي. الانحناء على الصحيفة لإخفائه.

صورة غوته الظلّية بكامل هيئته. انطباع يصاحب الشعور بالاشمئزاز عندما يتأمل المرء هذا الجسد الإنساني المثالي، نظراً لأن تجاوز هذه الدرجة من الكمال مسألة مستحيلة التصوّر. على الرغم من أن الصورة تبدو مركبة، وأنها أعدّت مصادفة؛ القامة المنتصبة، الذراعان المتدليان، الرقبة النحيلة، انحناء الركبتين.

يتغذى نفاد صبري وحزني بسبب إعيائي بشكل خاص على مشهد المستقبل، الذي يقع خارج قدرتي على الإبصار، والذي استعد لي على هذه الشاكلة. وما يسري على الأمسيات والمشي، واليأس في السرير وفوق الأريكة (راجع السابع من شباط)، ما زال يجابهني على نحو أسوأ مما سبق لي أن تحملّته.

أمس في المصنع: الفتيات بملابسهن القذرة، وغير المرئية على نحو لا يطاق، وبشعورهن المشعثّة، كما لو أنهن صحون للتو، وبقسمات وجوههن الجامدة التي تصاحب الضوضاء المستمرة لتحويل الحركة، والآلات المتفرقة الآلية. إنهن لسن بشراً؛ فلا أحد يحييّهن، أو يعتذر لهن إذا اصطدم بهن. وإذا دعوتهن للقيام بعمل بسيط يقمن به، لكنّهن يرجعن حالاً إلى آلاتهن،

وتوضح طبيعة العمل لهن من خلال إيماءة الرأس. يقفن هناك بتنوراتهن تحت رحمة القوة الأضعف، ويستخدمن من دون أن يمتلكن الفهم الهادئ الكافي لإدراك هذه القوة واسترضائها، أما عندما تدق الساعة السادسة تنادي كل واحدة على الأخرى، ويفككن المناديل من حول رقابهن وشعورهن، وينفضن الغبار عن أنفسهن بالفرشاة التي تنتقل على مدى الصالة، ويفعلن ذلك على نحو نزق. ثم يسحبن تنوراتهن فوق رؤوسهن، وينظفن أيديهن قدر المستطاع– ليتحولن في خاتمة المطاف إلى نساء، يستطعن على الرغم من الشحوب والأسنان السيئة أن يبتسمن، ويحركّن أجسادهن الجامدة، على نحو لا يستطيع المرء معه أن يصطدم بهن، أو أن يحدّق بهّن، أو يتجاهلهن، ويتراجع المرء نحو الصناديق القذرة لإفساح المجال لهن، ويحمل قبعّته بيده، عندما يَقُلن مساء الخير، ولا يعرف كيف يتصرّف عندما تحمل إحداهن واحداً من معاطفنا الشتوية لتساعدنا على ارتدائه.

الثامن من شباط :

غوته: «شهوتي للإبداع كانت بلا حدود».

غدوت أضعف وأكثر عصبية، وفقدت جزءاً كبيراً من هدوئي الذي كنت أعتّز به لسنوات مضت. عندما تسلمت اليوم بطاقة باوم التي كتب فيها: إنه لا يستطيع إعطاء الكلمة لليهود الشرقيين في الأمسية الخاصة بهم من المؤتمر. وعندما كان يتوجب عليّ تبعاً لذلك أن أعتقد أنه يجب عليّ تولي ذلك كنت تحت وطأة التشنجات غير الإرادية، أما نبض شراييني فقد انتشر في جميع أنحاء جسدي كاللهب، جلست وركبتاي تنتفضان أسفل الطاولة، أما يداي فكان عليهما أن تضغط الواحدة فوق الأخرى. أما بالنسبة لي فمن المؤكد أنني سألقي محاضرة جيّدة، إضافة إلى أنّ الإزعاج الذي سيتصاعد إلى الذروة في ذلك المساء، سيسحبني لدرجة أنه لن يبقى مكان للإزعاج، حيث سيتدفق الكلام مني بلا تردد، وكأنه خارج من سبطانة بندقية. لكنّ من المحتمل أن أنهار بعد ذلك، غير أنني لن أستطيع أن أتجاوز الأمر لمدة طويلة. ما أضعف هذه القوة الجسدية، حتى إن هذه الكلمات القليلة كُتبت بتأثير الضعف.

مساء أمس: عند لوفي و باوم، حيويتي. ترجم لوفي في الختام قصة عبرية رديئة «العين».
Das Auge.

الثالث عشر من شباط :

بدأت بكتابة المحاضرة الخاصة بمؤتمر لوفي، الذي سيكون يوم الأحد في الثامن عشر (من شباط). ليس عندي وقت طويل للاستعداد، أما الصوت فيجيء على نحو منغّم، كما لو أننا في الأوبرا. وهذا يعود لأنّ الإثارة المستّمرة تحاصرني، ولأنني أشعر تجاه البداية الفعلية للمحاضرة بشيء من التردد، إنني أريد أن أكتب بضع كلمات على تلك الشاكلة، تحرك الأجواء، وأستطيع بفضلها أن أقدّم نفسي للجمهور. البرودة والحرارة تتبادلان الحضور فيّ من خلال تبدّل الكلمات داخل الجملة، أحلم بالارتفاعات والسقطات اللحنية، قرأت جمل غوته وكأن جسدي كله كان مرهقاً.

الخامس والعشرون من شباط :

اجعل اليوميات أكثر إحكاماً منذ اليوم ! اكتب بانتظام ! لا تستسلم !، حتى لو أتى الخلاص الذي أرغب في أن أكون جديراً به في كل لحظة. أمضيت هذا المساء على طاولة العائلة في حالة من اللامبالاة الكاملة، يدي اليمنى على ذراع الكنبة التي تجلس عليها أختي وهي تلعب الورق، أما يدي اليسرى الضعيفة ففي حجري. من وقت لآخر حاولت أن أعي أسباب شقائي وبالكاد نجحت في ذلك.

لم أكتب شيئاً منذ مدة طويلة لأنني أعددت أمسية في قاعة الاحتفالات في دار البلدية اليهودية في 1912/2/18، التي ألقيت فيها محاضرة الافتتاح عن لغة الإيديش. عشت قلقاً لأسبوعين لأنني لم أستطع إنجاز المحاضرة، ثم نجحت فجأة في إعدادها في المساء السابق لإلقائها.

التحضيرات للمحاضرة: مؤتمرات بالاشتراك مع جمعية باركوخبا، إعداد البرنامج، بطاقات الدخول، الصالة، ترقيم المقاعد، مفتاح البيانو (صالة توينبي) تجهيز المنصّة، عازف البيانو، الملابس التاريخية، بيع التذاكر، ملاحظات الصحف، رقابة الشرطة والطائفة الدينية.

الأماكن التي كنت فيها، والناس الذين تحدثت معهم أو الذين كتبت إليهم عموماً: ماكس، شميرلر Schmerler، الذي زارني، باوم، الذي تولى في البداية مسؤولية المؤتمر؛ لكنه تخلّى عنها بعد ذلك، وقد تمكنت من تغيير رأيه ثانية في أثناء أمسية كرّست لهذا الغرض؛ لكنه أشعرني في اليوم التالي برفضه من خلال بطاقة خاصة، الدكتور هوغو هيرمان، وكيو هيرمان في مقهى آركو Café Arco، روبرت ڤيلتش، في غالب الأحيان، في شقته حول بيع التذاكر (من دون جدوى). الدكتور هـ .، الدكتور ف. ل، زيارة للآنسة ت، محاضرة في Afike Jehuda (من الحاخام إيرن تروي Ehrentreu عن إرميا وعصره، وفي أثناء الجزء الاجتماعي للأمسية التي تلت المحاضرة، أحاديث قصيرة غير موفقّة عن لوڤي)، عند المعلم ڤ. (ثم في مقهى، ثم المشي، من الثانية عشرة إلى الواحدة. كان يقف كالوحش بحيوية أمام بوابّة منزلي ويمنعني من الدخول)، عند الدكتور كارل ب. بخصوص الصالة، مرتان في شقة ل. في هوي فاغ بلاتس Heuwag platz، مرات عديدة عند أوتو بيك Otto pick *، في البنك، في محاضرة توينبي من أجل المفتاح الخاص بالبيانو، مع السيد ر. والمعلم س.، ثم في الشقة الأخيرة للحصول على المفتاح وإعادته، مع المسؤول عن المبنى وخادم البلدية من أجل الدفع، مرتان في مكتب رئاسة البلدية، عند السيدة ف ر، بخصوص البيع، في العرض «الطاولة المغطّاة». الكتابة للآنسة ت إلى أوتو ك. ل (من دون جدوى)، من أجل الجرائد (من دون جدوى) إلى لوڤي (إنني غير قادر على إلقاء المحاضرة، أنقذني!) الإثارة بخصوص المحاضرة. ليلة تدور حول السرير، حرّ وأرق، كره للدكتور ب، الذعر من ڤيلتش (إنه غير قادر على بيع شيء) أفيكي يهودا، لم تنشر الملاحظات في الصحف على النحو المنتظر، التشتّت في المكتب، المنصّة التي لم تأت، التذاكر التي لم تبع بما فيه الكفاية، اللون المزعج للتذاكر، المحاضرة التي ينبغي أن تقطع لأن عازف البيانو نسي نوتاته في منزله في كوسير Kosir، الكثير من اللامبالاة نحو لوڤي، اشمئزاز تقريباً. منافع: سعادة عند

لوثي، وثقة به، وعي فوق أرضيّ، فخور في أثناء محاضرتي (برودة تجاه الجمهور، نقص في الممارسة يمنعني من حرّية الحركة المتحمسة) صوت جهوري، ذاكرة مطواعة، اعتراف، القوة أولاً، وهي التي استطعت من خلالها أن أقرّر بصوت عال وعلى نحو حاسم وتام ولا يقاوم، وبعيون مفتوحة، وبشكل عادي تقريباً، سحق وقاحة خدم البلدية الثلاثة، وأن أعطيهم ست كرونات بدلاً من الاثني عشر كروناً، وحتى ذلك سيحدث مثلما يفعل السيد الكبير. وهنا تظهر قوى كنت أرغب بكل سرور أن أئتمن نفسي عندها إذا ما رغبت في البقاء (لم يكن أبواي هناك).

أيضاً: أكاديمية جمعية هيردر على جزيرة سوفين . يضع بي Bie، في بداية المحاضرة يده في جيب بنطاله. هذا الوجه راضٍ، على الرغم من خيبة أمل الناس الذين يفعلون ما يحلو لهم. يقرأ هوفمان شتال Hofmann stahl[73] بنغمة خاطئة في صوته، شكل مكدّس، يبدأ بالأذنين اللتين تضغطان على الرأس. ڤيسنت هال Wiesenthal. الأجزاء الجميلة للرقص تظهر على سبيل المثال، الثقل الطبيعي للجسد، عندما يبدأ بالتراخي فوق الأرض.

انطباع صالة توينبي:

اجتماع صهيوني: بلومن فيلد[74] Blumenfeld سكرتير المنظّمة الصهيونية العالمية.

في تأملاتي الذاتية الأخيرة أرى أنه ظهرت قوة استقرار جديدة مؤخراً، وهو ما يمكنني أن أعترف به الآن للمرة الأولى، لأنني في الأسبوع الأخير أجد نفسي مفككاً بسبب الشعور بالحزن وعدم الجدوى.

المشاعر المتغيّرة للشباب في مقهى أركو.

السادس والعشرون من شباط:

وعي أفضل لذاتي، دقات قلبي تقترب من تمنياتي، هسهسة صوت مصباح الغاز فوقي.

(73) هوغو فون هوفمان شتال (1617–1679) كاتب ومنظّر جمالي نمساوي، وهو ينتمي إلى الرومانسيين الجدد.

(74) الإشارة هنا إلى كورت بلومن فيلد (1884–1963) الذي كان سكرتير المنظمة الصهيونية العالمية من 1911–1914.

فتحت البوابة لأتأكد إن كان الجو يغري بالمشي، كانت زرقة السماء غير قابلة للإنكار، ولكن كانت هناك غيوم رمادية كبيرة يومض الأزرق خلالها، على هيئة لوحة مقوّسة الحواف، على مستوى منخفض، لدرجة أن المرء يظن أنه قادر على معاينتها، فوق التلال المشجّرة القريبة. وعلى الرغم من ذلك كان الشارع مملوءاً بالناس الخارجين للتنزه. كانت الأيدي القوية للأمهات توجه عربات الأطفال، وهنا وهناك كانت ثمة عربة تتوغل في الزحام، ثم تنتظر كي يفسح الناس المجال للخيول المتوثبة، وفي تلك الأثناء يكبح السائق على نحو هادئ جماح الأعنّة المرتجفة، فينظر أمامه من دون أن تغيب عن نظره أي تفصيلات، يتفحص كلّ شيء عدة مرات، ويجعل في الوقت المناسب العربة تنطلق.

أما الأطفال فقد كانوا قادرين على التجوال، بمقدار ما كان المجال الضيّق يسمح. فتيات بملابس خفيفة، وقبّعات ملّونة كطوابع البريد، يتمشين مع الشباب يداً بيد، وأغنية مقموعة في حناجرهن، كشفت عن ذاتها من خلال حركات السيقان في أثناء الرقص، عائلات تجلس إلى جوار بعضها، وكانت من قبل مشتتة في صفوف طويلة، لتجمع بينها أذرع تمتد إلى الوراء، وأيدي تلوّح، ونداءات على أسماء لطيفة، لتضّم الذين ضلوا السبيل. أما الرجال الذين يقفون منفردين فكانوا يسعون إلى الانفصال بوضع أيديهم في جيوبهم، وكان ذلك لوناً من التهريج التافه. في البداية وقفت عند بوابة المنزل، واتكأت على إطار الباب كي أبدو أكثر هدوءاً. حاصرتني الملابس في البداية؛ فمن جهة استوليت على شريط يزّين ظهر إحدى الفتيات، وتركته ينسحب خارج يدي كلّما ابتعدت، ومن جهة أخرى ضربني أحد عابري السبيل على أصابعي، عندما مسّدت على كتف إحدى الفتيات مجاملة لها، لكنني سحبته وراء الجزء المغلق من الباب، ووبختّه بأيد مرفوعة، ونظرات حادّة وبالتقّدم خطوة نحوه، وبالتراجع خطوة أخرى إلى الوراء. وكان سعيداً عندما تركته يمضي مكتفياً بتوجيه ركلة له. وقد اعتدت منذ تلك اللحظة طبعاً أن أدعو الناس ليجيئوا إليّ، وكانت تكفيهم تلويحة بإصبعي أو نظرة سريعة لا تعرف التردد على الإطلاق.

وأنا أشعر بالنعاس ومن دون جهد كتبت هذا الشيء غير المفيد، وغير المكتمل. اليوم أكتب

إلى لوقي، وأنسخ هذه الرسائل الموجهة إليه، لأنني آمل أن نصل معاً إلى شيء.

صديقي العزيز.

السابع والعشرون من شباط:

لا وقت عندي لكتابة الرسائل على نسختين، في العاشرة من مساء أمس كنت أنحدر بخطوات كئيبة في شارع تسلتن، على مقربة من مخزن هس لبيع القبعات. كان ثمة شاب يقف على بعد ثلاث خطوات مني، الأمر الذي أجبرني أنا الآخر على التوقف. خلع الشاب قبعته وركض نحوي، تراجعت إلى الوراء وأنا أشعر بالخوف، معتقداً للوهلة الأولى أنّ أحداً يرغب في معرفة كيفية الوصول إلى محطة القطار، لكن لماذا يحدث ذلك على هذه الشاكلة ؟- بعدها أخذت أعتقد منذ شرع بالاقتراب مني على نحو حذر، وهو يتأمل وجهي صعوداً وهبوطاً، أن ذلك يعود لكوني أطول منه، أو لأنه قد يريد مالاً أو شيئاً أسوأ من ذلك. اختلط انتباهي المشوش بحديثه المرتبك «أنت محام، أليس كذلك يا دكتور ؟ هل تستطيع أن تسدي إليّ نصيحة؟. إنّ لدي أمراً يتطلّب محامياً».

بسبب الحذر والشك عموماً والقلق، وكي لا أعرّض نفسي للسخرية أنكرت أنني محام؛ لكنني أعلنت له أنني على أتم الاستعداد لإسداء المشورة، بدأ يتحدث فجذب اهتمامي، وزيادة في الثقة طلبت منه أن يتحدث في أثناء المشي؛ لكنه أعلن عن رغبته في مصاحبتي، لا إنني أفضل أن أذهب معه، فليس لي طريق محدّد بعينه.

إنّه منشد جيّد، ولم يكن كذلك في الماضي، إذا ما قيس بحاضره. وهو اليوم يستطيع أن يحاكي كاينتس Kainz[75]، لدرجة أن أحداً لا يستطيع أن يلحظ الفروقات بينهما. وربما يقول أحد إنّه يكتفي بتقليده؛ لكنه في الواقع يضع الكثير من ذاته في أثناء ذلك. صحيح أنّه قصير القامة لكنه قادر على التعبير بالوجه، وهو يمتلك ذاكرة وحضوراً وكلّ شيء، كلّ شيء. في أثناء

(75) لعل المقصود هو الممثّل النمساوي يوسف كا إنتس (1858-1910).

الخدمة العسكرية هناك في ميلوفتش Milowitz كان ينشد في المعسكر، في حين كان زميله يغني وكانا يستمتعان تماماً، كان زمناً جميلاً حقاً. كان يفضل أن ينشد لديهمل Dehmel[76]، ولاسيما قصائده العاطفية الماجنة، كتلك القصيدة التي تدور حول العروس التي تصف ليلة الزفاف لنفسها. وعندما كان ينشد تلك القصيدة كان يترك تأثيراً ضخماً، ولاسيما في الفتيات. حسناً ذلك أمر بدهي، لقد كان يمتلك نسخة من ديهمل مجلّدة تجليداً فاخراً، بجلد أحمر (وهو يصف ذلك بإيماءات يديه النازلتين)، لكنّ التغليف ليس مهماً. وعلاوة على ذلك فهو يحب أن ينشد ريد إيموس Rideamus، إنهما لا يتناقضان. فقد سبق له أن توسّط بينهما، وأجرى محادثات بينهما، وبصرف النظر عما سيقع له فإنّه يستخّف بالجمهور. إنّ (بروميثيوس) يقع على جدول أعماله. إنه لا يخشى أحداً، حتى مويسي Moissi[77]، فمويسي يشرب وهو لا يشرب. وأخيراً فهو يفضل أن يقرأ لسويت مارتين، وهو كاتب اسكندنافي جديد جميل جداً. إنّه لون من فنّ إلابيغرام Epigram والأقوال المختصرة. أما تلك التي عن نابليون فهي رائعة فشأنها شأن الأقوال الأخرى عن الشخصيات العظيمة.

لا، إنه لم يعد قادراً على إنشاد أيّ من تلك الأقوال الآن، فهو لم يتعلمها حتى تلك اللحظة، ولم يقرأها على الإطلاق، لكنّ عمته هي التي قرأتها له، فأحبها حباً جماً.

لقد أراد من خلال هذا البرنامج، أن يظهر على نحو علني، ولهذا عرض نفسه على [جمعية] «تقدم المرأة» كي يقدّم محاضرة مسائية. كان يرغب في بادئ الأمر أن يقدّم «قصة جيدة» للاغرلوف Lagerloef[78]، فأعار هذه القصة للسيدة دوريغي ڤودنانسكي كي تفحصها، قالت إن القصة جميلة، لكنها أطول من أن تُقرأ. وكان نفسه يتفق مع هذا الرأي، فيرى أن القصة طويلة جداً، ولاسيما أنّ أخاه طبقاً للخطّة الموضوعة للمحاضرة المسائية المقترحة، هو من سيعزف على البيانو. أخوه هذا في الحادية والعشرين من عمره، وهو فتى رائع

(76) هو ريتشارد ديهمل (1863—1920) وهو شاعر غنائي ذو نزعة ثورية.

(77) الكساندر مويسي (1880—1935) ممثّل نمساوي.

(78) هي: سلمي لاغرلوف، قاصته سويدية (1858—1940) حصلت على جائزة نوبل عام 1909.

موهوب، أمضى سنتين في المعهد الموسيقى العالي في برلين (قبل أربع سنوات). لكنه عاد من هناك فاسداً تماماً. لم يكن فاسداً في الواقع، لكن المرأة التي يقيم عندها وقعت في غرامه، وقد روى لاحقاً أنّ تعبه الشديد كان يمنعه في غالب الأحيان من العزف، لأنه اعتاد أن يواصل الكلام حول مسألة الإقامة تلك. ونظراً لأن القصة الجيدة لم تكن مناسبة فقد تم الاتفاق على برنامج آخر: ديهمل، ريديموس، بروميثيوس وسوت مارتين. وكي يُري مقدماً السيدة دوريغي نوعية البشر التي ينتمي إليها، أحضر لها مسّودة المقالة «مباهج الحياة» التي كان قد كتبها في صيف هذه السنة. لقد كتبها في مصيفه بطريقة الاختزال في النهار، ثم أعد في المساء نسخة نظيفة لامعة تحتوي على تشطيبات؛ لكنه لم يبذل جهداً ضخماً في إعدادها، مثلما كان من الممكن له أن يفعل. وكان على استعداد ليعيرني تلك المقالة إذا ما كنت أرغب، فهي مكتوبة عمداً بأسلوب مبسّط، لكنها تحوي أفكاراً جيدة، وهي فطرية betamt كما يقال. (ضحكة حادّة مصحوبة بذقنه المرتفع). إنني أستطيع أن أتصفحها تحت ضوء المصباح الكهربائي. (إنها نداء إلى الشباب أن لا يكون حزينا؛ لأن هناك طبيعة وحرّية وغوته وشيللر، وشكسبير، وزهور، وحشرات ... الخ). أما السيدة دوريغي فقالت: إنها كانت تتمنى لو تمتلك الوقت لقراءتها، لكنه يستطيع أن يعيرها المقالة، وهي بدورها سترجعها خلال بضعة أيام. لكنّ ذلك أثار شكوكه، فلم يرغب في تركها هناك. وقد قال لها على سبيل المراوغة: «انظري يا سيدة دوريغي؛ لماذا يتوجّب عليّ تركها هنا، إنها ليست أكثر من موضوعات مبتذلة، مكتوبة بأسلوب جيد، لكنها لا تجدي نفعاً، ولابد أن يتركها هناك. إنه يوم الجمعة».

الثامن والعشرون من شباط:

صباح الأحد، وهو يغسل وجهه، خطر له أنّه لم يقرأ «الجريدة اليومية»، Tagsblatt ففتح صفحاتها مصادفة على الصفحة الأولى من الملحق الترفيهي، فوقعت عينه على المقالة الأولى وهي بعنوان «الطفل خالقاً». قرأ السطور الأولى، فبكى من الفرح. إنّها مقالته، إنها مقالته بالحرف الواحد، إنّها أول مقالة مطبوعة له، ركض إلى أمه وحكى لها ذلك. يا للسعادة! السيدة

العجوز التي تعاني من مرض السكر– والتي طلّقها أبوه، وكان على حق بالمناسبة– كانت تشعر بالفخر الشديد. أحد الأبناء موهوب حقاً، الآن سيغدو هذا الآخر كاتبا!. شرع بعد الشعور الأوّلي بالإثارة بتأمل الأمر؛ كيف وصلت المقالة إلى الجريدة؟ ومن من دون موافقته؟ ومن من دون اسم الكاتب؟ من من دون أن يحصل على أجر؟ إنه نوع من سوء استخدام للثقة ونوع من الخداع. إن السيدة دوريغي شيطانة، وليس للنساء أرواح كما قال [الرسول] محمد* (وكرّرها مراراً)، من السهل على المرء أن يتصور كيف جرت عملية السرقة. لقد كانت مقالة جميلة، ليس من السهل أن يعثر المرء على مثلها. فقد ذهبت السيدة د. إلى «الجريدة اليومية»، وجلست مع أحد المحرّرين، وكان كلّ منهما في غاية الفرح لتبدأ عملية إعادة كتابة المقال، لقد كانت عملية إعادة كتابة المقالة ضرورية، أما أولاً فلكي لا تظهر السرقة للعيان منذ النظرة الأولى، وأما السبب الثاني فإن المقالة بصفحاتها الاثنتين والثلاثين طويلة جداً قياساً إلى الجريدة.

وجواباً على سؤالي، إذا لم يكن يرغب، أنْ يدلّني على مواضع التطابق – لأنها هي التي تهمني على نحو خاص، والتي يمكنني من خلالها أن أنصحه بشأن ما ينبغي عمله؛ بدأ بقراءة مقالته، وانتقل إلى مقطع آخر، فقلبّه من دون أن يجد شيئاً ليقول في النهاية بأنّ كل شيء قد نسخ. ففي الجريدة نجد مثلاً، «إن روح الطفل صفحة خالية من الكتابة»، وعبارة «صفحة خالية من الكتابة» مقالته. كما أن التعبير «مسّمى» قد سرق من مقالته، إذ كيف يمكن للمرء أن يعثر على مثل هذا التعبير؟ لكنه لا يستطيع أن يقارن بعض المواضع المفردة، صحيح أنه نسخ كلّ شيء؛ لكنّ ذلك تمّ من خلال ترتيب مغاير ومختصر، ومن خلال بعض الإضافات الصغيرة الدخيلة.

قرأت بصوت مرتفع بضعة من المقاطع اللافتة في الجريدة، هل وردتْ تلك في المقالة؟ لا، هذه؟ لا، نعم. لكنْ هذه هي المقاطع التي حرفت. أما جوهرها فقد نسخ تماماً. وإن كنت أخشى أن يكون الإثبات صعباً. لكنه قادر في كل الأحوال أن يبرهن على ذلك، بمساعدة أحد المحامين الأذكياء، فلهذا وجد المحامون. (إنّه يرى أن البرهنة هذه مسألة جديدة تماماً، منفصلة

* صلى الله عليه وسلم.

بالكامل عن هذه القضية، وهو فخور بأنه قادر على إنجازها). وتظهر الوقائع، علاوة على ذلك أن المقالة طبعت في يومين، مع أن طباعة النص الذي قُبل استغرق ست أسابيع على أقل تقدير. لقد كانت السرعة هنا ضرورية بالطبع، حتى لا يحدث شيء في هذه الأثناء. وكان يكفي يومان لإنجاز هذه المهمة.

وبالإضافة إلى ذلك فإنّ مقالة الصحيفة تدعى «الطفل خالقاً»، وهو أمر يشير إلى الطفل بوضوح، فضلاً عما فيه من تلميح لاذع. أما المقصود بكلمة «الطفل» فهو نفسه على وجه التحديد؛ لأنه كان يُعّد في السابق «طفلاً» و«غبيّاً» (كان ذلك في أثناء الخدمة العسكرية فحسب، فقد خدم ثلاثة أرباع العام). والمقصود من هذا العنوان أنه طفل أنجز أمراً حسناً كهذه المقالة، وأثبت لنفسه أنه خالق؛ لكنه بقي في الوقت ذاته طفلاً وغبياً قابلاً للخداع. أما الطفل موضوع الحديث في المقالة الأصلية فهو ابن عمتّه الريفي الذي يعيش في الوقت الحاضر في كنف أمه.

لكنّ السرقة تبدو أكثر قدرة على الإقناع تحديداً، من خلال السياق الذي استطاع أن يكتشفه بعد تأمل طويل: إنّ «الطفل خالقاً» منشورة على الصفحة الأولى من الملحق الترفيهي، أما على الصفحة الثالثة فثمة قصة قصيرة لامرأة تدعى فيلدشتاين، وهو اسم مستعار كما هو واضح، لا يحتاج المرء إلى قراءة القصة بأكملها؛ بل يكفي أن يلمح سطورها الأولى كي يرى أنه لاغرلوف يقلد على نحو وقح. أما القصة كلها فتوضح المسألة على نحو جلّي، ماذا يعني هذا؟ إن هذا يعني أن فيلدشتاين هذه– أو أيّاً كان اسمها– هي صنيعة من صنائع السيدة دوريغي، وأنها قرأت عندها «القصة الجيّدة» التي سبق له أن أحضرها إلى منزلها، وأنها استخدمت في كتابة القصة ما سبق لها أن قرأته، وأنّ المرأتين كلتيهما قد استغلّتاه، واحدة على الصفحة الأولى، والأخرى على الصفحة الثالثة للملحق الترفيهي. ومن الطبيعي أنّ كلّ واحد قادر على تقليد لاغرلوف انطلاقاً من دوافع ذاتية، لكن التأثير في هذه الحالة ظاهر جداً (يستمر بعملية تقليب الجريدة جيئة وذهاباً).

ظهر يوم الاثنين: بعد إغلاق البنك مباشرة كان من الطبيعي أن يذهب إلى السيدة دوريغي،

التي اكتفت بفتح خصيصة من خصائص باب الشقة، والخوف باد عليها تماماً: «لكن يا سيّد رايشمان؛ ما الذي جاء بك وقت الظهيرة؟» إن زوجي نائم ولا أستطيع السماح لك بالدخول.

– سيّدة دوريغي، يجب أن تسمحي لي بالدخول مهما كانت الظروف، إنّ الأمر يدور حول مسألة مهمة.

رأت جديتي فسمحت لي بالدخول. لم يكن زوجها بطبيعة الحال داخل المنزل بكل تأكيد. شاهدت فوق الطاولة في إحدى غرف الشّقة الجانبية مخطوطتي، فدارت في ذهني على نحو فجائي مجموعة من الأفكار.

– سيدة دوريغي؛ ما الذي فعلتيه بمخطوطتي. لقد أعطيتها للجريدة من دون إذن مني. ما مقدار الأجر الذي دفعوه لك.

– ارتعدت؛ إنها لا تعرف شيئاً، وليس عندها فكرة عن كيفية وصولها إلى الجريدة.

– «إنني أتهم» سيدة دوريغي، قلت بشيء من السخرية. وبقيت على هذه الحال حتى أدركت تماماً ما أعنيه، ثم بقيت أكرر «إنني أتهم» سيدة دوريغي، طيلة المدّة التي كنت فيها هناك كي تتمكن من الملاحظة؛ بل إنني ردّدت العبارة في أثناء الوداع عند الباب عدة مرات. إنني أتفهم خوفها جيداً. فإذا أعلنت ما حدث أو شكوتها فسيغدو وضعها غير مقبول، ويستوجب عليها أن تترك [جمعية] «تقدّم المرأة» ... إلخ.

اتجهت مباشرة من شقتها إلى مكتب تحرير الجريدة، واستدعيت المحرّر لوڤي. خرج لوڤي شاحباً، لا يكاد يقدر على المشي. ومع ذلك فلم أرغب أن أبدأ بالشأن الذي يعنيني؛ بل أردت أن أختبره أولاً فسألته:

– سيد لوڤي، هل أنت صهيوني؟ (مع أنني أعرف بأنه كان صهيونياً)

– لا. قال. وأنا أدرك أن طبيعته تقتضي أن يقوم بالتمثيل.

إنني أسأل عن المقالة، حديث غير مترابط مرة أخرى. إنه لا يعرف شيئاً، ولا علاقة له على الإطلاق بالملحق الترفيهي، وإذا ما كنت أرغب فهو على استعداد لينادي المحرر المختص «سيد

ڤتمان، تعال إلى هنا لو سمحت» ناداه وهو سعيد بأنّه قادر على الذهاب. جاء ڤتمان بوجه شاحب جداً، سألت: «هل أنت محرر الملحق الترفيهي؟».

– هو، «نعم». فلم أقل إلا «إنني أتهّم» ومضيت.

في البنك اتصلت مباشرة بـ «بوهيميا»، وأنا أرغب في إعطائهم الحكاية من أجل أن ينشروها. لكنني لم أستطع أن أتصل بهم على نحو سليم؛ هل تعرف لماذا؟ إنّ إدارة تحرير «الجريدة» تقع على مقربة من المبنى الرئيسي للبريد. وهذه الإدارة تستطيع أن تسيطر بيسر على الاتصالات طبقاً لرغبتها؛ فإمّا أن تسمح بها، وإمّا أن تمنعها. كنت أسمع في الواقع أصواتاً هامسة غير مفهومة، يبدو أنها صادرة عن إدارة تحرير «الجريدة» التي كان لها كبير اهتمام في عدم السماح لهذه المكالمة أن تجري؛ وهنا سمعتُ من يتحدث (على نحو غير واضح طبعاً) مع الآنسة (مأمورة المقسم) ويعلمها أنّ عليها أن لا تسمح بإجراء المكالمة، ومنع الآخرين من الاتصال بـ «بوهيميا» والحيلولة من دون الاستماع إلى حكايتي.

«يا آنسة» صحت بأعلى صوتي في الهاتف؛ «إذا لم تحولي مكالمتي حالاً فإنني سأشكوك إلى مديرية البريد». وكان زملائي في البنك من حولي يضحكون، وهم يرونني أتحدث مع عاملة المقسم على هذا النحو من القسوة. ثم تمكنت من الاتصال في نهاية المطاف.

– «أرغب في الحديث مع المحرر كيش، إنّ لدي خبراً على غاية من الأهمية لـ «بوهيميا»، وإذا كانت الجريدة غير راغبة في تلقي الخبر فسأعطيه حالاً لجريدة أخرى. إنه الوقت المناسب».

ونظراً لأن كيش لم يكن هناك؛ فقد أغلقت سماعة الهاتف من غير أن أبوح بشيء.

في المساء ذهبت إلى مكتب جريدة «بوهيميا»، واستدعيت المحرر كيش، وأخبرته بالحكاية؛ لكنه كان راغباً عن نشرها، وقال:

– «إنّ بوهيميا لا تستطيع أن تفعل شيئاً كهذا لأننا غير مستقلّين. اذهب إلى المحامي فهذا هو الأفضل».

وفي أثناء عودتي من هناك، التقيت بك وسألتك النصيحة.

– «إنني أنصحك أن تحلّ المسألة على نحو ودّي».

– كنت أفكر في الواقع على هذه الشاكلة، فهذا هو الأفضل؛ إنها امرأة والنساء بلا أرواح كما يقول [الرسول] محمد بحق، والغفران سيكون أكثر إنسانية، وأشّد شبها بغوته.

– بالتأكيد؛ ثم إنّ عليك ألا تتخلى عن أمسية الإنشاد؛ لأن ذلك سيكون خسارة أخرى.

– لكن، ماذا يتوجّب عليّ أن أفعل الآن؟

– اذهب إليهم غداً، وقل إنك تفترض أنّ الأمر جرى هذه المرة بتأثير غير واع.

– حسن جداً، وهو ما سأفعله حقّاً.

– لكنّ عليك ألا تتنازل عن الثأر. انشر المقالة في أي مكان، وابعث بنسخة منها إلى السيدة دوريغي مصحوبة بإهداء لطيف.

– ستكون هذه أفضل عقوبة. سأنشرها في «الجريدة الألمانية المسائية»، التي ستوافق على نشرها، فأنا لست قلقاً بهذا الصدد. ومن جهتي سأتنازل عن المكافأة.

ثم أخذنا نتحدث عن موهبته في التمثيل، وكانت وجهة نظري أنّ عليه الإكثار من التدريب.

– نعم، أنت على حق بهذا الصدد. لكن أين؟ أتعرف أين يمكنني أن أدرس التمثيل؟

– هذه مسألة صعبة، فأنا لا أعرف.

– لا يهم، سأسأل كيش؛ إنه صحفي ويملك الكثير من العلاقات، وسيكون قادراً على إعطائي نصيحة مناسبة. سأهاتفه، موفراً عليه وعلى نفسي تكاليف الذهاب، ومن ثم أحصل على المعلومات كلها.

– وهل ستنفّذ ما نصحتك به بخصوص السيدة دوريغي؟

– نعم؛ غير أني نسيت ماذا كانت نصيحتك؟ فكررت نصيحتي له.

– حسناً، هذا ما سأنفذه، فتوجه إلى مقهى كورزو، واتجهت صوب البيت.

وقد جرّبت الانتعاش الذي يحصل عليه المرء عندما يحاور أحمق كامل الحمق، فلم أكد أضحك؛ بل كنت في حالة صحو تام.

لم تستخدم الحسرة «في الأزمان الغابرة» إلا فوق لوحات العمل.

الثاني من آذار:

من يؤكدّ لي الحقيقة أو الاحتمال الذي يبين أنني بسبب رسالتي الأدبية، لم أعد مهتماً بشيء وغدوت بناء على ذلك قاسي القلب.

الثالث من آذار:

في الثامن والعشرين من شباط لسماع مويسي، منظر مناف للطبيعة. كان يجلس في هدوء مفتعل، يترك يديه المطويتين قدر الإمكان بين ركبتيه، وعيناه على الكتاب الموضوع أمامه، أما صوته فيمّر فوقنا بنفسٍ عدّاء.

صوتيات الصالة جيّدة، ليس ثمة كلمة تضيع أو ترتد همسا؛ بل إنّ كل شيء ينمو تدريجياً، وكأنّ الصوت منشغل بشيء آخر، مواصلاً ممارسة تأثير لاحق على نحو مباشر، فهو ينمو بقوة بعد الحالة المشار إليها ويحاصرنا، إن الإمكانيّات التي يراها المرء هنا تعود لشخص واحد ذي صوت خاص. فكما أنّ القاعة تعمل لصالح مويسي؛ فإنّ صوته يعمل لصالحنا. مفاجآت وخدع بلا حياء، تجبر المرء أن ينظر إلى الأسفل من دون أن يفكر في استخدامها لصالحه على الإطلاق: غناء سريع لأشعار نادرة في البداية مثلاً: «نامي يا مريم يا طفلتي» حيرة للصوت في أثناء الأغنية، نطق مباغت لأغنية أيار، كما لو أنّ رأس اللسان قد التصق بالكلمات، تجزئة عبارة «رياح تشرين الثاني» من أجل دفع كلمة «ريح» إلى أسفل، وتركها تمارس الصفير نحو الأعلى؛ فإذا تأمل المرء سقف الصالة فإنّ الأشعار تجذبه إلى الأعلى.

أما قصائد غوته فتبدو مستحيلة الإدراك للمنشد؛ لذا يعجز المرء عن العثور على عيب في

أثناء الإنشاد، لأن كل قصيدة تتحرك صوب هدفها، لكن تأثيره الكبير تجلّى لاحقاً في أثناء إنشاده الإضافي «أنشودة المطر» لشكسبير. كان منتصب القامة، ليس معه نصّ، يفتح منديله بين يديه ويشد عليه، متألق العينين، خدوده مستديرة، ووجهه مدبب، وشعره ناعم، مسده مراراً وتكراراً بحركة ناعمة من يده.

إنّ النقد الحماسي الذي سبق للمرء أن قرأه عنه ساعده، كما نرى، حتى التجربة الأولى من الاستماع، ثم ورّطه، ولم يتمكن من أن يصنع انطباعاً نقّياً.

إنّ هذا اللون من الإنشاد الذي يكون المنشد فيه جالساً والكتاب أمامه يذكرني بالتكلّم من البطن. أما الفنان الذي يتظاهر بعدم المشاركة فيجلس مثلنا، من غير أن نتمكن بسبب وجهه المحني من ملاحظة حركة فمه بين حين وآخر. ويدعنا نقرأ الأشعار من فوق رأسه. وعلى الرغم من الحقيقة التي ترى أن كثيراً من الأغاني كانت قابلة للسماع؛ فإن الصوت فيها كان ينقاد مثلما يسير القارب في الماء، فلم تكد الألحان الخاصة بالأشعار تُسمع. أما الكثير من كلماتها فكانت تتلاشى في خضم الصوت. كانت تُمس مساً رفيقاً، بحيث تجري عملية إطلاقها في الهواء لتفقد الصلة بالصوت الإنساني، حتى يستدعي أحد الحروف الساكنة الحادة مرغماً الكلمة إلى الأرض، وينتهي كل شيء.

بعد ذلك، المشي مع أوتلا، الآنسة تويسغ، الزوجين باوم، وبك ذىكً، جسر إليزابيث، الرصيف، الجبهة الصغيرة، مقهى راديتسكي، الجسر الحجري، شارع كارل. عاينت المشهد بمزاج رائق، لدرجة يصعب معها العثور على كثير من المساوئ فيّ.

الخامس من آذار:

هؤلاء الأطباء الباعثون على القرف! حازمون على المستوى العملي، جاهلون بطرائق العلاج تماماً، لدرجة أنهم إذا فقدوا التصميم على العمل فسيقفون كتلاميذ المدارس حول أسّرة المرضى. تمنيت لو أنّ لي القوّة لتأسيس جمعية للعلاج الطبيعي. فعندما خدش الدكتور ك. حول

أذن شقيقتي تحوّل الالتهاب من طبلة الأذن إلى التهاب في الأذن الداخلية، أما الخادمة فقد انهارت في أثناء إشعال النار، وقد أوضح الطبيب من خلال تشخيص سريع اعتاد عليه في حالات الخادمات أن الخادمة تعاني من اضطراب معوي، أعقبه احتقان للدم. في اليوم التالي سقطت الخادمة ثانية، وهي تعاني من حمّى مرتفعة وقد قلبها الطبيب ذات اليمين وذات اليسار، مؤكداً أنها تعاني من ذبحة صدرية، ليهرب بعدها حتى لا تكذبه اللحظة التالية. إنه يتجاسر على أن يتحدّث عن «رد الفعل العنيف الفظّ لهذه الفتاة» وهو صحيح إلى هذا المدى، لأنه اعتاد على علاج الناس الذين تتطلب حالتهم الصحية قواه العلاجية، ويتحسنون من خلالها، وأنه يشعر من خلال الطبيعة القوية لهذه الفتاة الريفية بالاحتقار أكثر مما يعتقد.

أمس عند باوم قرأت «الجنّي» Der Daemon. الانطباع الكلّي غير ودّي. يعود المزاج الدقيق الرائق إلى باوم في أثناء الطريق فتور فوريّ في الأعلى، حيرة إزاء الطفل.

الأحد: في «الكونتيننتال» عند لاعبي الورق. «صحفيون» مع كرامر، فصل ونصف، مقدار كبير من الفرح المجبر يمكن مشاهدته في بولتس، الذي يتولد من خلاله، في واقع الأمر، قليل من الرقّة. قابلت الآنسة تويسغ أمام المسرح في أثناء الاستراحة بعد الفصل الثاني. ركضَتُ إلى غُرفة المعاطف، وعدت بمعطف خفيف، ومن ثم رافقتُها إلى منزلها.

الثامن من آذار:

يوم أمس الأول: وجّه اللوم لي بسبب المصنع، بقيت ساعة على الأريكة، فكرت في أثنائها بالقفز من النافذة. أمس محاضرة هاردن[79] عن «المسرح»، كانت المحاضرة مرتجلة بأكملها على ما يبدو.

كنت في مزاج رائق تماماً ولم أجده كالآخرين فارغاً. بداية موفقّة: «في هذه الساعة التي نجتمع فيها معاً للحديث عن المسرح، ترتفع الستارة في دور العرض المسرحي في أوروبا وبقية

(79) لعل المقصود هو ماكسيميليان هاردن (1861–1927) وهو خبير إعلامي.

أنحاء العالم لتكشف للجمهور المشاهد المسرحية».

كان ثمة مصباح كهربائي ملحق بالمنّصة، في مستوى صدره، يضيء مقدّمة قميصه، كما لو أن القميص معروض في إحدى محلات الغسيل. وكان المحاضر يغيّر الإضاءة في أثناء المحاضرة، من خلال حركة المصباح الكهربائي وكان يقوم يرقص إصبع قدمه ليبدو أطول، فضلاً عن جهوده في إبراز موهبته في الارتجال. بنطال ضيّق ولاسيما حول أصول الفخذين وسترة قصيرة تشبه تلك التي توضع فوق دمية. وجه جدّي يشوبه التوتر، يشبه وجه امرأة عجوز تارة، ووجه نابليون تارة أخرى. لون شاحب للجبهة، كما الحال عند من يضع باروكة. من المحتمل أنها ملصقة.

قراءة في بعض الأوراق القديمة، إنها تحتاج إلى طاقتي كلّها كي أواصل القراءة. إنّ التعاسة التي ينبغي على المرء معاناتها عندما يقاطعه أحد في أثناء تأديته لمهمة، لا يمكن أن يؤديها إلاّ في وقت بعينه، وهو ما يحدث لي دائماً حتى الآن، هي التعاسة التي يتوجب على المرء استعادتها في أثناء إعادة القراءة وإن لم تكن بالقوة القديمة ذاتها.

اليوم: في أثناء الاستحمام ظننت أنني استشعر طاقات قديمة، وكأنّها لم تتأثر بالمدة الطويلة.

العاشر من آذار:

الأحد: أغوى فتاة في إحدى المناطق الصغيرة في سلسلة جبال إيزر، حيث كان قد أمضى الصيف هناك لترميم رئتيه الحساستين. وبعد محاولات قصيرة لإقناعها، رمى تلك الفتاة على نحو غير مفهوم، مثلما يفعل المصابون بمرض الرئة، وهي ابنة مدبّر المنزل، التي اعتادت أن تتمشى معه بسرور في المساء بعد انتهاء العمل، فوق العشب على ضفة النهر، واستحوذ عليها، وهي مستلقية هناك خائفة ومغمى عليها. بعد ذلك توجّب عليه أن يحضر الماء من النهر بكفتّيه، ويرشه على وجه الفتاة، كي يعيدها إلى الحياة مجدّداً. ثم شرع يناديها: يولي، يولي. وقد ردّدها،

ما لا يُحصى من المرّات، وهو منحن فوقها. كان على أتم الاستعداد كي يتحمل مسؤولية ما ارتكب، وكان يبذل الجهد ليجعل ذاته تدرك جدّية الحالة التي كان يعانيها، تلك الحالة التي لم يكن قادراً على إدراكها من دون أن يفكّر فيها بعمق. أما الفتاة المسكينة التي كانت تستلقي أمامه فقد عادت تتنفّس بانتظام، لكنّها أبقت عينيها مغلقتين خوفاً وإحراجاً، ولم تكن تشكّل بالنسبة له أيّ نوع من القلق، فقد كان يستطيع برأس إبهام قدمه– وهو الشخص الشديد القوة– أن يركلها جانباً. كانت ضعيفة وقبيحة ويمكن لهذا الذي وقع لها أن يظلّ ذا قيمة فاعلة حتى الغد. ألا يتوجب على كل من يقارن بينهما أن يصل إلى هذه النتيجة؟ كان النهر ينساب بهدوء بين المروج والحقول وصولاً إلى التلال البعيدة. أما أشعة الشمس فكانت تسطع فوق منحدر الشاطئ الآخر. أما الغيوم المتبقّية فقد كانت تتلاشى بعيداً عن تلك السماء المسائية الصافية.

لا شيء، لا شيء. إنني أصنع الأشباح لنفسي بهذه الطريقة. كنت مشتركاً حتى لو كان اشتراكي بسيطاً، وفي الموضع وحده: «فيما بعد يتوجّب» وقبل كل شيء عند «الانهمار». للحظة أعتقدت أنني رأيت شيئاً حقيقياً في وصف المنظر الطبيعي.

لقد هجرته مثلما هجره الجميع. ضوضاء في الغرفة الجانبية.

الحادي عشر من آذار:

لم يكن ثمّة شيء يطاق يوم أمس. لماذا لم يشارك الجميع في وجبة العشاء؟ كان ذلك سيكون أمراً جميلاً جداً.

وصل المنشد رايشمان إلى مستشفى المجانين، بعد يوم من حديثنا معاً. حرق اليوم الكثير من الصحف المقرفة القديمة*.

الثاني عشر من آذار:

جلس في إحدى غرف الترام الكهربائي السريع المرور، وخده على زجاج النافذة، وذراعه

الأيسر يمتد، على طوله، خلف المقعد. شاب يرتدي معطفاً فضفاضاً، مفتوح الأزرار، يتأمل المقعد الفارغ بنظرات فاحصة. لقد خطب اليوم، وهو يعجز عن التفكير بأيّ شيء آخر. جعله شعور العريس يبدو في حالة أكثر ارتياحاً، وشرع من خلال هذه المشاعر يتأمل سقف العربة. وعندما جاء قاطع التذاكر ليبيعه التذكرة وجد القطعة النقدية المناسبة بعد قليل من الخشخشة، ووضعها باندفاع في يد قاطع التذاكر، ملتقطاً التذكرة بإصبعين مفتوحين على هيئة مقص. ليس ثمة علاقة سليمة بينه وبين الترام، لهذا لم يكن من المستغرب أن يظهر على الشارع من دون أن يستعين بالرصيف أو الدرج، وأن يتخذ طريقه مشياً على الأقدام بالنظرات نفسها. لم يبق سوى معطفه الفضفاض، وكل ما سواه مختلق.

السادس عشر من آذار:

السبت: تشجيع للمرة الثانية. وللمرة الثانية أتمكن من أن أهدئ روعي مثلما يمسك المرء بالكرات في أثناء سقوطها. غداً، اليوم، سأبدأ عملاً ضخماً، سيبلور ذاته على نحو طوعي في ضوء قدراتي. وهو أمر لن أتنازل عنه ما استطعت إلى ذلك سبيلاً. إن الأرق أفضل من الحياة على هذه الشاكلة.

ملهى لوسرينا، مجموعات من الشباب تغنّي كلّ منها أغنية. فإذا كان المرء يشعر بالانتعاش، ويصيخ السمع؛ فإن المرء يستطيع بذلك الإنشاد أن يتذكر الاستنتاجات التي يسمح النص بعرضها فيما يتعلّق بحياتنا الخاصّة، أكثر مما يتيح إنشاد المغنين المجرّبين؛ فالمغني لا يستطيع أن يضاعف قوّة الشعر؛ فهذا الشعر يحتفظ باستقلاله، ويتحكّم بنا من خلال المغنّي، غير القادر على أن يمتلك حذاءً جلدياً لامعاً، والذي لا تفارق يده ركبته في كثير من الأحيان، وإذا أجبرت؛ فإنها تُبدي نفورها، الذي يجعلها ترمي نفسها سريعاً فوق المقعد، كي تخفي قدر المستطاع عدد الحركات الصغيرة الصعبة التي كان يتوجب عليها تنفيذها.

مشهد حبّ في الربيع، من النوع الذي يراه المرء على بطاقات الصور البريدية. إخلاص، عرض جارح ومخجل للجمهور فانتينتسا. مغنية من ڤيينا. ضحكة عذبة مملوءة بالمعاني. تذكرني

بهانزي Hansi[80]. وجه ذو قسمات حادة لا معنى لها يجعله الضحك أكثر تماسكاً وتوازناً. سيطرة على الجمهور، ينبغي للمرء أن يحسبها لها، عندما تقف على المسرح وتضحك للجمهور بلا مبالاة. رقص ديغن Degen الغبيّ مصحوباً بشرود، وأغصان وفراشات واحتراق أوراق وجمجمة ميت، أربع بنات راقصات، واحدة جميلة جداً، ليس لها اسم على أيّ برنامج من برامج المسرح. كانت تقف على أقصى يمين الجمهور. ما كان أكثر انشغالها وهي تلقي بذراعيها، وكم كانت سيقانها النحيلة، بعظامها الرقيقة تتحرك بصمت من دون أن تتقّيد بالسرعة في أثناء تلك الحركة، وكيف كانت لا تسمح لشيء أن يبعث فيها الخوف في أثناء عملها، وما كان أكثر ابتسامتها نعومة، مقارنة بتشوّهات الآخرين، وكيف كان وجهها وشعرها باذخين تقريباً، مقارنة بجسدها الهزيل، وكيف كانت قادرة على أن تدعو الموسيقيين «ببطء» لزميلاتها. إنّ مدرب الرقص الخاص بها شاب يرتدي زيّاً لافتاً للنظر، وهو نحيف البنية، يقف وراء الموسيقيين، ويحرك يده على نحو موقّع من دون أن يلتفت إليه الموسيقيون أو الراقصات، أما نظراته فتتركز على الجمهور. ڤارين بولد رجل قوي بحالة عصبية متوقدّة. في حركاته نكتة في بعض الأحيان، ترفع قوّتها المرء إلى أعلى، وكيف يهرول بخطوات واسعة إلى البيانو، بعد الإعلان عن دوره.

قراءة في «من حياة أحد رسّامي المعركة»*، Aus dem leben eines Schlachtmalers وقرأت فلوبير بارتياح بصوت مرتفع.

ضرورة الحديث عن الراقصات مصحوباً بعلامات التعجب، نظراً لأن المرء يقلد حركاتهن، ويبقى حبيس إيقاعاتهن من دون أن يتداخل التفكير بالمتعة ونظراً لأن الفعل يبقى في نهاية الجملة ويدوم تأثيره.

السابع عشر من آذار:

قرأت في هذه الأيام «صباح أحمر» Morgenrot لـ (شتويسل Stoessl*) .

(80) إحدى زميلات كافكا في الجامعة.

حفلة ماكس الموسيقية يوم الأحد، استماعي غير الواعي على وجه التقريب، من الآن فصاعداً لا أستطيع أن أمل الموسيقى. إنني لا أريد مثلما فعلت عبثاً في الماضي أن أخترق هذه الدائرة الحصينة التي تحول بيني وبين الموسيقى، كما أنني أحاذر من عملية القفز فوقها، وهو أمر يقع في دائرة الاحتمال؛ بل إنني سأبقى هادئاً في تفكيري، الذي يتطور ويسبح في هذا الفضاء الضيق، من من دون أن يسمح للملاحظات الذاتية المزعجة أن تدخل في هذا الحشد البطيء. إنّ «الدائرة السحرية» الجميلة (لماكس) تبدو قادرة على فتح صدر المغنّي بين موضع وآخر.

غوته: السلوان في الألم. الآلهة تمنح كل شيء، الأمور غير المحدودة، المحبّة كلها، البهجة كلّها، الأمور غير المحدودة، كلّ ما يؤلم، الأمور غير المحدودة، كل شيء. عجزي في حضور أمي، وفي حضور الآنسة تويسغ، وفي حضور كل من كانوا في الكونتينتال، وأخيراً في الشارع.

يوم الاثنين: *Mam`zelle Nitouche. التأثير الحسن لكلمة فرنسية في تصور ألماني كئيب. طالبات إحدى المدارس الداخلية بملابسهن الفاتحة، يركضن في الحديقة بأذرع ممدودة من وراء السياج – ثكنات فوج الفرسان ليلاً. ضباط يسكنون في المبنى الواقع خلف الثكنات، يقيمون احتفالاً وداعياً. يدخل مام تسللي نيتوشي ويقنع الآخرين من خلال الحب والمجون بالمشاركة في الاحتفال. ما الذي يمكن أن يقع لفتاة؟ تكون في الدير صباحاً، وفي المساء بديلاً لمغنيَّة الأوبريت التي لم تستطع الحضور، أما ليلاً فتكون في ثكنات الفرسان.

أمضيت ما بعد ظهر اليوم متعباً، متألماً على الكنبة.

الثامن عشر من آذار:

كنُت حكيماً إذا شئت لأنني كنت مستعداً للموت في أي لحظة؛ لا لأنني أعتني بكل شيء سبق أن أوكل إليّ عمله؛ بل لأنّني أفعل من ذلك شيئاً. ولا أستطيع أن أملك القدرة على إنجاز شيء منه.

الثاني والعشرون من آذار:

كنت أكتب التواريخ في الأيام القليلة المنصرمة، على نحو خاطئ: محاضرة باوم في قاعة المحاضرات، ج.ف. في التاسعة عشرة من عمرها تتزوج في الأسبوع القادم. وجه نحيل، معتم لا عَيْب فيه، تجويفا الأنف المنفوخان. منذ سنوات وهي ترتدي القبعات والملابس التي تشبه زيّ الصيادين. الوميض الأخضر الغامق فوق وجهها خصلات الشعر تصل إلى الخدّين، وتحاول التوحّد مع النضارة الممتدة عليهما كضوء بقعة خفيفة فوق الوجه المنحني بأكمله في الظلام، استندت بضعف على ذراعي الكنبة، اعتماداً على مرفقين حادّين. وبعد ذلك قدمّت في ساحة فنتسل بلاتس انحناءة نشيطة مملوءة بالقوة حتى النهاية. لفتة ووقفة معتدلة لجسم هزيل، رث الثياب، نظرتُ إليها أقلّ بكثير مما كنت أرغب.

الرابع والعشرون من آذار:

الأحد، أمس Die Sternenbraut (العروس المتألقة) لكريستيان فون إيرن فلس Christian Von Ehrenfels[81] شرود الذهن في أثناء المشاهدة؛ مواجهة وضع فظّ مضطرب لثلاثة أزواج من معارفي تربطني بهم صلة وثيقة، الضابط المريض في المسرحية. الجسد المريض في الزي الرسمي المشدود الذي جعل الصحة والعزم واجباً.

قبل الظهر، أمضيت نصف ساعة في حالة مزاج رائق عند ماكس.

في الغرفة الجانبية، تتجاذب والدتي مع الزوجين (ل) أطراف الأحاديث، إنهم يتحدّثون عن الآفات ومسامير الأقدام. كان للسيد ل ستة مسامير في كل إصبع. من السهل أن يلحظ المرء أنه ليس في مثل هذا اللون من الأحاديث تقدم حقيقي، إنها معلومات سينساها الطرفان، وهي تسير في طريقها إلى النسيان الذاتي من دون إحساس بالمسؤولية، وهو السبب ذاته الذي يجعل هذه الأحاديث غير ممكنة من دون لون من شرود الذهن، وهي تشير إلى فضاءات خالية لا يمكن للمرء إذا رغب في البقاء فيها إلاّ أن يملأها بالتفكير أو بالأحلام.

(81) الفيلسوف النمساوي (1859–1932)، وهو واضع نظرية الجشتالت في التربية وعلم النفس. وهي مسرحية تتكون من أربعة فصول ظهرت عام 1912.

الخامس والعشرون من آذار:

المكنسة التي تكنس السجادة في الغرفة المجاورة، تبدو مثل ذيل الفستان الذي يتحرك على شكل اهتزازات.

السادس والعشرون من آذار:

من أجل ألا تبالغ في تقدير ما كتبت فإنني سأجعل مما سأكتب شيئاً غير قابل للإدراك.

السابع والعشرون من آذار:

الاثنين: أمسكت في الشارع فتى، رمى بكرة كبيرة مع آخرين، خادمة لا حول لها ولا قوّة، كانت تتمشى أمامهم. وعندما كانت الكرة تطير على مقربة من ظهر الفتاة أمسكت برقبته، وخنقته بغضب، ودفعته جانباً وشتمته. بعد ذلك مشى الفتى من غير أن ينظر إلى الفتاة، لدرجة أن المرء نسي وجوده الدنيوي؛ لأنه كان ممتلئاً غضباً، ويحق له أن يعتقد أنه أعطى الفرصة، لمن يرغب في تحقيق ذاته بالطريقة نفسها بمشاعر أكثر جمالاً.

الثامن والعشرون من آذار:

من محاضرة السيدة فانتا Frau Fanta «انطباعات عن برلين». «لم يرغب غرل بارتسر Grillparzer[82] ذات مرة في الذهاب إلى إحدى الحفلات، لأنه عرف بأن هبّل Hebbel[83]، الذي كان صديقاً له، سيكون هناك كذلك». «سيستجوبني ثانية حول رأيي عن الله، وعندما لا أجد شيئاً أقوله سيغدو وقحاً». إنه سلوكي الصعب المراس.

(82) الإشارة إلى الشاعر والمسرحي النمساوي فرانتس غرل بارتسر (1791–1872).

(83) الإشارة هنا إلى الشاعر والمسرحي الألماني كريستيان فريدريش هبّل (1813–1863).

التاسع والعشرون من آذار:

الاستمتاع في غرفة الحمام، الإدراك التدريجي. أوقات ما بعد الظهر التي صرفتها على شَعْري.

الأول من نيسان:

إخفاق كاتب في الكتابة للمرة الأولى، منذ أسبوع. لماذا؟ لقد عشت خلال الأسبوع المنصرم أمزجة متباينة، استطعت أن أُبعِدَ تأثيراتها عن كتابتي؛ لكنّني أخشى أن كتب حول هذا الأمر.

الثالث من نيسان:

يمر النهار على هذه الشاكلة، قبل الظهر في المكتب، وبعد الظهر في المصنع. الآن مساءً. الصياح من حولي في المنزل، عن اليسار وعن اليمين. في فترة لاحقة إحضار أختي من «هاملت» من دون أن أكون قادراً على الإفادة من لحظة واحدة.

الثامن من نيسان:

سبت النور: معرفة كاملة بذاته كي يكون قادراً على التحكم بقدراته كلّها مثل كرة صغيرة، ليقبل التدهور الكبير بوصفها مسألة اعتيادية، ويظل مرناً في إطارها.

رغبة في نوم عميق تتلاشى كثيراً، إنّ الحافز الميتافيزيقي هو وحده الحافز نحو الموت.

ما أكثر ما تظاهرت اليوم في حضور هاز Haas* لأنه أثنى على ماكس وعلى وصفي لرحلاتي؛ لأنني أستطيع من خلال هذا الأسلوب، أن أجعل نفسي على الأقل جديراً بذلك الثناء الذي كان كتابي في وصف الرحلات محوره. كي أتمكن من خلال الخداع، أو أستمر في الكذب الخادع، لخلق تأثير كاذب للتقرير المتعلّق برحلاتي، أو أن استمر في التواصل مع

أكاذيب هاز المحبّة، التي حاولت أن أجعلها سهلة له.

السادس من أيار:

الساعة الحادية عشرة: إخفاق تام في الكتابة منذ مدة، شعور رجل عضّه الدهر بنابه.

حلم منذ عهد قريب:

كنت أركب الترام مع أبي في مدينة برلين، كانت ضخامة المدينة تتمثّل عبر عدد لا يحصى من الحواجز المنتظمة العمودية ذات اللونين، التي تقف في النهاية بوضوح. كان كلّ شيء باستثناء ذلك خالياً تقريباً، لكنّ احتشاد تلك الحواجز كان كبيراً. وقفنا عند إحدى تلك البوابات وعبرنا من دون إحساس بالعبور، ثم خطونا من خلالها إلى الجانب الآخر. كان ثمة حائط شديد الانحدار، تسلّق أبي وهو يكاد يتراقص، أما ساقاه فقد طارتا به في تلك الأثناء. بدا الأمر سهلاً بالنسبة له. وكان هناك بالتأكيد إهمال يتمثل في أنه لم يبذل جهداً لمساعدتي إطلاقاً. لأنني لم أستطع من خلال بذلي لأقصى الجهد، وبالاعتماد على يدي ورجلي أن أصعد إلى الأعلى، فقد تكررت مسألة رجوعي إلى الوراء، وكأن الحائط من تحتي صار مائلاً. ومن المؤلم، أنّ (الحائط) كان مغطىً بالبراز، لدرجة أن الكثير من تلك الفضلات ظلّت عالقة بصدري.

أحنيت وجهي لأنظر إلى تلك القطع الصغيرة، ومررّت يدي فوقها، وعندما تمكنت في الختام من الوصول إلى القمّة لحقني والدي الذي كان يخرج للتو من إحدى البنايات، وقبلّني فوق عنقي وعانقني. كان يرتدي زياً قديم الطراز «للأمير ألبرت القصير»، محشواً من الداخل كالأريكة وهو ما أتذكره جيّداً، وكان يصيح مراراً وتكراراً، هذا هو الدكتور فون لايدن، إنّه إنسان ممتاز. وهو لم يعرفه بوصفه طبيبا؛ بل بوصفه رجلاً يستحق المعرفة، كنت متخوفاً، إلى حدّ ما من أنه يتوجّب عليّ أن أذهب إليه، لكن ذلك لم يُطْلب مني. في الخلف، على يساري، رأيت رجلاً جالساً في غرفة تحيط بها الجدران الزجاجية على نحو واقعي، وكان يدير ظهره لي. كان يظهر أن هذا الرجل هو سكرتير البروفسور، وأنّ والدي لم يتحدث في الحقيقة إلا معه، ولم يستطع التحدث مع البروفسور نفسه، وأنّه اكتشف على نحو من الأنحاء من خلال السكرتير

براعة البروفسور شخصياً، لدرجة أنه في كل وجهة نظر أو حكم كان ينطق عن الأستاذ كما لو أنه تحدث شخصياً معه.

مسرح ليسنج Lessing «الخشخشة» Die Rattern[84] رسالة إلى بك ذي كّ، لأنني لم أكتب إليه. بطاقة إلى ماكس مبتهجاً بـ«أرنولد بير» Arnold Beer*.

التاسع من أيار:

مساء أمس: مع بيك Pick في المقهى. كيف استطعت الثبات على روايتي*، تجاه كلّ صنوف القلق، كالتمثال الذي يبدو متماسكاً عن بعد مع قاعدته.

مساء يائس مع العائلة هذا اليوم، صهري يحتاج المال من أجل المصنع، والدي منزعج بسبب شقيقتي وبسبب العمل وبسبب قلبه. شقيقتي الثانية التعيسة، أمي التعيسة بسبب ذلك كلّه، وأنا مع كتاباتي.

الثاني والعشرون من أيار:

أمسية رائعة يوم أمس مع ماكس، عندما أحبّ ذاتي أحبّه أكثر. ملهى لوسيرنا «السيدة الميتة» Madame la mort لراشيلده Rachilde[85]. «حلم صباح ربيعي»*. الفتاة السمينة المرحة في المقصورة والمتوحشة، بالأنف الخشن والوجه الملطخ بالرماد، والكتفين المحشورتين داخل لباسها (الذي لم يكن فضفاضاً على كل حال)، والظهر الذي يتحرك جيئة وذهاباً، والبلوزة الزرقاء البسيطة، بقماشتها المنقطة البيضاء، والقفاز المعدّ للمبارزة الظاهر دائماً للعيان؛ لأن يدها اليمنى تظلّ موضوعة في الغالب على الفخذ الأيمن لأمها المرحة الجالسة إلى جوارها، أو على أطراف أصابعها. ضفيرتاها مجدولتان فوق أذنيها، وثمة شريط خفيف الزرقة، ليس نظيفاً تماماً،

(84) عرضت هذه المسرحية على مسرح ليسنج في برلين في 1911/1/13، من تأليف غيرهارت هاوبتمان.

(85) الإشارة إلى الكاتبة الفرنسية مارغريت راشيلده (1860–1953) التي تُعد من رائدات الكتابة المسرحية ضد تقاليد المسرح الواقعي.

على مؤخرة رأسها. غرّة شعرها خفيفة، لكنّ خصلة كثيفة تحيط بالجبين وتتجاوزه. معطفها الدافئ المجعّد الخفيف تتساقط طياته بإهمال، وهي تفاوض عند صندوق الحساب.

الثالث والعشرون من أيار:

أمس: سقط خلفنا رجل من على كرسيه سأماً، مقارنة مع راشيلده: أولئك الذين يبتهجون تحت الشمس، ويطلبون السعادة من الآخرين، هم كالسكارى الذين يجيئون ليلاً من أحد الأعراس، ويجبرون المجتمعين على الشرب في صحة العروس المجهولة.

رسالة إلى ڤيلتش تقترح أن نستخدم ضمير المخاطب المفرد Du في الحديث المتبادل. رسالة جيّدة يوم أمس إلى العم ألفرد حول المصنع. يوم أمس الأول رسالة إلى لوڤي.

الآن مساءً: غسلت بسبب الملل يدي ثلاث مرات في الحمّام على نحو متتالٍ.

الطفل ذو الضفيرتين الصغيرتين والرأس العاري والرداء الصغير الفضفاض الأحمر، المنقّط والساقين والقدمين العاريتين، الذي يحمل سلة صغيرة في يد، وصندوقاً صغيراً في اليد الأخرى، قطع الشارع الواقع بالقرب من المسرح الوطني بتردد.

يدير الممثلون في مسرحية «السيدة الميتة» ظهورهم للجمهور، طبقاً للمبدأ الذي يرى أنّ ظهر عاشق الفن هو مساو في كل الأحوال لظهر الممثل المحترف. هذا وعي الناس!.

في الأيام الأخيرة، محاضرة ممتازة لديفيد تريتش David Trietsch[86] عن الاستعمار في فلسطين.

الخامس والعشرون من أيار:

سرعة بطيئة، دم قليل.

(86) أحد مؤسسي دار النشر اليهودية Juedischer Verlag في برلين عام 1902.

السابع والعشرون من أيار:

يوم أمس أحد العَنْصرة: طقس بارد، نزهة غير لطيفة بصحبة ماكس وڤيلتش، مساء في المقهى، يعطيني ڤيرفل كتاباً اسمه «زيارة إلى إليزيوم» Besuch aus dem Elysium(87).

يستدير جزء من شارع نيكلاس والجسر كلُه لينظر بنوع من الرقة إلى كلب، كان ينبح بصوت عال، ويطارد إحدى سيارات الإسعاف، وظل ذلك حتى توقف الكلب على نحو مفاجئ، واستدار إلى الوراء موضحاً أنّه كلب عادي غريب، وأن تعقبه لسيارة الإسعاف لا يعني شيئاً خاصاً.

الأول من حزيران:

لم أكتب شيئاً.

الثاني من حزيران:

لم أكد أكتب شيئاً.

يوم أمس: محاضرة للدكتور زوكوب في دار الممثليّة عن أمريكا (التشيك في نبراسكا، كلّ الموظفين الرسميين في أمريكا منتخبون، كلّ أحد ينبغي أن ينتمي إلى واحد من الأحزاب الثلاثة: الجمهوريون والديمقراطيون والاشتراكيون. التجمع لانتخاب روزفلت، الذي هددّ بزجاجته أحد المزارعين الذين حاولوا الاعتراض، خطباء الشوارع الذين يحملون صندوقاً صغيراً ويستخدمونه منصةً). مهرجان الربيع التقيت باول كيتش الذي تحدث عن أطروحته «هبّل Hebbel والتشيك».

(87) الكتاب هو مسرحية رومانسية من فصل واحد من تأليف فيرفل نفسه، ظهرت عام 1911. ومن الجدير بالذكر أن فرانتس فيرفل (1890–1945) هو أحد أصدقاء كافكا، وأحد رواد الأدب التعبيري.

السادس من حزيران:

الخميس: جسد المسيح كحصانين في السباق، واحد يطأطئ رأسه وينسحب من السباق، ويهز رأسه بكّل ما عليه من شعر، ثم يرفعه، ليشعر بعد ذلك بالتحسن، على ما يبدو، ثم يستأنف الجري، الذي لم ينقطع في واقع الأمر عنه.

أقرأ الآن في رسائل فلوبير: « إن روايتي هي الصخرة التي أشنق عليها، كما أنني لا أعرف على الإطلاق طبيعة ما يدور في العالم»، مثلما سبق لي أن دونّت في التاسع من أيار.

من دون وزن ومن دون عظام، ومن دون جسد مشيت في الشوارع مدة ساعتين، مفكراً بما سبق لي أن تجاوزته في أثناء الكتابة ظهر اليوم.

السابع من حزيران:

رديء، لم أكتب شيئاً اليوم. وليس عندي وقت غداً.

السادس من تموز*:

الاثنين: بدأت أشعر بقليل من النعاس. مهمل بين هؤلاء الناس الغرباء تماماً.

التاسع من تموز:

لم أكتب شيئاً منذ مدة طويلة، سأبدأ غداً، وإلا فإنني سأدخل ثانية إلى حالة من القلق الممتّد غير القابل للتوقف، وهي حالة أكاد أعيشها في الواقع. إن الحالات الصعبة قد بدأت، وإذا كان في مقدوري أن أفعل شيئاً فإنني سأفعله من دون اللجوء إلى إجراءات وقائية خرافية.

اختراع الشيطان لو كان قد أصابنا مسّ من الشيطان؛ فإنه لا يمكن أن يكون من شيطان واحد، لأننا نحيا فوق هذه الأرض على الأقل، بهدوء كما هي الحال مع الله، من دون تناقض ومن دون تردّد، واثقين دائماً أن الشيطان خلفنا. وجهه لا يبعث الرعب فينا، لأننا حساسون

بما فيه الكفاية لمنظر الكائنات الشيطانية، وأذكياء إلى درجة أننا نفضل أن نضحي بإحدى أيدينا لإبقاء وجهه مغطى بها. ولو أن لدينا شيطاناً واحداً يمتلك نظرة هادئة لا تتأثر بطبيعتنا الكليّة، ويمتلك حرية التصرف بنا في كل لحظة؛ لكان لديه القوة الكافية لأن يحتجزنا طويلاً، عالياً فوق روح الله الكامنة فينا، ولجعلنا نتأرجح لدرجة نعجز فيها عن رؤية وميض منه، بمعنى أننا لن نتمكن من الراحة من هذا الجانب.

إنّ حشداً من الشياطين هو القادر على صناعة تعاستنا الأرضية، فلماذا لا تبيد هذه الشياطين بعضها ليتبقى شيطان واحد، أو لماذا لا تتوحد تحت إمرة شيطان واحد عظيم؟ كلا الأمرين سيكونان ممكنين في ضوء المبدأ الشيطاني القائم على خداعنا. فما هي فائدة الاهتمام المزعج الذي تمنحه الشياطين لنا في غياب الموقف الموحّد؟

من البديهي أن يفوق اهتمام الشيطان بتساقط الشعر لدى الإنسان اهتمام الإله؛ لأن شعر الشيطان هو وحده الذي يتساقط. وطالما ظلت الشياطين الكثيرة موجودة فينا نكون عاجزين عن الوصول إلى الشعور بالراحة.

السابع من آب:

عذاب طويل، تمكنت أخيراً من الكتابة إلى ماكس لأعلمه بأنني عاجز عن إيضاح القطع الصغيرة المتبقية، وأنني غير راغب في إجبار ذاتي على ذلك. ولذا فإنني لن أنشر الكتاب*.

الثامن من آب:

أنهيت «محتال» Bauerfaenger على نحو مرض تقريباً، من خلال الطاقة الأخيرة لحالة عقلية مرضية في الساعة الثانية عشرة. كيف أستطيع أنام؟

التاسع من آب:

الليلة المزعجة: الخادمة التي قالت يوم أمس للولد الصغير على الدرج: « أمسك بتنورتي! »

قراءتي الجهرية الملهمة السريعة لـ « الموسيقار الفقير » Der arme Spielmann[88]، استيعاب القصة لما هو رجولي عند غريل بارتسر. الطريقة التي يجازف فيها بكّل شيء، ولا يجازف بشيء لأنه لا شيء فيه سوى الحقيقة تقريباً. هذه الحقيقة التي تستطيع أن تسوغ ذاتها في وجه الانطباعات المتناقضة بوصفها الحقيقة عند وصول اللحظة الحاسمة. السيطرة الهادئة على الذات، الخطوة البطيئة التي لا تهمل شيئاً. الاستعداد الفوري عند الحاج، لا قبلها، لأنه يرى كل شيء قادماً قبل زمن طويل.

العاشر من آب:

لم أكتب شيئاً، كنت في المصنع، استنشقت رائحة الغاز ساعتين في غرفة المحرك، جهد رئيس العمال والموقِد مع الموتور الذي رفض الدوران لسبب غير معلوم. مصنع بائس.

الحادي عشر من آب:

لا شيء كم من الوقت يستغرق منّي نشر الكتاب الصغير، وما مقدار الاعتداد بالذات، الضار السخيف الذي يتشكل بعد قراءة أشياء قديمة بعين من يريد نشرها؟ ذلك ما يصرفني عن الكتابة. وإن كنت لم أستطع أن أصل في الواقع إلى شيء. والاضطراب هو أفضل برهان على ذلك، لذا يتوجب عليّ أن أبقى بعد نشر الكتاب، بعيداً عن المجلاّت والمراجعات النقدية أكثر من قبل، إذا لم أرد أن أظل مكتفياً بلمس الحقيقة برؤوس أصابعي. لكم غدوت ثقيل الحركة، كنت في السابق عندما أقول كلمة تعارض اتجاه اللحظة أسارع بالطيران إلى الجانب الآخر؛ أما الآن فإنني أتأمل نفسي ببساطة وأظل كما أنا.

(88) رواية من روايات السيرة الذاتية، وصاحبها هو غريل بارتسر (1791–1872) وقد ظهرت عام 1848.

الرابع عشر من آب:

رسالة إلى روڤولت Rowohlt

السيد روڤولت المحترم:

تجدون طيه القطعة النثرية القصيرة التي ترغبون في الاطلاع عليها، وهي قد تكفي لصناعة كتاب صغير وقد كان يتنازعني عندما كانت أشكل تلك القطعة النثرية خياران؛ التخفف من شعوري بالمسؤولية، والطمع في أن يصدر لي كتاب بين كتبك الجميلة، ولم أتمكن من اتخاذ قرار حاسم بهذا الصدد. أما الآن فإنني سأغدو سعيداً إذا أعجبتك هذه الكتابة بما يكفي لتطبعها. ومع ذلك فإن التدريب والإدراك الكبيرين غير قادرين على اكتشاف الرداءة من النظرة الأولى.

إن شخصية الكتّاب الواسعي الانتشار تقوم على كون كل واحد منهم قادراً على أن يخفي عيوبه بطريقته الخاصة.

المخلص

الخامس عشر من آب:

يوم ضائع أمضيته نائماً ومضطجعاً. الاحتفالات [الكنسيّة] بمريم في بعض أجزاء المدينة القديمة، الرجل ذو الصوت الذي يبدو كأنه خارج من فتحة في أعماق الأرض. فكرت كثيراً بالإحراج الكبير قبل كتابة اسم ف. ب *F.B قرأتْ أمس الاقتصاد البولندي*، أما الآن فإن O (أو) تنشد قصائد لغوته، لقد اختارت تلك القصائد بمشاعر صادقة «عزاء في الدموع» Trost in Traenen، «إلى لوّتي» An lotte إلى فيرتر An Werther ، إلى القمر An den Mond.

عاودت القراءة في يوميات قديمة بدلاً من إبعاد تلك الأشياء عنّي. إنني أحيا على نحو لا عقلاني بقدر ما أستطيع، إنني ألوم نفسي على نشر هذه الصفحات الحادية والثلاثين في المقام الأول، وفوق ذلك بسبب ضعفي الذي يسمح لهذا النوع من الأشياء أن تؤثر فيّ. وبدلاً من أن أرتجّ جراء ذلك أجلس هناك وأفكر في كيفية التعبير عن مقدار احتقاري لذلك كلّه. لكن هدوئي

المروع يزعج قدرتي على الابتكار، إنني فضولي إزاء قدرتي على العثور على مخرج من هذه الحالة. لا أسمح للآخرين بدفعي والطريق السليم يبدو مجهولاً بالنسبة لي، فماذا سيحدث؟ فهل أنا مجرد كتلة كبيرة مقدّر عليها أن تظل تعدو في طرقي الضيقّة؟ في هذه الحالة أكون قادراً على الأقل على أن أدير رأسي، وهذا ما أفعله على أي حال.

السادس عشر من آب:

لاشيء سواء في المكتب أم في المنزل. كتبت بضع صفحات في يوميات ڤايمار.

مساءً نشيج أمي المسكينة لأنني لا آكل.

العشرون من آب:

الشباب الصغار الذين يرتدون بلوزات زرقاء، بعضها فاتح اللون، أمام نافذتي في منطقة بنايات الجامعة، المكسّوة جزئياً بالعشب، يحملون فوق أذرعهم العشب الجاف، ويجرون أجسادهم نحو المنحدر، وهذا كله مما يسبي العيون.

صباح اليوم الباكر عربة الكارو الفارغة، وحصانها الهزيل المتقدم في السن، كلاهما جعل هبوطي للمنحدر طويلاً على نحو غير عادي، كما ظهر فيما بذلاه من مجهود مؤخراً، وهو أمر يبدو للمشاهد خارجاً عن المألوف. الحصان بساقيه الأماميتين المرفوعتين قليلاً إلى الأعلى، ورقبته الممتدة على الجانين، وإلى الأعلى والسائق يعلوه بالسوط.

إذا ما أعاد روڤولت النص إليّ وتمكنت من الإمساك ثانية به، وكأنّ شيئاً لم يكن، فسأكون غير سعيد كما كنت من قبل. عندما جاءت الآنسة (ف.ب) إلى برود في الثالث عشر من آب. جلست على الطاولة، وبدت لي شبيهة بالخادمة. لم أكن متشوقاً على الإطلاق لمعرفة من تكون؛ بل وجدتني أتقبلها بكل بساطة، وجه عظمي فارغ يتلبّسه الفراغ بوضوح، عنق حرّ بلوزة ملقاة عليها.

وقد بدت عائلية تماماً في لباسها، على الرغم من أنه تبين لاحقاً أنها لم تكن كذلك مطلقاً. شعرت بالنفور منها قليلاً، لدرجة أنني شرعت بمراقبتها عن قرب، ولا تسل عن الحال الذي أنا فيه الآن، إنني نافر عموماً من الأشياء الجيدة كلها ولا أعتقد بوجودها. وإذا تمكنت الأخبار الأدبية اليوم وأنا عند ماكس من تشتيت انتباهي كثيراً؛ فإنني سأسعى هذا اليوم لكتابة قصة عن Blenklet، قصة ليس من الضروري أن تكون طويلة، لكن علي أن أرسمها ببراعة. أنف مكسور تقريباً، شعر أشقر، غير جعد تقريباً، وغير جذاب. ذقن قوي، تأملتها عن قرب للمرة الأولى، لحظة شروعي بالجلوس. وعندما جلست كان لدي رأي غير قابل للنقض كيف.... [يتوقف النص].

الحادي والعشرون من آب:

أقرأ لينتس Lenz من دون انقطاع، وقد أعادني – كما في حالتي – إلى مشاعري.

صورة الاستياء التي يقدمها الشارع وصلت إلى درجة أنّ كلّ شخص يرفع قدمه عن المكان الذي يقف فيه ويستعد للهروب.

الثلاثون من آب:

لم أفعل شيئاً طيلة هذا الوقت، زيارة عمي من إسبانيا. في السبت الماضي أنشأ ڤيرفل werfel في أركو Arco «أغاني الحياة» Lebenslieder! و «الضحية» Opfer أيّ وحش! لكنني نظرت في عينيه، واحتفظت بنظرته طيلة المساء.

سيكون صعباً أمر إيقاظي، أما الآن فإنني قلق. عندما كنت مستلقياً بعد ظهر هذا اليوم، فوق السرير، ثم جاء رجل وأدار المفتاح بسرعة في القفل، شعرت للحظة أن الأقفال تنتشر في جميع أنحاء جسدي، وكأنني في حفلة تنكرية، وفي تلك اللحظات القصيرة كان ثمة قفل هنا وهناك يفتح أو يغلق.

استفتاء مجلة Miroir عن الحبّ في الزمن الحاضر وعن التغيرات التي طرأت على الحب منذ أيام أجدادنا . أجابت إحدى الممثلات:

إن الناس لم يعشقوا قط على النحو الذي يفعلونه في هذه الأيام.

كم كنت أشعر بالارتعاش والسمو بعد سماعي لفيرفل! وكيف جاء سلوكي بعد ذلك في الحفلة التي أقامها (ل) طبيعياً وبلا أخطاء.

تمكنت نظراً لغياب المدير في هذا الشهر من استثمار ذلك جيداً، فقد أهدرت وقتي، واستغرقت في النوم من دون كبير تسويغ (إرسال الكتاب إلى روفولت، الدمامل، زيارة عمي). وحتى في ظهر هذا اليوم استلقيت فوق السرير مدة ثلاث ساعات بأعذار حلمية.

الرابع من أيلول:

عمي القادم من أسبانيا، تفصيلة سترته، تأثير خياطتها، تفصيلات شخصيته، مشيته المتبخترة في حجرة الانتظار وصولاً إلى المرحاض، عدم إجابته على أي كلام يوجّه له. عريكته التي تزداد ليونة من يوم إلى آخر، إذا لم يحكم المرء على ذلك من خلال تغير تدريجي بل من خلال لحظات تبدو لافتة للنظر.

الخامس من أيلول:

سألته: كيف يمكن للمرء أن يبين شعورك بالاستياء الدائم عموماً، كما قلت مؤخراً، وقدرتك على الرغم من هذا على أن تتدبر أمورك كما يلحظ المرء مراراً وتكراراً (وكيف تستطيع أن تبدي لوناً من الخشونة الخاصة مع تلك القدرة على تدبير أمورك)، وأظن أنه أجاب كما أتذكر.

«إنني مستاء على مستوى الأشياء الفردية؛ لكن هذا الاستياء لا يرقى إلى المستوى الكلي العام، إنني أتناول طعام العشاء في أغلب الأحيان في فندق فرنسي صغير، يمتاز بعراقته وارتفاع

أسعاره، وتبلغ تكلفة الغرفة المزدوجة فيه يومياً خمسين فرانكا، على سبيل المثال هناك أكون جالساً بين سكرتير المفوضيّة الفرنسية، والجنرال قائد المدفعية الإسبانية. أما قبالتي فيجلس موظف رفيع المستوى من وزارة البحرية، وواحد من الكونتات. إنني أعرفهم جيداً، لذا أجلس على مقعدي، وسطهم محييا إياهم على جميع الجوانب، ونظراً لأنني أكون في مزاجي الخاص لا أتفوه بكلمة إلا عندما أحييهم مودعاً. بعد ذلك أكون في الشارع من دون أن أتمكن من إدراك الهدف الذي يمكن لهذا المساء أن يؤديه، بعدها أذهب إلى المنزل نادماً لأنني لم أتزوج. يتلاشى هذا الشعور طبعاً من جديد؛ إما لأنني استنفدت التفكير فيه، وإما لأن الأفكار الخاصة به قد تلاشت. لكن مثل هذه المشاعر تظل تراودني من حين لآخر.

الثامن من أيلول:

يوم الأحد قبل الظهر: رسالة عصر يوم أمس إلى الدكتور شيللر، مثلما كانت أمي تفعل على مقربة منا بصوتها القوي، حيث كانت تلعب برفقة حشد من النساء مع أطفال صغار يطردونني من المنزل. لا تبك! لا تبك! الخ. هذا الشيء ملكه! هذا الشيء ملكه! الخ. شخصان كبيران! إلخ. إنه لا يريدها! لكن! لكن! هل أعجبتك فيينا. دولفي؟ هل كانت جميلة؟ أرجو النظر إلى يديه فحسب.

الحادي عشر من أيلول

مساء يوم أمس الأول مع أوتيتس.

حلم: وجدت نفسي على رصيف ميناء مكّون من قطع أحجار مربعة بنيت بعيداً داخل البحر، كان معي شخص أو أشخاص كثيرون، وكان وعيي عالياً تماماً لدرجة أنني لم أعرف عن هؤلاء الكثير، غير أنني تبادلت معهم أطراف الحديث. أتذكر الركبتين المرفوعتين للراكب الذي كان يجلس إلى جانبي. لم أعرف في الواقع أين كنت عندما نهضت مصادفة ورأيت البحر على

يساري، وعلى يميني، وخلفي بكل وضوح، مملوءاً بالعديد من السفن الحربية التي تراصت صفوفاً وفي المرسى. على جهة اليمين يرى المرء مدينة نيويورك، لقد كنا في ميناء نيويورك. كانت السماء رمادية لكنها ساطعة على نحو منتظم. تململت في مقعدي الذي يتعرض للهواء من الجوانب كلها، كي أتمكن من رؤية كل شي. وعندما كنت أنظر صوب نيويورك كانت نظرتي تنحدر قليلاً نحو الأسفل، أما حين كنت أنظر إلى البحر فكانت نظرتي ترتفع نحو الأعلى. كما لاحظت أنّ الماء يرتفع بالقرب منا على شكل موجات عالية، وأن حركة مرور عالمية ضخمة تمخر عبابه. في ذاكرتي لم يبق سوى أنه بدلاً من تلك الأخشاب التي ينقلها التيار كان ثمة قطع خشبية كبيرة تجمعت لتصنع معاً حزماً عملاقة، كانت تطفو إلى الأعلى وإلى الأسفل، طبقاً لارتفاع الأمواج. وكانت في الوقت نفسه تتقلب في الماء، جلست، سحبت قدمي نحوي، كنت أرتعش من اللذة، حفرت الأرض وغمرت نفسي مبتهجاً وقلت:

هذا أكثر متعة من حركة المرور في أحد شوارع باريس العريضة.

الثاني عشر من أيلول

الدكتور (ل) في بيتنا هذا المساء، مهاجر آخر إلى فلسطين، أنهى امتحان المحاماة قبل سنة من انتهاء بحثه التطبيقي، وسيسافر إلى فلسطين (في غضون أسبوعين)، حاملاً معه 1200 كرونه، ساعياً للحصول على وظيفة في مكتب فلسطين. لكّل هؤلاء المهاجرين إلى فلسطين، (الدكتور ب، الدكتور ك) نظرات مباشرة لا تستطيع أن ترى من يتحدث معها، فهم يتحسّسون الطاولة بأطراف أصابعهم الممتدة، ترتجف أصواتهم، يتسمون بوهن، ويسندون هذه الابتسامات بقليل من السخرية، لقد أخبرنا الدكتور (ك) أنّ تلاميذه شوفينيون لا تفارق سيرة المكابيين Makkabaer ألسنتهم، ويسعون ليحذوا حذوهم.

أدركت أنني كتبت للدكتور شيللر بلهفة وإتقان؛ لأن الآنسة (ب) توقفت في برسلاو Breslau منذ أسبوعين. وما زالت آثار هذا التوقف في الهواء؛ لذا فكرت بإرسال الزهور إليها عن طريق الدكتور شيللر.

الخامس عشر من أيلول:

خطبة أختي ڤالي	Valli
من أعماق	Aus dem Grunde
الإعياء	der Ermattung
نصعد	wir steigen
بالطاقات الجديدة	mit neuen kraeften
سادة غامضون	Dunkle Herren
ينتظرون	welche warten
الأطفال	bis die kinder
حتى يستنزفوا أنفسهم	sich entkraeften

الحب بين الأخ وأخته تكرار للحب بين الأم والأب.

النبوءة المبكّرة لصاحب السيرة المتوحّد.

إن الحفرة التي استطاع العمل العبقري أن يشعلها في محيطنا هي مكان مناسب لوضع الضوء الصغير فيها؛ لذا فإن الإلهام الذي ينبثق من العبقري الإلهام العام لا يمكن أن يقود إلى التقليد.

الثامن عشر من أيلول:

قصص (هـ) يوم أمس في المكتب. كسار الحجارة على الطريق السريع الذي استجدى الحصول على ضفدع منه. أمسك كسّار الحجارة بالضفدع من قدميه، وابتلع بثلاث عضات

الرأس الصغير أولاً، ثم الأرداف ثم الأقدام، أفضل طريقة لقتل القطط التي تتشبث بالحياة بعناد هي:

أن يرض المرء رقبتها بين دفتي باب مغلق، ثم يجرّ ذيلها، أرغمه نفوره من الحشرات القذرة في أثناء خدمته في الجيش، أن يحكّ ليلاً منطقة ما تحت الأنف التي صفعها في أثناء النوم وسحق شيئاً ما فيها. لم يكن هذا الشيء سوى بقة؛ لذا؛ لذا ظلّ يحمل رائحتها الكريهة معه على مدى أيام طويلة.

أكل أربعة أشخاص قطة، تم شووها على نحو جيد. ثلاثة فقط من هؤلاء الأربعة عرفوا ما كانوا يأكلون، بدأ الثلاثة بالمواء بعد تناول الطعام؛ أما الرابع فرفض التصديق حتى رأى فرو القطة الدامي، لم يكن في وسعه أن يركض بما فيه الكفاية، حتى يتقيأ كل ما أكله. فظل يعاني من المرض الشديد مدة أسبوعين.

لا يأكل كسار الحجارة هذا سوى الخبز، أو ما يقع في طريقه على نحو عرضي من فاكهة ولحم حيّ، ولا يشرب غير البراندى، وينام في سقيفة في أحد مصانع الطوب. ذات مرة التقاه (هـ) عند الغسق في أحد الحقول. « قف بلا حراك» قال الرجل، «أو» بقي (هـ) في مكانه على سبيل الدعابة. « أعطني سيجارتك» استمر الرجل بالقول. فأعطاها (هـ) له «أعطني سيجارة أخرى!» تريد واحده أخرى إذن؟ سأله (هـ) واضعاً عصاه المملوءة بالعقد في يده اليسرى، ليصفعه على وجهه بيده اليمنى، لتسقط السيجارة من فمه. هرب الرجل جباناً ضعيفاً، مثلما يفعل مدمنو البراندي دائماً.

أمس عند (ب) مع الدكتور (ك) أغنية من رب دوفيدل Rob Dovidl ، رب دوفيدل من فاسيلكوفر Wassilkower ذاهب اليوم إلى Talne. في مدينة تقع ما بين فاسيلكوفر وتالني يغني من دون اكتراث؛ لكنه يبكي في فاسيلكوفر ويبتهج في تالني.

التاسع عشر من أيلول:

يحكى المراقب (P) عن الرحلة التي قام بها، مع أحد زملائه في الدراسة، يوم كان في سن الثالثة عشرة، ولا يحمل في جيبه سوى سبعين كرويتس وكيف وصلا مساء إلى إحدى الحانات، حيث كانت تجري نوبة شراب ضخمة على شرف رئيس البلدية العائد من الخدمة العسكرية. كان على الأرض أكثر من خمسين زجاجة بيرة. وكانت رائحة دخان الغلايين تملأ المكان، إلى جانب الرائحة الكريهة لثمالة البيرة. استند الولدان الصغيران على الحائط. أما رئيس البلدية الثمل الذي يتذكر خدمته العسكرية ويريد المحافظة على الانضباط في كل مكان فقد جاء إليهما وهدّدهما بالطرد وإرسالهما إلى البيت بوصفهما موقوفين، فارّين على الرغم من كل التفسيرات التي قدماها. ارتعش الولدان وأبرزا هوية المدرسة الثانوية، وبطاقات الاشتراك في المطعم الطلابي.

التفت نحوهما معلم نصف ثمل من دون أن يساعدهما، ومن دون أن يتخذ قرار واضح بشأن مصيرهما، أرغما على الاشتراك في الشراب، وكان سعيدين أن تتاح لهما فرصة شرب كمية كبيرة من البيرة الجيدة من دون مقابل، ما كانا ليتجاسرا على الإقدام على شربها بوسائلها المحدودة، شربا حتى الثمالة. وبعد أن غادر آخر الضيوف في ساعة متأخرة من الليل استلقيا فوق طبقة رقيقة من القش، في غرفة سيئة التهوية وناما كاللوردات.

في الساعة الرابعة فجراً جاءت خادمة عملاقة تحمل مكنستها، موضحة أنه لا وقت لديها، ستكنسهما إلى الخارج في غبش الفجر إذا لم يهربا طوعاً. وعندما نظفت الغرفة قليلاً أحضر إبريقا قهوة كبيران مليئان إلى الحافة لهما، ووضعا فوق الطاولة. وعندما شرعا بتحريك القهوة بملعقتيهما كان يدور على سطح الغرفة بين الحين والآخر، جسم كبير مظلم كانا يظنان أنّ هذا الشيء ستتضح طبيعته بمرور الوقت، فكانا يحتسيان القهوة بشهية. ظلّ هذا الجسم المظلم يظهر حتى كاد إبريقا القهوة يفرغان إلى النصف، عندئذ قلقا وسألا الخادمة النصحية. وهنا ظهر الجسم الأسود الذي لم يكن غير دم إوزة قديم متخثر، كان قد ترك في الإبريقين بعد احتفالات أمس، وقد سكبت القهوة فوقه صباحاً بكل بساطة، بعدها ترك الولدان كلّ شيء، ولفظا ما في

أعماقهما حتى القطرة الأخيرة، ثم استدعاهما القسيس، الذي قررّ بعد امتحان قصير في العقيدة أنهما شابان شجاعان. طلب القسيس من الخادمة أن تقدم لهما بعض الحساء، ثم تركهما يسيران في طريقهما مصحوبين ببركته الروحية. وقد جعلا هذا الحساء والبركة الروحية اللتين حصلا عليها، بوصفهما تلميذين في مدرسة ثانوية دينية يحلان في بيت كل قسيس وصلا إليه.

العشرون من أيلول:

رسائل إلى لوفي والآنسة تويسغ يوم أمس، وإلى الآنسة (ب) وماكس اليوم*.

الثالث و العشرون من أيلول:

كتبت قصة «الحكم» Das Urteil من دون توقّف ليلة الثاني والعشرين حتى ليلة الثالث والعشرين، منذ العاشرة ليلاً إلى السادسة صباحاً. ولم أكن قادراً على سحب ساقي المتصلبتين من تحت الطاولة جراء هذا الجلوس. وكان الإرهاق الفظيع والبهجة اللذان تابعت من خلالهما تطور القصة أمامي يشبه التقدم على الماء. كنت أحمل في أثناء تلك الليلة ثقلي الذاتي فوق ظهري مرات عديدة.

كيف يمكن أن يقال كل شيء، وكيف يبدو أن ثمة ناراً عظيمة تنطفئ تتوهج من جديد، بانتظار كل شيء، بما في ذلك الخيالات الشديدة الغرابة. كيف تتحول النيران لتغدو زرقاء أمام النافذة؟، تحركت العربة، ثمة رجلان يعبران الجسر. ألقيت نظرة أخيرة على ساعتي، في الساعة الثانية. كتبت الجملة الأخيرة على نحو يشبه دخول الخادمة غرفة الانتظار للمرة الأولى، انطفاء المصباح وضوء النهار، آلام طفيفة في القلب، الإرهاق الذي انتهى في منتصف الليل. الدخول المرتجف إلى غرفة أخواتي. القراءة الجهرية، والتمدد قبل ذلك أمام الخادمة لأصرح بأنني «ما زلت أكتب حتى هذه اللحظة». ظهور السرير الذي يبدو أنه لم يلمس كأنه أحضر للتو. الاقتناع

الأكيد بأنني أجد ذاتي من خلال كتابتي للرواية في الحضيض المخجل من آليات الكتابة.

بهذه الطريقة وحدها يمكن الكتابة، وبمثل هذا القدر من الانسجام، وبمثل هذا التفتح الكامل للجسد والروح. قبل الظهر في السرير. العيون اليقظة دائماً. المشاعر المتعدّدة التي حملت في أثناء الكتابة؛ البهجة مثلاً بأنه سيكون لدى شيء جميل لأركاديا Arkadia الخاصة بماكس، وأفكار عن فرويد، وستكون هناك فقرة عن أرنولد بير طبعاً، وثانية عن فاسرمان Wassermann، وثالثة عن «عبقرية» ڤيرفل، وستكون بطبيعة الحال فقرة عن عملي «العالم المديني» Die Staedtische Welt.

كان غوستاف بلنكلت Gustav Blenkelt رجلاً بسيطاً ذا عادات منتظمة، فلم يكن يحب أي إنفاق غير ضروري، وكان لديه رأي قاطع في الناس الذين يمارسون هذا اللون من الإنفاق. وعلى الرغم من كونه عازباً فقد كان يشعر بأنّ له كامل الحق في أن يقول بضع كلمات حاسمة في المسائل الزوجية الخاصة بمعارفه، في حين يلقى مصيراً أسود من يعتقد أنه يمتلك حق الكلام فيما يتعلق بشؤونه. لقد اعتاد أن يعبر بصراحة تامة عن آرائه، ولم يعتد أن يتحفظ على آراء سامعيه الذين لا تعجبهم آراؤه.

في كل بقعة كنت تجد أناساً يعجبون به أو يقدرونه أو يتحملونه، وآخرين لا يرغبون في أن تكون لهم به أدنى صلة. وإذا ما تأمل المرء الأمر بعناية في الواقع يجد أن كل شخص، ولاسيما الأشخاص الأكثر تفاهة- يشكلون بؤرة لدائرة ضيقة تتشكل حوله هنا وهناك، وإلا كيف يمكن أن يكون الأمر في حالة نمو ستاف بلنكلت؛ أي في صميم شخص اجتماعي على نحو استثنائي؟

أمضى بلنكلت في سنته الخامسة والثلاثين وهي سنته الأخيرة مقداراً غير عادي من الوقت مع زوجين شابين يدعيان سترونغ. من المؤكد أنّ معرفة بلنكلت بالنسبة للسيد سترونغ الذي افتتح مخزناً لبيع الثياب بأموال زوجته هي ذات فوائد جمة؛ لأن الغالبية العظمى من معارف بلنكلت هم من الشباب الصغار المتزوجين حديثاً، الذين يتوجب عليهم آجلاً أم عاجلاً أن يفكروا بالتزود بالأثاث الجديد، والذين اعتادوا أن يهملوا نصائح بلنكلت عموماً في هذا الاتجاه. «إنّني أمسك زمامهم بقوة» اعتاد بلنكلت أن يقول.

الخامس والعشرون من أيلول:

أمنع نفسي بالقوة عن الكتابة، أتقلب في السرير، احتقان الدم في جمجمتي، والجريان العديم الفائدة للأشياء. يا لها من أضرار! قرأت عند باوم يوم أمس، واستمع إلى قراءتي عائلة باوم وأخواتي ومارتا وزوجة الدكتور بلوخ وابنتها (أحدهم متطوع مدة سنة في الجيش).

كانت يدي تتحرك في لحظات الختام بعفوية وصدق أمام وجهي. كانت هناك دموع في عيني. إن ما هو ثابت في التاريخ يؤكد ذاته. أبعدت نفسي اليوم عن الكتابة. التصوير السينمائي وعروض الأفلام في المسرح الوطني. الآنسة (O) التي لاحقها أحد رجال الدين ذات مرة قدمت إلى المنزل مبللة، وهي تتصبب عرقاً من الخوف. دانتسج. حياة كورنر الخيول*، الحصان الأبيض، بودرة التدخين، Luetzows «صيد لوتسوفز الوحشي»[89].

(89) قصيدة للشاعر والجندي الألماني كارل ثيودور كورنر (1791–1813).

(1913)

الحادي عشر من شباط:

أدون في أثناء قراءتي لتجارب «الحكم» Das Urteil الطباعية كلّ العلاقات التي بدت واضحة لي في القصة، بقدر ما أستطيع أن أتذكرها. وهو أمر ضروري لأنّ القصة خرجت منّي على نحو شبيه بالولادة الحقيقية، مغطّاة بالقذارة والمخاط. وأنا وحدي من يمتلك اليد القادرة على اقتحام الجسد، ويمتلك قوة الرغبة لتنفيذ ذلك: إن الصديق هو صلة الوصل بين الأب والابن، وهو القاسم المشترك الأعظم بينهما. وقد كان غيورغ وهو جالس على نافذته يبحث في هذه الجوانب المشتركة على نحو شهواني، إنّه يحتوي والده في داخله، وهو يرى أنه كل شيء هادئ ما عدا هذا التفكير الحزين العابر.

تطور القصّة هو وحده الذي يظهر كيف يتولّد الأب من القواسم المشتركة، أي من الصديق، ليضع نفسه في موقع النقيض لغيورغ، مستقوياً بقواسم مشتركة أخرى صغيرة، وتحديداً من خلال الحب، والتعلّق بذكرى الأم والتذكّر المخلص لها، ومن خلال الزبائن الذين استطاع الأب أن يكسبهم للمتجر. أما غيورغ فلا يمتلك شيئاً على الإطلاق، كالخطيبة التي لا تحيا في القصة إلا في ضوء علاقتها بالصديق، أي في ضوء القواسم المشتركة؛ لذا يتمكن الأب من طردها بسهولة، لأن حفل الزفاف لم يتحقق، ولم تتمكن الخطيبة بعد من اختراق رابطة الدم بين الأب وابنه. أما المشترك فيتكدّس على نحو رئيسي حول شخصية الأب، وهو ما لا يستطيع غيورغ أن يستشعره إلاّ بوصفه شيئاً غريباً، صار يمتلك استقلاليته، من دون أن يمنحه الحماية الكافية، وهو المعرّض للثورات الروسية. ونظراً لأنه لم يعد يمتلك شيئاً ماعدا النظرة إلى الأب؛ فإنّ الحكم الذي جعله يقطع صلته بأبيه على نحو كلي كان له تأثير بالغ في نفسه.

إنّ لـ غيورغ Georg عدد الحروف نفسها التي لـ Franz. أما في Bendemann فإنّ Mann يمتلك الإمكانيات غير المعروفة للقصة التي تسهم في تقوية Bende. لكنّ Bende يمتلك عدد الحروف نفسها التي يمتلكها Kafka، فضلاً عن كون الحرف e يتكرّر فيه على نحو يشابه الموضع الذي يتكرر فيه حرف a في Kafka، كما أنّ عدد حروف Frieda مطابقة لعدد حروف

F (elice)، إضافة إلى تشابه الحرف الأوّل في الاسمين، أما Brandenfeld فيتشابه مع (Bauer) في وجود الباء في الاسمين، إضافة إلى وجود رابطة ما في المعنى تعطيها كلمة Feld[90]. وربّما لم يمرّ التفكير ببرلين من دون أن يترك تأثيراً ما، كما كان للتفكير بمارك براندن بيرغ Mark Brandenburg[91] بعض التأثير على الأرجح.

الثاني عشر من شباط:

فكرّت كثيراً في أثناء الوصف الخاص بالصديق في الغربة بشتوير Steuer، وعندما قدّر لي أن ألتقيه بعد ثلاثة شهور من كتابة القصة، أخبرني أنه قد خطب منذ ثلاثة شهور تقريباً. وعندما قرأت القصة عند فيلتش خرج الرجل المسنّ فيلتش هنيهة، ثم عاد ليثني بوجه خاص على التصوير المحسوس للقصة، وقال وهو يمدّ يده: «إنني أرى هذا الأب أمامي». وكان ينظر طيلة الوقت إلى الكرسي الفارغ الذي كان يجلس عليه بينما كنت أقرأ.

قالت أختي: «إنّه منزلنا». دهشت كيف أساءت فهم المكان، ثم قالت: «في تلك الحالة كان يتوجب على الأب أن يعيش في المرحاض».

الثامن والعشرون من شباط:

وصل أرنست ليمان إلى إستانبول في رحلة عمل، ذات صباح خريفيّ ماطر، وكان من عادته – وكانت تلك هي رحلته العاشرة إلى المدينة – من دون الاهتمام بأي شيء آخر أن يسافر عبر الشوارع الفارغة في العادة نحو الفندق الذي وجده مناسباً، والذي اعتاد أن ينزل فيه. كان الجو بارداً تقريباً، وكان الرذاذ يتساقط داخل العربة، ونظراً لانزعاجه من الطقس الرديء الذي ظلّ يلاحقه على امتداد رحلات العمل الخاصة به طيلة العام، رفع نافذة العربة إلى النهاية، واتكأ

(90) يعني كافكا هنا العلاقة بين كلمة Bauer التي تعني فلاّح وكلمة Feld التي تعني حقل.

(91) هي منطقة تقع اليوم في شرق ألمانيا وفي غربيّ بولندا، وكانت جزءاً من الإمبراطورية الرومانية المقدسة، وقد كان لها أثر مهم في التاريخ الألماني، وفي تاريخ وسط أوروبا.

في إحدى الزوايا لينام مدّة ربع الساعة التي يتوجّب عليه أن يسافر في أثنائها. ومنذ أن اتجه الحوذيّ به صوب المنطقة التجارية، لم يكن قادراً على أن يستريح؛ فنداءات بائعي الشوارع ودوران العربات الثقيلة فضلاً عن الضوضاء الأخرى التي بدت سطحية بلا معنى كتصفيق الحشود أزعجت نومه العميق.

في نهاية السفر كان ثمة مفاجأة غير سارّة بانتظاره؛ ففي في أثناء الحريق الضخم الذي وقع في إستانبول والذي كان ليمان قد قرأ عنه في أثناء رحلته كان فندق كنج ستون الذي اعتاد النزول فيه، قد احترق على نحو شبه كلّي. أمّا الحوذي الذي كان يعرف هذا الأمر بطبيعة الحال فقد نفّذ أوامره على الرغم من ذلك، بلون من اللامبالاة المطلقة، وساق به إلى موقع الفندق المحترق من غير أن ينبس ببنت شفة.

نزل الحوذي بعد ذلك من العربة، وأفرغ أمتعة ليمان. ولو لم يمسك الأخير به من كتفه وهزّه لما ترك الأمتعة. لكنه فعل ذلك ببطء ونُعاس، كما لو أنّ ليمان لم يحل بينه وبين ذلك؛ بل لأنّ إرادته هي التي صرفته عن ذلك. كان جزء من الطابق الأرضي للفندق ما يزال سليماً، وقد صار بوساطة ألواح خشبية، وضعت في القمة وعلى الجوانب، صالحاً للسكن. وكانت ثمة لافتة بالتركية والفرنسية تشير إلى أنّه سيعاد في مدّة وجيزة بناء الفندق على نحو أكثر جمالاً وحداثة من الماضي. وعلى الرغم من تلك اللافتة فإن الإشارة اليتيمة التي تدل على العمل هو وجود ثلاثة عمال مياومة بالمجارف والفؤوس، يكوّمون الأنقاض جانباً، ويحملونها في عربة نقل يدوية.

وكما يبدو فإنّ جزءاً من موظفّي الفندق الذين تحوّلوا جرّاء الحريق إلى عاطلين عن العمل كانوا يسكنون في تلك الأنقاض. وعندما توقفّت عربة ليمان هرول في الحال نحوها رجل محترم، يرتدي سترة رجالية سوداء تصل إلى الركبتين، وربطة عنق حمراء قانية، فحكى لليمان، الذي استمع إليه وأمارات الانزعاج بادية عليه قصة الحريق. وكان الرجل يلّف نهايات لحيته الدقيقة، الطويلة على أطراف إصبعه، ثم يتوقف ليُري ليمان، أين بدأ الحريق وكيف اتسّع، وكيف انهار كل شيء في النهاية. أما ليمان الذي لم يكد يرفع عينيه عن الأرض في أثناء الحكاية

من أولها إلى آخرها، ولم يدع مقبض باب العربة يفلت من يده؛ فقد كان على وشك أن يذكر للحوذي اسم فندق آخر ليوصله إليه، عندما ناشده الرجل الذي يرتدي سترة رجالية سوداء تصل إلى الركبتين بذراعه الممدودة، ألا يذهب إلى فندق آخر وأن يبقى مخلصاً لهذا الفندق الذي ظل مرتاحاً فيه دائماً. وعلى الرغم من كون هذا اللون من الحديث كلاماً فارغاً، وأنّه ليس ثمة أحد يستطيع أن يتذكّر ليمان، كما أنّ ليمان نفسه لا يكاد يتذكر أحداً من العاملين في الفندق رجالاً كانوا أم نساءً من أولئك الذين لمحهم على الباب وعلى النوافذ؛ إلاّ أنه سأل بوصفه إنساناً يمتلك عادات لطيفة، عن الكيفية التي يمكن عبرها أن يظلّ مخلصاً لهذا الفندق. ثم علم– وكان يتوجب عليه أن يتسم طواعية للفكرة– أنّه قد أعدّت لضيوف الفندق السابقين وحدهم، غرف جميلة في بيوت خاصة. وما على ليمان إلا أن يأمر لينتقل إليها حالاً. وهي بيوت قريبة جداً، لذا فهو لن يضيّع المزيد من الوقت. أمّا الأسعار فمنخفضة من باب المجاملة؛ لأن المسألة هي تقديم بديل، على الرغم من كون الطعام فيها يُعّد حسب مواصفات فيينا، وربما أفضل. أما الخدمة فتتفوق على مثيلاتها في فندق كنج ستون التي كانت ناقصة من بعض المناحي.

«شكراً» قال ليمان وهو يصعد إلى العربة. «إنني سأمكث في استانبول خمسة أيام فقط، ولا أستطيع أن أتدبر أموري في هذا الوقت القصير، إذا سكنت في منزل خاص. لا. سأذهب إلى أحد الفنادق وعندما أعود في السنة القادمة، ويكون فندقكم قد أعيد بناؤه فسأنزل، بكل تأكيد، فيه – اعذرني!». وعندما حاول ليمان إغلاق باب العربة، أمسك ممثّل الفندق بالمقبض، وقال وهو يخاطب ليمان متوسلاً من دون أن يتوقف عن النظر إليه «يا سيّد».

«دعني أذهب!» صاح ليمان وهو يهزّ بابالعربة مصدراً أمره إلى الحوذي «إلى فندق رويال!». وسواء أكان الحوذي لم يستوعب ما قيل له، أم كان ينتظر إغلاق الباب، فقد ظلّ كالتمثال جالساً فوق صندوق عربته. لكنّ ممثّل الفندق لم يدع الباب، على أي حال؛ بل أشار إلى زميله بلهفة، كي يتحرك ويهبّ لمساعدته. وكان يأمل من فتاة بعينها أن تفعل الكثير، فأخذ ينادي «فيني! يا فيني! أين فيني؟». استدار الواقفون على النوافذ وعلى الباب إلى داخل المنزل، وصاروا ينادون بأصوات متداخلة، وكان بالوسع مشاهدتهم عبر النافذة يتراكضون، وكلّهم

يبحث عن فيني.

لقد كان بمستطاع ليمان بضربة واحدة أن يبعد الرجل الذي يمسك بالباب، ويحول بينه وبين السفر، والذي يبدو بوضوح أنّ الجوع وحده هو الذي منحه شجاعة التصّرف على تلك الشاكلة. وقد أدرك الرجل ذلك لذا لم يجرؤ على التحديق في ليمان. لكنّ ليمان كان يمتلك الكثير من التجارب المؤلمة، التي علّمته ضرورة أن يتجنّب المرء في الغربة حتى لو كان على حق كلّ ما يلفت الانتباه؛ لذا فقد نزل بهدوء من العربة ثانية غير عابئ في تلك اللحظة بالرجل الذي كان يمسك باب العربة بقبضة متشنّجة، متجهاً صوب الحوذي، مكرراً أمره له، مضيفاً بوضوح بأن عليه أن يبتعد سريعاً عن هذا المكان، ليتجه بعد ذلك صوب الرجل الواقف عند باب العربة، ليمسك يده بقبضة تبدو عاديّة في ظاهرها، لكنّها تضغط عليها سراً بقوة حتى المعصم، لدرجة أنّ الرجل كاد يقفز واضطر لإزالة يده عن مقبض الباب، وهو يصيح «فيني» وهو صياح كان يجمع بين الأمر وانفجار الألم.

«ستجيء حالا! ستجيء حالا!» جاءت الصيحات من جميع النوافذ، وكانت ثمّة فتاة ضحكوك، ما تزال تمسك بشعرها الذي فرغت للتو من تسريحه، تركض برأس نصف منحن من المنزل متجهة صوب العربة وهي تصيح» إلى العربة سريعاً إنّها تمطر. ثم أمسكت ليمان من كتفيه ووضعت وجهها قبالة وجهه وهي تهمس «أنا فيني» تاركة يديها تتحركان بلطف، على امتداد كتفيه. «إنهم لا يقصدون الإساءة لي» قال ليمان لنفسه مبتسماً للفتاة «مؤسف أنني لم أعد شاباً ولا أستطيع السماح لنفسي القيام بمغامرات خطيرة». ثم قال وهو يستدير صوب العربة: «لابدّ أنّ ثمة خطأ ما يا آنسة؛ فأنا لم أطلب منهم أن ينادوك، ولا أنوي السفر معك». ثم أردف وهو في داخل العربة: «لا تحاولي بذل مجهود آخر».

لكنّ فيني وضعت قدماً على سلّم العربة، وقالت وذراعاها تتقاطعان فوق صدرها: «لماذا لا تدعني أنصحك بمكان كي تنزل فيه؟». فقال ليمان مرهقاً من الإزعاج الذي وقع له وهو ينحني لها: «أرجو ألا تعيقيني أطول بأسئلة عديمة الفائدة! إنني ذاهب إلى الفندق وهذا يكفي. أنزلي قدمك عن سلّم العربة؛ وإلا تعرّضت للأذى امض، أيّها الحوذي!».

«توقّف!» صاحت الفتاة وهي تحاول على نحو جدّي أن تقفز إلى العربة. نهض ليمان وهو ينفض رأسه، كي يسّد الباب بقامته القصيرة. حاولت الفتاة دفعه جانباً مستخدمة الرأس والركبتين في ذلك، بدأت العربة بالاهتزاز فوق زنبركاتها التعيسة، ولم يكن لدى ليمان ما يتكئ عليه بحق. «لماذا لا تريد أن تأخذني معك؟» «لماذا لا تريد أن تأخذني معك؟» ظلت الفتاة تردّد من دون توقّف.

كان في إمكان ليمان بالتأكيد أن يدفع الفتاة القويّة جانباً من دون استخدام قوّة غير عادية، لو تصرف الرجل الذي يرتدي السترة الرجالية السوداء بهدوء، والذي بدا كأنّ فيني قد نابت عنه. لكنه عندما رآها تترّنح هرع بقفزة واحدة، محاولاً مساعدة فيني من الخلف ودفعها إلى العربة، مستخدماً قوّته كلّها ضدّ ليمان الذي كانت جهوده في الدفاع مقيّدة. وقد دفعها إحساسها بتراجعه لتشّق طريقها إلى العربة بالقوّة، فسحبت الباب الذي كانت عملية دفعه من الخارج تجري في الوقت نفسه، فبدت وكأنها تقول لذاتها: «حسن، الآن». عدّلت بلوزتها على عجل، ثم رتبت شعرها على نحو محكم. أمّا ليمان الذي تراجع في مقعده إلى الوراء، حيث كانت الفتاة تجلس قبالته فقد قال: «هذا ما لم يسمع به أحد».

الثاني من أيار:

لقد صار من الضروري جداً تدوين اليوميات ثانية. أفكاري المضطربة (ف) التدهور في المكتب، العجز الجسدي عن الكتابة والحاجة الداخلية لذلك.

تخرج فالّي Valli من بابنا وراء صهري الذي سيذهب غداً إلى شورتكوف Tschortkov[92] للتمرّن على السلاح، غريب ما هو مضمر، بعد مرحلة الاعتراف بالزواج بوصفه مؤسسة يرتضيها الإنسان حتى الثمالة.

حكاية بنت البستاني التي قطعت عملي يوم أمس الأول؛ فأنا الذي أسعى من خلال العمل

(92) مدينة تقع في غرب أوكرانيا.

لعلاج الضعف في أعصابي، توجّب عليّ أن أسمع أنّ شقيق هذه الفتاة ويدعى يان، وهو البستاني الفعلي وخليفة دفورسكي العجوز؛ بل هو مالك حديقة الزهور، تناول السمّ قبل شهرين، وهو في الثامنة والعشرين من عمره بسبب الاكتئاب. شعر في أثناء الصيف بالتحسن النسبي على الرغم من طبيعته الميّالة للعزلة، لأنه كان يتوجبّ عليه الاتصال مع الزبائن. أما في الشتاء فكان منغلقاً تماماً. كانت حبيبته موظفة[93] وهي تعاني الاكتئاب مثله. وكانا يكثران من زيارة المقبرة معاً.

ميناسي العملاق في تصوّر الإيديش. شيء سحري تستولي حركاته التي تتوافق مع أنغام الموسيقى عليّ. لقد نسيت ذلك.

ضحكي الغبي عندما أخبرت أمي اليوم أنني سأسافر في عيد العنصرة إلى برلين* «لماذا تضحك؟» قالت أمي (بين عدة ملاحظات أخرى من بينها)، «تفحّص قبل أن ترتبط إلى الأبد»، وقد رددتها كلها مع ملاحظات مثل «إنها لا شيء» ...إلخ. «نظراً للحَرَج». قلت، وكنت سعيداً أن أقول الصدق في هذه المسألة لمرة واحدة.

التقيت أمس مع (ب*)، هدوؤها ورضاها، بساطتها ووضوحها، على الرغم من أنها تحولت في السنتين الأخيرتين تماماً إلى امرأة عجوز، سمنتها – التي كانت حتى ذلك الوقت عبئاً عليها– لدرجة أنها كانت على وشك أن تبلغ نهاية السمنة المرتبطة بالعتم، مشيها صار لوناً من التدحرج، أو لوناً من الانزلاق يدفع البطن، أو يحمله نحو الأمام على الأصح، وعلى ذقنها – عندما تنظر إليه على نحو خاطف – شعيرات متجعّدة تنتمي إلى زغب قديم.

الثالث من أيار:

الحيرة المرعبة لوجودي الداخلي.

كيف حللت أزرار صدريتي لأُري السيد (ب) ما عندي من طفح جلدي؟ كيف أشرت له

(93) يستخدم كافكا كلمة تشيكية هي Urednice.

إلى الغرفة الجانبيّة؟.

ضرب الزوج من الخلف بعمود خشبي، لا يدري أحد من أين جاء. طُرح أرضاً وطُعن، شكا وهو متمدّد على الأرض برأس مرفوع وأذرع ممدودة، استطاع بعدها أن ينهض وهو يرتعش للحظة. ولم يكن يستطيع أن يحكي إلا عن الكيفية التي ضرب بها، مشيراً على نحو تقديري إلى الاتجاه الذي جاء العمود الخشبي في رأيه منه. كان تكرار الحكاية نفسها مرهقاً حتى للزوجة، ولا سيما أن الزوج ظلّ يشير إلى الاتجاه الآخر.

الرابع من أيار:

أتخيّل دائماً سكيّناً عريضة لجزار خنازير، تدخل فيّ من الجنب على نحو سريع وبانتظام، وتقطعّني على شكل شرائح رقيقة جداً غالباً ما تتطاير مثل معجون الحلاقة جرّاء سرعة العمل.

ذات صباح باكر، والشوارع ما تزال فارغة بطولها وعرضها؛ فتح رجل عاري القدمين يرتدي لباس النوم وبنطالاً بوابة مبنى كبير في الشارع الرئيسي.

أمسك بدفّتي الباب بقوة، وتنفس بعمق وقال: «أيها البؤس، أيّها البؤس اللعين»، ونظر بهدوء ظاهري على امتداد الشارع، ثم حدق بعد ذلك نحو بيوت بعينها.

يأس من هذا الاتجاه أيضاً. لا قبول في أي مكان.

الرابع والعشرون من أيار:

التمشي مع بك Pick.

الغرور، نظراً لأنني أعّد «المُوقد» [(94) عملاً] جيداً جداً، قرأت ذلك في المساء لوالديّ، ليس ثمة ناقد أفضل مني عندما أقرأ أمام أبي الذي يستمع بالحدّ الأعلى من درجات النفور.

(94) هي قصة طويلة Der Heizer ظهرت للمرة الأولى عام 1913 في إطار سلسلة كانت تصدرها دار نشر كورت فولف. وهي تشكل الفصل الأول من رواية «المفقود» أو «أمريكا» كما سماها ماكس برود.

فقرات ضحلة كثيرة تتلوها أعماق لا تُدرك.

الخامس من حزيران:

الفوائد الداخلية التي تستمدها الأعمال الأدبية المتوسطة المستوى تتمثل في كون مؤلفيها ما يزالون على قيد الحياة، ويقفون خلفها. الإحساس الحقيقي للتقدّم بالسّن.

لوفي، قصة عن عبور الحدود.

الحادي والعشرون من حزيران:

الخوف الذي أراه يحيط بي من الجوانب كلّها. الفحص عند الطبيب. الطريقة التي يضغط بها عليّ، إنّني أبدو متأهبّاً على نحو متكلّف، وهو يجعل حديثه الفارغ في داخلي، محتقراً ومرفوضاً.

هذا العالم الكبير الذي أحمله في رأسي، لكن كيف أحرّر نفسي وأحرره من دون أن أمزّقه، وأنا أُفضّل أن أمزّقه ألف مرّة، بدلاً من أستبقيه فيّ أو أن أدفنه. لهذا أنا موجود هنا، وهو أمر واضح تماماً بالنسبة لي. قرع رجل ضخم في الخامسة من صباح يوم ربيعي بارد يرتدي معطفاً يصل إلى قدميه، بقبضته باب كوخ صغير، يقف على تلة صغيرة جرداء. وبعد كلّ ضربة كان يصيخ السمع. وكان الصمت يسود الكوخ.

الأوّل من تموز:

الرغبة في عزلة تخلو من التفكير، أكون فيها وجهاً لوجه مع نفسي. لعلّي أستطيع تحقيقها في ريفا Riva.

يوم أمس الأول بصحبة فايس*. Weiss (Ernst) مؤلف [رواية] Die Galeere [سفينة حربية ذات مجاديف]، وهو طبيب يهودي، أقرب ما يكون إلى النمط اليهودي الأوروبي الغربي، الذي

يشعر المرء بالقرب منه في الحال.

المزايا الهائلة للمسيحيين الذين يتبادلون على نحو دائم المشاعر الحميمة، ويستمتعون بذلك، مثال ذلك مسيحي تشيكي بين المسيحيين التشيك*.

الزوجان في رحلة شهر العسل، غادرا فندق دي ساكس. بعد الظهر: إلقاء البطاقة في صندوق البريد. زيٌّ مجعّد، خطوة بطيئة، فترة ما بعد الظهر بمزاجها الكئيب وجوه فاقدة للملامح المميزّة لها عند النظرة الأولى.

صورة احتفال الذكرى المئوية الثالثة لرومانو Romanov[95] – في ياروسلافي على الڤولجا. القيصر، الأميرات المنزعجات الواقفات تحت أشعة الشمس، باستثناء واحدة ناعمة، متقدّمة في العمر كسولة، تتكئ على مظلتها التي تقيها حرّ الشمس، وتنظر على نحو مستقيم. وليّ العهد على ذراع القوقازي الضخم الحاسر الرأس. في الصورة الأخرى رجال مرّوا منذ زمن طويل، يؤدّون التحية العسكرية عن بعد. صورة المليونير في الفيلم السينمائي «عبيد الذهب» أسرته. الهدوء، الحركة البطيئة العارفة بهدفها، القادرة على الإسراع عند الضرورة، ارتعاشة الذراع غنى دلال، هدهدة كي ينام؛ لكنه ينتفض مثل خادم ويفتش الغرفة الواقعة في حافة الغابة التي حبس فيها.

الثاني من تموز:

نشيج بسبب تقرير محاكمة ماريا أبراهام، وهي امرأة في سن الثالثة والعشرين، أقدمت بسبب الفاقة والجوع على خنق طفلتها باربارا، التي لم تكد تبلغ تسعة أشهر، مستخدمة ربطة عنق رجالية استعملتها كرباط. قصة روتينية تماماً.

بفضل النار التي في غرفة الاستحمام استطعت أن أرسم لشقيقتي صورة هزلية سينمائية. لماذا لا أستطيع أن أفعل ذلك بحضور الغرباء على الإطلاق؟.

(95) عائلة رومانوف هي إحدى السلالات القيصرية التي حكمت روسيا من 1613–1761.

إنني لن أقدم على الزواج من فتاة عشت معها في مدينة واحدة مدة سنة.

الثالث من تموز:

توسّع الوجود وتساميه عبر الزواج، خطبة مملّة، لكنني أحسست بها تقريباً.

عندما أقول شيئاً فإن هذا الشيء يفقد في الحال وعلى نحو نهائي أهميّته، أما عندما أكتبه فإنني كذلك أفقده، لكنني أكتسب في بعض الأحيان أهمية جديدة.

عقد من الكرات الذهبية الصغيرة حول عنق اسمرّ نتيجة للتعرض للشمس.

التاسع عشر من تموز:

خرج من أحد البيوت أربعة رجال مسلّحين؛ كل واحد منهم يحمل رمحاً منتصباً، يدير واحد منهم وجهه بين الحين والآخر إلى الوراء ليرى إن كان قد قدم هؤلاء الذي من أجله يقفون ها هنا. كان الوقت مبكراً جداً. وكان الشارع فارغاً تماماً. ما الذي تريدونه؟ تعالوا! لا نريد شيئاً. دعنا!.

كلّ المجهود الداخلي لأجل هذا! لذا تصدح الموسيقى القادمة من المقهى، على هذه الشاكلة في الأذن؟ رمي الحجارة بسبب الذي تحدثت عنها إلزا ب. يصبح قابلاً للرؤية.

امرأة جالسة مع مغزلها. رجل يقتحم الباب بسيفه القابع في غمده (وهو يحمل السيف بارتخاء).

رجل: لقد كان هنا.

امرأة: من ؟ ماذا تريد؟

رجل: لصّ الحصان. إنه يختفي هنا. لا تكذبي! (يلوّح بالسيف).

امرأة: (ترفع المغزل لتحمي نفسها): لا أحد كان هنا. دعني!.

العشرون من تموز:

في الأسفل على شاطئ النهر ثمة بضعة سفن. أمّا الصيادّون فقد ألقوا شباكهم، لقد كان يوماً كئيباً. كانت سيقان بعض الشباب التي تتقاطع تتكئ على سور حوض السفن.

عندما غادروها للاحتفال ورفعوا أقداح الشمبانيا عالياً كان الوقت فجراً. رافقها الوالدان وبعض ضيوف حفل الزفاف إلى العربة.

الحادي والعشرون من تموز:

لا تيأس حتى من حقيقة كونك لا تيأس؛ فعندما يبدو أن كلّ شيء قد انتهى. تتقدّم طاقات جديدة، وهذا يعني أنك ما تزال على قيد الحياة. فإذا لم تأت فهذا يشير إلى أنّ كل شيء قد انتهى على نحو نهائي.

إنّني لا أستطيع أن أنام، لا نوم. اخترعت اليوم في حلمي نوعاً جديداً من وسائل المواصلات خاصاً بالحدائق المنحدرة، يمسك المرء فرعاً من غير أن يكون هذا الفرع قوياً جداً بالضرورة، ويضعه مقابل الأرض على نحو مائل ويمسك أحد أطرافه بيده، ثم يجلس بقدر ما يستطيع من الهدوء على نحو جانبي، أي يجعل رجليه على جانب واحد، بعدها يسرع الفرع كلّه بطبيعة الحال نحو المنحدر. ونظراً لأنّ المرء يجلس فوق الفرع فإنه سيحمله على امتداد المسافة بالسرعة القصوى، وسيهتّز بارتياح فوق الخشب المطاطي. وثمة احتمال آخر يتمثّل في استخدام الفرع للصعود. لكنّ الفائدة الرئيسة– بصرف النظر عن بساطة التجهيزات– تكمن في كون الفرع رقيقاً ومرناً وقابلاً للرفع والخفض حسب الحاجة، وقادراً على اختراق أي مكان، حيث يصعب على الشخص الواحد أن يمرّ.

لكي يسحب حبل ربط حول رقبة من خلال نافذة طابق أرضي، حيث تترك هذه العملية الدم والمزق فوق جميع سقوف الغرف والأثاث والجدران والغرف العلوية، من دون أيّ سبب، وكأنها تحدث لإنسان لا يُعير أيّ انتباه، حتى تظهر الأنشوطة الفارغة التي أضاعتها بقاياي

عندما انهار القرميد.

طرائق خاصة للتفكير تتخلّلها المشاعر. كل شيء يشعر بأنه يمكن أن يكون فكرة، حتى المشاعر الأكثر إبهاماً [دستويفسكي].

هذا الثقل في الأعماق. عتلة صغيرة تتحرك إلى الأمام على نحو سرّي في مكان ما. لا يكاد المرء يعي ذلك في البداية، ثم يغدو الجهاز كلّه مشمولاً بالحركة. الخضوع لقوة غير ملموسة، كما تخضع الساعة للوقت، صرير هنا وهناك، ثم تتقطّع السلاسل، كما وصفنا سابقاً، واحدة تلو الأخرى.

خلاصة الحجج التي تقف مع زواجي، وتعارضه:

1– عدم العجز عن تحمّل الحياة وحيداً، الذي لا يدلّ على عدم القابلية للحياة؛ بل على العكس؛ فمن غير المحتمل أنني أفهم كيف يعيش المرء مع إنسان آخر، لكنني عاجز عن تحمُّل الهجوم على حياتي الخاصّة، وطلباتي الشخصية، وهجمات الزمن، والشيخوخة، والضغط المبهم للرغبة في الكتابة، والأرق، والقرب من الجنون. إنني لا أستطيع احتمال ذلك وحدي. ولعلّي أضيف ها هنا شيئاً وهو أن الصلة بيني وبين (ف)[96] ستعطي وجودي، وبطبيعة الحال القدرة على المقاومة.

2– كل شيء يمنحني في الحال مهلة للتفكير. كلّ نكتة في صفحة النكّات تذكُّر كلّ من فلوبير Flaubert وغرل بارتسر Grill parzer رؤية ملابس النوم على سرير والديّ المعدّ للنوم. زواج ماكس. بالأمس قالت لي شقيقتي: «إنّ كل المتزوجين (من معارفنا) سعداء. إنني لا أفهم ذلك». وقد حملتني هذه الملاحظة على التفكير، وصرت من جديد خائفاً.

3– يتوجّب عليّ أن أكون وحيداً بكثرة؛ فما أنجزته يتمثّل في نجاحي أن أكون وحيداً.

4– أنا أكره كلّ ما لا علاقة له بالأدب. وتجعلني الحوارات (ولاسيما تلك التي لا علاقة لها بالأدب) أصاب بالملل، مثلما يضجرني قيامي بزيارات، كما تبعث الملل في أعماق

(96) اختصار لاسم فيلسي باور.

روحي آلام أقربائي وسعادتهم. أمّا الحوارات فلها كلّ الأهميّة والجديّة والصدق في كلّ ما أفكرّ فيه.

5– الخوف من الاتصّال الذي يقودني إلى الهرولة نحو الآخرين، وعندها لن أكون وحدي على الإطلاق.

6– لقد كنت في علاقتي مع شقيقاتي– ولاسيما في الماضي– إنساناً يختلف تماماً عن علاقته ببقية الناس. الجرأة، القوة، المفاجأة، كما هو واقع الحال في أثناء الكتابة. فإذا استطعت من خلال زوجتي أن أكون كذلك أمام الجميع؛ فإن هذا الأمر لن يكون على حساب الكتابة. أمّا هذا فلا! أمّا هذا فلا!.

7– إنني أستطيع أن أتخلّى وحدي ذات يوم عن عملي. أما التخلّي عن الزواج فلن يكون ممكناً.

كان في صفّنا يوم كنّا في الصّف الخامس في ثانوية أمالين Amalien فتى يدعى فريدرش غوس، وكنا جميعاً نكرهه، وعندما كنّا نأتي إلى غرفة الدرس مبكرّين. ونراه في مقعده قريباً من الفرن، لم نكن نستوعب كيف يستطيع أن يجرّ نفسه للمدرسة من جديد، لكنني لا أروى الحقيقة؛ فنحن لم نكن نكرهه وحده، لقد كنا نكره الجميع. فقد كنا اتحاداً فظيعاً. وعندما جاء ذات مرّة المفتش التعليمي للمنطقة ليحضر أحد الدروس– وكان درساً في الجغرافيا وشرع المعلّم يصف وعيناه مثل كلّ معلمينا تتجّه نحو السّبورة أو النافذة، شبه جزيرة موريا ... [انقطاع].

كان ذلك في بداية اليوم الأول من المدرسة، وكان المساء يقترب، وكان أساتذة الثانوية العليا ما يزالون جالسين في قاعة الاجتماعات يدرسون قوائم الطلبة، ويهيئون الكتب المدرسية الجديدة، ويتحدثون عن رحلات عطلتهم.

أنا المخلوق البائس!

لا تضرب إلا الحصان بالسوط على نحو منظم! أدخل المهمازات ببطء، ثم اسحبها دفعة

واحدة، وبعد ذلك دعها تنغرز في اللحم بكلّ قوّة.

أيّ بؤس هذا!

هل كنّا مجانين ؟ لقد مررنا خلال المتنزّه ليلاً ونحن نضرب الأغصان.

لقد أبحرت باستخدام قارب إلى خليج طبيعي صغير.

اعتدت عندما كنت في المدرسة الثانوية أن أزور رجلاً يدعى يوسف ماك، وهو صديق لأبي المتوفى. وعندما تخرجت من المدرسة الثانوية ... [انقطاع].

لقد اعتاد هوغو زايفرت عندما كان في المدرسة الثانوية أن يزور رجلاً يدعى يوسف كيمان، وهو عازب متقدّم في السّن، كان صديقاً لوالده المتوفّى. توقفت الزيارة فجأة عندما تلقى هوغو عرضاً لوظيفة من الخارج، وقبلها في الحال، وغادر بلدته بضع سنوات. وعندما عاد كان ينوي أن يزور الرجل العجوز؛ لكنه لم يجد الفرصة لذلك، فربما لم تكن مثل هذه الزيارة تتناسب ورؤيته التي تغيرت. وعلى الرغم من أنه مرّ كثيراً بالشارع الذي يسكن فيه كيمان، وشاهده غير مرة وهو يتكئ على النافذة، وربّما لوحظ من قبله؛ فقد أهمل الزيارة.

لاشيء. لا شيء. لا شيء. ضعف. انتحار. جذوة لهب الجحيم تثقب الأرض.

الثالث والعشرون من تمّوز:

مع فيلكس في روشتوك[97] تصاعد الحياة الجنسية للنساء، طبيعتهن غير الصافية. الغزل الذي لا معنى له في نظري مع الصغيرة لينشن. منظر امرأة سمينة وهي تنحني فوق كرسي خيزران، وتدفع إحدى قدميها إلى الوراء على نحو لافت. كانت تخيط شيئاً، وتتحدّث مع امرأة عجوز، ربما كانت عانساً متقدّمة في السن، وقد ظهر طقم أسنانها ببروز من جهة فمها. حيوية المرأة الحبلى وحكمتها. عجيزتها بسطحها الأملس المقسمة بانتظام، الحياة فوق شرفة صغيرة. على هذه الشاكلة احتضنت البنت الصغيرة ببرود، ولم أكن حزيناً على الإطلاق جرّاء تلك البرودة.

(97) هي المدينة الكبرى في شمال ألمانيا.

كم هو طفولي أن تُراقب السمكري من خلال باب دكانّه المفتوح، وهو جالس يعمل مستمر بالضرب بمطرقته.

«تاريخ الشيطان» Geschichte des Tenfelssi[98] لروسكوف Roskoff. الذي يعدّه سكان الشاطئ الكاريبي اليوم خالق العالم.

الثالث عشر من آب:

ربما يكون كلّ شيء قد انتهى الآن، وتكون رسالتي التي كتبتها يوم أمس هي الأخيرة، سيكون ذلك هو الأفضل. وما سأعانيه ستعانيه، وهذا لا يُقارن بالمعاناة المشتركة التي ستنتج. سأنسحب تدريجياً وهي ستتزوج. ذلك هو المخرج الوحيد للأحياء. نحن لا نستطيع أن نشق معاً طريقاً واحداً إلى الصخرة؛ فيكفي أننا بكينا وعذّبنا أنفسنا مدة سنة. وهي ستدرك ذلك من رسالتي الأخيرة، فإذا لم تفعل فإنني سأتزّوجها بالتأكيد. لأنني أضعف من أن أقاوم رأيها حول سعادتنا المشتركة، وأعجز من ألا أحقق ما تعدّه ممكناً، طالما كان ذلك في مقدوري.

مساء أمس: منظر رائع تحت النجوم.

الرابع عشر من آب:

وقع النقيض، ووصلت ثلاث رسائل، أما الرسالة الأخيرة فلم أستطع مقاومتها، إنني أحبّها بكل ما أستطيع من قوّة، لكنّ الحبّ مدفون حدّ الاختناق تحت الخوف وتأنيب الذات.

استخلاصات لحالتي من قصة «الحكم»، أنا مدين للقصّة على نحو غير مباشر، لكنّ غيورغ ينهار بسبب خطيبته.

الاتصال الجنسي بوصفه عقوبة لسعادة العيش المشترك، العيش كالزّهاد بقدر الإمكان، فأكون أكثر زهداً من عازب تلك هي الطريق الممكنة الوحيدة لتحمّل الزواج، وماذا عنها ؟.

(98) الكتاب لـ ج. روسكوف ويقع في جزأين وقد صدرت الطبعة الأولى منه عام 1869.

وعلى الرغم من كلّ شيء فسنكون أنا و(ف) متساويين في الحقوق تماماً، إذا كنا نمتلك الفرص والإمكانيات ذاتها. إنّني لن أتزوّج، لكنّ هذا الطريق المسدود الذي دفعت فيه مصيرها ببطء صار أمراً لا محيص عنه، إن لم يكن واجباً مستحيل التجنّب بالنسبة لي. إنّ ثمة قانوناً سرّياً للعلاقات الإنسانية يسري ها هنا.

إنّ لديّ صعوبة كبرى في كتابة رسائل إلى والديها، وهذا يعود على وجه الخصوص إلى أن المسوّدة التي قد كتبت في ظلّ ظروف غير مناسبة، ظلّت ترفض التغيير لمدة طويلة. أما اليوم فقد كدت أنجح على الأقل في غياب مزاعم فيها، ومع ذلك فما يزال ثمة إمكانية أن يقرأ والداها الرسالة ويستوعبانها.

الخامس عشر من آب:

آلام في السرير قبيل الصباح. كنت أرى الحلّ الوحيد في القفز من النافذة. اقتربت أميّ من السرير وسألت إذا ما كنت قد أرسلت الرسالة، وإذا كان ما فيها هو النصّ القديم؛ فأجبت بأنّه النصّ القديم؛ لكنه أكثر حدّة. فقالت بأنها لا تفهمني. فأجبت، بأنّها لا تفهمني على أي حال، وفي هذه المسألة على وجه الخصوص. سألتني لاحقاً إذا كنت سأكتب إلى العمّ ألفريد فهو جدير بأن أكتب له. فتساءلت عن سر استحقاقه ذلك، [قالت] لقد أرسل برقية، وكتب، إنّه يتمنّى لك الخير. «هذه ببساطة شكليات». قلت. «إنّه غريب تماماً بالنسبة لي، إنّه يسيء فهمي كلّياً. ولا يعرف ماذا أحتاج. لا علاقة لي به على الإطلاق. «لذا لا أحد يفهمك» قالت أمي «إنني أفترض أنني غريبة بالنسبة لك، وأبوك كذلك. ونحن جميعاً لا نريد لك إلا السوء».

«بالتأكيد. إنكم جميعاً غرباء بالنسبة لي، ولا تربطنا سوى علاقة الدم، وهي لا تكفي للتعبير عن العلاقة؛ لكنكم لا تريدون لي السوء بطبيعة الحال. من خلال هذا الموقف وبعض الملاحظات الذاتية الأخرى وصلت إلى الاعتقاد أنّ إمكانيات الاقتناع والتصميم الكامنة فيّ والآخذة بالنّمو لا تمكننّا من النجاح في اختبار الزواج فحسب؛ بل في السير به نحو وجهة مفيدة

لتطورّي. هذا لون من الاعتقاد على كلّ حال أتمسّك به عندما أكون على حافة النافذة.

إنني سأعزل ذاتي عن الجميع إلى حدّ فقدان الوعي. وسأعادي الجميع، ولن أتكلّم مع أحد.

الرجل ذو العينين المظلمتين الصارمتين الذي كان يحمل كومة من المعاطف القديمة فوق كتفه.

(ليوبولد. س) رجل قويّ طويل، حركات خرقاء ممطوطة خائرة. ملابس كاروهات بيضاء- سوداء، مجعدّة. يدخل الباب بعجلة متجهاً يميناً إلى الغرفة الكبيرة، يصفّق بيديه ويصيح: فيليس! فيليس! [من دون أن ينتظر لحظة ليرى نجاح ندائه، يسرع إلى الباب المتوسّط الذي يفتحه لينادي من جديد فيليس].

فيليس: [تدخل من الباب الأيسر، تتوقفّ عند الباب، امرأة في الأربعين، في لباس المطبخ]: إنني هنا يا ليو؛ لقد أصبحت عصبيّاً مؤخراً. ماذا تريد؟

ليوبولد: [يستدير مع اهتزازة، ثم يتوقفّ ويعض شفتيه]. حسناً تعالي إلى هنا. [يتقدم نحو الأريكة].

فيليس [لا تتحرك]: بسرعة! ماذا تريد ؟ علي الذهاب إلى المطبخ.

ليوبولد: [من فوق الأريكة]: دعي المطبخ! تعالي إلى هنا؛ أريد أن أقول لك أمراً مهّماً. إن المطبخ لن يرحل. تعالي!.

فيليس: [تتجّه نحوه ببطء، ترفع حمّالات لباس المطبخ إلى الأعلى]. حسناً، ما هو ذلك الأمر الشديد الأهمّية؟ إن كنت تسخر منّي فسأكون غاضبة بكل تأكيد. [تتوقف أمامه].

ليوبولد: حسناً، أرجو أن تجلسي!

فيليس: وماذا لو أنني لم أفعل؟

ليوبولد: عندها، لن أتمكّن من إخبارك. ينبغي أن تكوني على مقربة مني.

فيليس: حسناً سأجلس الآن.

الحادي والعشرون من آب:

وصلني اليوم كتاب كيركجارد Kierkegaard[99] «كتاب القاضي» Buch des Richters. وكما ظننت فإنّ حالته– على الرغم من الاختلافات الجوهرية– مشابهة لحالتي؛ إنّه موجود على الأقّل في الجانب نفسه من العالم. إنّه يؤيّدني كصديق. كتبت الرسالة التالية إلى أبيها، وسأرسلها غداً، إن امتلكت القوة: «إنّك تتّردد في الاستجابة إلى طلبي، وهو أمر مفهوم تماماً. فكلّ أب سيفعل الشيء ذاته نحو كلّ متقدّم. ولم يكن تردّدك سبباً في كتابة هذه الرسالة؛ بل؛ بل إنّه زاد من أملي على الأرجح في تقدير هادئ لها.لقد كتبت هذه الرسالة لأنني أخشى أن يكون لترددك أو لتريثّك أسباب عامة أخرى، تنطلق بالضرورة من الفقرة الوحيدة في رسالتي الأولى التي استطاعت أن تكشف سرّي. إنّها تلك الفقرة التي تدور حول ما أعانيه من عناء في وظيفتي.

ربما تقفز عن هذه الكلمة؛ لكنّ عليك ألا تفعل. إنّه يتوجب عليك بالأحرى أن تستفسر بدقة تامة. وفي هذه الحالة يتوجّب عليّ أن أجيبك بدقة واختصار على النحو التالي: إنّ وظيفتي لا تطاق لأنها تتعارض مع الأدب، وهو طموحي الوحيد ومهنتي الوحيدة. إنني لا شيء سوى أدب، ولا أستطيع أن أكون غير ذلك ولا أرغب في ذلك أيضاً. لذا؛ لذا فإنّ وظيفتي لن تتمكن من امتلاكي؛ لكنها قد تستطيع تحطيمي، وأنا لست بعيداً عن هذا الأمر. فالحالات العصبيّة من النوع الأسوأ، تسيطر علي من دون توقّف. وقد كشف هذا العام بما انطوى عليه من قلق وعذابات بسببي وبسبب مستقبل ابنتك عن عدم قابليتي الكاملة للمقاومة. إنّك تستطيع أن تتساءل لماذا لا أتخلّى عن تلك الوظيفة، وأحاول– وأنا الذي لا يمتلك ثروة– دعم مكانتي الأدبيّة. إنني لا أمتلك ردّاً على ذلك سوى الإجابة البائسة: إنني لا أمتلك القوّة لتنفيذ ذلك. وبقدر ما أستطيع أن أرى فإنّني سأتحطم بسبب هذه الوظيفة، وسيكون تحطمّي سريعاً. والآن تقارنني بابنتك، هذه الفتاة المعافاة المرحة الطبيعيّة القوّية. وكما اعتدت أن أكرّر على مسامعها كثيراً، في ما يقرب من خمسمئة رسالة حاولت هي كثيراً أن تقول: «لا. أهدأ؛ إنّ يقينك هذا

(99) هو الفيلسوف الدينماركي الوجودي الشهير (1813–1855) والكتاب هو يوميات ذلك الفيلسوف.

لا يرتكز على أسس مقنعة». لكنّه يبقى صحيحاً أنّها لن تكون سعيدة معي بقدر ما أستطيع أن أرى. فأنا إنسان مغلق وصموت وغير اجتماعي ومتبرم، وهذا لا يرجع إلى ظروفي الخارجية بقدر ما يعود إلى جوهري الفعلي، ومن غير أن اسمّي ذلك سوء حظ؛ فإنّ ذلك هو انعكاس لهدفي. هناك بعض الاستنتاجات التي يمكن أن تتبلور من طبيعة الحياة التي أحياها في المنزل. إنّني أعيش بين عائلتي مع أفضل الناس وأكثرهم وداعة غريباً أكثر من غريب. فأنا لم أتحدّث مع أمّي في السنوات الأخيرة ما يزيد معدّله على عشرين كلمة في اليوم، أما مع أبي فلا نكاد نتبادل سوى التحية. أما مع أختي المتزوجة وزوجها فلا أتبادل الحديث معهما على الإطلاق من دون أن أكون غاضباً منهما. ويعود السبب في ذلك ببساطة إلى أنه ليس هناك على أدنى المستويات موضوعات للحديث بيني وبينهم. فكلّ ما سوى الأدب يبعث فيّ الملل وأنا أكرهه لأنه يزعجني أو يؤخرّني، حتى لو كان ذلك مجرّد وهم. إنّني أفتقر إلى أيّ لون من الإدراك في الحياة العائلية، غير كوني مراقباً، فليس لديّ مشاعر رابطة القرابة. و في أثناء الزيارات أشعر أنني أكاد أهاجم بخبث. إنّ الزواج لا يستطيع أن يغيّرني كما لم تستطع وظيفتي أن تغيّرني».

الثلاثون من آب:

أين سأجد الإنقاذ ؟ كم من المزاعم لم أعرف عنها شيئاً على الإطلاق ثمّ ظهرت السطح؟. إذا كانوا يخترقون الصلة الحقيقية، كما سبق لهم أن اخترقوا الوداع الحقيقي؛ فإنني أكون قد فعلت عين الصواب. ففيّ تحديداً ليس ثمة أكاذيب مرئية * من دون وجود لعلاقات إنسانية. إنّ الدائرة المحدودة صافية.

الرابع عشر من تشرين الأول:

بدأ الشارع الصغير بسور لصحن الكنيسة على الجانب الأوّل، وبمنزل منخفض ذي شرفة على الجانب الآخر. في المنزل كان يعيش موظف متقاعد يدعى فريدريش مونش مع أخته إليزابيث.

سرب من الخيول تفلّت من أعنّته.

صديقان قاما بجولة صباحيّة.

«الشيطان أنقذني من الجنون!» صاح تاجر كبير في السن، وهو يستلقي متعباً فوق الأريكة في المساء. أما ليلاً فهو يستجمع قوّته كلَّها بمشقة للنهوض. كان ثمة من يطرق الباب بعمق، فصاح التاجر: «ادخل، ادخل؛ فكل شيء هو خارج الباب».

الخامس عشر من تشرين الأول:

لعلّي استطعت أن استجمع ذاتي مجدداً، ولعلّي أكون قد سلكت الطريق الأقصر ثانية على نحو سرّي. أما الآن فقد استطعت– وأنا ذلك اليائس في وحدته– أن أسحب ذاتي ثانية. ولكنّ الصداع والأرق!! حسناً. إنّ الأمر يستحق الكفاح أو أكثر من ذلك، وليس عندي خيار. كانت الإقامة في ريفا على جانب كبير من الأهميّة بالنسبة لي؛ فللمرة الأولى أتمكن من فهم فتاة مسيحية، وأكاد أحيا على نحو كلّي ضمن دائرة تأثيرها. إنّني عاجز عن كتابة الأشياء الحاسمة التي أحتاج إلى تذّكرها. وضعفي هذا يجعل رأسي الغبّي واضحاً وفارغاً، وذلك لمجرّد المحافظة عليه ويدع الحيرة تقع على الأطراف. إنّ هذه الحالة هي أفضل عندي من الضغط المملّ وغير المحدّد. الذي يحتاج إطلاقي منه إلى مطرقة تسحقني.

محاولة فاشلة للكتابة إلى إ.فايس. وقد كانت الرسالة يوم أمس وأنا في السرير تغلي في رأسي.

لكي تتمكن من الجلوس في إحدى زوايا الترام عليك أن تلف معطفك من حولك.

البروفسور (ج) في أثناء العودة من ريفا. أنفه الألماني البوهيمي الذي يذكّر بالموت. خدّاه المنتفخان المتوّردان، المنقطان فوق وجه يعاني الشحوب، تحيط به لحية شقراء كاملة. مسكون بالنهم للطعام والشراب. ارتشاف الحساء الساخن، القضم ولعق جذور السجق المقطعة، الارتشاف الرهيب للبيرة الساخنة جرعة وراء أخرى، تدفّق العرق حول الأنف.

إنها فظاعة لا يمكن أن تستمتع إلاّ بالتحديق الجشع والشّم.

كان البيت مغلقاً، كان هناك ضوء في نافذتين في الطابق الثاني، وفي نافذة أخرى في الطابق الرابع أيضاً. توقفّت عربة أمام المنزل، خطا شاب نحو النافذة المضاءة في الطابق الرابع، فتحها ونظر إلى الشارع في الأسفل. في ضوء القمر.

كان الوقت متأخرّاً في المساء؛ أمّا الطالب فقدْ فَقَد الرغبة كلّها في مواصلة العمل. ولم يكن عمله ضرورياً، فقد استطاع في الأسابيع الماضية أن يحقّق تقدّماً عظيما؛ لذا كان يستطيع أن يرتاح من العمل قليلاً، وأن يخّفض مدّة عمله ليلاً. أغلق كتبه ودفاتره ورتب كلّ شيء فوق طاولته الصغيرة. وكان على وشك أن ينزع ملابسه ويذهب لينام. وبمحض المصادفة نظر نحو النافذة، وعندما رأى البدر كاملاً خطر له بأنه يستطيع أن يتمشّى قليلاً في هذه الليلة الخريفية الجميلة، وربما يمكنه في مكان ما أن ينعش نفسه بكوب من قهوته السوداء. أطفأ المصباح وتناول قبّعته وفتح الباب واتجه نحو المطبخ. لم يكن يهتّم في العادة لأن عليه أن يمرّ دائماً من خلال المطبخ. وقد أسهم هذا الإزعاج في تخفيض إيجار غرفته إلى حدّ كبير. لكنه بين الفينة والأخرى، عندما كانت تقع في المطبخ جلبة غير عادية، أو عندما كان يريد أن يخرج متأخراً، في المساء كما وقع اليوم؛ كان يشعر بالإزعاج.

يأس: اليوم في أثناء الوَسَنْ، في فترة ما بعد الظهر: في النهاية سينفجر الألم في رأسي وبالذات في الصدغين. إنّ ما رأيته خلال هذا التخيّل كان جرحاً من طلق ناري، لكنّ الأطراف حول الفتحة كانت ذات حواف متعرّجة، كما الحال في صحيفة قصدير مزقت بقسوة.

– لا تنس كروبوتكين *Kropotkin[100]

العشرون من تشرين الأول:

الحزن المستحيل التصّور هذا الصباح. في المساء قرأت في «حالة ياكوبسون» Der Fall

(100) يعد بيتر كروبوتكين (1842–1921) أحد رواد الفوضوية في روسيا والمدافعين عن الفوضوية الشيوعية. وكان يلقب بالأمير الفوضوي.

Jacobsohn[101] هذه القوّة للحياة، ولاتخاذ القرارات والفرح لوضع القدم في المكان السليم. يجلس داخل نفسه بالطريقة نفسها التي يجلس فيها مجدِّف ماهر في قاربه أو في أيّ قارب آخر. أرغب في الكتابة له.

بدلاً من الذهاب للمشي محوت كلّ ما يستحوذ عليّ من مشاعر من خلال الحوار مع هاز Haas الذي التقيت به. إنّ النساء يُثرنني. أما الآن فأنا أقرأ «المسخ» Die Verwandlung[102] في ألم نزل وأجدها رديئة. لعلي حقيقة قد انتهيت فحزن هذا الصباح سيعود مجدّداً، ولن أتمكن من مقاومته طويلاً فهو يسلبني كلّ أمل. إنّني لا أمتلك الرغبة حتى في مواصلة كتابة اليوميات. لعل ذلك يعود لأنّ فيها الكثير من النقص، أو لعلّه يعود لأنّه يتوّجب عليّ أن أصف دائماً أنصاف الوقائع، أو كلّ ما هو ناقص بالضرورة على ما يظهر، أو لعلّ الكتابة ذاتها تساعد في حزني.

إنني أهفو إلى كتابة حكايات خرافية (لماذا أكره هذه الكلمة؟) التي يمكن أن تنال إعجاب[103]. والتي يمكن أن تحتفظ بها تحت الطاولة في أثناء تناول الطعام، وأن تقرأها في أثناء الاستراحات، وأن ترتبك على نحو كبير، عندما تلحظ أن طبيب المصّحة يقف خلفها منذ مدة ويراقبها. حماستها أحيانا؛ بل دائماً في أثناء عملية السرد. [إنني أخشى كما ألحظ من الإجهاد الطبيعي عند التذكّر ومن الألم الذي يتفتح أو يبرز قليلاً تحت أرضية فراغ التفكير]. إنّ كلّ الأشياء تقاوم عملّية كتابتها، لو كنت أعرف أنّ وصيّتها تحدث تأثيرها ها هنا من دون الحاجة لذكرها؛ لكنت احتفظت بها مخلصا من دون جهد تقريباً، فسأكون عندها سعيداً، لكنّ الأمر ليس أكثر من عجز. إضافة إلى هذا الذي كنت أفكّر فيه؛ فإنّني فكّرت هذا المساء طويلاً بما خسرته من متعة مع المرأة الروسية نتيجة لمعرفتي بها، تلك المرأة التي قد تسمح لي بالدخول ليلاً إلى غرفتها التي تتقاطع قطرياً مع غرفتي، وهو أمر ممكن وغير مستحيل، وفي حين كان اتصالي

(101) الكتاب للصحفي الألماني اليهودي الأصل سيغفريد ياكوبسون (1881–1926).

(102) رواية كافكا التي ظهرت عام 1925 في طبعتها الأولى.

(103) هي Gerti Wasner، وهي الفتاة التي التقاها كافكا في ريغا.

المسائي مع لها يعتمد على لغة الدّق التي تعني بأننا لم نتّفق على شيء بعد، ضربت على سقف غرفتي الواقعة تحت غرفتها، فتلّقيت جوابها، واتكأت خارج النافذة، وتركت نفسي أسعد برؤيتها تارة، وأختطف الوشاح المتدليّ تارة أخرى، وأجلس على حافة النافذة لساعات، وأنا أستمع إلى كلّ خطوة من خطواتها في الأعلى. وأعد كلّ دقّة عابرة تأتي خطأ لوناً من إشارة التفاهم. سمعت سعالها وغناءها قبل ذهابها إلى النوم.

الحادي والعشرون من تشرين الأول:

يوم ضائع، زيارة مصنع رنغ هوفر حلقة البحث الخاصة بإيرن فلز عند فيلتش. عشاء، مشي. تمام العاشرة. إنني أواصل التفكير بالخنفساء السوداء*، لكنني لن أكتب.

في الميناء الصغير لقرية من قرى صيد السمك جهزت سفينة شراعية لرحلة بحرية، كان يشرف على الأعمال شاب يرتدي بنطال البحارة العريض، بحّاران متقدّمان في السّن يحملان الأكياس والصناديق إلى المرفأ، كان هناك رجل طويل يستقبل بسيقانه المثبتّة في الأرض كلّ شيء ويناوله للأيدي التي امتدّت نحوه من داخل السفينة الشراعية المظلم. فوق الحجارة الكبيرة المربّعة التي تضّم زاوية حوض السفن، كان خمسة رجال نصف مضطجعين ينفخون غلايينهم في كل الجهات. كان الرجل ببنطال البحارة العريض يذهب بين الفينة والأخرى إليهم يحادثهم قليلاً، ويصفعهم على ركبهم. في العادة كانوا يضعون دورق نبيذ خلف إحدى الصخور كي يبقى في الظل. يرفع الدورق ليدور كأس غير شفاف من النبيذ الأحمر، ويتنقل من رجل إلى آخر.

الثاني والعشرون من تشرين الأول:

متأخر جداً. حلاوة الحزن والحب. تبسّمتُ بسببها في القارب. كان ذلك هو الأجمل؛ إن الحب هو السعي نحو الموت، والمحافظة في الوقت نفسه على الحياة.

ملاحظة من يوم أمس: الحالة الأكثر ملاءمة لي هي الاستماع إلى حوار بين شخصين يناقشان مسألة تخصّهم على نحو مباشر، وتكون لي صلة بعيدة جداً بها، وأن يكون المرء فوق ذلك منكراً لذاته تماماً.

السادس والعشرون من تشرين الأول:

جلست العائلة لتناول طعام العشاء، يمكن للمرء من خلال النوافذ التي لا ستائر لها أن يتّوقع ليلة حارة.

«من أنا إذن؟» صحتُ موّبخاً ذاتي، نهضتُ من فوق الأريكة التي كنت أستلقي فوقها وركبتاي إلى الأعلى وجلست باعتدال. فُتح الباب الذي يقود مباشرة من بيت الدرج إلى غرفتي، ودخل شاب بوجه منحن ونظرة باحثة، واستمر يمشي بالقدر الذي تسمح له غرفة ضيّقة. انحنى حول الأريكة وبقي واقفاً في الزاوية إلى جانب النافذة في الظلام. رغبت في معرفة نوعية هذا الشبح الذي شاهدته، فذهبت إليه حيث كان وأمسكته بذراعه، كان إنساناً حيّاً، يبدو أصغر مني، مع ابتسامة ترتسم على محّياه. كان على عدم اللامبالاة التي حيّا بها وقال «حاكمني الآن فحسب» أن تتمكن من إقناعي. مع ذلك أمسكته من صديريته من الأمام ومن سترته من الخلف ورججته. فاسترعى انتباهي سلسلة ساعته الجميلة القويّة الذهبيّة، ثم أمسكت بصديريته وسحبتها حتى تمزقت عروتها. تحملّ ذلك، ونظر إلى الضرر في الأسفل، وحاول من دون جدوى أن يبقي على زر الصديرية في العروة الممزّقة، وقال أخيراً «ماذا تفعل؟» وأراني الصديرية، «اهدأ» قلت مهدّداً.

بدأت بالدوران داخل الغرفة، من المشي إلى الهرولة ومن الهرولة إلى الجري، وكلّما مررت بالرجل، رفعت قبضتي في وجهه. لم يكن ينظر إليّ، فقد كان مشغولاً بصديريته. شعرت بأنني حرّ تماماً، حتى إنّ تنفسي كان يجري على نحو استثنائي. أما صدري فقد أحسّ أنّ الملابس وحدها هي التي تمنعه من الارتفاع على نحو عملاق.

منذ شهور طويلة كان ڤيلهلم مينتس– وهو كاتب حسابات شاب– ينوي التحدث مع فتاة اعتاد رؤيتها كلّ صباح بانتظام في أحد الشوارع الطويلة جداً وهو في طريقه إلى المكتب، وكان قد اعتاد رؤيتها في هذا الموضع تارة، وفي ذاك تارة أخرى. وقد أصبح قانعاً بأن يظلّ عمله في إطار النوايا، فقد كان غير جريء في حضور النساء، فضلاً عن كون الصباح وقتاً غير مناسب للكلام مع فتاة مسرعة. ثم التقيا ذات مساء في أيام عيد الميلاد. وما كاد يرى الفتاة حتى قال «يا آنسة»، فاستدارات وعرفت الرجل الذي اعتاد أن يلقاها صباحاً. تركت نظرها يقع عليه لحظة من دون أن تتوّقف. وعندما لم يفه مينتس بكلمة أخرى استدارت. لقد كانا في شارع مضاء تماماً، وفي وسط حشد عظيم من الناس، وكان باستطاعة ميتس أن يقترب منها من غير أن يجلب الانتباه. لم يكن في ذهن ميتس في لحظة القرار الحاسمة هذه ما يقوله؛ لكنه كان يرفض أن يبقى غريباً عن هذه الفتاة مدة أطول. ونظراً لأنه بدأ على هذا النحو الجاد فقد قرر أن يواصل السير حتى النهاية، فجرؤ على أن يسحب الفتاة من نهاية سترتها. تحملّت الفتاة ذلك وكأنّ شيئاً لم يكن.

السادس من تشرين الثاني:

من أين جاءت تلك الثقة المفاجئة ؟ لو أنّها تبقى! هل باستطاعتي أن أدخل وأخرج– بوصفي إنساناً مقبولاً ومعتدلاً– عبر الأبواب كلها ؟ لا أعرف إذا كنت أرغب في ذلك.

لم نرغب في إخبار آبائنا شيئاً عن الأمر؛ لكننا كنا نجتمع كل مساء بعد الساعة التاسعة، أنا وابنا عم لي قرب سياج المقبرة في موضع فيه مرتفع صغير يسمح بإطلالة جيّدة.

السياج الحديدي للمقبرة يترك على اليسار مكاناً كبيراً ينمو فيه العشب.

السابع عشر من تشرين الثاني:

حلم: على طريق صاعد ثمة شيء في منتصف المنحدر، أو في وسط الشارع تحديداً، يبدأ من

جهة اليسار إذا نظرت إليه من الأسفل، إنها كومة قاذورات أو كمّ من الطين صار صلبا؛ لكنه غدا جرّاء التناقص التدريجي قليل الارتفاع إذا ما نظرت إليه من الجانب الأيمن. في حين بقيت الكومة تنهض عالياً على جهة اليسار بطول خشب السياج. اتجهت يميناً، إذ كان الطريق شبه خالٍ، ورأيت رجلاً يركب درّاجة ثلاثية قادمة من الأسفل، ويبدو أنّه يسوق مباشرة في الاتجاه المعاكس تلك العقبات. كان الرجل يبدو كأنه بلا عينين، أو أن عينيه تبدوان كفتحتين مسحتا. كانت الدراجة الثلاثية تترنح وتمشي على نحو قلق ومهزوز، لكن بلا جلبة؛ بل بهدوء وسهولة بالغة. استوليتُ على الرجل في اللحظة الأخيرة واحتجزته، كما لو أنه مقود الدراجة، ووجهته نحو الفجوة التي قدمت منها. بعدها سقط نحوي، كنت ضخماً كعملاق فأمسكته بقبضة قاسية. وبعد ذلك بدت الدراجة كأنها بلا صاحب، فأخذت تتراجع للوراء، حتى لو كان ذلك التراجع بطيئاً، ثم سحبتني معها. مررنا بشاحنة يقف الناس فيها بازدحام، ويرتدون ملابس سوداء. وكان بينهم شاب من الكشافة يرتدي قبّعة رمادية فاتحة ذات حافة مثنية. توقعت المساعدة من ذلك الشاب الذي كدت أميّزه عن بعد؛ لكنه استدار وحشر نفسه بين الناس. ثم استمرت الدراجة الثلاثية بالتدحرج خلف الشاحنة، وكان علي أن أنحني بساقين منفرجتين، بعد ذلك جاء نحوي رجل ما ليساعدني، لكني لا أستطيع أن أتذكّره، وما عرفته هو أنّه كان جديراً بالثقة. يخفي نفسه وكأنه يقبع وراء قطعة قماش سوداء، وأنا أحترم هذا الاختفاء.

الثامن عشر من تشرين الثاني:

سأكتب من جديد؛ لكن ما حجم الشكوك التي كانت لديّ في هذه الأثناء حول كتابتي؟ في الأصل أنا جاهل غير كفء، ولو لم يرغم من دون أن يكون له فضل في ذلك، ومن غير أن يكون مدركاً لهذا الإرغام تقريباً؛ لكان بدلاً من ذهابه إلى المدرسة يجثم في مأوى للكلاب، يقفز عندما يُعرض عليه الطعام، ويقفز عائداً عندما يبتلعه.

كلبان في ساحة تسطع فوقها الشمس، يركضان نحو بعضهما بعضاً من اتجاهات متعاكسة.

إنّ بداية الرسالة الموجّهة إلى الآنسة (ب ل) عذّبتني

التاسع عشر من تشرين الثاني:

إنّ قراءة اليوميات تمسك بتلابيبي؛ فهل يعود ذلك إلى أنه ليس لديّ الحدّ الأدنى من الثقة في الوقت الحاضر؟ كل شيء يظهر لي بوصفه بنية[104]. Alles erscheint mir als Konstruktion إنّ كلّ ملاحظة من الآخرين، وكلّ نظرة عابرة تجعل كلّ شيء يتقلب في داخلي، حتى ما قد نسي من الأشياء التافهة تماماً. إنني أكثر اضطراباً من أيّ وقت مضى ولا أستشعر إلاّ قوة الحياة، وأنا فارغ بلا معنى. إنّني شبيه حقاً بالخراف الضائعة فوق الجبال ليلاً، أو كالخروف الذي يلاحق ليلاً تلك الخراف، ولا يمتلك القوة للشكوى.

أتمشى عامداً خلال الشوارع التي تكثر فيها المومسات، إنّ المرور بهن يثيرني، تلك البعيدة، ومع ذلك فثمة إمكانيّة لكي تذهب مع أحدهم. هل هذه حقارة؟ لا أعرف على النحو الأفضل؛ لكنَّ هذا العمل يبدو لي في الأساس بريئاً ولا يكاد يتطلب الندم. إنني أريد تلك السمينة المتقدمة في السن، التي ترتدي ملابس قديمة، لكن لها على كل حال بعض المظهر الفخم بسبب ما على ملابسها من أنواع زينة مختلفة. من المحتمل أنّ امرأة بينهن تعرفني؛ لقد التقيتها اليوم بعد الظهر. لم تكن قد ارتدت ملابس العمل بعد، وكان شعرها ما يزال منثوراً على رأسها، ولم تكن تضع؛ بل قبّعة؛ بل كانت ترتدي بلوزة عمل كالطبّاخات. كانت تحمل معها صرّة، ربما تمضي بها إلى الغسّالة. لم يكن أحد ليجد فيها شيئاً مثيراً باستثنائي. تبادلنا النظرات سريعاً. أما الآن مساءً فقد صار الجوّ بارداً. رأيتها ترتدي معطفاً محبوك التفصيل، يجمع بين البنّي والأصفر، وهي تقف على الجانب الآخر للشارع الضيّق المتفرّع من شاعر تسلتنر حيث تقوم بجولاتها. نظرت مرتين إلى الوراء لأراها، أمسكت هي بنظرتي، ثم هربتُ بعد ذلك– في الواقع– منها.

هذه الحيرة ناتجة بالتأكيد عن التفكير في.

(104) توقف بعض الدارسين عند هذه الجملة، ورأوا فيها إشارة إلى مأساة كافكا التي تدرك عبثية الوجود التي تتشظى بين الوجود الخاطئ للعالم والعدم، والذي ظل كافكا يقف على أعتابه، لهذا رأى فيه الوجوديون طليعة لأدبهم.

العشرون من تشرين الثاني:

كنت في السينما. بكيت. «لولوتي» القسيس الصالح، الدّراجة الهوائية الصغيرة، مصالحة الآباء، الأحاديث المسّلية على نحو مبالغ فيه. قبل ذلك الفيلم الحزين «فاجعة في حوض السفن»، بعد ذلك الفيلم المسّلي «وحدي أخيراً». إنني فارغ تماماً وبلا معنى، وقد منحني الترام العابر للسبيل شعوراً أكثر حيوية.

الحادي والعشرون من تشرين الثاني:

حلم: الوزارة الفرنسية، أربعة رجال يتحلّقون حول طاولة، ثمّة جلسة مشاورة. إنني أتذكر ذلك الرجل الجالس على الجانب الأيمن الطويل للطاولة، الذي يبدو وجهه في الصورة الجانبية مسطّحاً، ولون جلده مصفّراً وأنفه مستقيماً، يقفز إلى الأمام يقفز إلى الأمام لكون وجهه مسطّحاً، وشاربه زيتي أسود كثيف يقوّس فمه.

الملاحظة البائسة التي ترجع بالتأكيد إلى بنية تتأرجح نهايتها المنخفضة في الفراغ في مكان ما. عندما التقطت المحبرة عن لطاولة كي أحملها إلى غرفة الجلوس، شعرت بنوع من الصلابة في داخلي. كما لو أنّ حافّة عمارة تظهر في الضباب وتختفي في الحال. إنّني لا أشعر بالضياع. إنّ ثمة شيئاً ينتظر في داخلي مستقلاً عن الناس وبالذات عن (ف) فكيف يحدث لو أنني فكّرت في الهرب كما يحدث مثلاً عندما يركض أحدهم بين الحقول في بعض الأحيان.

مضحكة هذه التنبوءات، ومضحك هذا التقليد للنماذج وهذا الخوف من الشيء المحدّد. إنّها بنى لا تكاد تقارب الحياة إلا على نحو سطحي، حتى في الخيال حيث تكون لها السيادة المطلقة، غير أنّ هزّة ما تجبرها على أن تفيض. فمن يمتلك اليد السحرية ليدفع بها إلى الآلية [التي يدار عبرها كل شيء] من دون أن تمزقها آلاف السكاكين وتفرقها!.

إنّني ذاهب لاصطياد البنُى Konstruktionen. دخلت إحدى الغرف، فوجدتهم يمزجون الأبيض في إحدى الزوايا.

الرابع والعشرون من تشرين الثاني:

مساء أمس الأوّل عند ماكس. إنّه يغدو غريباً أكثر فأكثر. كان كذلك بالنسبة لي في كثير من الأحيان، وصرت كذلك بالنسبة له. مساء أمس ذهبت إلى السرير بسهولة.

حلم قبيل الصباح: أجلس في حديقة إحدى المصّحات في أقصى رأس منضدة طويلة، لدرجة أنّني كنت أرى ظهري في أثناء الحلم، إنّه يوم كئيب. لا بُدّ أنني ذهبت في نزهة وأنا الآن في سيارة وصلت قبل قليل، وتتوقّف أمام مقدّمة الرصيف. كانوا على وشك إحضار الطعام عندما رأيت إحدى الخادمات وهي شابة رقيقة ذات خطوات خفيفة أو غير مستقرة، ترتدي زيّاً بلون أوراق الخريف، في القاعة ذات الأعمدة التي تستخدمها المصحّة بهواً. كانت الفتاة تقترب وتهبط نحو الحديقة. لا أعرف حتى اليوم ما الذي تريد؛ لكنّني أتساءل لأعرف إن كانت تريدني. أحضرت لي رسالة في واقع الأمر، وكنت أعتقد أن تكون هذه هي الرسالة التي أنتظرها. فهي رسالة جدّ خفيفة، ذات خطّ غريب ورفيع وقلق. فتحت الرسالة، فبرز عدد كبير من الأوراق الرقيقة المملوءة بالكتابة، وكلّها تنتمي إلى ذلك الخط الغريب. بدأت أقرأ وأتصّفح الأوراق. إنها تبدو رسالة مهمة جدّاً. وهي مرسلة على ما يبدو من الشقيقة الصغرى لـ (ف). شرعت أقرأ بلهفة، فرآني جاري الأيمن، الذي لم أكن أعرف إن كان رجلاً أم امرأة أم طفلاً، ونظر إلى الرسالة من فوق ذراعي، فصحت: «لا»، فبدأت المائدة المستديرة بأناسها العصابيين بالاهتزاز، وكدت أتسبب في وقوع كارثة. حاولت الاعتذار على عجل ببضع كلمات كي أتمكن من مواصلة القراءة. انحنيت على رسالتي ثانية فاستيقظت من دون مقاومة كما لو أنّ صيحتي أيقظتني. فأجبرت نفسي على النوم بوعي تام، فتجلّى المشهد من جديد، فقرأت سطرين أو ثلاثة سطور ضبابية من الرسالة، لا أتذكر منها شيئاً، وفقدت الحلم في النوم المتواصل.

التاجر القديم رجل ضخم يصعد الدرجات إلى شقته، بركب محنّية، ولا يتكئ على الدرابزين؛ بل يضغط عليه. كان على وشك أن يخرج رزمة مفاتيحه كالعادة من جيب بنطاله، وهو يقف أمام باب غرفته الزجاجي المسّلح بالقضبان، عندما لمح في إحدى الزوايا المظلمة شاباً

وهو ينحني.

– من أنت ؟ وماذا تريد ؟ سأل التاجر وهو يشعر بالإرهاق من الصعود.

– هل أنت التاجر مِسْنر ؟ سأل الشاب.

– أجل. قال التاجر.

– لديّ بعض المعلومات لك؛ أمّا من أكون فهو أمر غير ذي أهميّة، لأنني على المستوى الشخصي لست طرفاً في الأمر، أنا لست أكثر من ناقل للخبر. ومع هذا أقدّم نفسي: أنا أدعى كتي، وأنا طالب.

– هكذا. قال مسنر وهو يفكرّ للحظة: حسناً والخبر؟

– سنناقش ذلك على نحو أفضل في غرفتك. قال الطالب. إنه شيء لا يمكن لنا أن ننتهي منه على الدّرج.

– أنا لا أعرف أحداً يمكنني أن أتلقّى منه خبراً كهذا. قال مسنر وهو ينظر بطرف عينه نحو الأرض.

– قد يكون ذلك. قال الطالب.

– بالمناسبة. قال مسنر. لقد تجاوز الوقت الحادية عشرة الآن. ولن يتمكن أحد من سماعنا هنا.

– لا. أجاب الطالب. إن من المستحيل أن أقول الخبر هنا.

– وأنا. قال مسنر. لا أستقبل الضيوف في الليل. وأدخل المفتاح بعنف في القفل، فواصلت المفاتيح الأخرى في الرزمة الاهتزاز لمدة من الزمن.

– إنني أنتظر هنا منذ الساعة الثامنة. ثلاث ساعات، قال الطالب.

– هذا يدل أنّ الخبر مهمّ لك. أما أنا فلا أريد أن أتلّقى أي أخبار. فكل خبر أستطيع تجنبّه هو مكسب لديّ. أنا لست فضولياً. فاذهب. ثم أمسك الطالب من معطفه الرقيق ودفعه قليلاً. ثم فتح الباب الغرفة قليلاً، فتدفقت منها إلى الطابق البارد حرارة ضخمة.

– هل هو بالمناسبة خبر يتعلّق بالعمل؟ سأل وهو يقف بالباب المفتوح.

– وهذا لا أستطيع الإجابة عنه أيضاً هنا. قال الطالب.

– إذن أتمنى لك ليلة سعيدة. قال مسنر وهو يدخل غرفته ويقفل الباب بالمفتاح، مضيئاً المصباح الكهربائي للسرير، مالئاً كأساً صغيراً من خزانة حائط مملوءة بالعديد من الزجاجات الكحولية، شربها وهو يتلمظّ. بعدها أخذ يخلع ملابسه. وعندما أراد أن يضطجع على الوسائد العالية ليشرع في قراءة الجريدة بدا له أنّ أحداً يقرع الباب بهدوء. أعاد وضع الجريدة فوق غطاء السرير، شبك ذراعيه وأصاخ السمع. تكرّر الدق ثانية على نحو هادئ تماماً كما لو أن الدق يقع في أدنى مستوياته من الباب. تماماً. ضحك مسنر وهو يقول: «يا له من أحمق ملحاح».

عندما توقف الدق التقط الجريدة من جديد، لكنّ الدّق جاء قوّياً هذه المرة، كان ثمّة ضجة كبرى فوق الباب. كان يدق مثلما يوزّع الأطفال في أثناء اللعب دقاتهم فوق الباب بأكمله، فتارة يكون الدّق في الأسفل عميقاً فوق الخشب، وتارة أخرى يكون في الأعلى خفيفاً فوق الزجاج، «يجب عليّ أن أنهض» فكرّ مسنر وهو يهزّ رأسه. إنني لا أستطيع الاتصال بمدير المنزل هاتفيا؛ لأن جهاز الهاتف في غرفة الانتظار، ويتوجّب عليّ إيقاظ مالكة المنزل كي تأتي إلى هنا. إذن لم يتبّق إلا أن أرمي الفتى أسفل الدرجات بنفسي. وضع قبعّته فوق رأسه، أبعد اللحاف، زحف على يديه ليصل حافة السرير، وضع قدميه فوق الأرض ببطء، ولبس حذاء منزلياً عالياً مبطناً بالقطن. «لا بأس» فكرّ، وهو يمضغ شفته العليا، ويحدِّق بالباب. «لقد عاد الهدوء ثانية، لكن عليّ أن أصنع هدوءاً على نحو نهائي». قال لنفسه وهو يسحب من أحد الرفوف عصا ذات مقبض، ويمسكها من المنتصف، ويتوجه نحو الباب.

– هل ثمة أحد ما يزال هنا؟ سأل وهو يغلق الباب.

– نعم جاء الجواب. أرجو أن تفتح الباب.

– أنا سأفتحه، قال مسنر وهو يلتقط العصا ويخرج بها.

– لا تضربني. قال الطالب محذّراً، وهو يتراجع خطوة إلى الوراء.

– اذهب إذن. قال مسنر وهو يشير بسبابته إلى الدرج.

– لكنني لا أستطيع. قال الطالب، وركض نحو مسنر على نحو مفاجئ [انقطاع].

السابع والعشرون من تشرين الثاني:

يتوجّب عليّ التوقّف من دون أن أشعر بأنّ ثمة شيئاً يهتزّ فيّ، إنّني لا أستشعر خطراً يستطيع أن يجعلني قابلاً للضياع؛ فأنا استشعر دائماً العجز واللاانتماء. لكنّ الصلابة التي أنتجت هذه الكتابات الأكثر تفاهة حقيقية ورائعة، النظرة الكلّية التي استطعت بفضلها في أثناء المشي يوم أمس أن أطلّ على كل شيء.

طفل مدبرة المنزل الذي فتح البوابة ملفوف بشال نسائي قديم شاحب، وجه سمين متحجّر. تحمله مدبِّرة المنزل ليلاً إلى البّوابة.

كلب مدبّرة المنزل الأجعد الشعر، الذي يجثو في الأسفل فوق إحدى الدرجات، ويصغي عندما أطأ بأقدامي في الطابع الرابع ينظر إليّ عندما أمرّ به، ويتأمّلني عندما أتجاوزه. شعور طيب بالألفة، فهو لا يخشاني، ويضمني إلى البيت المألوف بما فيه من ضوضاء.

صورة: تعميد شباب السفينة وهم يعبرون خط الاستواء. تسكّع البّحارة. السفينة التي ترتقي إلى جميع الاتجاهات وإلى كل المستويات تمنحهم فرصة للجلوس. البحارة الطوال الذين يعتمدون على سلالم السفينة، ويقفون صفاً واحداً ويضغطون بأكتافهم المستديرة القوية على جسد السفينة ويتفرّجون على التمثيلية في الأسفل.

الرابع من كانون الأول:

مرعب أن ترى من الخارج موت فتى بالغ أو إقدامه على قتل نفسه. المغادرة في لحظة ارتباك شامل، من غير أمل أو بأمل يتيم، يمكن أن يكون له معنى في إطار تطوّر لاحق، يعدّ هذا الظهور في الحياة في إطار الحساب الكبير كما لو لم يحدث، أنا أحيا في إطار هذا الوضع، الموت لا يعني

أكثر من أن تعطي اللاشيء للاشيء، لكن هذا يبدو مستحيلاً على المستوى الشعوري. فكيف يمكن لشخص حتى لو كان لا شيء أن يسلم ذاته على نحو واع للاشيء، لا إلى مجرد لا شيء فارغ؛ بل إلى لا شيء هادر تكمن تفاهته في إبهامه.

مجموعة من الرجال تتكون من سادة وخدم وجوه مجتمعة تشرق بألوان حيّة. يجلس السّيد بينما يحضر الخادم الطعام له على صينية. ليس ثمة بين الاثنين كبير فرق، وليس ثمة فرق بين صنف وآخر، كما هو الفارق مثلاً بين رجل إنجليزي يعيش في لندن، هو نتاج لعدد لا يحصى من الظروف الفاعلة، وآخر من اللابيين يبحر في الوقت ذاته فوق قارب في أثناء عاصفة بحرية. صحيح أنّ الخادم يستطيع – في ظل شروط محدّدة – أن يصبح سيّداً؛ لكنّ هذا السؤال بصرف النظر عن طبيعة إجابته لا يغير شيئاً من الواقع هنا؛ لأن الأمر يتعلق بالتقييم المعاصر للعلاقات الراهنة.

وحدة النوع البشري بين تطور النوع البشري ككل من جهة، والشخصية الفردية من جهة أخرى؛ تخضع للشك في كثير من الأحيان، حتى لو تمّ ذلك على نحو عاطفي من قبل أناس يُعدّون الأكثر قبولاً والأكثر تكيفاً، والذين يكشفون من جهة ذاتهم لكلّ أحد، ويظهرون على استعداد كامل لكشف ذواتهم بانسجام كامل قابل للإدراك، حتى في أكثر المشاعر سرية للفرد.

الخوف من الحماقة. تُشاهد الحماقة في كلّ عاطفة تطمح كي تتقدّم مباشرة للأمام، وتجعل من كلّ ما سواها نسياً منسياً. فما هي غير الحماقة؟ عدم الحماقة هي أن تقف كالمتسول قبل العتبة إلى جانب المدخل لتتعفّن وتنهار. لكنّ (ذ. و د) هماا أحمقان مقرفان. فلابد أن ثمة حماقات هي أكبر من حامليها، ولعلّ انتفاخ صغار الحمقى في حماقاتهم الكبرى هو أكثر ما يبعث على القرف. لكن ألم يظهر المسيح للفريسيين في حالة مشابهة؟.

تصوّر رائع يقوم على التناقض التام، يتمثّل في موت رجل ما مثلاً في الثالثة فجراً، ليعود إلى حياة أكثر رقياً عند السحر في الحال. أيّ لون من عدم الانسجام يكمن بين الإنساني المرئي والأشياء الأخرى؟ كيف يولد من السّر سرّ أعظم؟ في اللحظة الأولى ينقطع نفس الرجل الحصيف. إنّ على المرء في الواقع أن يخشى الخروج من بيته.

الخامس من كانون الأول:

يا لعنفي مع أمي! ما إن أبدأ حديثي معها حتى أغضب، وأكاد أصيح.

آه، إنها تعاني حقاً، وأنا لا أظنّ أنّها تعاني أو تستطيع أن تُعاني. إنني لا أعتقد ذلك في ضوء معرفتي الجيدة بها؛ إنّه يتوجب علي أن أقف إلى جانبها، وهو ما لا أستطيع أن أفعله لأنني غاضب منها.

لا أرى من الناحية الخارجية في (ف) أحياناً على الأقل سوى بعض التفصيلات الصغيرة التي لا تحصى. بهذا تغدو صورتها واضحة ونقيّة وأصلية، ومحدّدة المعالم وسامية في الوقت نفسه.

الثامن من كانون الأول:

أبنية Konstruktionen في رواية ڤايس Weiss. القوّة لإلغائها والواجب لفعل ذلك، إنني أكاد أنكر التجارب. أريد هدوءاً، خطوة فخطوة أو جرياً، لكن ليس كتلك القفزات غير المحسوبة للجنادب.

التاسع من كانون الأول:

رواية ڤايس «سفينة حربية ذات مجاديف»، ضعف في التأثير عندما يبدأ مجرى الرواية. العالم مقهور، وما علينا إلاّ أن نراقبه بعينين مفتوحتين؛ لذا نستطيع أن ندير له ظهرنا وأن نستمر في الحياة.

كراهية للاستبطان الذاتي الفاعل، تفسيرات روحية مثل: لقد كنت أمس هكذا، ولهذا السبب تحديداً فأنا اليوم هكذا لذلك السبب. إنّه ليس صحيحاً، لا لهذا السبب ولا لذاك؛ ولهذا فالأمر لا كذا ولا كذا. كي يكون المرء قادراً على أن يحتمل بهدوء من غير أن يكون على عجلة من أمره فينبغي له أن يعيش كما يجب أن يعيش، لا أن يجري كما يفعل الكلب.

استولى عليّ النوم تحت شجيرة كثيفة الأغصان، أيقظتني ضوضاء، فوجدت بين يدي كتاباً،

كان قد سبق لي أن قرأته، رميته وقفزت. كان الوقت قريباً من منتصف النهار، أمام التل الذي كنت فوقه، كان يمتّد سهل كبير مملوء بالقرى والبرك، بينها شجيرات من القصب موحّدة الشكل ومتشابهة الطول. وضعت يديّ على خاصرتي، وتفحّصت كلّ شيء بنظراتي، وأصخت السمع إلى الضوضاء.

العاشر من كانون الأول:

الاكتشافات دفعتهم نحو الناس.

الوجه الضاحك والطفولي والماكر والمدهش للمفتش الأول، الذي لم يسبق لي أن شاهدت وجهه قط، وتمكنت اليوم للحظة، وأنا أتلو أمامه تقرير المدير من أن أرفع مصادفة نظري نحوه. كان يضع يده اليمنى في جيب بنطاله، ويهزّ كتفه بلا مبالاة وكأنه رجل آخر.

من غير الممكن على الإطلاق ملاحظة كلّ الظروف المؤثّرة في مزاج اللحظة وتقييمها، كما أنّه من غير الممكن العمل في إطارها أو في تقييمها؛ لذا فمن الخطأ أن يُقال بأنني كنت أشعر يوم أمس بالاستقرار، أما اليوم فإنّني أشعر باليأس. إنّ مثل هذه التمايزات لا تدّل إلا على امتلاك المرء للرغبة كي يؤثّر في ذاته، وتزيل من نفسه ما أمكن ما هو مختبئ خلف الأوهام والخيالات لخلق حياة مصطنعة على نحو مؤقت. مثلما يكون رجل ما أحياناً في زاوية حانة يختفي مع نفسه وحيداً، وراء قدح صغير من العرق، ويسلّي نفسه مع لا شيء، سوى الأوهام والتصورات الخاطئة غير القابلة للبرهنة والأحلام.

قبيل منتصف الليل نزل شاب إلى قاعة الموسيقى الصغيرة، كان يرتدي معطفاً ضيّقاً خفيفاً، ذا مربّعات رمادية، عليه ندف من الثلج. دفع عند المحاسب الذي كانت خلفه فتاة يغلب عليها النعاس، استيقظت ونظرت نحوه بعينين سوادوتين كبيرتين، وظلت واقفة لحظة كي تستطلع بنظراتها الصالة التي تقع على مبعد ثلاث خطوات منه.

أكـاد أذهب كلّ مساء إلى محطة السكة الحديدية، ونظراً لأنّ اليوم كان ماطراً فقد تمشيت

فـي القاعـة مـدة نصف ساعة جيئة وذهاباً. الغلام الذي يأكل الحلوى من الآلة التي تعمل بالنقود. إدخاله يده إلى جيبه ليتناول كمية من القطع النقدية الصغيرة، ويرميها بلا مبالاة في فتحة الماكينة. قراءته للافتات في أثناء الأكل، سقوط بعض القطع التي يلتقطها عن الأرض القذرة ليضعها مباشرة في فمه. الرجل الذي يمضع بهدوء، يتكلّم سراً مع امرأة أحد أقربائه على النافذة.

الحادي عشر من كانون الأول:

في صالة توينبي قرأت بداية ميخائيل كول هاس[105] Michael Kohlhass إخفاقات تامة ومطلقة. اختيار رديء، تقديم رديء. وأخيراً سباحة في ثنايا النصّ على نحو لا معنى له. جمهور نموذجي، أولاد صغار جدّاً في الصف الأمامي، يحاول أحدهم التغلّب على سأمه البريء، فيكرّر رمي قبعته بحرص على الأرض، ويلتقطها بالحرص نفسه. ونظراً لكونه صغيراً ليفعل ذلك من مقعده فقد كان عليه أن ينزلق قليلاً. قرأتُ على نحو عنيف ورديء ومتهّور وغير مفهوم. أما بعد الظهر فقد كنت أتلهّف شوقاً للقراءة؛ لكنّني لم أستطع إلا بصعوبة أن أغلق فمي.

إنّها لا تحتاج إلى رفع حقاً، إنّ الأمر لا يتطلّب إلا انسحاب القوّة الأخيرة لتكون تحت تصّرفي، لأسقط في اليأس الذي يمزقني إرباً إرباً. عندما تخيّلت اليوم أنّ عليّ أن أكون في أثناء المحاضرة هادئاً بالضرورة، تساءلت عن نوعية الهدوء المطلوب، وعلى ماذا سيستند، ولا أستطيع أن أقول إنه هدوء سيكون لصالحها إنّه نعمة غامضة ليس إلاّ.

الثاني عشر من كانون الأول:

وفي الصباح الباكر صحوت على نحو نشيط نسبياً، أمس في طريقي إلى المنزل كان الولد الصغير الذي يضع حزاماً رمادياً ويجري إلى جانب مجموعة من الأولاد، ويضرب فخده بيد،

(105) هي أقصوصة لهاينريش فون كلايست (1777–1811)، وهو قاص وروائي وشاعر ومسرحي ألماني. وقد ظهرت عام 1810.

ويمسك بالأخرى ولداً صغيراً. يصيح بذهول تقريباً على نحو لا ينبغي لي نسيانه: «لقد كان اليوم جميلاً جداً»*.

النشاط الذي استطعت من خلاله، بعد شيء من تغيير قسمة النهار، أن أمشي على امتداد الشارع في الساعة السادسة تقريباً. الملاحظة الساخرة؛ متى سأتخلّص من هذه العادة؟.

تأمّلت ذاتي في المرآة قبل مدّة، وإن حدث ذلك على كل حال من خلال الضوء الكهربائي ومن خلال الضوء القادم من خلفي الذي أضاء الزغب على حافتي أذّني، فبدا لي وجهي حتى في أثناء الفحص الدقيق أفضل من معرفتي به. إنّه وجه واضح، حسن الهيئة، ذو قسمات جميلة تقريباً. سواد الشعر، ومحاجر العينين، تقفان بحيوية، بعيداً عن بقيّته الخاملة. إنّ النظرة ليست منهكة على الإطلاق، وليس هناك أثر للإنهاك مطلقاً؛ لكنها ليست طفولية، ولا مفعمة بالحيوية على نحو لا يُصّدق. لكن ذلك ربما كان من صنع ملاحظتي، لأنني كنت أراقب ذاتي، وأريد تخويفها.

الثاني عشر من كانون الأول:

لم أستطع النوم مدة طويلة يوم أمس. ف. قررت أخيراً – وهنا سقطت في نوم قلق – أن أرجو ڤايس *Weiss أن يذهب إلى مكتبها ومعه رسالة، ليس مكتوباً فيها سوى أنه يجب أن يكون لديّ أخبار منها أو عنها، لهذا أرسلته كي يكتب لي عنها. كان ڤايس يجلس في تلك الأثناء قريباً من مكتبها منحنياً حتى فرغت من قراءة الرسالة. ونظراً لأنه لم يكن لدى ڤايس أوامر أخرى، كما بدا من المستبعد أنه سيتسلم رداً، فقد غادر.

نقاش المساء في نادي الموظفيّن، ترأّست ذلك النقاش. مضحكة هي مصادر الإحساس بالأنا. جملتي الافتتاحية: «يتوجّب عليّ أن أفتتح نقاش هذا المساء بالأسف، لأنه لم أبلغ في الوقت المناسب، لذا لم أكن مستعداً.

الرابع عشر من كانون الأول:

محاضرة بيرمان*. لا شيء سوى أنّه قرأ بنوع من الرّضا المُعْدِيْ عن الذات. وجهه يشبه وجوه الفتيات الصغيرات، إضافة إلى غدّة بارزة. تنكمش العضلات نفسها قبل كلّ جملة، كما يحدث عند العطس، بيتان من الشعر من معرض عيد الميلاد في عموده الصحفي اليوم:

اشتراه يا سيّدي لنجلك الصغير

حتى يصير ضاحكاً وينشر الحبور

اقتبس [برنارد] شو: «إنني مدنيّ كثير الجلوس، جبان».

كتبت رسالة إلى (ف) وأنا في المكتب.

الذعر الذي أصابني عندما قابلت قبل الظهر وأنا في طريقي إلى المكتب فتاة الحلقة الدراسية التي تشبه (ف) للحظة لم أعرف من تكون، ثم تنبّهت أنّها شبيهة (ف)، لكنّها ليست هي. وفضلاً عن ذلك فلهذه الفتاة صلة ما مع (ف) لدرجة أنني في أثناء رؤيتها في الحلقة الدراسية، فكرّت بـ (ف) كثيراً.

أقرأ في دستويفسكي الموضع الذي يذكّرني بـ «تعاستي».

الخامس عشر من كانون الأوّل:

رسائل إلى الدكتور ڤايس والعم ألفرد. ولم أتسلم أي برقيّة قرأت «نحن شباب 1870–1871» Wir Jungen Von 1870/1[106]. قرأته مجدداً وأنا أسعى لإيقاف النحيب لما تتضّمنه من انتصارات ومشاهد حماسية. أن تكون أباً وتتحدّث مع ابنك بهدوء؛ عندها لا يحتاج المرء أن تحل اللعبة بديلاً عن القلب.

«هل كتبت إلى عمك»؟ سألتني أمّي. أمّا أنا فكنت أنتظر السؤال بخبث منذ مدة، كانت

(106) الكتاب لهيرمان شاف شتاين Hermann Schaffstein (1885–1959) وعنوانه الكامل «نحن شباب» 1870–1871، ذكريات من عالم الطفولة».

تراقبني بحذر منذ مدة طويلة، ولم تغامر بتوجيه السؤال لي لأسباب عديدة؛ لأنها لا تريد أولاً أن تسألني، وثانياً لأنّها لا تريد أن تسألني أمام أبي. وأخيراً عندما رأتني على وشك الخروج شعرت بالقلق وسألتني على الرغم من ذلك. وعندما مررت من خلف كرسيّها، نظرت إليّ من فوق ورق اللعب، وأدارت وجهها نحوي مصحوباً بحركة ناعمة، حيوية، سريعة، افتقدتها طويلاً، ثم تطلعت نحوي على نحو خاطف، وهي تبتسم بحياء وتضرّع قبل أن تتلقى أي إجابة.

السادس عشر من كانون الأول:

«الصيحة الهادرة لابتهاج سيرافيم[107] Der Donnerschrei des Entzueckens Seraphim.

كنت أجلس عند ڤيلتش على الكرسيّ الهزّاز، وتحدثنا عن فوضى حياتنا. إنه دائماً على ثقة أكيدة أن على المرء أن يطلب المستحيل، أما أنا فكنت أراقب من دون هذا أصابعي شاعراً، بأنني الممثّل لفراغي الداخلي الذي غدا كلّ شيء من دون أن يكون بالغ الضخامة.

السابع عشر من كانون الأوّل:

رسالة إلى (ڤ) مع التكليف «أن يفيض وأن يضع قدراً واحداً فوق الموقد البارد».

محاضرة بيرغمان Bergmann[108] «موسى والعصر الحاضر»، انطباع صاف. أنا لا علاقة لي بالأمر على أي حال. تتقاطع الطرق الحقيقية الفظيعة بين الحرّية والعبودية من دون دليل على المسافة القادمة، مصحوبة بالإزالة الفورية لما سبق وضعه. ثمة عدد غير محدود من هذه الطرق،

---

(107) يُعّد سيرافيم في التصّور اليهودي أحد ملائكة الطبقة الأولى الحارسين لعرش الله.

(108) المقصود هنا هو الفيلسوف اليهودي-التشيكي الألماني صموئيل هوغو بيرغمان Samuel Hugo Bergmann (1883-1975)، الذي انضم إلى الحركة الصهيونية عام 1910، وهاجر إلى فلسطين، وأسس مكتبة الجامعة العبرية، وظل مديراً لها حتى عام 1935.

وربما يكون ثمة طريق واحد لا أحد يستطيع أن يقرر، فليس ثمة مكان يتيح الفرصة للملاحظة. أنا هناك لا أستطيع أن أغادر. وليس ثمة ما أشكو منه. أنا لا أعاني بإفراط؛ فأنا لا أعاني على نحو متصّل، فهذه المعاناة لا تتراكم، إذ أنني لا أشعر بها في الوقت الحاضر، وحجم معاناتي ربما تكون أقل بكثير من المعاناة القادمة.

صورة ظلّية لرجل يرفع ذراعيه قليلاً في مستويات متباينة، ويواجه الضباب الكثيف تماماً، كي يدخله.

الطريق القوي الجميل الذي تفصل فيه الديانة اليهودية الأشياء، يحصل المرء على مكان، يرى نفسه على نحو أفضل، ويحكم على نفسه على نحو أفضل.

سأذهب للنوم. أنا متعب. ربما اتخذ القرار هناك. أحلام كثيرة حولها.

رسالة خاطئة من (ب ل).

التاسع عشر من كانون الأول:

رسالة من (ف) صباح جميل. دفء في الدم.

العشرون من كانون الأول:

لا رسالة.

تأثير وجه مسالم، خطاب هادئ ولاسيما عندما يمارسه شخص غريب. أمر لم يره المرء حتى الآن، صوت الله يخرج من فم إنسان.

رجل عجوز كان يتمشّى خلال الشوارع في مساء شتائي في أثناء الضباب. كان الجوّ في برودة الثلج. وكانت الشوارع فارغة لم يمرّ بقربه أحد لكنه كان يرى هنا وهناك من بعيد خلال الضباب شبح شرطي طويل، أو امرأة في الفراء أو بضعة شالات. لم يزعجه شيء، وفكر أن يزور أحد أصدقائه، الذي لم يكن قد زاره في منزله منذ مدة طويلة، والذي سبق أن أرسل الخادمة

لتطلب منه المجيء.

كان الوقت قد تجاوز منتصف الليل، عندما كان هناك دقة ناعمة على باب التاجر مسنر. لم يكن من الضروري إيقاظه؛ فقد اعتاد أن ينام قبيل الصباح. لأنه كان يظل صاحياً فوق السرير وينام على بطنه، ويضغط وجهه فوق الوسادة، ويمد ذراعيه ويشبك يديه فوق رأسه.

سمع الدق حالاً، «من الطارق» سأل غمغمة غامضة، وإجابة أكثر انخفاضاً من الدّق. «الباب مفتوح» قال وأضاء المصباح الكهربائي. دخلت امرأة ضعيفة صغيرة ترتدي شالاً كبيراً.

(1914)

الثاني من: كانون الثاني:

أمضيت بصحبة الدكتور ڤايس وقتاً طويلاً طيّباً.

الرابع من كانون الثاني:

صنعنا حفرة في الرمال، وشعرنا في أثناء ذلك بالراحة التامّة، في الليل تجمّعنا داخل الحفرة، وقد غطاها الأب بجذوع الأشجار، فأصبحنا بمنأى عن خطر العواصف والحيوانات البريّة. «أبي» كنّا نصيح خائفين عندما يظلم المكان تماماً تحت جذوع الأشجار من دون أن يلوح الأب، لكنّنا شاهدنا قدميه من خلال شق، انزلق بعد ذلك إلى جانبنا، وربّت قليلاً على كل واحد منا، فشعرنا بالهدوء من خلال لمسات يديه، ثم نمنا معاً، إنّ جاز التعبير، فقد كنا إضافة إلى الوالدين خمسة أولاد وثلاث بنات. كانت الحفرة صغيرة قياساً إلى عددنا، لكننا كنّا سنستعشر الخوف لو لم نقترب من بعضنا بعضاً في الليل.

الخامس من كانون الثاني:

بعد الظهر: كان والد غوته خرفاً عندما توفّي. وكان غوته يعمل في أثناء مرض أبيه على «إيفيغيني» Iphigenie[109].

«خذ هذا المخلوق إلى المنزل. إنّه ثمل». قال أحد موظفّي البلاط لغوته عن كريستيانه[110].

أوغست. المدمن على الكحول كأمّه [ابن غوته من كريستينا]، كان يتسّكع مع نساء متهتّكات مبتذلات.

أوتيلي[111] التي لم تعشقه، فرضها عليه والده لأسباب اجتماعية.

(109) عمل غوته على هذا الكتاب ما يقرب من ثماني سنوات من 1779–1787.

(110) نشأت بينها وبين الشاعر الألماني غوته علاقة حب وتزوجها عام 1806. وقد ولدت أوغست بعد سنة من الزواج.

(111) هي Ottilie (1796–1872) زوجة أوغست بن غوته، وقد تزوجها عام 1817.

ڤولف الدبلوماسي والكاتب.

ڤالتر الموسيقار غير قادر على اجتياز الامتحانات، انزوى عدة شهور في منزل الحديقة. وعندما أرادت تسارين أن تراه:

- «أخبر تسارين أنني لست حيواناً متوحشاً».

- «إنّ صحتي هي إلى الرصاص أقرب منها إلى الحديد».

كتابات ڤولف الأدبية التافهة العديمة الجدوى.

كبار السن في الغرف الكائنة فوق السطوح. أوتيلي ابنة الثمانين، وڤولف ابن الخمسين ومعارفهم القدامى.

يلحظ المرء في مثل هذه الاتجاهات المتطّرفة، كيف يغدو المرء ضائعاً داخل ذاته على نحو غير قابل للإنقاذ، ولا يجد العزاء إلاّ في تأمل الآخرين ومعرفة القانون الذي يحكمهم ويحكم كلّ شيء. كيف يمكن توجيه ڤولف من الخارج، وتحريكه هنا وهناك، وتشجيعه وحثه كي يعمل على نحو منظّم، وكيف يظّل على المستوى الداخلي متماسكاً وثابتاً؟.

لماذا لا يترك الشوكشن [سكان سيبيريا القطبية] بلادهم السيئة؛ فهم سيحيون في أيّ مكان سيذهبون إليه على نحو أفضل، مقارنة بحياتهم ورغباتهم الحاضرة؛ لكنهم لا يستطيعون أن يفعلوا ذلك. فالممكن هو الذي يحدث، وما يحدث هو الممكن.

في مدينة (ف) الصغيرة أراد أحد تجار الخمور من المدينة الكبرى المجاورة تجهيز حانة خمور، فاستأجر قبواً صغيراً في رينغ بلاتس، وصبغ جدرانه بزخارف شرقية، وأحضر أثاثاً قديماً فاخراً، لا يكاد يكون صالحاً للاستخدام.

السادس من كانون الثاني:

دلثي. Dilthey[112] «التجربة والشعر» Das Erlebnis Und die Dichtung حب الإنسانية،

(112) الإشارة إلى ڤيلهلهم ديلثي (1833–1911) الفيلسوف وعالم النفس الألماني. أما كتابة المشار إليه فقد صدر عام 1906.

والاحترام الأعظم لكلّ الأشكال التي ابتدعتها. الوقوف الهادئ في الأماكن الأنسب للمراقبة. كتابات مارتن لوثر المبكرّة. «الظلال القوّية المرتبطة بالقتل والدم القادمة من عالم الغيب إلى عالم الشهادة». باسكال.

رسالة إلى (أ) إلى والدة زوجته (ل*). قبّلت المعلّم.

الثامن من كانون الثاني:

إنشاد فانتل من «الرأس الذهبي»*، «إنّه يقذف الأعداء كما تقذف البراميل».

الحيرة، الجدب، السكون؛ كلّ هذه الأشياء ستتحلّل وتمضي.

ما هي القواسم المشتركة بيني وبين اليهود؟ إنه لا يكاد يوجد قواسم مشتركة بيني وبين ذاتي، ويتوجب عليّ أن أقف في الزاوية سعيداً لأنّني أستطيع التنفس.

وصف لمشاعر غامضة (أ) منذ أن وقع ذلك صارت رؤية النساء تؤلمني. إنّ المسألة ليست إثارة جنسية ولا حزناً خالصاً. إنّها ببساطة تؤلمني تماماً كان ذلك قبل أن أكون واثقاً من ليسل.

الثاني عشر من كانون الثاني:

أمس: غراميّات أوتيلي. خطوبة تولستوي. انطباع واضح عن شاب ناعم وحسّاس وعنيف وأنيق، يكبح جماح ذاته ومملوء بالوعي. داكن وأزرق داكن.

الفتاة في المقهى، تنورتها الضيّقة، بلوزتها الحريرية البيضاء، الواسعة المزركشة بالفراء، العنق العاري، القبعة الرمادية الضيّقة. وجهها الممتلئ الضحوك، النابض أبداً، العينان الودودتان اللتان يغلب التأثّر عليهما قليلاً. احمرار وجهي في أثناء تفكيري بـ (ف).

في الطريق إلى المنزل، ليلة صافية. وعي محدّد لما فيّ من لا مبالاة خاملة، ووضوح عظيم يتسّع من دون أي إعاقة.

نيقولاي، رسائل عن الأدب[113].

إنّ ثمة فرصاً لديّ حقيقة، لكن تحت أي حجر هي؟

يتقدمون نحو الأمام فوق الحصان.

عبث الشباب، الخوف من الشباب، خوف من لا جدوى حياة قادمة تخلو من الإنسانية.

تل هايم * Tellheim. «إنّه يمتلك المرونة التلقائية للحياة الداخلية، التي تفاجئنا دائماً في ظروف حياتية متغيّرة بصفحات جديدة، كتلك التي لا تمتلكها إلا إبداعات الشعراء الحقيقيين».

التاسع عشر من كانون الثاني:

الخوف يتناوب مع الوعي الذاتي في المكتب. وفيما عدا ذلك كانت الغلبة للثقة. نفور من «المسخ». نهاية غير صالحة للقراءة. ناقصة تماماً حتى النخاع. كان سيكون أفضل بكثير آنذاك لو أزعجت برحلة عمل.

الثالث والعشرون من كانون الأول:

المدقّق الرئيسي (ب) يحكي قصة كولونيل متقاعد وهو صديق له، كان يفضّل النوم بجانب النافذة المفتوحة. «أشعر بالراحة في أثناء الليل؛ لكنّني أشعر بالضيّق بالمقابل عندما كان يتوجب عليّ أن ستيقظ باكراً لأجرف الثلج المتجمع على النافذة نيابة عن العثمانيين وأن أحلق لحيتي».

مذكّرات الكونتيسة تورهايم Thuerheim[114].

الأم: «مزاجها الهادئ جعلها مولعة براسين[115]. Racine سمعتها في كثير من الأحيان

(113) هي رسائل متبادلة بين لنسج ووموسى مندلسون والناشر نيقولاي، وقد نشرت في برلين منذ عام 1759 حتى 1765.

(114) هي الكونتيسة لولو نورهايم (1788–1864).

(115) المسرحي الفرنسي جان راسين (1639–1699).

وهي تصلّي لله، وتتوسل له أن يمنحها السلام الأبدي».

من المؤكد أنّ (سوڤورو) أكل مثل مفجوع في حفلات العشاء الكبرى التي أقيمت على شرف السفير الروسي غراف راسوموفسكي في ڤيينا. كان يأكل الطعام الموضوع على الموائد من دون أن ينتظر أحداً. وعندما يشبع ينهض ويترك الضيوف وحدهم.

بعد اللسعة رجل عجوز وناعم ومتحذلق.

«لم يكن ذلك قدرك». قالت أمي وهي تعزّيني على نحو رديء، إنّ الأسوأ من ذلك أنني لا أحتاج في الوقت الحاضر إلى تعزية أفضل، هنا نقطة ضعفي التي ستبقى نقطة ضعفي. وما عدا ذلك تجذبني الحياة المنظّمة التي تتغيّر بتراخ شبه النشيطة التي أحياها في الأيام الأخيرة، العمل حول وصف أنشطة المكتب، قلق أ. بشأن خطيبته، صهيونية أوتلا دُڤ، استمتاع الفتيات في محاضرة سالدن شيلدكراوت، قراءة مذكرات تورهايم، رسائل إلى ڤايس و لوڤي، تصحيحات المسخ؛ كل ذلك استطاع أن يجذبني وأن يمنحني بعضاً من الصلابة والأمل.

الرابع والعشرون من كانون الثاني:

الزمن النابوليوني. تراكمت الأعياد بعضها فوق بعض، وكان كل امرئ في عجلة من أمره. «تذوق كامل لبهجة أوقات الراحة القصيرة». من ناحية أخرى مارست النساء تأثيراً كما يحدث في رحلة طيران حيث لم يكن لديهن الوقت ليضيّعنه. كان العشق تلك الأيام يفصح عن ذاته في الحماسة العالية والاستسلام الكبير». «في هذه الأيام لا عذر على الإطلاق لمرور ساعة ضَعْف».

عاجز عن كتابة بضعة سطور إلى الآنسة ب.ل[116] (Grete Bloch) ثمة رسالتان من دون

(116) الإشارة إلى Grete Bloch (1892–1944)، وكانت إحدى صديقات فيلس باور. وقد كتب كافكا إليها كثيراً من الرسائل ليسألها النصح بخصوص علاقته المضطربة بفيلس هاور. وقد سبب ذلك أزمة بينه وبين خطيبته فيلس باور، وقد ادعت غريتي بلوخ بعد ذلك أنها حملت منه وأنجبت طفلاً.

ردّ، واليوم وصلتني الثالثة. لا أستطيع أن أستوعب على نحو سليم كل شيء، وأشعر مع ذلك بأنني معافى لكنّي أجوف. عندما خرجت من المصعد مؤخراً في الساعة المحدّدة خطر لي بأن النزول إلى التفصيلات الصغرى لحياتي، يشبه الأيام المتشابهة للعقوبات التي كان يتوجب على كل تلميذ طبقاً لطبيعة مخالفته أن يكرّر كتابة جملة معينة بلا معنى عشر مرات أو مئة مرة أو حتى أكثر من ذلك. أما عندما يتعلق الأمر بعقوبتي فيقال: «تكرّر، بقدر ما يستطيع أن يحتمل».

لا يستطيع (أ) أن يهدأ؛ فعلى الرغم من ثقته بي، وكونه يسعى لطلب نصحيتي فقد علمت مصادفة بأسوأ التفصيلات في أثناء المحادثة التي كان يتوجب عليَّ خلالها أن أقمع الدهشة المفاجئة قدر المستطاع، حتى يشعر ألا مبالاتي تجاه تلك الأخبار الرديئة لون من البرودة أو لون من التطمين الكبير له، هذا ما كنت أقصده. عرفت حكاية القبلة على مراحل، استمرت عدة أسابيع تقريباً: قبّلها أحد المعلّمين، كانت في غرفته– قبّلها غير مرّة– كانت تذهب إلى غرفته بانتظام، لأنها تقوم بعمل يدوي لوالدة (أ) والمعلّم يمتلك مصباحاً جيّداً، لقد تركت نفسها له ليقبّلها من دون مقاومة، كان قد سبق أن أعلن عن حبّه لها، ما تزال على الرغم من ذلك تتمشّى معه – أرادت أن تعطيه هدية عيد الميلاد، كتبت ذات مرّة فحدث لي شيء غير سّار، لكنّه لم يدم على الإطلاق.

استجوبها (أ) على النحو التالي: كيف حدث ذلك؟ أريد معرفة الأمر بدّقة. هل اكتفى بتقبيلك؟ كم مرّة؟ أين؟ هل استلقى فوقك؟ هل مسك؟ هل أراد أن ينزع ملابسك عنك؟.

الإجابات: كنت أجلس على الأريكة مع شغلي اليدوي، في حين كان يجلس هو على طرف الطاولة الآخر. جاء وجلس إلى جانبي وقبّلني. ابتعدتُ عنه وزحفتُ نحو وسادة فوق الأريكة، وارتطم رأسي بها، لم يحدث باستثناء القبلة شيء.

في أثناء الاستجواب قالت ذات مرة: «ماذا تظن؟ إنني عذراء».

خطر لي اليوم أنّ رسالتي إلى الدكتور ڤايس مكتوبة بطريقة تسمح له أن يعرضها على (ف) كاملة. ماذا يحصل لو أنه فعل ذلك هذا اليوم، لذا تأجّل ردّه.

السادس والعشرون من كانون الثاني:

لا أستطيع القراءة في [مذكرات] تورهايم، علماً بأنّها كانت متعتي في الأيام القليلة الماضية. رسالة إلى الآنسة (ب ل) هي الآن في طريقها إليها. كيف كانت تمسك بي وتضغط فوق جبيني؟ أمي وأبي يلعبان الورق على الطاولة نفسها.

الآباء وأطفالهم البالغون. كان ولد وأخته يجلسان ظهر يوم أحد إلى مائدة الطعام. كانت الأم قد وقفت للتو، ووضعت المغرفة في القدر الخاصّ بالحساء، تمهيداً لتوزيعها، عندما ارتفعت الموائد كلّها فجأة، وتحرّك مفرش السفرة، وارتفعت الأيدي التي تستند على المائدة، وانسكب الحساء بما فيه من كرات من لحم الخنزير إلى حجر الأب.

كيف كدت أشتم الآن والدتي لأنها استعارت «البراءة الشريرة»[117] من إيللي *Elli هذه التي كنت أرغب في عرضها يوم أمس. «دعي كتبي! فإنني لا أملك شيئاً سواها على الإطلاق». قلت هذا الكلام بغضب حقيقي.

موت والد تورهايم: «وجد الأطباء الذين جاؤوا للتوّ نبضه ضعيفاً تماماً، وأمهلوه بضع ساعات كي يفارق الحياة. يا إلهي، إنه كان أبي هذا الذي يتحدثون عنه، بضع ساعات كمهلة وبعدها يموت».

الثامن والعشرون من كانون الأول:

محاضرة عن معجزات لوردس، طبيب متفتّح العقل، حيويّ، أسنان قوية، تكشير عن الأنياب، واستمتاع بطيّ الكلمات. إنّه الزمن الذي يواجه فيه الإتقان والاستقامة الألمانيتان تلك الشعوذة. موزعو الصحف يصيحون: «بشارة لوردس»، «علاج رائع هذا المساء، علاج أكيد». نقاش: «إنني موظف بريد بسيط لا أكثر». «الفندق العالمي»، حزن لا ينتهي كلما تركت التفكير بـ (ف) هدوء تدريجي من خلال تأملاتي.

(117) مسرحية لصديق كافكا أوسكار باوم (1883–1941) Oskar Baum صدرت عام 1913، وهو ينتمي إلى حلقة كافكا التي كانت تضم إضافة إلى ماكس برود، فيلكس ڤيلتش (1884–1964) الذي يتكرر ذكره في اليوميات.

رسالة إلى (ب ل) وقد بعثت إليها كذلك رواية ڤايس «سفينة حربية ذات مجاديف».

أخبرت شقيقة (أ) بوساطة بطاقة بريدية منذ زمن طويل أنّ أخاها الأكبر سناً قد خطب، وأن خطيبته تخدعه. غضبت يومها ورفضت مثل تلك الحكايات. أنا: «لماذا في ذلك الوقت فحسب؟ إنه أمر خاطئ اليوم، مثلما كان خاطئاً بالأمس. إنّها لم تخدعك»، هو: أليس كذلك، إنها لم تخدعني؟».

الثاني من شباط:

(أ) الرسالة المنحلّة من صديقته إلى خطيبته: «إذا كنا جميعاً ما نزال نأخذ الأمر بصعوبة، وكأننا تحت تأثير خطاب الاعتراف بالخطيئة»، «فلماذا كنت معتزلة في براغ، مفضّلة أن تكون لديك علاقة غراميّة عابرة في إطار محدود، بدلاً من أن تكون في إطار واسع»؟ إنني أفسر الرسالة طبقاً لرأيي الخاص، لصالح خطيبته، ويرافق هذا التفسير مجموعة من الخواطر عنّت لي.

يوم أمس كان (أ) في شلوكي ناو، وأمضى اليوم بأكمله في الغرفة معها، ولم يتوقّف عن طرح الأسئلة عليها، وظلّ الصندوق الصغير بما يحتويه من رسائل (متاعه الوحيد) في يده. لم يحصل على أي معلومات جديدة، سأل قبل ذهابه بساعة: «هل كان الضوء في أثناء التقبيل مطفأ؟». وعلم بعد ذلك أشياء جديدة تركته بلا عزاء، فقد أطفأ (و) النور في أثناء القبلة (الثانية). كان (و) جالساً يرسم في الجانب الآخر من الطاولة، بينما كانت (ل) جالسة على الجانب الآخر (كانت الساعة في غرفة (و) الحادية عشرة ليلاً) تقرأ [Asmus Semper أسموس سمبر]. هنا نهض (و) وذهب إلى الصندوق كي يتناول شيئاً، ظنت (ل) أنه سيتناول الفرجار بينما ظن (أ) أنه سيتناول الواقي)، انطفأ النور فجأة، وغمرها بالقبل، فأخفت نفسها في الأريكة، لكنّه حملها من ذراعيها وكتفيها وكان يقول في تلك الأثناء: «قبليّني!».

(ل) في فرصة أخرى: «إنّ (و) شخص ينقصه الإدراك». وفي مرة أخرى قالت: «أنا لم أقبّله». ثم أضافت «إنني اعتقدت أنني كنت بين ذراعيك» (أ) «ينبغي أن أعرف الحقيقة» (فكرّ

بأن يبعثها إلى الطبيب للفحص)، «ماذا سيحدث لو أنني سأكتشف ليلة الزفاف أنّها كاذبة، ولربما تكون هادئة، لأنّه قد استخدم الواقي».

لوردس: هجوم على الاعتقاد بالمعجزات، وهجوم على الكنيسة. ومن خلال المسّوغات نفسها كان باستطاعته أن يهاجم الكنيسة والمواكب الاحتفالية، والاعترافات والسلوكات غير الصحيّة السائدة في كل مكان. لأنه لم يثبت فيما إذا كانت ثمة فائدة للصلاة.

إنّ كارلسباد أعظم خداعاً من لوردس. فهذا الأخير يمتلك ميزة وهي كون المرء يسافر له، على الرغم من احتفاظه بإيمانه العميق. فماذا نقول للآراء الخاطئة العنيدة التي تتعلق تحديداً بالعمليات الجراحية والعلاج والأمصال والأدوية؟.

من الناحية الأخرى: المستشفيات الضخمة الخاصة بالمتجولين من أصحاب الأمراض المستعصية، المسابح القذرة، حمالات المرضى، القطارات الخاصّة، اللجنة الطبيّة، الصلبان المنيرة فوق الجبال، استقبال البابا لثلاثة ملايين سنوياً، يمر الراهب حاملاً وعاء السرّ المقدّس، صراخ امرأة من فوق نقّالتها: «إنني معافاة!» مع أنّه ما يزال لديها سلّ في العظام من دون أدنى تغيير.

يفتح شقّ الباب، ويظهر مسدس وذراع ممدودة.

[مذكرات] تورهايم II : 35، 28، 37 لا شيء أحلى من الحب. لا شيء ألطف من الغزل، 45، 48: يهود.

العاشر من شباط:

الساعة الحادية عشرة بعد المشي، أكثر نشاطاً من المعتاد. لماذا؟

1– قال ماكس إنني كنت هادئاً.

2– فيليكس سيتزوج (كنت غاضباً منه).

3– سأبقى وحدي، إذا بقيت ف.

4- دعوة السيدة X لي. وتأملاّت حول طريقة تقديم نفسي لها.

مصادفة تمّشيت في الاتجاه المعاكس الذي اعتاد التمشي فيه، وهذا الاتجاه هو على وجه التحديد كتن ستغ هاردشن وجسر كارل. في العادة أكاد أنهار على هذا الطريق. أما اليوم فقد جعلني قدومي من الاتجاه المعاكس أشعر بالعافية.

الحادي عشر من شباط:

قرأت على عجل ما كتبه دلثي Dilthey عن غوته[118] على عجل. انطباع صاخب يظلّ يصحب المرء طويلاً، لماذا لا يشعل المرء النيران ويحترق في لهيبها حتى النهاية؟ أو لماذا لا يطيع حتى لو لم يستمع إلى أيّ أمر؟ يجلس فوق كرسيّه، في وسط غرفته الفارغة ويتأمل الأرض. «إلى الأمام»، يصيح في أحد المضايق الجبليّة، ويستمع إلى صدى صيحاته، ويرى الناس يجيئون من كلّ الطرق الجانبيّة في المنحدرات.

الثالث عشر من شباط:

يوم أمس عند السيدة X. هادئ وحيوي. طاقة مثالية قادرة على الاختراق الذي يشّق طريقه إلى العيون والأيدي والأقدام. صراحة. نظرة صريحة. مازلت أتذكر قبعات عصر النهضة بريش النعام القبيحة الضخمة التي كانت تضعها فوق رأسها. كانت جافّة في تعاملها معي، لأنني لا أعرفها على المستوى الشخصي منذ زمن طويل. كانت تخفق عندما كانت تتعجّل الوصول إلى هدف الحكاية، وتضغط في الاتجاه المعاكس لجسدها، وترتجف على الرغم من ذلك. أبناؤها هما: (أ) و(ب).

أتذكر كثيراً، أتذكّر نظراتها ونسيانها لذاتها في القصّة، مشاركتها الكليّة، وجسمها الصغير الحيوي، وصوتها الحاد الرّنان، وحديثها عن الملابس والقبّعات الجميلة، مع أن المرء لا يراها

(118) يشير كافكا إلى ما كتبه فيلهلم ديلثي (1833-1911) وهو مؤرخ وعالم اجتماع ألماني، كتب عام 1910 عن الشعر والتجربة عند غوته وشعراء آخرين مثل: نو ڤاليس وهولدرلين.

ترتدي تلك الأنواع.

نظرة من النافذة على النهر. في مواطن كثيرة من الحديث. على الرغم من كونها لا تدع الضعف يتسرب إليها؛ فإنّ إخفاقي الكامل ونظراتي التي لا معنى لها، وعجزي عن استيعاب ما قالته، وإبدائي على نحو آلي لملاحظات بلهاء، مع أنه كان يتوجّب علي أن أرى كيف تتوقف عند اللمسات التي لا معنى لها للطفل الصغير.

أحلام: في برلين في أثناء المشي في الشوارع الموصلة إلى منزلها كنت هادئاً وسعيداً، لمعرفتي أنني وإن كنت لم أصل إلى منزلها بعد فإنني سأصل عما قريب. رأيت قطارات الشوارع، ثمة لافتة على أحد المنازل البيض «فخامة الشمال»، كنت قد قرأتها في الجريدة يوم أمس، أما في حلمي فقد أضيف إليها «برلين ف». سألت حارساً لطيف المعشر، أحمر الأنف، كبير السن كان يرتدّي زي الخدم. حصلت على معلومات تفصيلية، لدرجة أنني نبهت إلى السور الذي يحيط بأحد المتنزهات الصغيرة البعيدة، الذي يجب أن أحتاط عندما أتجاوزه. ثم نصحت بخصوص الترام وقطار الأنفاق ...الخ. لم أكن قادراً على متابعته وسألت وأنا أشعر بالرعب، إذا كان على معرفة بأنني أخطأت في تقدير المسافة: «هل تحتاج إلى نصف ساعة من الوقت؟» لكنّ الرجل العجوز يردّ: لكنني أستطيع أن أجعلها ست دقائق». يا للفرح! رجل ما، ظل، زميل يرافقني دائماً ولا أعرف من هو. إنني لا أملك الوقت، حقيقة، لأستدير، أو لأتنحّى جانباً.

يسكن في برلين في بعض الفنادق أو في غرف صغيرة جداً على ما يبدو، يهود بولنديون شباب (أ) سكب زجاجة الماء. أحدهم يطبع من دون توقف على آلة طباعة صغيرة، ولا يكاد يدير رأسه، عندما يطلب منه أحدهم شيئاً. من المستحيل الحصول على خارطة لبرلين. أرى في يد أحدهم كتاباً شبيهاً بالخارطة، إنّه يحرص على أن يشير أنّ هذا الكتاب يحوي أشياء مختلفة تماماً، فهرساً لمدارس برلين، إحصائيات الضريبة، أو أشياء من هذا القبيل. لا أريد أن أصدّق ذلك، لكن الابتسامات أثبتت ذلك لي من دون أدنى شك.

الرابع عشر من شباط:

لا أحد على وجه التأكيد سيكون ملوماً إذا توجّب عليّ قتل نفسي، حتى لو تبيّن على سبيل المثال أنّ السبب المباشر الواضح يعود إلى طبيعة سلوك (ف) معي. تخيّلت المشهد وأنا نصف نائم، ذلك المشهد الذي سيتولّد في ضوء النهاية المتوقعة؛ أجيء إلى منزلها ورسالة الوداع في جيبي، بعد أن أرفض بوصفي خاطباً لها، أضع الرسالة فوق الطاولة، وأذهب إلى الشرفة، متملّصاً من جميع الذين يهرعون للإمساك بي وإرجاعي، مجبراً أيديهم واحدة تلو الأخرى على أن تتركني، ولا تحول بيني وبين القفز. سأعترف في الرسالة بأنني قفزت بسبب (ف)، لكن قبول هذه الفرضية لا يغيّر شيئاً جوهرياً على الإطلاق بالنسبة لي؛ فمكاني هو في الأسفل وليس ثمة حلّ أمامي. إنّ قدري قد ارتبط بـ (ف) مصادفة، وأنا غير قادر على أن أحيا بدونها، لهذا سأقفز لكنني– وف تعي ذلك– غير قادر على أن أعيش معها.

لماذا لا نستخدم هذه الليلة لهذا الغرض، فأنا أستطيع أن أرى الناس وهم يتحدثون في اجتماع الآباء في هذا المساء، يتحدثون عن الحياة وخلق الظروف المناسبة لها، لكنني سأظلّ مخلصاً للتصوّر الذي يرى، بأنّني أحيا حقيقة في الحياة، وأنني لن أقدم على ذلك الأمر، فأنا بارد، وحزين إلى درجة أنّ قميصاً فوق عنقي يضغطني، وأنا ملعون، ولا أكاد أحسن التنفس في الضباب.

الخامس عشر من شباط:

إلى متى ستظل أيام السبت والأحد تظهران أمامي عندما أستعيد ما حدث سابقاً؟ قصصت بعد ظهر أمس شعري، ثم كتبت رسالة إلى ب ل، ومكثت هنيهة عند ماكس في شقته الجديدة.

في اجتماع الآباء جلست إلى جانب ل. ف، التقيت باوم (في الترام)، شكاوى ماكس في أثناء العودة من صمتي. الرغبة في الانتحار، عودة شقيقتي من اجتماع الآباء عاجزة عن الإدلاء بأيّ تفصيلات. بقيت حتى العاشرة في السرير عاجزاً عن النوم، ألم وألم. لا رسائل، لا هنا، ولا في المكتب، رسالة إلى (ب ل) بعثتها من محطة فرانتس يوسف، (ج) بعد الظهر، التمشّي على

امتداد المولداو، القراءة الجهرية في منزله، أمه الغريبة الأطوار التي أكلت الشرائح بالزبدة وتظاهرت بالمرض المشي وحيداً مدة ساعتين، مصمّماً على الذهاب إلى برلين يوم الجمعة، لقاء كول*. في المنزل مع شقيقاتي وصهري. عند ڤيليش ومناقشة الخطوبة (إطفاء شموع ج. ك)، في المنزل محاولاً بوساطة صمتي أن انتزع شفقة أمي ومساعدتها، الآن تخبرني شقيقتي عن اجتماع النادي. الساعة تدق مشيرة إلى الثانية عشرة والربع.

قلت عند ڤيليش لتهدئة أمّه الهائجة: «أنا أيضاً سأفقد فيليكس بسبب هذا الزواج؛ فالصديق المتزوج هو لا شيء». لم يقل فيليكس شيئاً، ولم يكن باستطاعته أن يقول، لكنّه في الواقع. لم يكن راغباً في الكلام.

يبدأ ذلك الدفتر بـ (ف) التي جعلتني في الثاني من أيّار عام 1913 أبدو مضطرباً. إنني أستطيع أن أجعل هذه البداية خاتمة لذلك الدفتر، إذا ما استخدمت* بدلاً عن كلمة «مضطرب» كلمة أسوأ.

السادس عشر من شباط:

يوم ضائع: المتعة اليتيمة التي كانت لي هي أن تتمكّن الليلة الماضية من إعطائي نوماً أفضل.

كنت في طريقي كالمعتاد إلى المنزل بعد انتهاء العمل، عندما خيّل لي أنني موضع للمراقبة، ثم أخذوا يلّوحون لي بحيوية من النوافذ الثلاث لشقة غنتسمر، وكنت أرغب في الصعود إلى هناك.

الثاني والعشرون من شباط:

لعلي قادر على الرغم من الأرق، وما يعانيه الشق الأيسر العلوي من رأسي من انزعاج وصداع على صناعة وحدة كبرى متكاملة أستطيع أن أنسى منها كل شيء، ولا أتذكر إلا ما يبعث الراحة في ضميري.

الثالث والعشرون من شباط:

أنا في الطريق الآن رسالة من موسل*، أفرحتني وأحزنتني لأنني لا أملك شيئاً.

شاب يمتطي صهوة حصان جميل ويجتاز باب إحدى الفيلات.

عندما توفيت جدتي، لم يكن عندها غير الممرضة التي حكت لنا أنها نهضت قبيل وفاتها من على الوسادة كأنها تبحث عن شخص بعينه، ثم استلقت بهدوء بعد ذلك وماتت.

إنني متأكّد أنّ ثمة موانع تحيط بي، وهي موانع لم ترتبط بي ارتباطاً وثيقاً، وأستطيع الآن أن أراها وهي تتحلل، وإن ظلّت قادرة على الانطلاق. إنّ هناك وسيلتين: الزواج أو برلين. أما الثانية فأكيدة وأما الأولى فأكثر جاذبية.

غصت في الأسفل وشعرت بالراحة. سرب صغير كان يحوّم ضمن سلسلة متصاعدة واختفى في الأخضر.

الأجراس تتحرك جيئة وذهاباً بسبب مدّ الماء. خطأ.

التاسع من آذار:

مشى رنزي Rense بضع خطوات في الممّر نصف المعتم، فتح باب غرفة الطعام المبطّن بورق الحائط، وقال مخاطباً المجموعة الصاخبة من دون أن ينظر إلى أيّ منهم: «أرجو أن تهدؤوا قليلاً. إنّ لديّ ضيفاً، أرجو مراعاة ذلك». وعندما رجع إلى غرفته وسمع الضوضاء من دون أيّ تغيّر، توقّف لحظة، وكان على وشك العودة، لكنّه فكّر في الأمر ورجع إلى غرفته. هناك كان شاب في الثامنة عشرة من عمره يقف على النافذة، وينظر إلى الساحة في الأسفل. «إنّها أهدأ الآن» قال الشاب، عندما دخل رنزي رافعاً نحوه أنفه الطويل وعينيه العميقتين «إنّها ليست هادئة على الإطلاق». قال رنزي وهو يحتسي جرعة من زجاجة البيرة الموضوعة على الطاولة. «لا يمكن للمرء أن يتّمتع بالهدوء على الإطلاق؟. يجب أن تتعّود على ذلك أيّها الشاب».

إنّني متعب، ويجب أن أريح نفسي بالنوم وإلا فإنني ضائع من كل الجهات. أي جهد يبذل

للبقاء على قيد الحياة! إنّ إقامة تمثال لا تحتاج إلى بذل هذا الكمّ من القوة.

البرهان الكليّ: إنني ضائع في (ف).

رنزي طالب كان يجلس للدراسة في غرفته الخلفية الصغيرة، جاءت الخادمة وأعلنت أن شاباً يريد الحديث معه. ما اسمه؟ سألها رنزي ولم تكن الخادمة على علم.

إنني لن أنسى (ف) ولهذا لن أتزوجها. هل هذا مؤكد؟

إنني غير قادر على الحكم في هذا الأمر، إنني في الحادية والثلاثين من العمر تقريباً، وأعرف (ف) منذ سنتين، وينبغي أن تكون قد تشكلت لديّ رؤية. وفضلاً عن ذلك فإنّ طريقة حياتي هنا لا تسمح لي بنسيانها، حتى لو لم تكن لـ (ف) القيمة ذاتها عندي. إنّ الاتساق والانتظام والراحة وعدم استقلاليّة طريقتي في الحياة، أمسكت بي على نحو طوعي حيثما أكون، وفضلاً عن ذلك فإنّ لديّ ميلاً غير عاديّ نحو الحياة المريحة وغير المستقلة كما أنّ في شيئاً يقوّي الجوانب التدميرية. وأخيراً فإنني أتقدم في العمر، وتصبح التغيّرات أكثر صعوبة. لكنني أرى في ذلك مصيبة كبرى بالنسبة لي، وهي مصيبة دائمة، ولا أمل في الخروج منها. سوف سأسجن فوق سلّم وظيفتي، وسأبقى حزيناً ووحيداً طالما بقيت قادراً على الاحتمال.

– لكنّك كنت تتمنّى لنفسك هذا النوع من الحياة؟

يمكن لحياة الموظف أن تكون مناسبة لي لو كنت متزوّجاً، فهي ستمنحني الدعم في مواجهة المجتمع والمرأة والكتابة، من دون طلب الكثير من التضحيات ومن دون إفساد، من جهة أخرى للكسل والتبعية اللذين لا يجب أن أخشاهما بوصفي متزوجاً، لكنني لا أستطيع أن أحيا مثل تلك الحياة بوصفي عازباً.

– لكنك تستطيع أن تكون متزوجاً؟

إنني لم أكن أستطيع الزواج آنذاك؛ فكلّ شيء فيّ كان يثور ضد ذلك، على شدّة ما أحببت (ف)، لقد كان الأمر لوناً من الحفاظ على عملي الكتابي الذي منعني لأنّني اعتقدت أنّ الزواج سيعرّضه للخطر. ولربما كنت على حقّ في أنّ حياتي الحاضرة ستتحطّم من خلال العزوبية، فلم

أكتب منذ سنة على الإطلاق، ولا أستطيع مواصلة الكتابة أبداً، وليس ثمّة في رأسي إلا فكرة يتيمة وهي تلتهمني. إنني لم أستطع أن أختبر كلّ ما كان لديّ آنذاك. وعلاوة على ذلك فإنني نتيجة للتبعيّة التي غذاها أسلوب الحياة التي أعيشها أقارب كلّ شيء بتردد، ولا أستطيع من خلال الضربة الأولى أن أكمل شيئاً، وهذا ما كان يحدث هنا أيضاً.

– لماذا تفقد كلّ أمل في امتلاك (ف)؟

لقد جرّبت كلّ أنواع الإذلال لذاتي، قلت لها ذات مرّة في حديقة الحيوانات «قولي نعم؛ فإذا رأيت أنّ مشاعرك نحوي غير كافية للزواج فإن حبي لك عظيم بما فيه الكفاية لاستكمال النقص، وقوي بما يكفي لتحمّل مسؤولية كلّ شيء». تشعر (ف) بالقلق نتيجة لخصائصي. وقد استطاع تبادل الرسائل بيننا مدة طويلة أن يصيبها بالفزع. قلت: «إنني أحبّك بما يكفي كي أطرح كلّ ما يمكن أن يزعجك، وسأكون إنساناً مختلفاً». وكان يتوجب عليّ مثلما أفعل الآن أن أوضح كلّ شيء، فأعترف– ولاسيما في الأوقات الحميمة لعلاقتنا– أنّه كان لديّ في الغالب إحساسات داخلية ومخاوف تأسست على أشياء صغيرة، تتمثّل في كون (ف) لا تحبّني كثيراً، أي ليس بكل طاقة الحب التي تقدر عليها. وهو أمر لم تكن (ف) قادرة على إدراكه من دون مساعدتي. وأكاد أخشى أن (ف) بعد زيارتي الأخيرتين تشعر تجاهي بشيء من الاشمئزاز، على الرغم من أننا كنا ودودين ظاهرياً، ونتخاطب [كأصدقاء] بضمير المخاطب المفرد Du، ونتمشى يداً بيد. إنّ آخر ما أتذكره هو ذلك التجّهم العدائي الكبير الذي أبدته عندما لم أكتف بتقبيل قفازها في ممّر منزلها، فسحبت القفاز وقبّلت يدها. ويضاف إلى ذلك في الواقع أنّها على الرغم من وعدها أن تكون دقيقة في مراسلاتها المستقبلية لم تجب على رسالتي الأخيرتين. وقد أبرقت مراراً تعد بالرسائل لكنها لم تف بوعدها، لدرجة أنّها لم ترد على رسالة أمّي. لقد صار اليأس أمراً لا شكّ فيه. وليس يحق لأحد أن يقول أبداً: ألم يبدُ سلوكك السابق على نحو ما، يائساً من وجهة نظر (ف). لقد كان ذلك شيئاً مختلفاً. فقد اعترفتُ على الدوام حتى في أثناء ما بدا أنّه وداعي النهائي لها في الصيف بحبّي لها، ولم أصمت على نحو قاس على الإطلاق، وكان لديّ مسوّغات لسلوكي. الذي إذا لم يكونوا قادرين على تصديقه فهم قادرون على مناقشته.

إنّ (ف) وحدها هي السبب للقصور الكلّي للحبّ. وعلى الرغم من ذلك؛ فإنّ من الحقّ أنّني قادر على الانتظار؛ لكنني لا أستطيع الانتظار في يأس مضاعف. فأنا لا أستطيع رؤية (ف) تنزلق أكثر فأكثر من قبضتي، فضلاً عن كون ذاتي تدخل حالة عجز، أكون فيها قادراً على إنقاذ نفسي. إنّها ستكون المخاطرة العظمى التي أستطيع أن أجرّبها مع ذاتي، لأنّ كل القوى الرديئة المسيطرة فيّ تتطابق معها في الأغلب. إنّ عبارة «إنّ المرء لا يستطيع أن يعرف ماذا سيحدث إطلاقاً» ليست حجة في مواجهة وضع غير قابل للاحتمال.

– ماذا ستفعل إذن؟

– مغادرة براغ، ففي مواجهة هذا الضرر الإنساني الأعظم الذي وقع عليّ لابد أن استخدم الدواء الأقوى الذي أملكه، وهو السفر.

– هل تترك عملك؟

– إنّ عملي في ضوء ما تقدّم هو جزء من الوضع غير القابل للتحمّل؛ فالأمن ذلك الاحتياط الدائم على مدى الحياة والمرتّب الجيّد الذي لا يتطلّب استخدام كامل طاقتي لا يعنيان لي الكثير طالما بقيت عازبا؛ بل إنهما يتحولان إلى عذاب.

– ماذا تريد أن تفعل؟

– إنني أستطيع أن أجيب عن هذه الأسئلة جميعها حالاً بالقول: إنّه ليس لديّ ما أخسره؛ فالنجاح الذي أحققّه كل يوم مهما صغر هو هديّة، وما أفعله سيكون مفيداً. لكنّني أستطيع أن أجيب بدقّة: فبصفتي محامياً نمساوياً، وإن لم أكن كذلك إذا ما أردنا أن نتحدث بجدّية؛ فإنّني لا أمتلك رؤى قابلة للتطبيق، ولعلّ أفضل ما أستطيع أن أنجزه لنفسي في هذا الاتجاه هو أن أحتفظ بوظيفتي وألا أستغني عنها، ويضاف إلى هذه الحالة المستحيلة تماماً أنني أردت من خلال تدريبي القانوني أن أجني بعض المال، وثمة مدينتان يمكن أن تؤخذا في هذا السياق بالحسبان، وهما: براغ التي أريد أن أرحل عنها، وفيينا التي أكرهها وسأكون فيها تعيساً بالتأكيد، لأنني سأذهب إليها وأنا موقن تماماً بتلك الحتمية.

لذلك ينبغي أن أكون خارج النمسا، ونظراً لأنني لا أمتلك موهبة لغوية، وأؤدي أداءً رديئاً على المستوى الجسدي أو على مستوى العمل التجاري؛ فإن عليّ أن أذهب في بادئ الأمر إلى ألمانيا، ومنها إلى برلين، حيث الفرص الكبرى للحصول على دخل أفضل. وهناك أستطيع من خلال الصحافة أن أستثمر على نحو أفضل وبشكل مباشر قدراتي على الكتابة، وأن أجد وسائل الإعالة المناسبة لي جزئياً على الأقل. أما بخصوص أن أكون قادراً فضلاً عن ذلك للعمل المُلِهم؛ فهذا ما لا أستطيع أن أؤكدّه في الوقت الحاضر ضمن مستويات الحد الأدنى. لكنّني أظن أنّني أعرف على وجه اليقين، أنّه نظراً للاستقلال والحرية، وهما ما سأعيشهما في برلين، بغضّ النظر عن تعاسة الجوانب الأخرى، فإنّني سأستعيد الشعور الوحيد بالسعادة، الذي ما أزال قادراً على مواجهته.

– لكنك مدلل.

– كلاّ، أحتاج غرفة وطعاماً نباتياً، ولا شيء أكثر تقريباً.

– ألن تذهب إلى هناك بسبب (ف)؟

– لا، لقد اخترت برلين للأسباب المشار إليها سابقاً، وعلى كل حال فإنني أحبّها بسبب (ف) وبسبب هالة التصورات التي تحيط بها، وهو أمر لا أستطيع أن أتحكمّ فيه. من المحتمل أن التقي في برلين بـ (ف) وسيساعدني لقائي بها على أن أجعلها خارج دمي، وهذا يشكل ميزة إضافية لبرلين.

– هل أنت معافى؟

– لا، قلب، نوم، هضم.

غرفة صغيرة للإيجار، فجر، فوضى.

الطالب – يستلقي في السرير، ينام ووجهه إلى الحائط. ثمة من يقرع الباب صمت، يزداد الطرق. يجلس الطالب خائفاً، ينظر نحو الباب: أدخل.

الخادمة: فتاة ضعيفة: صباح الخير.

الطالب: ماذا تريدين؟ إن الوقت ليل.

الخادمة: معذرة، إن ثمة رجلاً محترماً ما يسأل عنك.

الطالب: عنّي؟ (يتلعثم) هراء!، أين هو؟

الخادمة: إنّه ينتظر في المطبخ

الطالب: كيف يبدو؟

الخادمة: مبتسمة، حسناً، إنه ما زال شاباً، لكنه ليس وسيماً جداً، أظن أنّه يود تّل.

الطالب: وهو يريد أن يراني ليلاً؟ بالمناسبة أنا لا أحتاج إلى رأيك في ضيوفي، هل تسمعين؟ أدخليه، لكن بسرعة!

يحشو الطالب غليونه الصغير الواقع بجانبه فوق الكنبة ويدخّن.

كلاييي: يقف بالباب وينظر إلى الطالب الذي يدخن بهدوء، ويصّوب عينيه نحو سقف الغرفة (قصير، منتصب، أنف طويل جداً، ومدبّب ومعوّج تماماً وجه ذو بشرة سمراء، عينان ثابتتان، ذراعان طويلان).

الطالب: كم تحتاج من الوقت؟ تعال إلى السرير ها هنا وقل ما تريد. من أنت؟ ماذا تريد؟ بسرعة! بسرعة!

كلاييي: يسير ببطء شديد نحو السرير ويحاول من خلال حركات يديه أن يقوم يفسر بعض الأشياء. عند الحديث يساعد نفسه بشد رقبته ورفع وإنزال حاجبيه. إنني أنا الآخر من ڤولفن هاوزن.

الطالب: حقاً؟ هذا جميل، هذا جميل جداً، لماذا لم تبق إذن هناك؟

كلاييي: تأمّل لو سمحت! إنّها البلدة الأصلية لكلّ منا، حسنّ، لكنّها ما تزال مكاناً بائساً.

الخامس عشر من آذار:

أراد الطلبة أن يحملوا قيود دوستويفسكي وراء نعشه. لقد مات في حيّ عماليّ، في الطابق الرابع من المبنى الذي يشتمل على عدة شقق.

قرب الخامسة صباحاً وفي أثناء فصل الشتاء أعلمت الخادمة وهي نصف عارية الطالب عن وجود زائر «ماذا، كيف؟» سأل الطالب ورأسه مثقل بالنوم، عندما دخل شاب وبيده شمعه استعارها من الخادمة. رفع الشمعة في يده كي يتمكن من رؤية الطالب جيّداً. وأنزل باليد الأخرى قبعته إلى الأرض تقريباً إلى هذا الحدّ كانت ذراعه طويلة.

ليس شيء شبيه بالانتظار؛ يعني العجز الأبدي.

السابع عشر من آذار:

أجلس في الغرفة مع والديّ، كنت أقلّب المجلّة مدة ساعتين، أنظر أمامي بين الحين والآخر. عموماً كنت أنتظر قدوم الساعة العاشرة كي أستطيع الذهاب إلى السرير.

السابع والعشرون من آذار:

كان هاس يستعجل الوصول إلى السفينة، ركض على رصيف الميناء، تسلّق على السطح، جلس في إحدى الزوايا، ضغط بيديه على وجهه، ولم يعد يعير منذ تلك اللحظة بالاً لأحد على الإطلاق، دق جرس السفينة وبدأ الناس يمرّون ويذهبون بعيداً، وكأنّهم في الجانب الآخر للسفينة، غنّى أحدهم من الأعماق.

كانوا على وشك أن يسحبوا سلّم الهبوط، عندما قدمت عربة سوداء صغيرة، صاح الحوذيّ من بعيد، وكان عليه أن يستخدم كلّ قوته لكبح جماح الحصان الواقف على قدميه الخلفيتين، قفز شاب من العربة، وقبّل رجلاً كبيراً محترماً ذا لحية بيضاء، كان ينحني تحت سقف العربة، ثم صعدا السفينة ومعه حقيبة صغيرة في يده، وبعدها غادرت السفينة اليابسة في الحال.

كانت الثالثة فجراً تقريباً، لكنّ الفصل كان صيفاً، وكان ثمة بعض الضوء عندما نهضت في الإسطبل الخيول الخمسة للسيد فون غروزن هوف: فاموس وغراس أفّي وتورنيمنتو وروزينا وبرابانت. ونظراً لأن الليل كان خانقاً فقد تُرك باب الإسطبل موارباً. كان الحارسان ينامان على ظهريهما فوق القش، وكان الذباب يحوّم جيئة وذهاباً من دون أن يمنعه شيء، فوق الفميّن المفتوحين من دون أن يعيقها شيء. وقف غراس أفيّ على نحو يجعل الرجلين تحت قدميه، وهو يراقب وجهيهما، وكان مستعداً لأدنى إشارة تدّل على الصحو أن يقضي عليهما بحوافره. في تلك الأثناء غادرت الخيول الأربعة الإسطبل بقفزتين خفيفتين، واحداً وراء الآخر، ولحق غراس أنّي بهم.

رأتْ أنّي Anne من خلال الباب الزجاجي الغرفة التي يستأجرها الطالب معتمة، فدخلت وأضاءت المصباح الكهربائي، كي ترتّب السرير استعداداً للنوم. لكن الطالب كان يجلس نصف متكئ على الأريكة ويبتسم لها. اعتذرت أنّي وأرادت أن ترجع، لكنّ الطالب طلب منها أن تبقى من دون أن تعيره بالاً. بقيت وقامت بعملها وهي تنظر للطالب نظرة جانبيّة.

الخامس من نيسان:

لو يستطيع الذهاب إلى برلين، فيكون هناك مستقلاً، يحيا يوماً بيوم، وحتى لو جاع؛ فإنه يستطيع أن يجعل طاقته كلها تتدفق بدلاً من توفيرها هنا أو على الأدق توظيفها في اللاشيء. لو أن (ف) تقف إلى جانبي.

الثامن من نيسان:

أمس: كنت عاجزاً حتى عن كتابة كلمة واحدة. واليوم ليس أفضل. من سينقذني؟ ولا أحد يكاد يرى ما يصطرع في أعماقي، إنني شبكة حيّة، شبكة تقف بصلابة وترغب في السقوط.

اليوم في المقهى مع ڤيرفل. كيف يبدو من بعيد وهو يجلس إلى إحدى الطاولات في المقهى؟

منحنياً، ونصف مضطجع حتى وهو جالس فوق كرسي خشبي، ووجهه الجميل في اللقطة الجانبية، يكاد يلهث عند التنفس بسبب الامتلاء (ليس ذلك سمنة)؛ بل هي لا مبالاة شاملة نحو البيئة المحيطة، فضلاً عن كون الوجه صفيقاً وبلا عيوب. أما النظارة المعلّقة فتسهل من خلال ما تثيره من تناقض، عملية تتبع الخطوط العامة الحساسة في وجهه.

السادس من أيار:

يبدو أنّ والديّ قد وجدا شقة جميلة لـ (ف) ولي. درت حولها عبثاً مدة ما بعد ظهر جميل، أتساءل إن كانوا سيتولون دفني في القبر بعد حياة ستكون سعيدة من خلال رعايتهم لي.

كان عند أحد النبلاء ويدعى السّيد فون غريسناو حوذّي اسمه يوسف، لم يكن أيّ ربّ عمل قادراً على احتماله. كان يسكن في غرفة في الطابق الأرضي إلى جانب مسكن البوّاب، ونظراً لأنّه كان سميناً جداً فقد كان ذا نفس قصير في صعود الدرّج. وكان شغله مقتصراً على سوق العربة، وإن كان يستخدم في بعض المناسبات الخاصة لتكريم أحد الضيوف. وما عدا ذلك فقد كان يتمدّد على أريكة بالقرب من النافذة أياماً طويلة وأسابيع، وينظر بعينيه الصغيرتين العميقتين اللتين كانتا ترمشان على نحو لافت، من خلال النافذة إلى الأشجار، التي ... [انقطاع].

نهض الحوذي يوسف من فوق أريكته، وتناول من طاولة صغيرة قطعة من الخبز مدهونة بالزبد، مع قطعة من سمك الرنجة، ثم استلقى ثانية وشرع بالمضغ. كان يتنفّس من خلال فتحات أنفه المدوّرتين الكبيرتين بصعوبة، وكان يتوقف عن المضغ، ويفتح فمه، كي يتمكن من استنشاق ما يكفي من الهواء. وكان بطنه الكبير يرتعد تحت العديد من طيّات ملابسه الزرقاء الغامقة الرقيقة. كانت النافذة مفتوحة، ويمكن للمرء أن يرى منها شجرة طلح ومكاناً فارغاً. وكان ثمّة نافذة طابق أرضي منخفضة، وكان يوسف يرى من فوق أريكته كلّ شيء، كما كان كلّ أحد يستطيع أن يراه. كان ذلك مؤلماً؛ لكنّه كان يتوجّب عليه أن يسكن في هذه الغرفة المنخفضة، لأنه منذ نصف سنة أي منذ أخذت سمنته بالازدياد لم يعد قادراً على صعود الدرج. وعندما حصل على هذه الغرفة بالقرب من مسكن البواب قبل يدي رب العمل السيد غريسناو، وضغط

على يديه والدموع تترقرق في عينيه. لكنّه الآن يعي مثالب هذه الغرفة؛ المراقبة الدائمة، الجوار غير المريح للبّواب، ضجيج المدخل والساحة، المسافة البعيدة عن الخدم التي جعلته يعاني من الغربة والإهمال. كل هذه المثالب يعيها جذرياً، وهو ينوي أن يلتمس من سيّده السماح له بالرجوع إلى غرفته القديمة. وإلا ما هي فائدة هؤلاء الفتيان الجدد المستأجرين من دون فائدة، والذين يقفون ولاسيما منذ خطوبة السيد، دعهم يحملوه وينزلوه عن الدرج فهو رجل نادر ويستحق ذلك!.

تمّ الاحتفال بالخطوبة، كانت مأدبة الاحتفال في النهاية، تحلّق الناس حول المائدة، فتحت النوافذ كلّها، وكان مساء جميلاً دافئاً في حزيران. كانت الخطيبة تقف بين جمع من الصديقات والمعارف المقرّبين، وكان الباقون يحتشدون في مجموعات صغيرة. كان الضحك ينفجر هنا وهناك. وكان الخاطب يتكئ وحيداً في المدخل على الشرفة وينظر.

بعد وقت قصير تنبهّت أم الخطيبة، فذهبت إليه وسألته:

– «لماذا تقف وحدك هنا؟ اذهب إلى أولغا؟ هل تخاصمتا؟».

– «لا» أجاب الخاطب «لم نتخاصم».

– «حسناً» قالت الأم «إذن اذهب إلى خطيبتك! لقد بدأ سلوكك يلفت الأنظار».

رعب التخطيط المجرّد.

مالكة الغرفة أرملة هرمة، ترتدي زيّاً أسود بالياً وتنورّة بالية، تقف في الغرفة الوسطى من شقتها الفارغة. كان ثمة هدوء تام، لم تتحرك الأجراس، في الشارع كان هناك هدوء تام، لقد اختارت السيدة عن قصد شارعاً هادئاً؛ لأنّها أرادت مستأجرين جيدين، فالمستأجرون الذين يطلبون الهدوء هم الأفضل.

السابع والعشرون من أيّار:

أمي وشقيقتي في برلين. سأكون مع أبي وحيداً في المساء. أظن أنه يخشى الصعود. هل

سألعب الورق معه؟ (إنني أجد حرف الكاف قبيحاً، وباعثاً على القرف تقريباً، لكنني أكتبه، ويبدو أنّ عليه أن يكون سمة مناسبة لي). هكذا يتصرف أبي عندما ألمس (ف).

ظهر الحصان الأبيض للمرة الأولى ذات عصر يوم خريفي في شارع كبير، غير مزدحم جداً في مدينة (أ) خرج من مدخل أحد المنازل التي في ساحتها شركة نقليات لديها مخازن واسعة. وكان غالباً ما يحدث أن تخرج أسراب من الخيل بينها حصان وحيد، يُقاد إلى الخارج من خلال الممّر، لهذا كان الحصان الأبيض لا يكاد يلفت النظر، فضلاً عن كونه لم يكن أحد الخيول التي تعود إلى شركة النقليات. وكان هناك أحد العمال الذين يشدون الحبال حول البالات قد لاحظ الحصان، فنظر من حيث يعمل، ثم نظر إلى الساحة ليرى إذا ما كان الحوذي سيجيء على أثره، لم يأت أحد. ثم وقف الحصان بعد ذلك على ساقيه الخلفيتين، وما كاد يخطو أولى خطواته فوق الطريق حتى قدحت عدة شرارات من حجارة الرصيف. وكان الحصان على وشك السقوط لكنه سرعان ما استعاد توازنه، بعدها سار الحصان خبباً فوق الشارع، لا سريعاً ولا بطيئاً، هذا الشارع الذي كاد يكون خالياً تماماً في ساعة الغروب تلك. لكنّ العامل لعن ما ظنه إهمال الحوذيين، ونادى على عدة رجال في الساحة بأسمائهم، فرد بعض الرجال، لكنهم وقفوا مندهشين قليلاً عند البوابة؛ لأنهم عرفوا أنّه حصان غريب. بعد وقت قصير غيّر بعضهم رأيه، فلحقوا الحصان لمسافة قصيرة، ونظراً لأنهم لم يروا وجهه فقد عادوا أدراجهم.

وصل الحصان في هذه الأثناء إلى شوارع الضواحي الأكثر بعداً من دون أن يتوقّف. لقد تكيّف مع حياة الشوارع بدلاً من الركض وحيداً كما اعتاد الحصان أن يفعل. لم تكن خطواته البطيئة تخيف أحداً، ولم يضّل الطريق أبداً، كما أنه لم يخرج عن جادة الشارع المرسومة على الإطلاق، وكان يتوقف عندما تخرج عربة نقل من أحد التقاطعات. فلو أنّ معه أكثر الحوذيين حذراً ممن يمسك بزمامه لما تصّرف الحصان على هذا القدر من الدّقة والبعد عن الخطأ. ومع ذلك فقد كان منظراً لافتاً للنظر، وكان يتوقف أحدهم هنا وهناك وينظر إليه مبتسماً، عندما نزل حوذّي من عربة مارّة كانت تحمل البيرة، وضرب الحصان مازحاً بالسوط. ذعر الحصان حقاً، واتكأ على ساقيه الخلفيتين، لكنه لم يعجّل خطواته.

شاهد أحد رجال الشرطة هذه الحادثة تحديداً، فذهب إلى الحصان الذي كان يبحث في اللحظة نفسها عن اتجاه آخر يسير فيه. أمسك بعنان الحصان، الذي كان على الرغم من خفّة صنعة يكفي للجم حصان نقل، وقال له بودّ قف! إلى أين تركض؟. أمسك به بعض الوقت، وهو يقف في منتصف الشارع، ثم خطر له أنّ مالك الحصان سيكون على مقربة من حصانه الهارب.

إنّ لذلك معنى لكنّه ضعيف، إنّ الدم يجري ضعيفاً بعيداً عن القلب. إنّ في رأسي مشاهد جميلة ومع ذلك فأنا سأتوقّف. أمس ظهر لي الحصان الأبيض للمرة الثانية قبل النوم؛ لدي الانطباع أنه خرج من رأسي الذي كان صوب الجدار، وكأنه قفز عن السرير من فوقي واختفى، لكنَّ الأخير لسوء الحظ لن يدحض عبر البداية المشار إليها أعلاه.

إذا لم أكن مخطئاً فإنني أقترب كثيراً، إذ يبدو كأنّ المعركة الروحية كانت تجري في مكان مضيء من الغابة. إنني في طريقي إلى الغابة لا أجد شيئاً، وأستعجل نظراً للضعف، الخروج منها ثانية. وعندما كنت أغادر الغابة، كنت كثيراً ما أستمع، أو يخيل إليّ أنني أستمع إلى قعقعة سلاح ذلك الكفاح. وربما كانت نظرات المقاتلين تبحث عني خلال ظلام الغابة. لكنني لا أعرف إلا القليل عنهم. وهذا القليل خادع.

وابل قويّ من المطر. قف في مواجهة المطر ودع قوّته الحديدية تخترقك! اندفع مع الماء الذي يريد أن يسحبك بعيدا! لكنّه بقي بانتظار الإشراق المفاجئ واللانهائي للشمس.

رمت صاحبة الملك الأجزاء السفلية المتدلّية من ثيابها، وركضت خلال الغرف بسرعة. هي امرأة ضخمة وباردة. وقد أرعب فكّها السفلي البارز المستأجرين فنزلوا عن الدرج، وعندما نظرت إليهم عبر النافذة غطوا وجوههم في أثناء الهرب.

جاء في أحد المّرات شاب صغير قويّ لاستئجار الغرفة. وكان يضع يديه في جيب معطفه باستمرار. ربما كان ذلك عادة، وربما كان ذلك الشاب يريد أن يخفي بذلك ارتعاش يديه.

– أيها الشاب، هل تريد أن تسكن هنا؟ قالت المرأة وفكّها السفلي يبرز نحو الأمام.

– نعم. قال الشاب وهو يهزّ رأسه من الأسفل إلى الأعلى.

– ستجد الحياة هنا مريحة. قالت المرأة وهي تقوده إلى الأريكة. وهنا لاحظت أنّ ثمة رقعة في بنطاله، فجثت إلى جانبه، وبدأت تحك الرقعة بأظافرها.

– إنك عريق في القذارة. قالت المرأة.

– إنها رقعة قديمة.

– إذن فأنت حقاً من أهل القذارة.

– أبعدي يدك! قال الشاب فجأة وهو يدفعها بعيداً. ما هاتان اليدان المرعبتان؟ قالت ذلك وهو يمسك إحدى يديها ويقلّبها «إنها سوداء من الأعلى، وبيضاء من الأسفل؛ لكنّها سوداء بما يكفي و ...» ثم شرعت أصابعه تتحرك نحو ساعدها البعيد. «ثمة بعض الشعر فوق ذراعك».

– إنك تدغدغني قالت المرأة.

– لأنك أعجبتني. أنا لا أفهم كيف يستطيع أحد أن يقول إنّك قبيحة. لقد قيل ذلك لكنني أراه غير صحيح على الإطلاق. ثم وقف وأخذ يتمشّى في الغرفة جيئة وذهاباً. ظلّت جاثية وأخذت تتأمل يدها، جعله ذلك لأسباب متنوعة، هائجاً فقفز إلى جانبها وأمسك بيدها من جديد.

– يا لك من امرأة لطيفة. قال الشاب وهو يداعب خدها الطويل النحيل. «سيضاف إلى أسباب راحتي أن أسكن هنا. لكنّ الإيجار ينبغي أن يكون رخيصاً تماماً، ومن غير المسموح أن تقبلي مستأجرين آخرين، وينبغي أن تظلّي مخلصة لي. إنّني أصغر منك كثيراً؛ لهذا فإنّني أصّر على الإخلاص. وعليك أن تطبخي جيداً، فأنا معتاد على الطعام الطيّب، ولن أغيّر عادتي على الإطلاق.

واصلوا الرقص أيّها الخنازير، فماذا يهمّني من الأمر؟.

لكنّ ما دونتّه خلال السنتين الماضيتين أكثر واقعية من كل ما كتبته، وربما يعود ذلك إلى

ارتخاء المفاصل. سأكون قادراً على الكتابة ثانية.

منذ أسبوع وجاري في الغرفة المجاورة يجيء إليّ مساء كي يتصارع معي. إنني لم أعرفه من قبل، ولم أتحدث معه إلى الآن. فنحن لا نتبادل سوى بعض الصيحات التي لا يستطيع المرء أن يعدّها حديثاً. يبدأ الصراع بكلمة «حسناً»، أما كلمة «وغد» فيزفرها المرء من أعماقه وهو في قبضة الآخر. أما كلمة «الآن» فتجيء مصاحبة للكمة مفاجئة، في حين تعني «قف» النهاية، وإن ظلّ المرء يصارع قليلاً بعدها. وقد اعتاد في الغالب أن يعود وهو واقف بالباب ثانية، لتوجيه لكمة لي توقعني أرضاً، وبعدها يتمنّى لي ليلة سعيدة من غرفته. كان يتوجّب عليّ إذا أردت التخلّص نهائياً من هذه المعرفة أن أخلي غرفتي، لأن إغلاق الأبواب لا يساعد على الإطلاق في حلّ المشكلة. فقد أغلقت ذات مرة الأبواب، لكن جاري ضرب الباب بالمهدة فانكسر، ونظراً لأنه واتته الجرأة على أن يفعل ذلك كان من الصعب أن يتوقف عن الأمر، لذلك صرت تحت خطر المهدّة.

إنني أعرف كيف أتكيّف، ونظراً لأنه يأتي إليّ على الدوام في ساعة محدّدة؛ فإنني أبدأ ببعض الأعمال الخفيفة التي أستطيع التوقف عنها عند الضرورة. فأنظم مثلاً أحد الصناديق، أو أكتب شيئاً، أو أقرأ كتاباً ليس على جانب من الأهميّة. إنّ عليّ أن أرتّب الأمر على هذه الشاكلة؛ لأنّه يتوّجب عليّ أن أضع كلّ شيء جانباً لحظة وقوفه بالباب، فأغلق الصندوق حالاً، وأترك القلم يسقط من يدي وأرمي الكتاب حالاً، لأنه يريد المصارعة لا غير. وإذا شعرت بالقوة فإنني أبدأ باستفزازه بعض الشيء من خلال محاولة مراوغته، فأزحف تحت الطاولة وأرمي كرسياً على قدميه، وأغمزه عن بعد. على الرغم من أنه أمر لا يخلو من الذوق أن تمارس مثل هذا اللون من المرح مع شخص غريب. في النهاية يرتطم رأس كل منا بالآخر خلال العراك. إنه في أغلب الظن طالب يدرس طيلة النهار، ويريد في المساء أن يتحرك حركات سريعة قبل أن يخلد إلى النوم. والخلاصة أنه وجد فيّ خصماً جيداً، ولعلي أنا الأقوى والأكثر مهارة لو نحينا المصادفات جانباً لكنّه الأكثر جلداً.

الثامن والعشرون من أيار:

سأسافر بعد غد إلى برلين، وعلى الرغم من الأرق والصداع والهموم فلعلّي في حال أفضل من أيّ وقت مضى.

ذات مرّة أحضر معه فتاة، وبينما كنت أحيّيها من دون أن أعيره أيّ انتباه قفز نحوي، وقذف بي إلى الأعلى. «إنّني أحتجّ» صحت رافعاً يديّ. «اصمت» همس في أذني. وقد لاحظت أنّه يسعى للفوز أمام الفتاة بأيّ ثمن حتى باستخدام القبضات المشينة.

قال لي «اصمت» فأدرت رأسي نحو الفتاة.

«أيها الرجل الحقير» قال الرجل ذلك همساً، مستخدماً قواه كلّها ضدّي. كان قادراً على جرّي نحو الأريكة، وتمديدي فوقها. استلقيت على ظهري، انتظرت عودة قدرته على الحديث وقلت: «حسناً. إنّه يرقد هنا» و «عليه أن يحاول ثانية» أردت أن أقول؛ لكنّه بعد أن فُهت بالكلمة الأولى أخذ يضغط على وجهي بمواد التنجيد مما أجبرني على الصمت. «حسناً» قالت الفتاة التي كانت تجلس إلى طاولتي، وتقرأ برسالة كنت شرعت بكتابتها. «ألا نذهب الآن؟» لقد بدأ للتو بكتابة رسالة»، إنّه لن يكملها حتى لو ذهبنا. تعال إلى هنا. هيّا اقبض على الفخذ مثلاً. كان يرتعش كحيوان مريض. «قلت، دعه وتعال». لكنّ الرجل زحف نحوي على كره منه، وكنت أستطيع في تلك اللحظة أن أوسعه ضرباً؛ لأنني كنت قد ارتحت بعض الوقت، لكنّه استنفر عضلاته كلّها كي يقمعني كان يرتعش لكنه كان يعتقد أنني أنا الذي يرتعش. وقد ظلّ يواصل الارتعاش لكنني تركته بسلام لأن الفتاة كانت معنا.

«لقد استطعت في أغلب الظن أن تشكلي حكماً خاصاً بك تجاه هذا العراك» قلت للفتاة، وأنا أنحني لحظة المرور به، لأجلس إلى الطاولة كي أتمّ الرسالة. ثم سألت «من الذي كان يرتعش؟». ولحظة أن بدأت بالكتابة أوقفت القلم بثبات في الهواء، للتدليل على أنني لم أكن أرتعش في أثناء الكتابة، وعندما كانوا قد وصلوا إلى الباب حييّتهم بسرعة، لكنّني خطوت قليلاً كي أبرهن لذاتي على الأقّل على الوداع الذي يستحقه كل منهما.

التاسع والعشرون من أيار:

غداً إلى برلين هل ما أشعر به هو القلق العصبي أم هو شعور بأمان حقيقيّ مؤكّد؟. كيف أمكن لهذا أن يحدث؟ وهل من الصحيح أنه إذا اكتسب المرء ذات مرّة الثقة في قدرته على الكتابة؛ فلا شيء يمكن أن يكون قابلاً للإجهاض أو الضياع على نحو كلي؟ لكنه قد يحدث- وهو أمر نادر الوقوع- أن يعلو شيء فوق معدّله الطبيعي. فهل يعود ذلك إلى ظهور بصيص من الأمل لزواجي من (ف)؛ إنَّ الظروف الغريبة لا تبدو لي على كل حال عند تذكّرها أوضاعاً مغرقة في الغرابة.

وقفت طويلاً بصحبة بيك Pick أمام البوابة. ولم يكن يشغلني سوى الهروب السريع؛ لأن عشائي المكوّن من الفراولة كان جاهزاً في الطابق العلوي. إنّ كل ما سأكتبه عن بيك هو لون من النذالة، لأنني لن أسمح له أن يراه، كما أنني لن أكون سعيداً لأنه لن يتمكن من رؤيته. غير أنه يقع على عاتقي في الواقع جزء من الإدانة المعلقة بطبيعته، طالما أنني أمشي معه. لذا فإنّ ما أقوله عنه ينسحب عليّ حتى عندما ينحى التصّنع الذي يكون في العادة في مثل هذا اللون من الملاحظات.

إنني أرسم خططاً أظلّ أنظر للأمام بثبات خشية أن تغيب الثقوب السحرية المتخيّلة للشكل الخيـالي الذي أرى مـن خلالـه. إنني أخلط النوايا الطيّبة بالأخرى الأنانية؛ أما النوايا الطيّبة فتبهت ألوانها، في حين تتداخل ألوان النوايا الأنانية وتختلط. إنني أدعو السماء والأرض لتشترك في مخططاتي، غير أنني لا أنسى صغار الناس الذين ينسحبون من كل شارع فرعي، ويستطيعون الاستفادة على نحو عابر من خططي على نحو أفضل. إنها البداية دائماً.. إنها البداية دائماً.

وما أزال هنا أقبع مع بؤسي؛ لكنّ العربة الضخمة لمخططاتي على وشك الوصول، وأشعر تحت قـدميّ بـالخطـوة الصـغيرة الأولى لـفـتيـات عـاريـات، مـثـل أولـئك الجالسات في عربات الكرنفال في البلاد السعيدة، يقدنني بخطوات خلفية إلى الدرج. إنني أتأرجح لأن الفتيات يتأرجحن، وأرفع يدي طلباً للهدوء. تقف شجيرات الورود إلى جانبي، ويحترق البخور،

وتسقط أكاليل الغار، وتنثر الورود أمامي ومن فوقي. عازفا بوق كما لو أنهما قدا من حجر يعزفان في بوقيهما، فتجيء حشود من الناس راكضة إلى هنا، وتصطف بنظام وراء الزعماء، وتغدو المربعّات اللامعة والفارغة والمفتوحة مظلمة ومملوءة بالحركة ومكتظّة. أستشعر الحافة البعيدة للجهود الإنسانية، ومن عليائي حيث أكون، ومن خلال مهارة جاءتني على نحو مفاجئ، يتم تنفذ حيلة على نحو تلقائي، تعلمتها قبل سنوات طويلة، من بهلوان أعجبت به، حيث أنحني إلى الوراء، فتحاول السماء في هذه اللحظة التفتح لتمنحني فضاء للكشف، لكنها سرعان ما تتوّقف، أسحب رأسي والنصف الأعلى من جسدي، وأضعهما بين ساقيّ، ثم أنهض لأقف على نحو مستقيم. فهل كان ذلك هو نهاية ما أعطي للناس؟ يبدو ذلك؛ لأنني أرى الشياطين بقرونها الصغيرة تقتحم الأبواب كلها للبلاد الواسعة العميقة الواقعة تحتي، وأراها تتكاثر في كل مكان، وتحت وقع خطواتها يتكسر كل شيء في الوسط، أما أذيالها فتمسح كلّ شيء. إنّ خمسين ذيلاً من ذيول الشياطين تنظّف وجهي. أما الأرض فصارت طرّية تغرق أحد قدميّ أولاً، ثم تغرق الأخرى. تلاحقني صيحات الفتيات إلى الأعماق التي أغرق فيها، في ثقب قطرة يتسع لجسدي وعمقه لا قرارة له. إنّ هذه اللانهائية لا تغري لتحقيق أي إنجازات استثنائية؛ فإن كل ما يتوجّب علي فعله ينبغي أن يكون تافهاً. إنني أسقط على نحو عديم الفائدة، وهذا هو الأفضل.

رسائل دستويفسكي إلى أخيه عن الحياة في السجن.

السادس من حزيران:

العودة من برلين: كنت مقيّداً كمجرم. ولو أنّهم وضعوني في زاوية وقيدّوني بسلاسل حقيقية وأجلسوا شرطيّاً أمامي، وجعلوني أظهر أمام الناس على هذه الشاكلة لم يكن الوضع ليسوء أكثر من ذلك. على هذه الصورة تمت خطوبتي، وقد بذل الجميع جهودهم ليعيدوني إلى الحياة وأخفقوا في تحملّي. وكانت (ف) الأقل من بين الجميع، وهي تمتلك المسوغات لذلك على صعيد المعاناة في الأغلب. فما كان يبدو للآخرين مجرد ظاهرة كان يمثل لها تهديداً حقيقياً.

لم نكن في المنزل قادرين على احتمال ذلك للحظة واحدة. وقد أدركنا بأنّهم سيبحثون عنا، لكننا هربنا على الرغم من قدوم المساء.

كانت مدينتنا محاطة بالتلال التي تسلقناها. جعلنا الأشجار تهتّز عندما بدأنا ونحن في أسفل المنحدر بالتأرجح من شجرة إلى أخرى.

الوضع في المتجر قبل إغلاقه في المساء: الأيدي في جيوب البناطيل، الانحناء قليلاً، والنظر من عمق القبو إلى الباب المفتوح الذي يطلّ على الساحة. حركات العاملين المرهقة وراء المكاتب، الربط الضعيف لأحد الطرود، التنظيف غير الواعي لأحد الصناديق، تكديس ورق اللّف المستعمل.

جاء أحد المعارف وتحدث معي، فرميت نفسي بتكّلف عليه، إلى هذا الحدثّ أنا ثقيل. وقد صرّح لي بما يلي: بعضهم يقول هذا، لكنّني أقول النقيض. ثم وضحّ الأسباب المدعمّة لرأيه. تأرجحت. كانت يداي في جيب بنطالي وكأنهما ستسقطان. والآن أبدو مرتاحاً وكأنني أريد أن أقلب جيوبي من الداخل إلى الخارج، وهي تفعل ذلك بسرعة.

أغلقت المخزن التجاري وكان المستخدمون والآخرون الغرباء يغادرونه وقبعّاتهم في أيديهم. كانت الساعة الثامنة من مساء يوم حزيراني، ولم تحلّ العتمة بعد. ولم تكن لديّ الرغبة في التمشّي، وهي رغبة لم تكن لديّ على الإطلاق؛ لكنّني لم أرغب في الرجوع إلى المنزل. وعندما غيّب المنعطف آخر الصبيان العاملين لدي جلست على الأرض أمام المتجر.

مرّ أحد المعارف بي مع زوجته الشابة، ورأوني وأنا على الأرض. «انظري، من الذي يجلس هناك؟» قال الرجل. توقفا، وهزّني الرجل بلطف مع أنني كنت منذ البداية أبدو هادئاً. «يا إلهي لماذا تجلس هنا على هذه الشاكلة؟» سألت الزوجة الشابة «سأتنازل عن متجري». قلت. «إنّ أموره ليست رديئة تماماً، وأنا قادر على الوفاء بكلّ تعهّداتي، وإن حدث ذلك بصعوبة، لكنني لا أستطيع منع القلق، ولا أستطيع السيطرة على المستخدمين، ولا أقدر على الحديث مع الزبائن. لذا فلن أفتح المتجر بدءاً من صباح الغد. لقد فكرّت في الأمر بهدوء».

شاهدت الرجل يحاول أن يهدئ زوجته، فيضع يدها بين يديه. «حسناً تريد التنازل عن ملكية متجرك، إنك لست أول من يفعل ذلك، نحن فعلناه أيضاً». ثم نظر إلى زوجته في هذه الأثناء- «عندما يصبح ما لدينا من مال قادراً على تغطية احتياجاتنا، ونأمل أن يكون ذلك قريباً؛ فلن نتردّد كما تفعل أنت الآن في التنازل عن متجرنا. إن المتجر يجلب القليل من المتعة لنا، ولك أيضاً، صدقني. لكن لماذا تجلس على الأرض؟».

«عليّ أين أذهب؟» قلت. لقد عرفت بطبيعة الحال لماذا كانوا يستجوبانني، كان ذلك شفقة ودهشة، فضلاً عن الإحراج الذي كان يستشعرن به؛ لكنني لم أكن في موقع أستطيع فيه مساعدتهما.

كان الوقت قريباً من منتصف الليل. جلست في غرفتي وكتبت رسالة، وضعتُ فيها الكثير، لأنني كنت آمل أن أحصل من خلالها على وظيفة جيّدة في الخارج. أردت تذكير ذلك الرجل من معارفي الذي أكتب له، والذي أعدت الاتصّال به مصادفة من خلال أحد الأصدقاء المشتركين بعد عشر سنوات من الانقطاع؛ أن أذكرّه بالزمن الماضي، وأن أوضح له في الوقت نفسه كيف يسهم كل شيء في جعلي أترك الوطن، وكيف أنني في غياب العلاقات الغنّية والجيّدة كما في حالتي أعلّق آمالي الكبرى عليه.

رجع شقيق موظف المجلس البلدي* من مكتبه في التاسعة مساء تقريباً، وكان الظلام قد حلّ تماماً. كانت زوجته بانتظاره، وهي تحتضن ابنتها أمام البّوابه. «كيف تسير الأمور؟» سألت «سيئة جداً»، أجاب برودر. «ادخلي المنزل وسأخبرك بكل شيء». وما كادوا يدخلون إلى المنزل حتى أقفل برودر الباب الأمامي. ثم سأل «أين الخادمة؟». «إنّها في المطبخ». أجابت الزوجة.بي حسن، تعاليّ. إذن!». أضيء مصباح الطاولة في غرفة الجلوس الكبيرة السفلية. وبعد أن جلسا قال برورد: «تسير الأشياء على النحو التالي: رجالنا في تراجع عام، وقد انقلب القتال في روم دورف، كما يتضح في التقارير المؤكدة التي تسلّمتها في قاعة البلدية، ضدنا تماماً. وعلاوة على ذلك فقد انسحب الجزء الأعظم من الفرق العسكرية من المدينة؛ لكنهم يقون ذلك في طي الكتمان، كي لا يزيد الرعب في المدينة إلى الحد الأقصى. مع أنني لا أعد ذلك أمراً

حكيماً ولعلَّ من الأفضل أن تقال الحقيقة علناً للناس. لكنّ واجبي يحتّم عليّ الصمت. غير أن أحداً لا يستطيع منعي من إخبارك بالحقيقة، لكنّ كل واحد من الناس يستطيع أن يحدس الحالة الحقيقية، فقد أغلق الجميع منازلهم، وأخفوا ما يستطيعون إخفاءه».

كـان بعـض موظفيّ البلديـة يقفـون على الحافـة الحجـرية لإحدى نوافذ البلدية، وينظرون إلى الساحة في الأسفل. كان القسم الأخير من حامية الجيش ينتظر أمر القيادة بالانسحاب. كانوا شباباً متورّدي الوجنات يمسكون أعنة خيولهم التي تتقدّم وتتراجع بإحكام. يتقدّمهم ضابطـان، يركبـان حصانيهما، ويبطئان في الحركة ذهاباً وإياباً أمامهم. كانا ينتظران الأخبار على ما يبدو. وقد أرسلوا عدة فرسان، كانوا سرعان ما يختفون بعد عدو سريع إلى الأعلى، حيـث يصعدون إلى بعـض الشـوارع الفرعيـة للساحـة الدائرية، ولم يعد أيّ واحد منهم إلى الآن.

انضم برودر إلى المجموعة الواقفة على النافذة، كان ما يزال شاباً، وإن كانت له لحية كاملة. ونظـراً لعلّو رتبتـه، ولكونـه يتمّتع بتقدير خاص نظراً لمواهبه؛ فقد انحنوا له بأدب، وأفسحوا لـه المجـال حتى حـافة النافـذة «إنهـا النهاية». قال وهو ينظر إلى الساحة: «إنها النهاية كما يظهر».

«لكن هل تظن ذلك أيها السيد المستشار؟» سأل أحد الشباب المتغطرسين الذي لم يتحرك من مكانه، على الرغم من قدوم برودر، وكان يقف على مقربة منه، بحيث يستحيل عليهما النظر في وجه بعضهما بعضاً. «هل تظن أننا خسّرنا المعركة؟».

«بالتأكيد؛ ليس في ذلك أدنى شكّ، إنّ قيادتنا أقولها بثقة سيئّة. علينا أن نكفّر عن ذنوبنا المتنوعة القديمة، لكنّنا لا نملك الآن الوقت للحديث. على كلّ أحد أن يتنّبه لنفسه. إننا في الحقيقة على مقربة من الانهيار النهائي. إنّ ضيوفنا يمكن أن يكونوا هنا قبل حلول المساء، ولعلهم لا ينتظرون المساء، فقد يكونون هنا خلال نصف ساعة».

إغراء في القرية*

الحادي عشر من حزيران:

وصلت مساء ذات يوم من أيّام الصيف إلى إحدى القرى التي لم يسبق لي أن كنت فيها على الإطلاق. لفت نظري مقدار ما تتمتّع به شوارعها من سعة وحرّية. فقد كنت ترى أمام ساحات البيوت الريفية أشجاراً قديمة. وكان ذلك بعد أن نزل المطر، وغدا الهواء منعشاً فأعجبت بالقرية أيّما إعجاب. وقد حاولت أن أعبّر عن ذلك من خلال إلقائي التحيّة على الناس الذين كانوا يقفون على الأبواب، والذين كانوا يردون التحيّة بوّد، حتى لو ردّ بعضهم بتحفظ. وقدرّت أن النوم في القرية سيكون أمراً جميلاً، إذا ما قدّر لي العثور على نُزُل. وما أن تجاوزت السور المغطىّ بالخُضرة لأحدى الساحات حتى انفتح باب صغير في هذا السور، وأطلت ثلاثة وجوه واختفت وأغلقت الباب ثانية. «غريب» قلت ذلك بصوت عال، كما لو أنّ معي أحداً يرافقني. وقد كان يقف إلى جانبي في واقع الأمر وهو ما يبعث على الحيرة، رجل ضخم. من دون قبعة أو معطف؛ بل يرتدي صديرية سوداء منسوجة ويدخن الغليون. تماسكت بسرعة وقلت كأنني على علم مبكّر بوجوده «الباب! أرأيته أيضاً، كيف انفتح ذلك الباب الصغير؟». «نعم» قال الرجل. «لكن لماذا ينبغي أن يكون ذلك غريباً؛ لقد كانوا أطفال المستأجر الذين سمعوا خطواتك، وأحبوا أن يستطلعوا شخص المار من هنا في هذا الوقت المتأخر».

«هذا تفسير بسيط على كل حال» قلت ذلك مبتسماً «كلّ شيء يبدو للغريب غريباً. شكراً». ثم تابعت المشي. فتبعني الرجل. لم أفاجأ بذلك في الواقع فلربما كان للرجل خط سير مشابه؛ لكنّه لم يكن ثمة مسوغ ليسير خلفي وليس إلى جانبي التفت نحوه وقلت: «هل هذا هو الطريق الصحيح للوصول إلى النزل؟».

توقف الرجل وقال: «ليس لدينا نُزُل، أو بالأحرى إنّ لدينا واحداً لكنّه غير مأهول. إنّه يخصّ الجمعيّة؛ لكنها منحته منذ سنوات لرجل عجوز من ذوي العاهات الذي كان يتوجب على الجمعية أن ترعاه، نظراً لأنّ أحداً لم يتقدم لإدارته. وهو يدير النزل مع زوجته على نحو يصعب أن تمرّ أمام بابه من دون أن تشّم الرائحة النتنة القادمة من داخله. أما داخل الصالة فإن قدم المرء تزّل بسبب القذارة. إنّه استثمار مؤلم وفضيحة للقرية، وفضيحة للجمعية».

كانت لديّ الرغبة في معارضته، فقد استفزّني منظره بوجهه النحيل، وخدّيه الضخمين، الميّالين للصفرة، وبالتجاعيد السود المنتشرة فوقهما، في كل حركة من حركات فكّيه. «حسناً». قلت من دون أن أُبدي مزيداً من الدهشة تجاه تلك الأوضاع، ثم أضفت: «لكنني سأسكن هناك؛ لأنني عقدت العزم على أن أبيت هنا في هذه الليلة». «حسن جداً»، قال الرجل بسرعة «وللوصول إلى النُزُل عليك أن تسلك هذا الطريق، سرّ حتى تصل المنعطف التالي، ثم تحوّل إلى جهة اليمين عندها سترى في الحال، لافتة النزل. إنّه هناك».

شكرته للمعلومات وتجاوزته، بينما كان يتأمّلني في تلك اللحظات عن قرب. لم تكن لديّ أدنى حيلة، إذا كان الرجل قد أرشدني إلى اتجاه خاطئ؛ لكنني كنت مندهشاً لأنّه أجبرني على أن أمّر أمامه، ولأنّه تنازل سريعاً على نحو لافت للنظر عن تحذيراته من النزل. إنّ رجلاً آخر كان يمكن أن يوجّهني نحو النزل. وإذا كان النزل على هذا النحو من القذارة؛ فإنه يمكن لي أن أجرّب النوم ذات مرّة في القذارة، ولو كان ذلك لإرضاء عنادي، فضلاً عن أنه ليس أمامي خيارات كثيرة أخرى؛ فقد حلّ الظلام، وصارت الطرق موحلة بسبب تساقط المطر، والطريق إلى القرية المجاورة طويل.

خلّفت الرجل ورائي، وكنت قد نويت ألا أبدي أيّ اهتمام به، عندما سمعت صوت امرأة تتحدّث معه فاستدرت. تحت مجموعة من أشجار الدّلب ظهرت امرأة طويلة القامة، ترتدي تنورة بنّية – صفراء لامعة. وتضع على رأسها وفوق كتفها شالاً خشناً أسود. «تعال حالاً إلى المنزل» قالت للرجل «لماذا لا تجيء؟».

«إنني قادم» قال الرجل «انتظري لحظات قليلة». إنني أريد أن أرى ما الذي سيفعله هذا الرجل هنا، إنه رجل غريب وهو يتسكّع هنا من دون سبب على الإطلاق».

كان يتكلم عني كما لو كنت أصم، أو لا أستطيع استيعاب لغته، صحيح أنّ ما قاله عني لم يعنني كثيراً، لكنني لم أكن سعيداً بطبيعة الحال، إذا ما أخذ ينشر عني في القرية إشاعات كاذبة. لهذا السبب قلت لزوجته: «إنني أبحث هنا عن نُزُل لا أكثر، وزوجك لا يملك حقّ الحديث عني على هذا النحو، ليعطي انطباعاً خاطئاً عنّي».

لم تكد المرأة تنظر نحوي؛ بل ذهبت إلى زوجها، فقد كان استنتاجي سليماً أنه زوجها، لأن ثمة علاقة واضحة مباشرة بينهما، ووضعت يدها على كتفه: «إذا كنت تريد شيئاً فتحدّث مع زوجي وليس معي». «إنني لا أريد شيئاً». قلت غاضباً من طريقة التعامل، «إنني لا أتدّخل بشؤونك، فلا تتدخلّي بشؤوني أيضاً. هذا هو رجائي الوحيد». هزت المرأة رأسها، وهو ما استطعت أن أراه في الظلام؛ لكنني لم أتمكن من رؤية التعبير في عينيها، لقد أرادت أن تجيب على ما يبدو، لكنّ زوجها قال: «ابقي هادئة» فصمتت.

بدا لي أنّ هذا اللقاء قد شارف على النهاية، فاستدرت وأردت أن أواصل المشي عندما صاح أحدهم « يا سيّد»، كان من المحتمل أن يكون النداء موجّهاً لي، لم أتبيّن مصدر الصوت للوهلة الأولى، لكننّي شاهدت شاباً يجلس فوق سور مزرعة، ويمد سيقانه إلى الأسفل وركبتاه تتلاطمان. وقد قال لي بابتذال: «سمعت للتو أنك تريد المبيت في القرية. إنّك لن تجد خارج هذه المزرعة مسكناً صالحاً على الإطلاق». «في المزرعة» تساءلت، وقد حلّ بي الغضب على نحو عفوي، وأنا أنظر بتعجب نحو الزوجين اللذين كانا مايزالان واقفين، يتكئ كل منهما على الآخر، وهما يقومان يرقبانني.

«هذا هو الواقع» قال، وكان في إجابته كما كان في سلوكه متعجرفاً. «هل تؤجر أسّرة هنا؟» سألت ثانية كي أتأكد، وكي أجبر الرجل على أن يتقمّص دور المؤجّر. «نعم» قال وهو يتفادى النظر إليّ بعض الشيء «هنا أسّرة مجهزّة للنوم، ليس للجميع؛ بل للأناس الراغبين وحدهم».

«أنا موافق» قلت، لكننّي سأدفع أجرة للسرير مشابهة للأجرة في النزل بطبيعة الحال.

«رجاء» قال الرجل وهو يتفحصّني مطوّلاً «إننا لن أستغلك» كان يجلس فوق السور مثل سيد، في حين كنت أقف في الأسفل مثل خادم تافه. وكانت لديّ رغبة عظيمة لجعله يتحرك قليلاً من خلال رمي الحجارة فوقه، وبدلاً من ذلك قلت: «افتح لي الباب لو سمحت». «إنه غير مغلق» قال «غير مغلق» همهمتُ بتذّمر، ومن دون أن أعي كيف فتحت الباب ودخلت. نظرت مصادفة بعد دخولي مباشرة نحو السور، لم يكن الرجل هناك، فقد قفز على ما يبدو من

فوقه على الرغم من ارتفاعه. ولعله كان يتبادل الحديث مع الزوجين دعهم يتبادلون الأحاديث، فما الذي يمكن أن يحدث لي، أنا الشاب الذي لا يملك أكثر من ثلاثة غلدر، وبقية ممتلكاته لا تزيد على قميص نظيف في حقيبة يضعها على ظهره، ومسدس في جيب بنطاله. فضلاً عن كون هؤلاء الناس لا يظهرون بمظهر اللصوص الراغبين في سرقة أحد؛ فما الذي يريدونه مني إذن؟.

كانت الساحة نوعاً من الحدائق التي تهمل في العادة، وتقع في مزرعة كبيرة. أما السور الحجري الصلب، فكان يقود إلى توقّعات أكبر. كان ينتشر بين الأعشاب على نحو منظمّ أشجار الكرز بأزهارها الذابلة، ومن بعيد كان البيت الريفي يلوح، وهو بناء موزّع، مكون من طابق واحد. كان الظلام قد حلّ تماماً، وكنت ضيفاً يجيء في ساعة متأخرة؛ فإذا كان الرجل الذي كان يجلس فوق السور قد كذب عليّ، فسأكون عندها في وضع غير مريح. لم ألتق أحداً في أثناء الطريق إلى المنزل. لكنني شاهدت وأنا على بعد بعض خطوات من المنزل عبر الباب المفتوح للغرفة الأولى رجلاً وامرأة متقدمين في السن إلى جانب بعضهما بعضاً ووجهاهما صوب الباب. ويأكلان من أحد الصحون نوعاً من المهلبّية. لم أستطع أن أتبين ذلك على نحو دقيق في الظلام لكنني شاهدت على سترة الرجل شيئاً يلمع كالذهب، كان ذلك معطف أزراره أو لعلها سلسلة ساعته.

حييّتهم، ثم قلت من دون أن أتخطّى العتبة في تلك اللحظة: «لقد كنت أفتشّ عن مكان لقضاء الليلة في القرية، عندما أخبرني شاب كان يجلس على سور حديقتكم، أنني يمكن أن أستأجر غرفة في مزرعتكم أقضي فيها هذه الليلة». وضع العجوزان ملعقتيهما في المهلبّية واستندا على المقعد وتأملاني بصمت. لم يتبدّ الكثير من كرم الضيافة في سلوكهما لذا أضفت: «إنّني آمل أن تكون المعلومات التي أعطيت لي صحيحة، وأنني لم أزعجكما من دون داع». قلت ذلك بصوت مرتفع جداً فلعلهما يعانيان من ثقل في السمع.

«اقترب» قال الرجل بعد هنيهة. وقد أطعته لأنه كان طاعناً في السن، وإلا فقد كان عليّ أن أصّر على أن يجيب على سؤالي المحدّد بدّقة. لكنني قلت في أثناء دخولي «إذا كان إيوائي يجلب لكم أدنى الصعوبات فأرجو أن تقولوا ذلك بصراحة، فأنا لا أصرّ على المبيت، ويمكنني

الذهاب إلى النُزُل، فالأمر عندي سواء».

«إنّه يتكلّم كثيراً» قالت المرأة بصوت منخفض. لم يكن كلامها ينطوي على غير الإهانة؛ لقد قابلوا لُطفي معهم بالإهانات، لكنّ كونها امرأة متقدّمة في السن جعلني غير قادر على الدفاع عن نفسي. ولعّل عجزي على الدفاع عن ذاتي هو ما جعل لملاحظة تلك المرأة التي لم يرد عليها تأثيراً أكثر ممّا تستحق، لكنّني أحسست أنّ ثمة لوناً من المسوغ لهذا اللون من اللوم، لا لأنّي أسرفت في الكلام؛ فأنا لم أتحدث في الواقع إلا بما هو ضروري؛ بل لوجود أسباب أخرى مسّت وجودي مباشرة. لذا لم أنبس بعد ذلك ببنت شفة، وأصررت على عدم الإجابة، وعندما شاهدت في إحدى الزوايا المعتمة القريبة مقعداً اتجهت إليه وجلست فوقه.

عاود العجوزان تناول الطعام من جديد، وجاءت إحدى الفتيات من الغرفة المجاورة ووضعت شمعة مشتعلة فوق الطاولة، فصار بوسع المرء أن يرى قليلاً أكثر من ذي قبل، وكان كلُّ شيء يتضاءل في الظلام باستثناء تلك الشعلة الضئيلة التي كانت تومض فوق رأسي العجوزين المنحنيين. كان بعض الأطفال يجرون في الداخل قادمين من الحديقة، سقط أحدهم وبكى، أما الباقون فتوقفوا عن الجري، وتبعثروا في أنحاء الغرفة. أما الرجل العجوز فقال: «هيا إلى النوم يا أطفال».

سرعان ما تجمّع الأطفال، أما الولد الذي كان يبكي فصار ينشج الآن، وقد شدني أحد الأولاد من سترتي، وكأنه كان يعني أنّه يتوجّب عليّ الذهاب معهم، مع أنني كنت حقيقة أرغب في النوم. نهضت ووقفت ومشيت صامتاً، بوصفي رجلاً كبيراً بين الأطفال الذين كان يرددون بصوت مرتفع: «تصبحون على خير». وقد أمسكني الطفل الصغير الودود من يدي فجعل الأمر أكثر سهولة لي كي أشّق طريقي في الظلام. وسرعان ما وصلنا إلى أحد السلالم الذي تسلّقناه، فأصبحنا في غرفة علوية، وصار بوسعنا من خلال نافذة مفتوحة في السقف أن نرى الهلال مباشرة. وكان من الممتع أن تقف تحت الفتحة التي كاد رأسي يدخل فيها، وأن تتنفّس الهواء البارد المنعش. كان ثمة كومة من القش وضعت مقابل أحد الجدران، وكان هناك مكان يكفي للنوم. أما الأطفال – الذين كانوا ولدين وبنتاً– فقد خلعوا ملابسهم وهم يضحكون،

لكنني رميت نفسي فوق كومة القش بكامل ملابسي، فقد كنت بين غرباء، وليس من حقي أن أتصّرف كما يحلو لي. كنت أستند إلى مرفقي، وأنا أرى الأطفال شبه العراة وهم يلعبون في إحدى الزوايا. شعرت بالتعب الشديد لدرجة أنني وضعت الكيس الذي أحمله فوق رأسي، مددت ذراعي وتركت عيوني تتجول بنظراتها فوق السقف ثم نمت. في بداية النوم اعتقدت أنني أستمع إلى غلام يصيح «انتبهوا، إنّه قادم!»، في حين كانت ضوضاء تعثر الأطفال العجول في أثناء ركضهم إلى مواقعهم تخترق وعيي الذي بدأ يتلاشى.

لقد غفوتُ من دون شك، مدة قصيرة جداً، لأنّني عندما صحوت كان ضوء القمر ما يزال يسقط من خلال النافذة، ويتركز على البقعة نفسها من الأرض. لم أعرف سبب استيقاظي، لأنني نمت بعمق ومن دون أحلام. ثم لاحظت أنه كان على مقربة مني وبمستوى أذني كلب كثّ صغير، وهو من نمط الكلاب الصغيرة البغيضة التي يضعها المرء في حجره، برؤوسها الكبيرة، وشعرها المجعّد وعيونها وكمامتها المثبّتة على نحو رخو، وتبدو كقطع الزينة المصنوعة من مادة صلبة غير حيّة. كيف وصل كلب المدينة الكبرى إلى القرية؟ وما الذي أجبره على اللجوء إلى المنزل ليلاً؟ ولماذا وقف قريباً من أذني؟ نفخت في وجهه لعله يبتعد، فلربما كان الكلب لعبة للأطفال وضلّ الطريق إليّ. أفزعته أنفاسي، لكنّه لم يهرب بعيداً بل اكتفى بالاستدارة، ووقف بسيقانه العرجاء، وأظهر رأسه الكبير مقارنة إلى جسمه الهزيل. ونظراً لأنه بقي هادئاً فقد حاولت العودة للنوم، لكنني لم أستطع فقد بقيت أرى أمام عينّي المغلقتين الكلب وهو يهتزّ بعينيه التائهتين. كان الوضع لا يُحتمل؛ فأنا لا أستطيع أن أجعل الحيوان يقف بالقرب منّي، فوقفت والتقطته ووضعته على ذراعي لأضعه في الخارج، لكن ذلك الحيوان الذي بدا بليداً حتى تلك اللحظة شرع يدافع عن نفسه، وصار يجرّب أن ينشب أظافره فيّ. وكان عليّ بالمقابل أن أمسك بأقدامه الصغيرة، التي تمكنّت من الإمساك بها في منتهى السهولة دفعة واحدة.

– «حسناً يا كلبي الصغير» قلت للرأس الصغير المملوء بالإثارة، بضفائره التي تهتّز من خلفه، وأنا أدخل معه العتمة، بحثاً عن الباب. لحظتها اتضّح لي كيف كان صمت الكلب الصغير، فلم

يكن ينبح ولا يخرج صريراً، مع أنّ الدم كان يتدفق في عروقه بعنف كما كنت أحس. وبعد بضع خطوات استرعى الكلب فيها على كامل انتباهي، وجعلني غير حذر؛ تعثّرت بأحد الأطفال النائمين. كان الظلام دامساً في الغرفة العلوية، باستثناء الضوء القليل الذي كان يتسرب من إحدى الكوى. تنّهد الطفل، فوقفت للحظة بلا حراك، من دون أن أتجاسر على تحريك إصبع قدمي، كي لا يحدث أيّ تغيير يؤدّي إلى إيقاظ الطفل، لكنّ ذلك جاء متأخراً جداً. فقد تحلّق الأطفال كلهم على نحو مفاجئ حولي، وقد شاهدت الأطفال بقمصانهم البيض ينهضون، كأنهم على ميعاد أو كأن ثمة أمراً يجبرهم على اليقظة، لم يكن ذلك ذنبي؛ فلقد أجبرت طفلاً واحداً على الاستيقاظ، لكن هذا الإيقاظ لم يكن إيقاظا؛ بل كان لوناً بسيطاً من الإزعاج، يستطيع نوم الأطفال تجاوزه ببساطة، لكنّهم الآن صاروا جميعاً مستيقظين.

– «ماذا تريدون أيها الأطفال؟» سألت. «واصلوا نومكم»!.

– «إنك تحمل شيئاً ما». قال أحد الأولاد، عندما شرع خمسة منهم بتفتيشي. «نعم» قلت، ليس عندي ما أخفيه؛ فإذا أراد الأطفال إخراج الكلب فهذا أفضل «إنني أحمل هذا الكلب إلى الخارج. لأنه لم يدعني أنم، هل تعرفون من صاحبه؟».

– «إنّ صاحبته هي السيدة كروستر». هذا ما ظننت أنّني فهمته من صيحاتهم الغامضة الحائرة النعسانة التي لم تكن موجهّة لي؛ بل لبعضهم بعضاً.

– «لكن من هي السّيدة كروستر؟» سألت، غير أني لم أتلّق من هؤلاء الأطفال المثارين أيّ جواب. سحب أحدهم الكلب الذي صار الآن في غاية الهدوء من فوق ذراعي، وأسرع الخطى، فتبعته البقية الباقية. لم أرد البقاء هنا وحيداً، فقد طار النوم من عيني أنا الآخر، تردّدت للحظة، فقد بدا لي أنني أتدّخل كثيراً في شؤون هذا المنزل، مع أنّ أحداً لم يبد لي ثقة كبرى على الإطلاق، لكنّي لاحقت الأطفال في خاتمة المطاف، كنت أستمع إلى وقع خطاهم على بعد مسافة قصيرة مني، لكنني تعثّرت كثيراً في الظلمة الدامسة في الطريق المجهول، إلى درجة أن رأسي اصطدم ذات مرّة بالحائط على نحو مؤلم. وصلنا إلى الغرفة التي قابلت فيها العجوزين للمرة الأولى، كانت فارغة، وكان بوسع المرء أن يرى عبر الباب المفتوح الحديقة في ضوء القمر.

«اذهب إلى الخارج»! قلت لنفسي. «إنّ الليل دافئ ومُقْمر، وبوسع المرء أن يواصل السير، أو أن ينام في الهواء الطلق، كما أنّ من العبث أن يستمر المرء في الجري وراء هؤلاء الأطفال، لكنني واصلت المشي على الرغم من ذلك، فقد كان لدي قبّعة وعصا وكيس أغراضي في الغرفة العلوية. لكن يا لجري الأطفال! لقد انقسموا،، بقمصانهم المتطايرة، كما كنت أراهم بوضوح في الغرفة التي تضيئها أشعة القمر إلى شقّين. ويقتضي واجب الشكر، نظراً لنقص كرم الضيافة في هذا المنزل عندما أفزعت الأطفال، أن أجري خلال المنزل، وأن أصنع ضجيجاً عظيماً بدلاً من الخلود إلى النوم، فقد كان وقع خطى الأقدام العارية للأطفال لا يكاد يسمع مقارنة بوقع خطى جزمتي الثقيلة، ولم تكن لديّ أدنى فكرة عن العواقب التي يمكن أن تنتج عن ذلك كلّه.

فجأة ظهر ضوء لامع أمامنا؛ فقد كانت ثمة امرأة ناعمة تجلس إلى طاولتها، في غرفة نوافذها مفتوحة على مصراعيها، وتكتب في ضوء مصباح الطاولة الكبير الجميل «يا أطفال!» صاحت بدهشة، ولم تكن قد رأتني على الإطلاق، فقد بقيت واقفاً في الظل خارج الباب. وضع الأطفال الكلب فوق الطاولة، بدا أنّهم يحبون المرأة كثيراً، فقد استمروا يتأمّلون عينيها، وقد أمسكت إحدى الفتيات بيدها وداعبتها، وقد تركت المرأة ذلك يحدث من دون كبير اعتراض. كان الكلب يقف أمامها على صفحة الرسالة التي كانت تكتبها، وهو يمدّ لسانه الصغير المرتجف نحو الورقة، بحيث كان من الممكن أن يراه المرء بوضوح أمام مظلّة مصباح الطاولة. استجدى الأطفال كي تسمح لهم المرأة بالبقاء، وحاولوا إقناعها بالموافقة. كانت المرأة متردّدة لكنّها نهضت، فردت ذراعها وأشارت إلى السرير الوحيد والأرض الصلبة. رفض الأطفال أن يعطوا لهذا الأمر أهميّة، وزخذوا بتجريب النوم على الأرض التي كانوا يقفون فوقها. كان كل شيء هادئاً للحظات، نظرت المرأة صوب الأطفال وهي تبتسم واضعة يدها في حجرها. وبين الفينة والأخرى كان ثمة طفل يرفع رأسه؛ لكنه كان يستلقي ثانية عندما كان يرى الآخرين ما يزالون نائمين.

عدت إلى المنزل ذات مساء، متأخّراً بعض الشيء عن الموعد الذي اعتدت الرجوع فيه؛ لأنّ

أحد معارفي أمسك بي عند بوابة المنزل مدة طويلة، فتحت باب غرفتي، وأفكاري ما تزال تحوّم حول الحديث الذي دار في مجمله حول الوضع الاجتماعي للناس، علّقت معطفي فوق المشجب، لأذهب إلى المغسلة، وعندها سمعت أنفاساً غريبة متقطعة. نظرت ولاحظت أنه كان فوق الفرن الموضوع في إحدى الزوايا شبه المعتمة شيء حيّ، كانت ثمة عينان صفراوان لامعتان تحدّقان بي، وتحت وجه بلا معالم، كان على الجانبين كليهما صدور نساء كبيرة ومستديرة مستندة إلى رفّ الفرن. بدا المنظر الكلّي كتلة من اللحم الأبيض الناعم؛ أما الذيل المصفر السميك الذي كان يتدلى إلى جانب الفرن فكان يتحرك فوق شقوق البلاط جيئة وذهاباً.

كان أول شيء فعلته أنني كنت أردد وأنا أخطو خطوات واسعة برأس شديد الانحناء: هراء هراء! وكنت أقول ذلك بصوت منخفض كما لو أنني في صلاة، ثم لاحظت متأخّراً أنني توجهت إلى باب صاحبة الملك، ودخلت من دون أن أقرع الباب (انقطاع).

كان ذلك عند منتصف الليل تقريباً. خمسة رجال كانوا يمسكون بي، ومعهم سادس يمد يده ليقبض عليّ. «دعوني» صحت وتحركت على نحو دائري فسقطوا. شعرت بسيطرة قانون ما، وأدركت أن الجهد الذي بذلته مؤخّراً كان يمكن أن يكون ناجحاً. ورأيت كيف عاد الرجال بأذرع ممدودة، وتبيّن لي أنهم سيهجمون في اللحظة المقبلة عليّ.

فاتجهت نحو بوّابة المنزل، وما كدت أقف أمام الباب حتى انفتح طواعية وبسرعة غير عادية، فصعدت الدرج المظلم.

في الطابق الأخير وقفت أمي العجوز أمام باب الشقّة، وهي تحمل شمعة في يدها «احذري، احذري» صحت وأنا ما أزال في الطابق قبل الأخير، «إنهم يلاحقونني».

– «من هؤلاء؟ من هؤلاء؟» سألت أمي «من يستطيع ملاحقتك يا بني؟»

– «ستة رجال» أجبت وأنفاسي تتقطع.

– «هل تعرفهم؟» سألت أمي.

– «كلا؛ إنهم رجال غرباء» قلت.

– «كيف تبدو أشكالهم؟».

– «إنني لم أكد أراهم، واحد ذو لحية سوداء كاملة، وآخر يضع خاتماً ضخماً في إصبعه، وآخر يرتدي حزاماً أحمر، وآخر تمزق بنطاله عند ركبتيه، وواحد بعين واحدة، أما الأخير فأسنانه بارزة».

– لا تفكرّ بالأمر أكثر من ذلك» قالت أمي «اذهب إلى غرفتك، وحاول أن تنام، فقد أعددت لك السرير». أمي هذه المرأة العجوز الصامدة أمام اعتداءات الحياة، بملامح ماكرة حول فمها، هذا الفم الذي يكرّر على نحو غير متعمد حماقات عمرها ثمانون عاماً.

– «هل أنام الآن؟» صحت (انقطاع)

الثاني عشر من حزيران:

كوبن: الوجه المصفّر، والشعر القليل المتناثر فوق الجمجمة، ومن وقت إلى آخر يتوّهج لمعان في عينيه.

فولفسكيل: نصف أعمى، الشبكية منفصلة عن العين، عليه أن يكون حذراً من أن يسقط أو أن يدفعه أحد، عندها ستسقط العدسة وتكون النهاية، عندما يقرأ يتوجّب عليه أن يجعل الكتاب قريباً من عينيه، وأن يلتقط الحروف من زوايا عينيه. كان في الهند مع ملخيور ليشتر فأصيب بالدوزنطاريا، فهو يأكل كلّ شيء، كلّ قطعة فاكهة يجدها ملقاة في تراب الشارع.

قام بي بتجريد أحد الهياكل العظميّة من حزام العفّة، وقد طمأن العمال الذين حفروا في مكان ما من رومانيا بعد أن نحاهم جانباً بقوله إنه يرى في الحزام شيئاً نفيساً، يتوجّب عليه أن يحمله معه تذكاراً، ففتح الحزام وسحبه عن الهيكل العظمي. وإذا صادف أن وجد في إحدى الكنائس الريفية نسخة قيّمة من التوراة أو صورة أو ورقة فإنه يرغب في الاحتفاظ بها، فيمزق

الصفحات التي يريدها من الكتاب، أو من الجدران أو عن المذبح، ويضع قطعتين معدنيتين من النقود تعويضاً وضميره مرتاح. يعشق النساء السمينات. وقد التقط صوراً لكل النساء اللائي عرفهن، وهو يعرض حزمة الصور لكلّ زائر. يجلس يي في إحدى زوايا الأريكة، في حين يجلس الزائر في الجهة الأخرى. ولا يكاد يي ينظر إلى الصوّر؛ لكنه يستطيع أن يعرف دائماً الصورة التي بين يدي الزائر، ويعطي الإيضاحات اللازمة.

هذه كانت أرملة متقدّمة في السّن، هاتان هما الخادمتان الهنغاريتان ... إلخ. عن كوبن: نعم يا معلم كوبن، إنك في الواقع في الطريق إلى الأعلى، وتستطيع بين عشر سنوات إلى عشرين سنة إذا حافظت على خط سيرك أن تكون في وضع يشبه وضع بايروز*.

رسالة دستويفسكي إلى إحدى الرسامات:

تتّحرك الحياة المجتمعية عبر دائرة، وحدهم الذين يحيون أسرى لآلام محدّدة يفهمون بعضهم بعضاً، لأنهم يصنعون – نظراً لطبيعة آلامهم– دائرة يتبادلون فيها الدعم. إنّهم ينزلقون على امتداد الحوّاف الداخلية لدوائرهم، وقد يعطي أحدهم الأولوية للآخر، أو يدفع أحدهم الآخر بلطف في الزحام، أو يشجع الواحد منهم الآخر، على أمل أن ينعكس ذلك عليه أو من خلال المتعة غير المباشرة لرّد الفعل هذا وهذا ما يحدث على المستوى العاطفي. ولكلّ واحد منهم خبرته الذاتية التي منحتها معاناته له وعلى الرغم من ذلك؛ فإنّ المرء يسمع هؤلاء الرفاق وهم يتبادلون تجارب مختلفة تماماً، إذ يقول الواحد منهم للآخر «هذه هي حالك» و«بدلاً من الشكوى احمد الله على أنّك على هذه الحال؛ لأنك لو كنت على غير هذه الحال فستعاني هذه المصيبة أو تلك، وهذه الفضيحة أو تلك»‏. كيف عرف هذا الرجل ذلك؟ إنه ينتمي في نهاية المطاف– كما يشي حديثه– إلى الدائرة ذاتها التي ينتمي المتكلّم إليها، وهو في حالة تتطلب عزاءً مشابهاً؛ ففي الدائرة المتشابهة يعرف المرء دائماً الأشياء المتشابهة، وليس ثمة أي بقايا أفكار تمنح المُعزّي ميزة على من يعزون وهكذا لا تحوي محادثاتهم إلا تجميعاً لخيالاتهم، وسيولاً للرغبات تنتقل من شخص إلى آخر. وقد ترى أحدهم ينظر صوب الأرض، في حين ينظر الآخر صوب

أحد الطيور، لتدرك حينها مدى الاختلافات في عمليات التواصل بينهم. وفي بعض الأحيان يتحدّون في الايمان، وتراهم ورؤوسهم مجتمعة، ينظرون إلى الارتفاعات التي لا نهاية لها. لكن معرفة حالتهم لا تتضّح إلا عندما يخفضون رؤوسهم معاً، لتهبط المطرقة العامة فوق رؤوسهم.

الرابع عشر من حزيران:

أمشي بهدوء، ورأسي يرتعش، في حين يجعلني ذلك الفرع شبه الصقيل فوق رأسي استشعر الضيق الكلّي. إنّ في داخلي الهدوء والأمان اللذين يستشعرهما الآخرون، لكنّ لهما على نحو ما نهاية مقلوبة.

التاسع عشر من حزيران:

الإثارات في الأيام القليلة الماضية، الهدوء الذي انتقل لي من الدكتور (ڤ) قلقه عليّ، كيف رجعوا إليّ مبكريّن في هذا الصباح، عندما صحوت الرابعة تقريباً بعد نوم عميق؟.* Pistekovo divadlo و لوڤن شتاين، والآن الإثارة الخشنة لرواية سويكا Soyka خوف الاقتناع بالحاجة إلى (ف).

كيف انفجر كلانا أوتلا وأنا في وجه كلّ أنواع العلاقات الإنسانية، قبر والديّ* الذي دفن فيه أيضاً ابنهما (Pollak خريج المدرسة التجارية).

الخامس والعشرون من حزيران:

ظللت أذرع غرفتي جيئة وذهاباً من الصباح الباكر إلى الغسق، كانت النافذة مفتوحة، وكان اليوم دافئاً، وكانت الضوضاء في الشارع الضيّق لا تتوقّف عن الحركة. كنت أعرف التفصيلات الصغيرة في الغرفة، من خلال تأملي لها في أثناء المشي. وكل علامة تدل على عمرها، وتفرعاتها إلى النهاية. قاست أصابعي الطاولة من منتصفها، كشّرت عن أنيابي عدة

مرات، أمام صورة زوج صاحبة المُلْك المتّوفى. مشيت عند المساء نحو النافذة، وجلست على حافتها المنخفضة. ومن هناك تأملّت مصادفة للمرة الأولى، وعلى نحو هادئ داخل الغرفة وصولاً إلى السقف.

وأخيراً، أخيراً، إن لم أكن مخطئاً، بدأت الحركة تدّب في هذه الغرفة التي جعلتها تهتّز مراراً، بدأ الاهتزاز بحواف السقف الأبيض المجصّص على نحو رقيق. وأخذت قطع صغيرة من الجصّ بالانفصال، وبدأت تتساقط فوق الأرض هنا وهناك. على نحو عشوائي مددت يدي فسقطت فيها بعض القطع، فرميتها من فوق رأسي على الشارع، من غير أن أكلّف نفسي عناء الاستدارة إلى الوراء. لم يكن للشقوق في السقف نسق خاص، وإن كان بوسع المرء أن يتخيل ذلك على نحو من الأنحاء. لكنّني تركت هذا العبث عندما بدأ يختلط اللون الأبيض بالبنفسجي الميال للزرقة، وينتشر ابتداءً من مركز السقف، قريباً من المصباح الكهربائي البائس، ذلك المركز الذي ظلّ أبيض اللون على نحو متألّق. وقد كانت الألوان تنتشر موجة إثر موجة، أم لعلّ ذلك كان ضوءاً نحو الحواف المظلمة؟. ولم يعد أحد يتنبّه إلى القطع التي كانت تتساقط، وكأنها تفعل ذلك جرّاء ضغط أداة تؤدّي دورها على نحو متقن تماماً.

وقد اخترقت اللون البنفسجي من الجانب الألوان الذهبية الصفراء. لكنّ سقف الغرفة لم يتلّون في الواقع؛ فقد جعلته هذه الألوان شفافاً، على نحو من الأنحاء، وكانت فوقه بعض الأشياء التي تحوم وتسعى للاختراق، إذ أن المرء يستطيع أن يرى الخطوط العريضة لتلك الحركات؛ كان ثمة ذراع تمتد، وسيف فضيّ يتأرجح ذهاباً وإياباً. كان ذلك يعني لي، وهو أمر لم يتطرّق إليه الشك أنّ ثمة رؤيا تتشكّل من أجل خلاصي. قفزت فوق المنضدة كي أجهّز كلّ شيء، ونزعت المصباح الكهربائي بتوابعه النحاسية، وقذفت به على الأرض، ثم قفزت إلى الأسفل، ودفعت بالطاولة من سقف الغرفة إلى الحائط، فصار بوسع ما سيسقط أن يقع فوق السجادة بهدوء، وأن يعلمني بما يتوجّب عليه إعلامي. وما كدت أنتهي حتى سقط السقف حقيقة.

وفي الضوء الخافت وعلى ارتفاع كبير كنت قد أسأت تقديره، كان ثمة ملاك يرتدي وشاحاً

بنفسجياً ميّالاً إلى الزرقة، تلتّف حوله خيوط ذهبية مثبتّة على أجنحة حريرية بيضاء لامعة. أما السيف الذي كان في الذراع المرفوعة فكان يمتد على نحو أفقي، «إنه ملاك إذن»؛ هذا ما اعتقدته، إنه يرفرف حولي طيلة النهار، لكنني لم أتمكن من معرفة ذلك نظراً لعدم إيماني. وهو سيتحدث معي الآن. أخفضت بصري، وعندما رفعته من جديد كان الملاك ما يزال هناك، معلقاً تحت السقف بعمق، هذا السقف الذي انغلق ثانية. لكنّه لم يكن ملاكاً حيا؛ بل كان جسماً خشبياً مصبوغاً مأخوذاً من مقدّمة إحدى السفن. وهو من النوع الذي يعلّق في حانات البحارّة ليس أكثر. أما مقبض السيف فكان مصمَّماً ليكون قادراً على حمل الشموع وتلّقي ما ينزل منها من دهون بيضاء. ولما كنت قد نزعت المصباح الكهربائي، فلم أعد راغباً في البقاء في الظلام، وقد عثرت على شمعة، فألصقتها فوق الكرسي، وأدخلتها في مقبض السيف وأضأتها. ثم جلست إلى وقت متأخر من الليل في الضوء الضئيل للملاك.

الثلاثون من حزيران:

هلليراو[119] إلى لايبتسج مع Pick تصرّفت على نحو فظيع. لم أكن قادراً على السؤال، ولا على الإجابة ولا على الحركة، وكنت لا أكاد أستطيع أن أنظر بعينيّ. رجل يعمل لصالح اتحاد البحرية، الرجل السمين الذي يأكل السجق الخاص بالزوجين توماس، اللذين نسكن عندهما. بريشر الذي أخذنا إلى هناك، السيّدة توماس، هيغنر، فانتل والسيدة آدلر، المرأة والطفل أني ليزه، السيدة الدكتورة (ك) الآنسة (ب) شقيقة السيدة فانتل، (ك) منولسون (ابن الأخ، ألبنوم، اليرقة البيضاء، حمام شجرات الصنوبر)، حانة الغابة «ناتورا»، ڤولف، هاس، قراءة جهرية لنرسيس في حديقة آدلر، مشاهدة معالم المدينة في منزل دال كروتسي، مساءً في حانة الغابة، بوغرا – ذعرٌ فوق ذعر.

إخفاقات: لم نعثر على «ناتورا»، الركض في شارع شتروفي، الترام الخاطئ إلى هلليراو، لا

(119) حي من أحياء مدينة دريزدن الألمانية، وقد تأسس فيها عام 1909 ألو Garden City في ألمانيا.

غرفة في حانة الغابة، نسيان إمكانية أن تكلمني E. بالهاتف هناك، العودة إلى هنا، لم ألتق بفانتل، دالكروزي في جنيف، الوصول صباح اليوم التالي متأخراً تماماً إلى حانة الغابة، (تكلّمت ف. هاتفيا من دون جدوى) القرار بعدم السفر إلى برلين بل إلى لايتسج، السفر عديم الجدوى، السفر خطأ بقطار محلّي، ڤولف يسافر للتوّ إلى برلين، تلميذ لاسكر يسجل نفسه عند ڤيرفل، زيارة عديمة الجدوى للمعرض، وأخيراً بيك في «آركو»، على نحو لا معنى له لتحصيل دين قديم.

الأول من تموز:

متعب جداً

الخامس من تموز:

يتوجب تحمّل مثل هذه الآلام والأسباب التي قادت إليها.

الثالث والعشرون من تموز:

المحكمة في الفندق، السفر إلى هناك بوساطة عربة الأجرة. وجه ف. ربّتت بيدها على شعرها، تثاءبت، لملمت نفسها فجأة، وقالت أشياء عدائية فكّر فيها جيّداً وتكتم عليها طويلاً. العودة مع الآنسة ب ل*. الغرفة في الفندق. الحرارة المنعكسة من الجدار المقابل. وكذا الحرارة القادمة من الجدران الجانبية المقوسّة، التي تتضّمن نافذة الغرفة العميقة. وفوق ذلك شمس العصر. الخادم النشيط الذي يكاد يكون يهودياً شرقياً. صخب في الفناء، كما يحدث في مصنع يعتمد على الآلات، روائح كريهة، البقّة، سحقها قرار صعب. عاملة التنظيف أصيبت بالدهشة. ليس ثمة بق على الإطلاق، وإن كان أحد الضيوف قد عثر على واحدة في الممرّ ذات مرّة.

عند والديها، دموع أمها المتقطعة كرّرت الدرس ثانية. فهم أبوها المسألة من جوانبها كلها على نحو سليم. سافر من Malmoe[120] ليقابلني على وجه الخصوص، سافر الليل كلّه، وكان يجلس بقميصه ذي الأكمام. وافقوا بأنني كنت على صواب، لم يكن ثمة شيء على الإطلاق، أو شيء كثير ليقال ضدي. شيطانّي في براءتي. الذنب على ما يظهر هو ذنب الآنسة ب ل.

وحيداً في المساء على الأريكة تحت شجرة الزيزفون، وجع البطن، بائع التذاكر الحزين، يعرض نفسه للناس، ويقلب التذاكر بين يديه، ولا يستطيع أحد إبعاده إلاّ من خلال شراء التذاكر، ومع ذلك فهو يدير عمله على الرغم من غبائه الظاهر على نحو سليم تماماً. ففي عمل دائم مثل هذا العمل لا يستطيع المرء أن يستمرّ بالقفز هنا وهناك. كما أنّه يتوجّب عليه أن يكون قادراً على ملاحظة الناس.

أما عندما أشاهد هذا النوع من البشر فإنه تنتابني مجموعة من التأملات: كيف وصل الرجل إلى هذا العمل، من الذي يدفع له، أين سيكون غداً، ما الذي ينتظره في الشيخوخة، أين يسكن، في أي زاوية يمدّ ذراعه قبل النوم، هل أستطيع أن أؤدي عمله، وكيف سأشعر لحظتها؟. كلّ ذلك يترافق مع وجع البطن، معاناة خلال ليلة مرعبة من دون أن أتذكرها تقريباً.

مع E[121] في مطعم بيلفيدير على جسر شترالاو. ماتزال E. تأمل في الوصول إلى مخرج مناسب، أو تتصرف على هذا النحو. شرب النبيذ، دموع في عينيها، سفن متوجهة إلى غرون آو وشفيرت آو. خلق كثير. موسيقى. واستني E. مع أنني لم أكن حزيناً. وهذا يعني أن حزني ذاتي خالص، لكنه غير قابل للمواساة.

أهدتني «الغرف القوطية» Gotische Zimmer[122]. تحدثت كثيراً (لا أعي شيئاً من حديثها على الإطلاق)، ولاسيما تغلبها في عملها على زميلة لها عجوز، بيضاء الشعر، خبيثة، كانت

(120) هي ثالث أكبر المدن الصناعية في السويد.

(121) المقصود هو Erna Bauer شقيقة فيليس.

(122) ربما كان المقصود صورة الغرف القوطية في قصر براون فلز Braunfels في ولاية هسن في ألمانيا، والذي بني في القرن الثالث عشر الميلادي.

تعمل معها. إنها ترغب في مغادرة برلين، وأن يكون لها عملها الخاص، فهي تعشق الهدوء، وقد كانت تمضي أيام الأحد يوم كانت في سبنتس Sbenitz نائمة في غالب الأحيان. وهو أمر يمكن أن يكون باعثاً على الضحك، وقد أستأجر شقيقها شقة على الجانب الآخر لشاطئ بيت البحرية.

لماذا لوح والدها وعمتها لي عن بعد؟ لماذا كانت ف. تجلس في الفندق من دون أن تحرّك ساكناً، على الرغم من أن كل شيء صار واضحاً؟ لماذ أبرقت لي تقول: «أنتظرك، لكنّ عليّ أن أسافر الثلاثاء لأسباب تتعلق بالعمل». هل يتوقعون مني أن أنفذ عملاً ما؟ لا شيء يمكن أن يقع على نحو طبيعي، من لا شيء [الدكتور ڤايس، الذي يمشي صوب النافذة يقاطعني]. ... [انقطاع].

السابع والعشرون من تموز:

لم أذهب في اليوم التالي إلى والديها، اكتفيت برسالة وداعيّة بعثتها مع أحد سائقي الدّراجات الهوائية، إنها رسالة غير أمينة وعابثة، «أرجو ألا تتذكرّوني على نحو رديء». وهي عبارة تقال عند منّصة الإعدام.

ذهبت إلى المسبح في شاطئ شترالاور مرتّين، الكثير من اليهود. وجوه مزرقّة. أجسام قوّية. ركض جامح. مساءً في حديقة (أسكانش هوف). تناولت الأرز في تراوت مانز دورف مع حبة من الخوخ. كان أحد شاربي النبيذ يراقب محاولاتي لقطع حبة الخوخ الصغيرة غير الناضجة بالسكين لم تنجح المحاولة. تركت وأنا أشعر بالخجل تحت وطأة نظرات الرجل العجوز حبة الخوخ تماماً، وشرعت بتقليب «الأوراق الطائرة»[123] عشرات المرات. انتظرت لأرى، فيما إذا كان سيستدير في نهاية المطاف. ثم استجمعت في النهاية قواي كلها، وقضمت حبة الخوخ الغالية الثمن الخالية من العصارة. في الكشك كان معي رجل ضخم، لم يكن يهتم بشيء سوى

(123) Fliegende Blaetter هو اسم لمجلة ساخرة أسبوعية ظهرت في ميونيخ عام 1844، واستمرت حتى عام 1944، وكانت تصدر عن دار النشر براون وشنايدر.

الشواء. كان يختاره بعناية، مثلما كان يهتمّ بالنبيذ مع وعاء الثلج. أخيراً أشعل لنفسه سيجاراً ضخماً، وكنت أراقبه من خلال «الأوراق الطائرة» الخاصة بي.

المغادرة من محطة ليرتر، السويدي يرتدي قميصاً طويل الأكمام. الفتاة القوّية المظهر بأساورها الفضية الكثيرة. تغيير القطار في بوخن في أثناء الليل. لوبك)[124] فندق شوتس هاوس المرعب. الجدران المزدحمة بغير نظام، البياضات القذرة أسفل ملاءة السرير. البناء المهمل، صبي المطعم هو الخادم الوحيد. ذهبت خوفاً من الغرفة إلى الحديقة. جلست ومعي زجاجة من الماء المعدني. كان يجلس قبالتي شاب أحدب يحتسي البيرة، وشاب آخر يدّخن، مصاب بفقر الدم. غفوت على الرغم من ذلك؛ لكنني صحوت قبل شروق الشمس التي لامست أشعّتها وجهي على نحو مباشر عبر النافذة الكبيرة، هذه النافذة التي تطّل على مجمّع خطوط السكة الحديدية. الضوضاء المستمرة للقطارات. الخلاص والسعادة بعد الانتقال إلى فندق كايزر هوف في ترافي Trave[125].

السفر إلى ترافي موندي[126]. بركة سباحة مختلطة. منظر الشاطئ. فترة ما بعد الظهر فوق الرمل بدا منظر قدميّ العاريتين للناس خارجاً عن الاحتشام إلى جانبي رجل يبدو أنه أمريكي. بدلاً من تناول طعام الغداء سار بمحاذاة الفنادق والمطاعم. جلس بين الأشجار أمام المشفى، واستمع إلى موسيقى العشاء.

تمشّيت في لوبك بجانب السد. رجل بائس المظهر، حزين فوق أحد المقاعد. النشاط في الميدان الرياضي. مكان هادئ، ترى الناس فيه على كل الأبواب فوق الدرجات والحجارة. الصباح من خلال النافذة. تفريغ الخشب من أحد الزوارق الشراعية. الدكتور ڤ* في محطة السكة الحديدية. التشابه الذي لا ينتهي بينه وبين لوڤي. العجز عن اتخاذ أيّ قرار بشأن غليتشن دورف. تناول الطعام في معمل ألبان هانزا. «العذراء الخجولة» شراء وجبة العشاء.

---

(124) مدينة تقع في شمال ألمانيا.

(125) قرية بلغارية.

(126) تقع في لوبك المشار إليها على نهرا ترافي.

مكالمة هاتفيّة مع غليشن دورف. السّفر إلى مارينليست، العبّارة البحرية، اختفاء شاب يرتدي معطفاً مطرّياً وقبّعة. وظهوره الغامض من ثم خلال السفر بالعربة من فاغّرلوزي إلى مارين ليست.

الثامن والعشرون من تموز:

الانطباع الأوّلي اليائس للجدب، البيت البائس، الطعام الرديء بلا فواكه ولا خضار، النزاعات بين – و هـ. التصميم على السفر في اليوم التالي. إنذار. البقاء على الرغم من ذلك، قراءة من «الهجوم» Ueberfall. عجزي يتنامى عن السّماع وعن الاستمتاع وعن القدرة على إصدار الحكم. قدرة – على ارتجال الخطاب تُعد بالنسبة لي مستحيلة المنال. الرجل الذي يكتب في وسط الحديقة، بوجهه السّمين، وعينيه السوداوتين، وشعره الطويل الدهني اللامع، المسّرح باستقامة فوق الظهر، النظرة الصارمة من زوايا عينيه يميناً ويساراً. الأطفال غير المهتميّن يتحلّقون حول طاولته كالذباب، عجزي يتنامى عن التفكير والملاحظة والتأكد والتذكّر والحديث والمشاركة في أي تجربة. إنني أتحجّر. وعليّ أن أتأكد من ذلك. وقد غدا عجزي أكبر. حتى في المكتب، وإذا لم ألجأ لتنفيذ عمل ما؛ فإنني ضائع، هل أعي الأشياء كما هي في الواقع؟ إنني لا أنزوي عن الناس لأنني أريد أن أعيش بهدوء؛ بل لأنني أريد أن أهلك بهدوء. إنني أحسب المسافة التي قطعناها أنا و E. من الترام إلى محطة ليرتر للسكة الحديدية. لم يتكلم أحد، ولم أفكرّ في شيء باستثناء أنّ كلّ خطوة كنت أخطوها كانت تمثل لي مكسباً كبيراً. كانت ، لطيفة معي، تصدقني لأسباب غامضة، على الرغم من أنها رأتني أمام المحكمة. إنّني أشعر أحياناً بتأثير هذا الايمان فيّ من دون أن أصدّق تماماً هذا الشعور في كلّ الأحوال. المرة الأولى التي أحسست فيها بالحياة أمام جمع من الناس، كانت تجاه المرأة السويسرية في غرفة القطار في أثناء رحلتي الذّهاب والعودة من برلين. لقد ذكّرتني بـ ج. ف. فقد صاحت ذات مرّة: أيّها الأولاد! ؟ فأصابها الصداع، نظراً لأن ضغط دمها سبب لها الكثير من المشكلات. جسم قبيح، مهمل، ضئيل، وملابس رثّة، رخيصة من مخازن باريس. نمش على الوجه. لكنّ لها قدمين صغيرتين؛

أما الجسد فهو تحت السيطرة تماماً على الرغم من خموله نظراً لضآلته. خدّان صلبان مستديران ونظرة حيوية يتعذر انطفاؤها.

الزوجان اليهوديان اللذان يسكنان إلى جواري. زوجان شابان، كلاهما خجول ومتواضع، هي بأنفها المقّوس وقوامها النحيف، وهو أحول قليلاً، شاحب اللون، ممتلئ الجسد، عريض، يسعل في الليل أحياناً، يركضون خلف بعضهم بعضاً في الليل أحياناً، منظر السرير وهو بحالة فوضوية.

زوجان دينماركيان، الرجل منضبط تماماً وهو يرتدي معطفه أما المرأة فلها وجه بنّي نحيل لوّحته الشمس، لكنّه ذو ملامح قاسية. يميل الوجهان كل وجه نحو الآخر، كأنهما نقش بارز على حجر كريم. الفتى الوسيم الوقح، المدمن على التدخين. ينظر دائماً إلى هـ. على نحو وقح، مملوء بالتحدّي والإعجاب والسخرية والاحتقار. وفي بعض الأحيان لا يعيرها أدنى انتباه. يطلب السجائر منها على نحو صامت، فتستجيب له وتعطيه واحدة من بعيد، يرتدي بنطالاً ممزّقاً؛ لذا فإنّ من يرغب في جلده يتوجّب عليه أن يفعل ذلك في هذا الصيّف؛ لأنه سيجلد ذاته في الصيف القادم. عاملات التنظيف جميعاً يربتّن على أذرعهن من دون تواضع أو إحساس بالحرج؛ بل يتصرفن مثل ضابط يمتلك هيئة طفوليّة تمنحه القدرة على الحركة التي سيحرم منها في المستقبل، كما لو أنه يهدّد عند تناول العشاء بتقطيع رأس إحدى الدّمى بالسكين.

لاعبو الرماح أربعة أزواج. في القاعة الكبرى على ضوء المصباح وموسيقى الغرامافون. بعد كل واحد يذهب أحد الراقصين على عجل إلى الغرامافون ويضع أسطوانة جديدة. الرقص في جانب الرجال على وجه الخصوص منضبط ورشيق وجاد. زميله المرح، الأحمر الخديّن، الاجتماعيّ الذي جعل قميصه المتصلّب المنتفخ يبدو أعلى من مستوى صدره العالي الواسع. هذا اللامبالي الشاحب المتفوّق، المرح مع الجميع، بداية بروز البطن، والملابس الفاتحة الفضفاضة، المعرفة بلغات عديدة. قرأ «المستقبل»، الأب العملاق المصاب بتضخّم في الغدّة الدرقية، العائلة المصابة بعسر التنفّس، الذين كنت تستطيع أن تعرفهم من خلال صعوبة تنفسهم وبطونهم الطفولية. هذا الأب، كان يجلس مع زوجته– التي كان يراقصها بأناقة– على نحو

لافت للعيان حول مائدة الأطفال، وكان حضوره مع أطفاله حول تلك المائدة بارزاً تماماً. الرجل المستقيم. الصادق الجدير بالثقة، الذي يُرى وجهه نظراً لما يتسّم به من جدّية وتواضع ورجولة عابساً على نحو ما. يعزف البيانو. الألماني العملاق ذو الندوب فوق وجههه المرّبع. أما شفتاه المنتفختان فتلتصقان بهدوء عند الحديث. زوجته ذات الوجه الشمالي الصلب والودود، بمشيتها الجميلة الواثقة وبخصرها المتمايل بحرية واثقة. سيّدة من لوبك بعينين مشرقتين، ثلاثة أطفال بينهم غيورغ، الولد الطائش كفراشة، الذي يجلس إلى جانب الغرباء الخلّص، ويسأل في أثناء الحديث الطفولي أسئلة لا معنى لها. فقد كنا ذات مرة جالسين ونصحح «الكفاح»* عندما ظهر، وتساءل على نحو بدهي ومملوء بالثقة وبالصوت المرتفع عن الأطفال الآخرين، وأين ذهبوا. الرجل الصلب المتقدم في السن الذي أظهر كيف تبدو الرؤوس الحكيمة للنبلاء الشماليين عند الكبر. إن الأمر سيؤول إلى فساد، وغياب القدرة على التمييز إذا لم تعد الرؤوس الشابة الحكيمة تجري هنا وهناك.

التاسع والعشرون من تموز:

الصديقان الأشقر منهما يشبه ريتشارد شتراوس Richard Strauss[127]، ضحوك، متحفّظ، ذكيّ، أما الآخر الأسمر فيرتدي ملابسه على نحو دقيق، ناعم وصلب، رشيق تماماً، ويلثغ. كلاهما ذواقتان للطعام، لا يكفّان عن احتساء الخمرة وشرب القهوة والبيرة والعرق. يدخنان من دون توّقف، فترى واحداً منهما يسعف الآخر. تقع غرفتهما مقابل غرفتي، وهي غرفة مملوءة بالكتب الفرنسية. إنهما يسرفان في الكتابة في الغرفة الخانقة المخصصة للكتابة، عندما يكون الجو جميلاً.

يوسف ك[128] ابن أحد التّجار الأغنياء، غادر ذات مساء بعد شجار عنيف مع والده، لامه

(127) يشير كافكا إلى الملحن والمؤلف الموسيقي الألماني ريتشارد شتراوس (1864–1949) الذي ينتمي إلى الحقبة الرومانسية المتأخرة وطلائع الحداثة.

(128) يذكر اسمه ببطل رواية المحاكمة لكافكا. التي شرع كافكا في كتابتها عام 1914.

فيه نظراً لطبيعة حياته المتحلّلة، وطلب إليه أن يتوقف عنها في الحال، توقّف يوسف من دون هدف محدّد، نظراً لأنه كان متعباً ومرتبكاً تماماً عند مبنى الغرفة التجارية، الذي يقع وحيداً بالقرب من الميناء، انحنى البواب له انحناءة كبيرة. نظر يوسف نحوه عرضا من دون أن يحيّيه. «هؤلاء الأشخاص التابعون الصامتون، يفعلون كلّ ما يتوقع المرء منهم أن يفعلوا»، فكرّ يوسف «إنّني إذا ظننت أنه ينظر إليّ بنظرات غير لائقة فإنه سيفعل ذلك حقّاً». استدار نحو الباب ثانية من دون أن يحيّيه، فاستدار البواب نحو الشارع ونظر إلى السماء الملبّدة بالغيوم.

كنت في حيرة كبيرة، ولم أعرف إلاّ قبيل لحظات ما الذي كان قد جرى، لقد دفعني الرئيس بذراعه الممدودة إلى باب المتجر. وكان يقف وراء طاولتي البيع زملائي وأصدقائي المفترضون، وكانت وجوههم الرمادية تغرق في الظلام كي تخفي معالمها.

«اخرج!» صاح الرئيس «لص! اخرج!» أقول: «هيا إلى الخارج!». «هذا غير صحيح» صحت للمرة المئة «إنني ما سرقت شيئا! إنه خطأ أو افتراء! لا تلمسني! سأقاضيك! فما يزال ثمة محاكم هنا! إنني لن أذهب! لقد خدمتك خمس سنوات كما يفعل الابن، وهاأنذا أعامل كما يعامل اللّص. لم أسرق شيئاً، اسمعني بالله عليك؛ إنّني ما سرقت شيئاً».

«لا تتفوّه بكلمة أخرى»، قال الرئيس «أنت مطرود». كنا نقف عند الباب الزجاجي عندما اندفع أحد المتدربيّن الذي كان قد خرج من قبل، فتح الباب سريعاً، فأعادني الضجيج القادم من الشارع البعيد إلى الواقع. بقيت واقفاً عند باب المدخل، واضعاً ذراعيّ على خاصرتي، وأنا أقول بهدوء على الرغم من انقطاع أنفاسي: «أريد قبعّتي». «ستحصل عليها» قال الرئيس وهو يمشي إلى الوراء بضع خطوات ليتناول القبّعة من غراسمان، أحد المساعدين في المتجر، الذي قفز من فوق الطاولة، محاولاً رمي القبعّة نحوي، لكنه أخطأ الهدف. وقد طارت القبعّة أمامي على الشارع لأنه رماها بقوّة.

«صارت القبعّة ملكاً لكم الآن»، قلت وخرجت إلى الشارع، كنت لحظتها حائراً. لقد سرقت واختلست ورقة نقدية من خمسة غلدرات لأتمكن من الذاهب مع صوفي إلى المسرح مساءً. لم تكن صوفي راغبة في الذهاب إلى المسرح على الإطلاق، فضلاً عن كوني سأقبض

مرتيّن في غضون أيام ثلاثة، كان المال سيتّوافر عندها. لكني ارتكبت السرقة على نحو غبي في وضح النهار، بالقرب من النافذة الزجاجية للمحاسب، وخلف المقعد الذي يجلس فوقه الرئيس الذي صاح عندما رآني «سراق!» ثم قفز خارج المكتب. «أنا لم أسرق». كانت تلك هي كلمتي الأولى، لكنّ الورقة النقدية للغلدرات الخمسة كانت في يدي، وكان صندوق الحساب مفتوحاً.

ملاحظات حول الرحلة مكتوبة في دفتر آخر. بدأت الأعمال المخفقة بالظهور، لكنّي لن أتخلّى عنها على الرغم من الأرق والصداع والعجز العام. إنها قوة الحياة الأخيرة التي تستجمع ذاتها فيّ، إنني سجلت الملاحظة التي تقول: «إنني لا أتجنب الناس كي يعيشوا على نحو هادئ؛ بل ليستطيعوا الموت على نحو هادئ». لكنني الآن سأدافع عن نفسي الآن، سيكون لدي الوقت في أثناء غياب رئيسي مدة شهر.

الثلاثون من تموز:

تعبت من العمل في محلات الآخرين، ففتحت محلاً لبيع القرطاسية، ونظراً لأنّ وسائلي صغيرة، وسبق أن دفعت ثمن كل شيء نقداً على وجه التقريب (انقطاع).

أنا كنت أبحث عن نصيحة، ولم أكن عنيداً، عندما يوجه واحد ممن لا أعرفهم النصيحة لي. عندها أضحك بصمت، وبوجه ملتو، وخدود تلمع جرّاء الحرارة. كان ذلك توتراً واستعداداً من جهتي لتلقّي التعليمات، ونقصاً غير صحّي في القدرة على التشبّث بالرأي.

كان مدير شركة تأمين «تقدّم» كثير الاستياء من موظفيّه، وكلّ مدير مستاء في العادة من موظفيه؛ فالمسافة بين الموظفين والمديرين واسعة جداً، ويصعب تقليصها بالأوامر وحدها من جانب المديرين، والطاعة وحدها من جانب الموظفين. وحدها الكراهية هي القادرة على تضييق هذه الهوة، وتقريب المشروع من الاكتمال.

ينظر باوتس مدير شركة تأمين «تقدّم» بارتياب للرجل الذي يقف أمام مكتبه، ويتقدّم

بطلب للحصول على وظيفة خدمية في الشركة، ويقلب من حين لآخر أوراق الرجل الموضوعة فوق مكتبه. «صحيح أنك طويل» قال المدير، «وهو ما أستطيع أن أراه، لكن ما الذي يمكن لك أن تؤديه من الأعمال؟ يتوجّب على مستخدمينا أن يكونوا قادرين على تأدية أعمال أكثر من لعق الطوابع؛ بل إنه لا يتوجب عليهم أن يكونوا قادرين على أداء هذا العمل، لأنّ الآلات تفعل ذلك. إن المستخدمين عندنا هم أنصاف موظفين، ولديهم كامل المسؤولية لأداء أعمالهم؛ فهل تشعر بأنك مؤهل بما فيه الكفاية لذلك؟. إن شكل رأسك غريب، وجبهتك منحسرة. غريب. ما هو آخر عمل كنت تؤديه؟ ماذا؟ إنك لم تعمل مدة سنة؟ لماذا إذن؟ بسبب التهاب الرئة؟ هكذا؟ إن هذا أمر غير مستحسن، أليس كذلك؟ إنّنا لا نحتاج إلى غير الأصّحاء. وإذا ما تقرّر قبولك فيتوجب عليك أن تطلب من الطبيب أن يفحصك. أنت معافى الآن، وهو أمر ممكن في الواقع. لو أنّك ترفع صوتك في أثناء الحديث لأن همسك يجعلني عصبياً تماماً. يتبيّن لي من هذه الأوراق أنك متزّوج، ولديك أربعة أطفال، وأنك عاطل عن العمل منذ عام. أهذا صحيح يا رجل! هل تعمل زوجتك غسالة؟ لا بأس. اذهب الآن إلى الطبيب ليفحصك في الحال، وسيقودك المستخدم إلى هناك، لكنّ ذلك لا يعني أنك ستعمل مستخدماً هنا، حتى لو كانت نتيجة الفحص الطبي مناسبة. لا أبداً. إنك ستتسّلم رداً خطيّاً على كل حال. ولكي أكون معك صريحاً ينبغي أن أقول لك الآن: إنّك لا تعجبني. إننا نحتاج مستخدماً من نوع مختلف. لكن اذهب إلى الفحص الطبيّ، اذهب الآن، هيا اذهب، هنا لا ينفع الرجاء؛ فأنا لا أملك سلطة توزيع الرحمات. إنك راغب في أداء أيّ عمل؟ هذا أكيد، وهذا ما يرغب فيه كلّ أحد. وهذا ليس امتيازاً خاصاً؛ إنه يعكس رأيك المتواضع في ذاتك. وها أنذا أقول لك للمرة الأخيرة: «اذهب ولا تعطلّني أكثر من ذلك. هذا يكفي». وكان على باوتس أن يضرب الطاولة بيده، قبل أن يغادر الرجل مكتبه بصحبة المستخدم الآخر.

الحادي والثلاثون من تموز:

لا وقت لدي*. إنّها التعبئة العامّة. استدعي (ك) و(پ). أتسّلم الآن جائزة العيش وحيداً.

إنها بالكاد تكوّن جائزة؛ فالعيش وحيداً لا ينتهي إلا بالعقاب. وفي كلّ الأحوال فإنني صرت أقل تأثراً بكلّ ما يحيط بي من بؤس، وأكثر عزيمة من السابق. يتوجب علي أن أمضي أوقات ما بعد الظهر في المصنع، ولن أسكن في المنزل، لأنّ E. وطفليها قد انتقلا ليعيشا معنا. أما الكتابة فسأواصلها على الرغم من كل شيء، إنها كفاحي للحفاظ على الذات.

الأوّل من آب:

رافقت ك إلى القطار. يحيط الأقارب بي في المكتب من كل الجوانب، عندي رغبة للسفر إلى فالي.

الثاني من آب:

أعلنت ألمانيا الحرب على روسيا. المسبح المدرسي بعد الظهر.

الثالث من آب:

وحيداً في شقة أختي الواقعة إلى الأسفل من غرفتي على شارع فرعي، حيث يكون حديث جيرانهم المرتفع النبرة على مقربة من بابهم، وصفيرهم كذلك. وما عدا ذلك فثمة عزلة مطلقة؛ فليس ثمة امرأة متزوجة تتلهف لفتح الباب. كان من المفترض أن أتزوّج خلال هذا الشهر. كلمة مؤلمة: يداك أوكتا وفوك نفخ. ها أنت ذا تجد نفسك مدفوعاً إلى الحائط على نحو مؤلم. فاخفض بصرك بتوجسّ، كي تتمكن من رؤية اليد التي دفعتك، وتعرف مصحوباً بألم جديد جعلك تضع الألم القديم في دائرة النسيان يدك الضامرة التي تحتجزك بقوّة لم تمتلكها إطلاقاً للقيام بأعمال حسنة. يرفع المرء رأسه، يشعر من جديد بالألم الأوّل، يخفض بصره، فلا يكفّ رأسه عن الحركة من الأعلى إلى الأسفل من دون أي انقطاع.

الرابع من آب:

لقد وقعّت في غالب الظن عندما استأجرت هذه الشقة على شيء، ألزمت نفسي فيه تجاه صاحب الملك بدفع إيجار سنتين أو ست سنوات. وهو الآن يستند إلى تلك الاتفاقيّة. هذا ما أسفر عنه غبائي أو على الأصح عجزي العام والمطلق، اسقط في النهر. وهذا السقوط يبدو لي أمراً مرغوباً تماماً؛ لأنّه يذكّرني بـ «أنّ ثمة من دفعني».

السادس من آب:

المدفعيّة التي قدمت عبر غرابن. الزهور. صيحات الدعاء بالتوفيق، وهتافات تشيكية×. الوجه المتغضّن، الهادئ، المندهش، الذكي، الأسود، ذو العيون السود.

إنّني منهار بدلاً من أن أكون معافى. إناء فارغ ما يزال سليماً بين الشظايا، أو شظية ما تزال بين الأجزاء السليمة. أكاذيب كاملة، حقد وحسد، تقصير كامل. غباء. بلادة. كسل تام. ضعف وعجز، في الحادية والثلاثين من العمر شاهدت المزارعين الاثنين في لوحة أوتلا Ottila[129]، شباب في مقتبل العمر. امتلكوا شيئاً من المعرفة والقوة ووضعوها في متناول الناس الذين اعتادوا أن يقاوموا بالضرورة تلك الجهود. أحدهم يقود الخيول الجميلة، أما الآخر فيتمدّد فوق الأعشاب، تاركاً مقدمة لسانه تتحرك بين شفتيه في وجه ثابت، وجدير بالثقة المطلقة.

إنّني لا أكتشف في ذاتي غير التفاهة والتردّد والحسد والكراهية تجاه الذين يناضلون، هؤلاء الذين أتمنى لهم بحماسة كل أنواع الشرور.

أما مصيري في إطار الأدب فبسيط تماماً، إنّ الوعي في تصوير حياتي الداخلية ذات الطبيعة الحلمية قد دفع كلّ الأشياء الأخرى لتغدو أموراً ثانوية. وقد تضاءلت تلك الحياة على نحو مرعب، وهي لا تكف عن التضاؤل. ولا شيء غير ذلك يستطيع أن يجعلني راضياً؛ لكنّ طاقتي

(129) شقيقة كافكا واسمها أوتيلي Ottilie ، ولدت عام 1892 في براغ، وقد قُتلت عام 1943.

التي يمكن لي أن أحشدها من أجل ذلك التصوير لا تُقدّر، ولعلّها تكون قد اختفت إلى الأبد، ولعلها تعود إليّ من جديد. لهذا فإنني أتأرجح وأطير من دون توقف إلى قمة الجبل، وإن كنت لا أستطيع البقاء على قمته للحظات. أما الآخرون فيتأرجحون، ولكن في مناطق منخفضة بقوى عظمى تهددهم بالسقوط. لذا تراهم يلحقون لهذا الغرض بالقريب الذي يمشي إلى جانبهم. أمّا أنا فأتأرجح في القمّة. إنّه ليس الموت لسوء الحظ؛ لكنّه العذاب الأبديّ للموت.

الموكب الوطني، خطاب رئيس البلدية، اختفاؤه وظهوره من جديد، ثم الهتاف الألماني «سيعيش مليكنا المحبوب!*» أقف هناك بنظرتي الخبيثة. هذه المواكب هي بعض المظاهر المقرفة للحرب. أما رجال الأعمال اليهود الذين يكونون ألمانًا تارة، وتشيك تارة أخرى، ويقرون بذلك في دواخلهم؛ فإنّهم لم يهتفوا بصوت مرتفع أبداً كما يفعلون الآن. وهم يجذبون طبعاً بعض الحاضرين معهم. تنظيم الاستعراض حسن، وهو سيتكرر كلّ مساء، أما يوم الأحد غداً فسيتكرّر مرتّين.

السابع من آب:

كلّ إنسان يعامل الآخرين بطريقته الخاصة، حتى لو لم يمتلك أدنى درجات القدرة على التمييز بين الفروق الفردية. فقد وكزني ل. من بنتس من أجل لفت نظري بعصاه، وأدخل الذعر في نفسي. الخطوات الواثقة إلى المسبح المدرسي.

كتبت أمس واليوم أربع صفحات، يصعب تجاوز ما فيها من تفاهة. شترند بيرغ Strindberg[130] الجبّار. هذا الغضب، وهذه الصفحات التي ظفرنا بها بقبضة اليد.

أغاني الجوقة من الحانة المقابلة، اتجهتُ إلى النافذة في الحال، بدا لي النوم أمراً مستحيلاً؛ فقد كانت الأغاني تجيء من الباب الزجاجي المفتوح للحانة. صوت فتاة هو الذي يقود الجوقة. أما

(130) الإشارة إلى الكاتب والفنان السويدي أوغست شترندبيرغ (1849–1912)، وهو يعد من أكثر السويديين شهرة على المستوى المسرحي.

الأغاني فهي أغاني حبّ بريئة. أتمنّى مجيء الحارس. وها هو ذا يجيء. ظلّ الحارس واقفاً بالباب للحظة، وهو يستمع ثمّ صاح «يا صاحب الحانة!» «صوت الفتاة: فويتشكو»*. قفز رجل من إحدى الزوايا وهو يرتدي بنطالاً وقميصاً «أغلقوا الباب! لماذا هذا الإزعاج». «عفواً، عفواً»، قال صاحب الحانة وهو يؤدي حركات مهذّبة ومجاملة كما لو أنه يتعامل مع إحدى السّيدات. أغلق الباب خلفه أولاً، ثم فتحه كي يتمكن من الخروج، ثم أغلقه من جديد. أما الحارس الذي كان سلوكه أو غضبه– على الأدق– لا حدّ له فلم يزعجه الغناء، بقدر ما سببت له رتابته الملل، فقد سار، وأما المغنّون فقد فقدوا كلّ رغبة في الغناء.

الحادي عشر من آب:

أتخيّـل أنني بقيـت في باريس، أمشي مع عمّي فيها يداً بيد، والتصق به في أثناء التجوال فيها.

الثاني عشر من آب:

لم أنم على الإطلاق استلقيت فترة بعد الظهر ثلاث ساعات فوق الأريكة، من دون نوم ومن دون وعي، وتكرر ذلك الوضع ليلاً، لكن ذلك لا ينبغي أن يشعرني بالإحباط.

الخامس عشر من آب:

إنني أكتب منذ بضعة أيام*، وأتمنى أن يستّمر ذلك. لست اليوم– كما كنت قبل سنتين– أشعر بالحماية التامة والاستغراق التام في العمل؛ بل إنّ لديّ الشعور بأنّ حياتي المملة والفارغة– وهي حياة عازب مجنون– لها ما يسّوغها. إنني أستطيع أن أدير حواراً مع ذاتي من دون أن أبقى جامداً في هذا الفراغ الكلّي. إن هذا المسار وحده هو الذي يمنحني الشفاء.

ذكريات سكّة حديد كالدا Kalda:

كانت لديّ في مرحلة من مراحل حياتي – وكان ذلك قبل سنوات كثيرة – وظيفة في محطّة قطار صغيرة داخل روسيا، شعرت هناك بوحشة لم أستشعرها قطّ في حياتي. وقد كنت أفتشّ، لأسباب شتى لا مجال لذكرها الآن عن مكان كهذا، أزداد به تعلّقاً كلما ازدادت وحدتي فيه، وهي مسألة لا أرغب في الشكوى منها الآن. لكنني افتقدت العمل في البداية.

بُنيت محطة القطار الصغير على الأرجح لأغراض تجارية في الأصل، لكنّ رأس المال لم يكن كافياً فتعثّر البناء. وبدلاً من أن تكون كالدا نقطة توقّف، وهي تبعد عنا مسيرة خمسة أيام، فضلاً عن كونها القرية الأقرب للأماكن الكبرى؛ فقد انتهت السكة الحديدية لتكون في إحدى المستوطنات الصغيرة في إحدى المناطق المقفرة التي يحتاج المرء منها إلى مسيرة يوم كامل كي يصل إلى كالدا. ولو أوصلت الآن السكة الحديدة إلى كالدا فسيظل الأمر إلى وقت غير محّدد مغامرة غير مجدية، نظراً لغياب التخطيط الكلّي؛ فالبلاد تفتقر إلى الشوارع، لا إلى سكة الحديد. كما أنّ السكة الحديدية في وضعها الحالي لا تستطيع أن تصمد؛ لأن القطارين اللذين يتنقلان يومياً يحملان شحنة تستطيع أي عربة خفيفة حملها، فضلاً عن كون الركاب الذين يسافرون بالقطار، هم عدد من عمال الزراعة في أثناء فصل الصيف. لكنّ أحداً لا يريد إلغاء السكة الحديدية بالجملة، لأنه ما يزال ثمة أمل في أنّ استمرارها وتشغيلها يمكن أن يؤدّي إلى جذب المزيد من رأس المال الضروري، لاستكمال عمليات البناء. لكنّ هذه التمنيات لم تكن في رأيي نوعاً من الأمل بقدر ما كانت لوناً من اليأس والكسل. فقد بقيت السكة الحديدية تعمل طالما وجدت الأدوات اللازمة والفحم. أما أجور العمال القليلين فقد كانت تدفع ناقصة ومن دون انتظام وكأنها صدقات، أما البقية الباقية فكانت تنتظر الانهيار الكلّي.

كانت تلك هي السكة الحديدية التي وُظّفتُ فيها، وقد سكنتُ في سقيفة خشبية تعود إلى زمن بناء السكة الحديدية، وتُستخدم مبنى للمحطة. لم يكن سوى قاعة واحدة، نُصب فيها سرير، وطاولة للأعمال الكتابية، عليها جهاز التلغراف. وكان من المعتاد عندما وصلت في بداية العام أن يعبر أحد القطارات المحطة في وقت مبكر، ثم تغيّر ذلك لاحقاً. فكان يحدث أن

يجيء أحد المسافرين إلى المحطة وأنا نائم، لكنه لا يبقى، بطبيعة الحال في العراء؛ فقد كانت الليالي هناك باردة تماماً حتى في منتصف الصيف، بل يقرع على الباب، فأفتح الباب ونمضي الساعات في الدردشة على الأغلب. أتمدّد فوق سريري، أما ضيفي فيجلس القرفصاء على الأرض، أو يغلي الشاي بناء على طلبي، والذي نشربه في حالة انسجام معاً. أما القرويون فيظهرون قدراً كبيراً من حسن العشرة. وقد لاحظت أنني لم أخلق لتحمّل هذه الوحدة المطلقة، إن لم يتوجب عليّ القول إنّ هذه الوحدة التي فرضتُها على ذاتي بدأت بعد مدة قصيرة بتبديد الآلام الماضية، وقد وجدت عموماً بأنّه من الصعب تماماً لسوء الحظ السيطرة على امرئ منعزل باستمرار؛ فالوحدة أقوى من كل شيء سواها، وتقود المرء للعودة إلى الناس. ومن الطبيعي أن يحاول المرء العثور على طرائق جديدة تبدو في الظاهر أقلّ إيلاماً، لكنها في الواقع طرائق غير معهودة.

أصبحت أكثر اتصالاً بالناس هناك أكثر مما كنت أظن. لم يكن ذلك الاتصال منظماً بطبيعة الحال. فالقرى الخمس التي كنت أتعامل معها كانت بعيدة عن المحطة وعن بعضها مسيرة عدة ساعات. كما أنني لم أتجاسر على الابتعاد عن المحطة كثيراً، خشية أن أفقد وظيفتي، وهو ما لم أرده في بداية عملي على الأقل. كما أنني لم أتمكن من الذهاب إلى القرى ذاتها، وكان عليّ الاعتماد على المسافرين أو على الناس الذين لم يكونوا على استعداد لقطع مسافة طويلة لزيارتي. وكان هناك منذ الشهر الأول أناس ودودون، وكان من السهل عليّ أن أعرف أنهم جاؤوا لإتمام بعض أشغالهم معي، وبالمناسبة هم لم يخفوا هذا الغرض من جهتهم، لقد كانوا يحضرون معهم بضائع متنّوعة، وكنت أشتري في العادة كلّ ما لاأجده، طالما كان ثمة مال في جيبي. كنت موضع ترحيب هؤلاء الناس أو بعضهم على وجه الخصوص، بعدها حددت مشترياتي لأسباب كثيرة؛ منها أنني ظننت أنني لاحظت احتقارهم لطريقتي في الشراء. فضلاً عن أنّ القطار كان يجلب لي المواد الغذائية، التي كانت أسوأ وأغلى كثيراً من تلك التي كان الفلاحون يجلبونها.

كنت أنوي في الأصل أن أنشئ مزرعة خضار صغيرة، وأشتري بقرة ليكون لدي بهذه الطريقة اكتفاء ذاتي، كما أنني أحضرت أدوات البستنة والبذور. كان ثمة مساحة وافرة من الأراضي غير المزروعة تمتد على مدّ البصر حول كوخي؛ لكنني كنت أضعف من أن أسيطر

عليها؛ فهي أرض عنيدة ظلت جامدة حتى بداية العام، تقاوم ضربات فأسي الحاد الجديد. ومهما رمي البذور فيها فإنها كانت تضيع. أصبت باليأس جرّاء هذا العمل، وكنت أستلقي أياماً فوق سريري، ولا أخرج حتى لحظة وصول القطارات. كنت أمد رأسي من الكوّة وأعلن عن مرضي. بعدها يجيء طاقم القطار الذي كان يتكون من ثلاثة رجال لطلب الدفء، فلا يجدون الدفء الكافي لأنّني كنت أتجنب ما أمكن استخدام الفرن الحديدي السهل الانفجار، وكنت أفضّل أن ألفّ نفسي بمعطف دافئ قديم، مغطى بأنواع شتى من الجلود التي اشتريتها من الفلاحين على فترات. «إنّك مريض في غالب الأحيان»، كانوا يقولون، «وأنت شخص عليل، ولن تغادر هذا المكان وأنت حيّ». ولم يكونوا يقولون ذلك لجلب الحزن إليّ؛ بل لأنهم كانوا يطمحون أن يقولوا الحقيقة ما وسعهم ذلك، وكانوا يفعلون ذلك وعيونهم جاحظة في الغالب على نحو غريب.

وكان أحد المفتشين يجيء مرة في الشهر، وإن في أوقات متباينة، ليفحص السّجل، ولأخذ المال الذي جمعته، وليدفع راتبي، وهذا لا يحصل دائماً. وكان الناس قد اعتادوا تحذيري في اليوم السابق لوصوله، هؤلاء الناس الذين أنزلوه في المحطة الأخيرة؛ وكانوا يعدون هذا التحذير الإحسان الأكبر، الذي يستطيعون أن يقدّموه لي، مع أنّ كل شيء كان يسير لدي حسب الأصول، وكان ذلك لا يحتاج إلا إلى أقلّ القليل من الجهد؛ أما المفتشّ فكان يجيء إلى المحطة بقسمات تنطق أنه سيكتشف هذه المرّة لا محالة الدليل على سوء إدارتي، فيدفع الكوخ بركبته دائماً، وينظر في هذه الأثناء نحوي. وما يكاد يفتح السجل حتى يعثر على خطأ، وكنت أحتاج وقتاً طويلاً لأثبت له– بأن أضع كشف الحساب أمام عينيه– أن الخطأ ليس مني بل منه. وكان يستاء على الدوام من المبلغ الذي يتجّمع لديّ؛ فينقر على الكتاب، وينظر نحوي شزراً «علينا أن نوقف السكة الحديدية» يقول ذلك دائماً، أما أنا فقد اعتدت أن أجيبه «هذا ما سيحدث».

تتغيّر بعد انتهاء عملية التفتيش علاقتنا، فقد كان لدي دائماً عرق، كما أنني أكون قد بذلت ما في وسعي لتحضير ما لذ وطاب من الطعام. كنا نشرب نخب بعضنا بعضاً، وكان قد اعتاد

أن يغنّي لي بصوت محتمل أغنيتين، واحدة حزينة مطلعها: «إلى أين تذهب يا طفلي الصغير في الغابة؟»)، وأخرى مرحة ومطلعها: «أيها الرفاق المرحون؛ إنني أنتمي إليكم». وكان القسط الذي يدفعه لي من مرتبي يعتمد على طبيعة المزاج الذي أستطيع أن أضعه فيه. لكنني لم أكن أراقبه لهدف محدد في أثناء هذه الأحاديث إلاّ في البدايات، أما بعد ذلك فقد توحدنا في شتم الإدارة بوقاحة، وصرت أتلّقى منه بهمس وعوداً سرّية حول التقدم المهني الذي سيساعدني على إنجازه، لنجد أنفسنا وقد سقطنا فوق السرير في عناق لم تستطع الساعات العشر الأخيرة أن توقفه. في اليوم التالي يسافر ويتصرف معي بوصفه رئيسي، فأقف إلى جانبه في القطار وأحييه، فيستدير نحوي في أثناء الصعود كالمعتاد ويقول: «حسناً يا صديقي الصغير سنلتقي ثانية خلال شهر، وأنت تعرف ماذا ينتظرك من عمل». وهنا كنت أستطيع أن أرى بصعوبة وجهه المنفوخ الناظر نحوي، وقد كان يحتشد في هذا الوجه، الخدّان والأنف والشفاه.

كان ذلك أحد الانحرافات العظمية النادرة في أثناء الشهر الذي تهاونت فيه، فقد بقي على نحو غير مقصود بعض العرق الذي شربته في الحال بعد ذهاب المفتش. وكنت غالباً ما أصغي إلى صفير القطار في أثناء مغادرته والشراب يتدفق إلى فمي ببطء. وكان العطش قويّاً نحو ليلة كهذه. وكان الأمر كأنّ رجلاً آخر فيّ قد أخرج رأسه وحلقه من فمي وهو يصرخ طالباً أيّ شيء للشرب. وكان المفتش مستعداً لذلك؛ فكان يحمل معه كمية كبيرة من الشراب إلى قطاره الذي يسافر فيه، وكان عليّ أن أعتمد على ما بقي.

مرّ بعد ذلك شهر لم أشرب فيه على الإطلاق، ولم أدخن أيضاً، فقد كنت أؤدي عملي ثم لا شيء غير ذلك. ولم يكن ثمة كثير من العمل، كما أسلفت، لكنّني كنت أؤدي عملي على نحو دقيق.

كان من واجبي تنظيف مسار القطار وتفتيشه يومياً على امتداد عدّة كيلومترات، على جانبي المحطة، لكنّني لم أتقيّد بالمطلوب بل توسّعت فيه، وسرت مسافة أطول كان يصعب رؤية المحطة منها، وكانت المسافة تكاد تصل في أثناء الجو الذي تكون الرؤية فيه واضحة، إلى مسافة لا تقل عن خمسة كيلومترات؛ لأن المنطقة كانت شديدة الاستواء. فإذا وصلت إلى هذه المسافة

بدا أن الكوخ يكاد يتلألأ أمام عيني، لدرجة أنني كنت أرى أحياناً نتيجة للخداع البصيري العديد من النقاط السود تتحرك نحو الكوخ كأنها جماعات أو قوات كاملة. وفي بعض الأحيان يتحرك نحوه أحد على نحو حقيقي، فأجري والفأس يتأرجح عائداً طيلة الطريق.

أنهيت عملي عند المغيب، وعدت إلى كوخي في نهاية المطاف. وكان من المعتاد ألا يجيء زوار في هذه الساعة، لأن رحلة العودة إلى القرى لم تكن آمنة في الليل على الإطلاق، إذ يتجوّل في المحيط عدد كبير من حثالة القوم، ليسوا مواطنين أصليين؛ فهم يتغيّرون بين الفينة والأخرى، لكنّهم يعودون من جديد. وقد اعتدت أن أرى معظمهم، لأن المحطة اليتيمة استطاعت اجتذابهم. صحيح أنهم لم يكونوا خطرين؛ لكنّ على المرء أن يتعامل بحزم معهم.

كان هؤلاء هم الذين يزعجونني في أثناء ساعات المغيب الطويلة، وما عدا ذلك فقد كنت أستلقي فوق سريري، لا أفكرّ في الماضي ولا في السكة الحديدية؛ فالقطار القادم كان قد عبر بين العاشرة والحادية عشرة مساءً. وباختصار فإنني لم أكن أفكّر في شيء على الإطلاق، أحياناً كنت أقرأ صحيفة قديمة رمى لي بها أحدهم من القطار، تتضمن قصصاً فضائحية من كالدا، وكان من الممكن لها أن تثير اهتمامي، لولا أنني لم أستطع فهمها من خلال أعدادها المتفرّقة. وعلاوة على ذلك فقد كان في كل عدد من أعداد الصحيفة حلقة من رواية مسلسلة تدعى «انتقام القائد». وقد حلمت ذات مرة بهذا القائد الذي يضع خنجره على خاصرته، ويحمله بين أسنانه في مناسبات بعينها. وبالمناسبة فإنني لا أستطيع أن أقرأ كثيراً لأن الظلام يحلّ مبكراً، وسعر البترول أو الشمع مرتفع كثيراً، وأنا لا أتلقى من المحطّة سوى نصف ليتر من البترول، ينتهي قبل انتهاء الشهر بكثير، مع أنني أترك الضوء الذي يشير إلى وصول القطار مشتعلاً قبل وصوله بنصف ساعة. لكن ذلك الضوء لم يكن ضرورياً، ولم أكن أشعله في الليالي المقمرة على الإطلاق. وقد لي مقدّماً أنني أحتاج، بعد انتهاء الصيف للبترول على نحو ملح. لذا صنعت حفرة في إحدى زوايا الكوخ، ووضعت فيها برميلاً من براميل البيرة المدهونة بالقطران، وصرت أسكب فيه ما يتوافر لدي من بترول. وكان البرميل مغطى بالقش، فلم يجذب انتباه أحد، وكلما ازدادت رائحة البترول ازدادت سعادتي، وقد صارت الرائحة قوّية جداً لأن

خشب البرميل الرديء امتص البترول.

بعدها دفنت البرميل في الخارج لأنّ المفتشّ تباهى ذات مرّة بعلبة كبريت، ورمى عيدانها في الهواء، وهي تشتعل عوداً وراء الآخر. وقد كنّا جميعاً ولاسيما النفط في خطر حقيقي، فأنقذت كلّ شيء بخنق تلك العيدان كلّها حتى انتهت.

كنت أمضي ساعات فراغي أحياناً في التفكير في الطريقة التي أستطيع بها تدّبر أمري في الشتاء؛ فإذا كنت الآن أرتجف في وقت الدفء، وهو وقت يقال إنه الأكثر دفئاً منذ زمن طويل فإنّ أموري ستزداد سوءاً في الشتاء. أما تخزين النفط فليس أكثر من نزوة؛ إذ يتوجّب عليّ من الناحية العقلانية أن أجمع الكثير من الأشياء للشتاء، تلك التي لا تأخذها شركتي من دون أدنى شك بالحسبان؛ لكنّني كنت طائشاً جداً، وبتعبير أدق لم أكن طائشاً لكنّ اهتمامي بنفسي كان متواضعاً، حتى أبذل الكثير من الجهد في سبيلها. فإذا كنت في هذا الوقت أعني في أثناء هذا الفصل الدافئ أستطيع أن أحتمل الأشياء، فلأدع الأمر ولن أعمل شيئاً غير ذلك.

وكان مما جذبني إلى هذه المنطقة وجود فرصة للصيد، فقد علمت أنّ هذه المنطقة تعدّ من المناطق التي يكثر الصيد فيها على نحو استثنائي. وقد حجزت بندقية، على أن ترسل لي عندما أستطيع توفير بعض المال. وقد تبيّن لي أنّه لا أثر للحيوانات البّرية القابلة للصيد؛ فليس سوى الذئاب والدببة، وقد أخفقت في رؤية أي منها خلال الأشهر الأولى، وفضلاً عن ذلك كان هناك جرذان كبيرة، غريبة ها هنا، كنت أستطيع مراقبتها وهي تتحرك على نحو جماعي في البّرية، وكأن الريح تحركها. لكنّ الصيد الذي كنت أمنّي نفسي به لم أجده، كما أنّ الذين تحدثوا عن غنى المنطقة بالصيد لم يضللوني؛ فهذه المنطقة تقع على مسيرة ثلاثة أيام، ولم أعتقد أنّ تحديد تلك الأمكنة التي يتطلب الوصول إليها قطع المئات من الكيلومترات من المناطق غير المأهولة بالسكان ينبغي أن يكون أمراً غير مؤكد بالضرورة، فأنا لا أحتاج إلى البندقية الآن، ويمكنني توظيف المال لأغراض أخرى، لكنّ عليّ أن أتزود ببندقية في فصل الشتاء؛ لذا كنت أدخّر المال بانتظام لأجل هذا الغرض. أما عن الجرذان التي دأبت على مهاجمة المواد الغذائية التي لدي فإن سكينّتي الطويلة تكفي لمواجهتها. وقد طعنت في بدايات إقامتي، يوم كنت أتلّقى كل شيء

بلهفة أحد الجرذان بسكينتي، وعلقته على الجدار على مستوى بصري، فالمرء لا يرى الحيوانات الصغيرة إلا إذا رفعها إلى مستوى نظره، أما عندما ينحني ليراها وهي على الأرض فإنّ فكرة ناقصة وخاطئة تتكوّن لديه عنها. واللافت في هذه الجرذان أن مخالبها كانت كبيرة ومجوّفة قليلاً، ومدبّبة عند أطرافها، وهي مناسبة لعمليات الحفر تماماً. وقد مدّ الجرذ، في أثناء سكرات الموت الأخيرة– التي علقت فيها على الجدار– مخالبه على نحو صلب التي كانت شبيهة بالأيدي الصغيرة التي تمتد نحو المرء.

عموماً استطاعت هذه الحيوانات أن تضايقني قليلاً، وكانت توقظني أحياناً في الليل وهي تجري على الأرض الصلبة، وتسعى لتسلق الكوخ. عند ذلك أجلس وأضيء شمعة، فأرى جرذاً قادماً من الخارج، يعمل على نحو محموم ليحفر في إحدى الفتحات في أسفل الألواح. لكن ذلك كان جهداً ضائعاً؛ فحتى تتمكن الجرذان من صناعة حفرة كبيرة كان يتوجب عليها أن تعمل أياماً متواصلة، وقد كانت تهرب عندما تهل تباشير النهار، ومع هذا فقد كانت الجرذان تعمل كالعامل الذي يعرف هدفه. وكانت تنجز عملاً حسناً، صحيح أنها حفرت أجزاء صغيرة غير قابلة للإدراك؛ ولكنّ من الصحيح كذلك أنها استخدمت مخالبها من دون نتيجة. وقد اعتدت أن أراقب ذلك طويلاً في الليل لدرجة أن انتظام هذا المشهد وهدوءه حملاني على النوم، بعدها لم أمتلك القوة لإطفاء الشمعة التي ظلت مشتعلة لتضيء للجرذان في أثناء عملها.

وعندما سمعت ثانية في إحدى الليالي الدافئة صوت هذه المخالب وهي تعمل خرجت حذراً ومن دون أن أشعل نوراً كي أتمكن من رؤية الحيوان ذاته. كان الجرذ قد أحنى رأسه عميقاً بمخالبه الحادة، ضاغطاً بأرجله الأمامية ليكون على مقربة من الخشب ما أمكن، ليحفر بعمق ما استطاع. وكان يمكن للمرء أن يظن أنّ أحداً داخل الكوخ يمسك بالمخالب، ويرغب في إدخال الحيوان بالكامل؛ لذا بدا كل شيء مثيراً. ومع ذلك فقد انتهى كلّ شيء بركلة تمكنت بوساطتها من قتل الحيوان؛ فأنا لا أستطيع أن أتسامح بالهجوم على كوخي، الذي يعد ملكيتي اليتيمة. ولحماية الكوخ من الجرذان، حشوت الفتحات جميعها بالقش، وبالفحص اليومي كلّ

صباح للأرضية المحيطة بالكوخ.

مثلما كنت أنوي تغطية أرض الكوخ التي كانت حتى تلك الآونة طينية بالألواح، وهو أمر قد يكون مفيداً تماماً في فصل الشتاء. وقد وعدني أحد فلاحي القرية المجاورة منذ زمن طويل واسمه يكوتس أن يحضر لي ألواحاً خشبية جافة وصالحة لهذا الغرض. وقد استضفته مقابل هذا الوعد مراراً، وكان يجيء مرة كل أسبوعين، ويرسل بعض الشحنات بالقطار، لكنه لم يحضر الألواح الخشبية. كان يمتلك شتى أنواع الأعذار؛ أهمّها أنّه رجل متقّدم في السّن، ولا يستطيع أن يحمل مثل هذه الحمولة، وأنّ ابنه الذي كان من المقرّر أن يجلب الألواح الخشبية منشغل حالياً بالعمل في الحقول.

وطبقاً للمعلومات التي أدلى بها يكوتس– ويبدو أنّها معلومات صحيحة– كان الرجل قد تجاوز السبعين؛ لكنه ما زال ضخماً وقوياً. وفوق ذلك ظلّ يغيّر أعذاره، فيتحدث بعض المرات عن صعوبات الحصول على ألواح خشبية طويلة كما هي حاجتي، ولم ألح عليه لأن يكوتس نفسه، هو من لفت نظري لتغطية أرضية الكوخ، ولعل ذلك الغطاء لم يكن مفيداً. باختصار لقد كنت قادراً على أن أستمع بهدوء إلى أكاذيب الرجل العجوز. وكانت تحيتي الدائمة له: «الألواح الخشبية يا يكوتس!». ليبدأ بعدها يتمتم بالاعتذارات، فيدعوني بالمفتش والرئيس، وعامل التلغراف، ولا يكتفي بأن يعدني بإحضار الألواح الخشبية قريبا؛ بل يعدني بإزالة الكوخ وبناء بيت قوي مكانه بمساعدة ابنه وبعض جيرانه. استمعت طويلاً إلى ذلك حتى تعبت، ثم أخرجته لكنه رفع ذراعيه الضعيفتين وهو عند الباب إلى الأعلى معتذراً، وكان قادراً على خنق رجل حتى الموت بهاتين الذراعين، بعدها عرفت السبب الذي لم يجعله يمكنه من جلب الألواح الخشبية؛ فقد افترض أنني سأكون عند اقتراب الشتاء شديد الحاجة إلى الألواح، وأنني سأدفع عندها ثمناً أفضل، فضلاً عن كونه سيظل يحظى بقدر كبير من الأهمية لديّ، طالما لم أنه لم ينقل الألواح الخشبية؛ لم يكن الرجل غبياً؛ فهو يعرف أنني أعرف خلفية تفكيره، ونظراً لأنني لم أستثمر معرفتي تلك فقد أخذ ينظر إلى مصلحته ويسعى للحفاظ عليها.

لكن كان على الاستعدادات التي حضرتها لتأمين الكوخ ضد الحيوانات ولحماية نفسي من

فصل الشتاء أن تتوقف عندما أصبحت مريضاً على نحو خطير، بعدما كادت ثلاثة شهور من خدمتي هنا تقارب على النهاية. لقد بقيت سنوات بعيداً عن كل أنواع الأمراض، بما فيها الوعكات الخفيفة، لكنني غدوت الآن مريضاً. بدأ المرض بسعال قوي، فقد كان ثمة جدول ماء صغير يبعد عن المحطة مسيرة ساعتين، اعتدت أن أحضر منه، باستخدام عربة يدوية ما يلزمني من الماء، كما اعتدت أن أستحمّ هناك أحياناً، فكان السعال نتيجة لهذا الأمر. ثم صارت نوبات السعال حادة جداً، إلى درجة أنني صرت أتلوى عند السعال وأستجمع قواي كلّها؛ لذا قدّرت أن سعالي صار يفزع طاقم القطار، لكنهم عرفوا هذا اللون من السعال وسموه سعال الذئب، وبعدها صرت أستمع إلى العواء في أثناء السعال.

جلست على أحد المقاعد الصغيرة أمام الكوخ، وحييّت القطار تحية مصحوبة بالعواء، مثلما رافق عوائي القطار لحظة مغادرته. في الليل ركعت فوق السرير، وضغطت وجهي فوق الغطاء كي أوفرّ على نفسي سماع العواء. وأخذت أنتظر بتوتر انفجار بعض الأوعية الدموية الحيوية التي ينهي انفجارها كل شيء. لكنّ شيئاً من ذلك لم يحدث؛ بل إنّ السعال تلاشى في غضون بضعة أيام. فقد علمت أن نوعاً من الشاي يعالجه، وقد وعدني أحد سائقي القطارات أن يحضره لي موضحاً أن الشاي لا يشرب إلا بعد اليوم الثامن من بدء السعال، وفي غير ذلك يكون عديم الجدوى. أحضر السائق في اليوم الثامن الشاي، وما زلت أذكر كيف جاء إلى كوخي طاقم القطار وشابان ريفيان، لأنّهما عدا سماع السعال فور شرب الشاي مباشرة من يمن الطالع. شربت الشاي، لكنني قذفت الجرعة الأولى في وجوه ضيوفي، واستشعرت بعدها راحة حقيقية؛ فقد بقي السعال في اليومين التاليين خفيفاً، لكنّ الحمى عادت ولم تتراجع. أتعبتني هذه الحمى تماماً، وفقدت بسببها القدرة على المقاومة، وصار العرق يسيل على جبهتي فجأة، وصرت أرتعش بكامل جسدي، وكان يتوجّب عليّ أن أتمدّد حيث أكون، وأنتظر حتى أعود إلى وعيي ثانية. أدركت بوضوح أنني لم أتحسن؛ بل إنّ حالتي ازدادت سوءاً، وصار علي أن أذهب إلى كالدا Kalda لأقيم هناك بضعة أيام حتى تتحسن أحوالي.

الحادي والعشرون من آب:

كانت البداية تتضمن مثل هذه الآمال، ثم تلتها خيبة الأمل من القصص الثلاث، وكان اليوم أقوى من أيّ يوم مضى. ولعله من الصواب أنه ظل العمل على القصة الروسية سارياً بعد «المحاكمة». بهذا الأمل المضحك الذي يعتمد كما يبدو على خيال ميكانيكي بدأت «المحاكمة» ثانية، ولم يكن ذلك جهداً ضائعاً تماماً.

التاسع والعشرون من آب:

الإخفاقات هي نهاية أحد الفصول، الفصل الآخر ذو البداية الجميلة، قد لا أستطيع– بل من المؤكد أنني لا أستطيع– الاستمرار فيه على نحو جميل، مع أنّ نجاحي كان مؤكداً آنذاك في الليل، لكنني لا أسمح بمغادرة ذاتي فأنا وحيد تماماً.

الثلاثون من آب:

البرودة والفراغ. أستشعر بقوّة حدود قدراتي، وهي قدرات محدودة بلا شك إن لم أتمكن من استثمارها تماماً. وأظن أنني سأكون في إطار استثمار هذه الحدود الضيقّة التي لم أستشعرها من قبل. وعلى الرغم من ذلك فثمة فضاء للحياة في هذه الحدود سأستغله إلى حدّ الاحتقار.

الثانية إلا ربع ليلاً، في الجهة المقابلة بكاء طفل. فجأة يتحدث رجل في الغرفة نفسها، كأنه قربي، أو كأنه مقابل نافذتي «إنني أفضّل أن أقفز من النافذة، بدلاً من الاستماع طويلاً إلى هذا...». إنه يهدر على نحو عصبي لسبب ما، وزوجته صامتة، باستثناء محاولاتها لإسكات الطفل وحمله على النوم من جديد.

الأول من أيلول:

لم أكد أكتب في خضّم هذا العجز المطلق أكثر من صفحتين؛ فأنا أشعر بالنكوص التام هذا اليوم، على الرغم من أنني نمت جيداً يوم أمس. لكنني أعلم أنّه لا يجوز لي أن أذعن، إذا كنت أرغب في تجاوز الآلام العميقة للكتابة، وكبح جماح تأثيرها في طريقة حياتي، وأرتفع إلى الحرية التي قد تكون في انتظاري. لم تفارقني لا مبالاتي القديمة بالكامل كما أرى، فضلاً عن أنّ برودة القلب لن تغادرني أبداً. أمّا أنني لا أفزع من الهوان، فهو أمر يمكن أن يدل على اليأس مثلما يمكن أن يمنح الأمل.

الثالث عشر من أيلول:

للمرة الثانية لم أكد أنهي صفحتين، فكرّت في بادئ الأمر في الحزّن بسبب الهزائم النمساوية، ومن الخوف من المستقبل، هذا الخوف الذي يظهر لي في الأعماق مضحكاً وخبيثاً، الذي يحول بيني وبين أي كتابة على الإطلاق.

لكنّ ذلك لم يكن، أمّا الذي كان فهو غياب الوعي لديّ، الذي يعاودني من حين إلى آخر، وهذا أمر ينبغي تجاوزه. أما فيما يتعلق بالحزن خارج الكتابة فله ما يكفي من الوقت. أما الأفكار المرتبطة بنشوب الحرب بطريقتها المعذَّبة التي تفترسني من جميع الجهات؛ فهي تتشابه مع قلقي القديم بسبب ف. إنّني غير مؤهّل لتحمّل الهموم، وربما أكون قد خلقت على هذه الشاكلة كي أموت جرّاء تلك الهموم. وعندما أكون ضعيفاً بما يكفي – وهو أمر يجب ألا يستغرق وقتاً طويلاً – فستكون الهموم الصغيرة الأخرى كافية لإلحاق الهزيمة بي. ومن خلال هذا المنظور أستطيع أن أجد الفرصة لتأجيل وقوع المصيبة أطول مدّة ممكنة.

لقد كنت قادراً آنذاك من خلال استخدام القوة على نحو طبيعي، ثم على نحو ضعيف نسبياً بعد ذلك؛ أن أواجه قلقي المتعلّق بـ ف. لكن كان لدي الدعم الكبير من كتابتي في الأيام الأولى، وهو دعم لا أسمح لأحد أن يأخذه منّي.

السابع من تشرين الأول:

أخذت عطلة مدة أسبوع لدفع الرواية إلى الأمام. وحتى اليوم – مساء الأربعاء، علماً بأنّ عطلتي تنتهي يوم الاثنين – توالت الإخفاقات. لقد كتبت القليل الهزيل. وعلى كل حال كنت في حالة تدهور في الأسبوع الماضي، لكنني لم أستطع أن أحدس مقدّماً أن الحالة ستسوء تماماً؛ فهل تكفي هذه الأيام الثلاثة لتضمن الخاتمة التي ترى أنني غير جدير بالحياة من دون مكتب؟.

الخامس عشر من تشرين الأول:

أسبوعان من العمل الجيّد. استيعاب شامل لحالتي إلى حد ما، اليوم الخميس (يوم الاثنين هو نهاية عطلتي، وقد أخذت أسبوعاً إضافياً)، رسالة من الآنسة ب ل لا أدري ما أصنع بها. أعرف أنني متأكد من بقائي وحيداً، إذا ما بقيت أصلاً، وهو أمر غير مؤكد تماماً، كما أنني لا أعرف أيضاً إذا كنتُ أحبّ ف. إنّني أفكرّ بالكراهية التي استشعرتها نحوها لحظة رأيتها وهي ترقص بنظرتها الحادة المنكسرة، ويوم لامست أنفها وشعرها في «ساحة أسكانير»، واللحظات التي لا نهاية لها من الإحساس الكامل بالوحشة. لكنّ الإغراء الهائل يعود ثانية على الرغم من كل شيء، فقد تلهيت بالرسالة طيلة المساء، وتوقف العمل على الرغم من أنني– مع الصداع المبّرح الذي لازمني خلال الأسبوع الماضي– أشعر بأنني كفء للعمل. أما الرسالة التي كنت قد بعثت بها إلى الآنسة ب ل فقد دونتها اعتماداً على الذاكرة: «إنّها مصادفة غريبة يا آنسة غريتي أن أتلّقى رسالتك اليوم، ولست أرغب أن أسمّي هذا الذي تزامن وصولها معه، أمر يتعلّق بي وبالأفكار التي أزعجتني عندما ذهبت إلى السرير عند الساعة الثالثة تقريباً. الانتحار، رسالة إلى ماكس مملوءة بالكثير من الأوامر.

لقد شكّلت رسالتك مفاجأة لي، لم يفاجئني أنك كتبت لي، فلماذا لا تكتبين لي؟ لقد كتبت تقولين إنّني أكرهك، وهو أمر غير صحيح؛ فلو أنني كرهت الناس جميعاً ماكرهتك، ولست أفعل ذلك لأنه ليس لي الحق في ذلك. لقد وقفت في «ساحة أسكانير» كالقاضية تجاهي، وكان ذلك لا يليق بك ولا بي، لكن الأمر بدا على النحو التالي، لقد كنت في الواقع أجلس طيلة

الوقت وما زلت أجلس فيه إلى اليوم. إنّك على خطأ بيّن فيما يخصّ ف، ولست أقول هذا كي أستدرجك للبوح بأي تفصيلات؛ فأنا لا أشغل نفسي بأي تفصيلات، كما أن خيالي قد سبق له أن تحرّك في هذه المناطق جيئة وذهاباً، لدرجة تسمح لي أن أثق به، وأقول بأنني لا أستطيع التفكير بأي تفصيلات يمكن أن تقنعني بأنك لم تخطئي. أما بالنسبة لهذا الذي تشيرين إليه فمستحيل تماماً، وإنه ليحزنني أن أظن أنّ ف– لأسباب غير قابلة للانكشاف– قد خدعت ذاتها، لكنّ ذلك مستحيل هو الآخر.

لقد ظننت على الدوام أن مصلحتك هي أن تظلّي صادقة، وبعيدة عن أي أمور اعتبارات شخصية، كما أنّ كتابة رسالة كهذه الرسالة الأخيرة ليس أمراً سهلاً، وأنا أشكر لك ذلك من أعماق قلبي. لكن ما هو الشيء الذي أنجز جرّاء ذلك؟ بدت لي الرسالة لا هوادة فيها، لكنّ هذا لا يعود إلاّ لأنني خجلت، ولأنني نظرت إليها بوصفها عملاً معيباً، ولأنني خشيت أن أكون مذعناً، وأنا امرؤ لا أحب أن أكون كذلك، ولا أريد غير ذلك أبداً، من الأفضل لنا جميعاً إذا لم تقم هي بالرد؛ لكنها ستفعل وأنا بانتظار جوابها.

لقد عشت بهدوء مدة شهرين* من دون أي لون من الاتصال الفعلي مع ف ما عدا تبادل الرسائل مع E. وقد كنت أحلم بـ ف كما يحلم المرء بميّت تستحيل عودته ثانية إلى الحياة. أما الآن فقد صار ثمة فرصة تلوح للاقتراب منها، فقد غدت من جديد مركزاً للأشياء. إنها تزعجني في عملي حقاً، وكم بدت لي أنا أفكرّ فيها في الآونة الأخيرة غريبة تماماً. مع أنني كنت أقول لنفسي إنّ لهذه الغربة أسبابها؛ لأنّ ف كانت أقرب إليّ من أي إنسان في الوجود، أو لعلّ آخرين قد دفعوها لتكون قريبة مني على تلك الشاكلة.

تصفحت اليوميات قليلاً، اكتسبت لوناً من المعرفة بتنظيم مثل هذه الحياة.

الحادي والعشرون من تشرين الأول:

لم أعمل منذ أربعة أيام أبداً، باستثناء ساعة واحدة، وبضعة سطور، لكنني نمت جيّداً نتيجة لتخلصّي من الصداع، لا جواب من ب.ل، غداً هو يوم الفرصة الأخيرة.

الخامس والعشرون من تشرين الأول:

حالة توقّف شبه تام للعمل، ويبدو هذا الذي كُتب مفتقراً إلى الاستقلال بل انعاسكاً للكتابات الجيدة السابقة. وصل ردّ من ب.ل، أما عن الإجابة فإنني متردد بشأنها تماماً. أفكار عامة جداً لدرجة أنني لا أستطيع كتابتها حتى الآن. حزن يوم أمس. عندما رافقتني أوتولا إلى الدرج حكت لي عن البطاقة المصوّرة.. وكانت راغبة في الحصول على أيّ جواب منّي. لكنني عجزت عن النطق به. عاجز تماماً أمام الحزن.. ولا أستطيع أن أواجهه إلا بالإشارة من الكتفين.. قصة Pick على الرغم من مزاياها الفردية،.. قصائد لفوكس نشرت اليوم في الجريدة.

الأول من تشرين الثاني:

استطعت يوم أمس بعد انقطاع طويل أن أتقدم تقدّماً حسناً، أما اليوم فلم أكد أنجز شيئاً، كما أن الأسبوعين اللذين تليا العطلة قد ذهبا سدى، اليوم هو يوم أحد جميل جزئياً. قرأت في متنّزة شوتك كتيباً لدستويفسكي خاصاً بدفاعه. الحارس في القلعة وفي مقرّ القيادة. البئر في قصر ثن - Thun الكثير من الرضا الذاتي طيلة النهار، والآن إخفاق تام في العمل، إنّه ليس إخفاقاً فحسب، فأنا أرى المهّمة، وأبصر الطريق إليها، وعليّ أن أتجاوز العقبات الصغيرة، لكنني لا أستطيع. أتلاعب بأفكاري حول ف.

الثالث من تشرين الثاني:

رسالة بعد الظهر إلى E، تصفّحت قصة Pick «الضيف الأعمى»، وسجّلت بعض التصحيحات، وقرأت قليلاً لشترندبيرغ Strindberg، ولم أنم بعدها، في المنزل في الثامنة والنصف، العودة في العاشرة، وخوفاً من الصداع الذي بدأ، ونظراً لأنني لم أنم في الليل إلا قليلاً؛ فلم أعمل كثيراً لأنّني خشيت إفساد ما سبق لي أن دونتّه من فقرات مقبولة. هذا هو اليوم الرابع منذ شهر آب الذي لم أكتب فيه شيئاً على الإطلاق. إنّ الرسائل هي التي تتحمل مسؤولية

ذلك؛ لذا فسأحاول ألا أكتبها مطلقاً، أو أن أكتبها مختصرة تماماً. كم أشعر بالحيرة الآن، وكم يهيجني ذلك! شعوري مساء أمس بالسعادة المفرطة بعد أن قرأت بعض السطور Jammes[131]، الذي لا يشكل محوراً من محاور اهتمامي في العادة؛ لكنّ فرنّسيته التي يصف بها زيارة لأحد الشعراء من أصدقائه كان لها تأثير قويّ فيّ.

الرابع من تشرين الثاني:

عودة P.* تجاوز صياحه وهيجانه كلّ الحدود، قصّته عن الخلد الذي كان يختبئ تحته في الخنادق، والذي كان يرى فيه إشارة إلهية ليغادر المنطقة. إفلاته لحظة أصابت الجندي الذي كان يزحف نحوه رصاصة بينما كان يجلس فوق مكان الخلد – دليله. وقد شاهدوا بوضوح كيف أسر، ليعثر عليه فيما بعد في الغابة عارياً، وقد اخترقته الحراب. لعّل بعض المال كان معه؛ لذا أرادوا تفتيشه وسرقته لكنه «كالضباط» لم يكن يرغب في أن يدع أحداً يلمسه.

كان ذ. يبكي غضباً وحماسة عندما قابل مديره على مقربة من القطار، هذا المسؤول الذي كان يحترمه على نحو يفوق الوصف ويتخطى الحدود كلّها. كان يرتدي ملابسه بأناقة، وتفوح منه رائحة العطر، ويتوجّه إلى المسرح والنظارات الخاصة بالأوبرا تتدلى من رقبته. وقد فعل هو ذاته ذلك بعد شهر، بالتذكرة التي أهداها هذا المدير له؛ فقد ذهب لمشاهدة كوميديا «إيكارت غير الوفي»، نام ذات مرة في قصر الأميرة سابيها Sapieha[132] عندما كان في الاحتياط، في مواجهة البطاريات النمساوية، وأمضى ليلة واحدة في كوخ ريفي، حيث كانت امرأتان تنامان في السريرين الواقعين يميناً ويساراً في مواجهة الجدار وفتاة أخرى تقف خلف الفرن، وثمانية جنود آخرين ينامون فوق الأرض عقوبة للجنود، يربطون في جذوع الشجرة حتى تغدو ألوانهم زرقاء.

(131) الإشارة هنا إلى الشاعر والروائي الفرنسي Francis Jammes (1868–1938)، الذي كانت اهتماماته الريفية على النقيض من الموضوعات السائدة في الأدب الفرنسي. وكان صديقاً للشاعر الفرنسي ستيفن مالارميه وللروائي أندريه جيد.

(132) هي الأميرة ماري سابيها (1795–1824)، توفيت بمرض السل بعد سنتين من زواجها.

الثاني عشر من تشرين الثاني:

الآباء الذين ينتظرون الشكر من أبنائهم، وهناك من الآباء من يصرّون عليه، يشبهون المرابين الذين يخاطرون برأس المال عن طيب خاطر، عندما يكونون واثقين من حصولهم على الفوائد.

الرابع والعشرون من تشرين الثاني:

أمس في شارع توخ ماخر، حيث يجري توزيع الأغطية والألبسة القديمة على اللاجئين من غاليسيا Galicia[133]. ماكس، السيدة برود* والسيد حاييم ناغل. ذكاء السّيد ناغل وصبره ولطفه وجدّيته، وطلاقته في الحديث وظرفه واستحقاقه للثقة. الناس الذين يملؤون دائرتهم تماماً، على نحو يظن المرء معه أنّهم قادرون على النجاح في كل شيء، يستطيعون– وهذا جزء من كمالهم– أن يتجاوزوا الدائرة التي ينتمون إليها.

السّيدة الذكية، الحيوية، الفخورة والمتواضعة التي كانت ترغب في الحصول على بطانيتين جميلتين لا أكثر، لم تحصل عليهما على الرغم من مساندة ماكس لها؛ بل حصلت على بطانيّة يتيمة قديمة قذرة، في حين كانت البطانيات الجيدة قد وضعت جانباً في إحدى الغرف المجاورة، واحتفظ بها للناس المرفهّين. إنّهم لم يرغبوا في إعطائها البطانيات الجيّدة؛ لأنها تحتاج إلى يومين ريثما تصل بطانياتها من فيينا، ولأنّ من غير المسموح أن يسترد المرء القطع المستعملة نظراً لخطر الكوليرا.

السيدة لوستغ مع أطفال كثيرين من أحجام شتّى، ومع أختها الصغيرة الحيوية الواثقة بذاتها. صرفت كثيراً من الوقت وهي تبحث عن لباس لبنت صغيرة، حتى صاحت فيها السيدة برود، «خذي الآن هذه القطعة، أو أنك لن تحصلي على أيّ شيء»، لكن السيدة لوستغ أجابت بصيحة تفوق صيحتها بكثير، ورافق تلك الصيحة حركة قوية متوحشّة من يديها: «إن العمل الجيّد* يفوق بكثير كل هذه المزق من الملابس».

(133) كانت هذه المنطقة جزءاً من القيصرية النمساوية – الهنغارية، وغالبية سكانها من اليهود.

الخامس والعشرون من تشرين الثاني:

اليأس المطلق واستحالة الخروج منه، وهو يأس لا يتوقّف إلاّ عندما أصبح راضياً عن معاناتي.

الثلاثون من تشرين الثاني:

لا أستطيع مواصلة الكتابة فأنا في هذه اللحظة، على الحدود النهائية التي سأمكث فيها على الأغلب، سنوات طويلة، لعلي أستطيع أن أبدأ من خلالها مجّدداً، حكاية دائمة لا تنتهي. يلاحقني هذا المصير، فقد غدوت بارداً وعديم الإحساس للمرة الثانية. ولم يبق لي إلا العشق الشيخوخي للهدوء المطلق. أحرك رقبتي من جهة لأخرى، كأيّ نوع من أنواع الحيوانات المنفصلة عن الناس، وأسعى في هذه الأثناء للحصول من جديد على ف. سأسعى حقاً لذلك، إذا لم يَحُلْ الغثيان الذي أستشعره تجاه ذاتي من دون ذلك.

الثاني من كانون الأول:

كنت بصحبة ڤيرفل وبك فترة ما بعد الظهر، قرأت في مستعمرة العقاب[134]. لم أكن مستاءً تماماً، باستثناء ما يتعلّق بالأخطاء الواضحة التي يصعب تجاوزها. قرأ ڤيرفل قصائد ومشهدين من «إمبراطورة فارس» Esther, Kaisarin von Persien[135]. المشاهد عنيفة، تقودني بيسر للحيرة. أما عمليات النقد والمقارنة التي قام ماكس بها وهو لم يكن راضياً عن العمل فقد أزعجتني. علماً بأن ذاكرتي لم تحتفظ بالعمل طويلاً، مثلما استطاعت ذلك العمل أن يأسرني لحظة استمعت إليه. أتذكر ممثلّي لغة الإيديش. شقيقات ڤ الجميلات. كانت أكبرهن تتكئ على الأريكة وتتأمل ذاتها كثيراً من الزاوية الجانبية للمرآة، وكأن عينيّ لم تلتهمها بما فيه الكفاية، وهي تشير بإصبعها

(134) بدأ كافكا بكتابة هذه القصة عام 1914، ونشرت عام 1919.

(135) الأقصوصة هي لفرانتس ڤيرفل (1759–1805).

إلى البروش المنغرس في منتصف البلوزة. كانت بلوزة زرقاء غامقة قصيرة، يغطي وشاح حريري جزءاً منها في المسرح: استمر بعض الضباط يتحدثون مع بعضهم بعضاً بصوت مرتفع في أثناء عرض «المكيدة والحب» Kabale und Liebe[136] قائلين: «إنّ مظهر شبك باخر جميل»، وكانوا يعنون بذلك الضابط الذي كان يتكئ على الجدار في المقصورة الخاصة.

ثمرة هذا اليوم حتى قبيل اللقاء بڤيرفل:

ضرورة الاستمرار في العمل على الرغم من كلّ شيء، وأنا حزين لأنّني لا أستطيع اليوم أنْ أعمل نظراً لكوني مرهقاً، ومصاباً بصداع بدأت طلائعه تظهر منذ كنت في المكتب قبل الظهر. ينبغي عليّ الاستمرار في العمل، بصرف النظر عن كل شيء، وينبغي أن يكون ذلك الاستمرار ممكناً على الرغم من الأرق والمكتب.

حلم هذه الليلة مع القيصر ڤيلهلم في القلعة، المنظر الجميل، غرفة شبيهة بـ «قاعة التدخين». اجتماع مع ماتيلدي سيراف. نسيت كلّ شيء، لسوء الحظ.

الخامس من كانون الأول:

رسالة من E حول وضع عائلتها، إن علاقتي بعائلتها لا تتخّذ معنى ثابتاً إلا عندما أنظر إلى ذاتي بوصفي قد أسهمت في تخريبها. وهذا هو التفسير الطبيعي الوحيد الذي يجعل الأشياء المدهشة ممكنة في إطار العلاقة، وهو في الوقت ذاته الاتصال الوحيد المؤثر الذي أملكه مع عائلتها، وما عدا ذلك فإنني منفصل عن تلك العائلة على مستوى المشاعر، وهو انفصال قد لا يقلّ في قوّته عن انفصالي عن العالم كله. إنّ صورة وجودي بهذا المعنى تشبه عموداً عديم الفائدة غطاه الثلج والجليد. وهو عمود ثبت على نحو مائل وضعيف في أرض محروثة، تقع على حافة سهل عظيم، وذلك في ليلة شتائية باردة. لا تأثير سوى للخراب. لقد جعلت ف. تعيسة، مثلما أضعفت مقاومة أولئك الذين يحتاجون الآن إليها، وأسهمت في وفاة والدها، وباعدت بين F

(136) المسرحية لفريدريش شيللر (1759–1805) التي عرضت عام 1784.

و E وجعلت E تعيسة هي الأخرى، وهي تعاسة تنبئ مقدماً بتزايد ما هو أسوأ. لذا أشعر بالتوتر، وأنه يتحتم علي النهوض بهذا العبء. وقد عدّت رسالتي الأخيرة التي عذبتني تماماً هادئة، وعبّرت عن ذلك بقولها: «إنّها تتنفس كثيراً من الهدوء». وليس من المستبعد أنّ تعبيرها هذا قد جاء بدافع العاطفة الرقيقة والرفق والقلق عليّ. لقد عوقبت في أثناء ذلك كله بما فيه الكفاية، حتى صار وضعي في عائلتي يشّكل عقاباً كافياً لي. وقد عانيت جرّاء ذلك على نحو يصعب العلاج منه، نومي، ذاكرتي، مقدرتي على التفكير، وقدرتي على مقاومة الهموم الصغيرة كلها ضعفت على نحو غير قابل للعلاج والغريب أنّ هذه النتائج شبيهة بنتائج عقوبة الحبس للمدة نفسها، لكنني أعاني بعض الشيء في الوقت الحاضر جرّاء علاقتي بالعائلة، وإن كانت معاناتي أقلّ مما تعانيه F و E. وثمة شيء آخر مؤلم وهو أنني سأصاحب E برحلة عيد الميلاد في حين ستبقى ف. في برلين.

الثامن من كانون الأول:

كنت يوم أمس للمرة الأولى منذ مدة طويلة في وضع لم أكن قادراً فيه على إنجاز عمل جيّد. وعلى الرغم من ذلك فقد كتبت الصفحة الأولى من فصل الأم*، مع أنني لم أكد أنام ليلتين. كانت لدي بدايات صداع في الصباح، مثلما كنت عظيم الخوف بشأن اليوم التالي. وقد تبيّن لي مجدداً أنّ كلّ شيء دون على نحو مجزأ، لا خلال الجزء الأكبر من الليل (أو حتى بأكمله)، وأنّ ظروف حياتي هي التي حكمت علي بهذا الأمر المعيب.

التاسع من كانون الأول:

كنت يوم أمس بصحبة E.K من شيكاغو، إنه يكاد يمسّ شغاف القلب، وصفٌ لحياته الهادئة. من الثامنة إلى الخامسة والنصف في المؤسسة التجارية التي تتلقى الطلبات بالبريد وتلبيها بوساطته. تدقيق الطلبات المرسلة بالبريد في قسم المنسوجات، خمسة عشر دولاراً في

الأسبوع. عطلة مدة أسبوعين، أسبوع منها مدفوع الأجر، ليصبح الأسبوعان مدفوعي الأجر، بعد خمس سنوات. يمضي وقتاً طويلاً يساعد في قسم الدراجات، عندما لا يكون ثمة عمل كثير في قسم المنسوجات. يُباع 300 دراجة يومياً؛ فهي مؤسسة تجارية ضخمة تضم عشرة آلاف مستخدم، وهي تحصل على زبائنها من خلال إرسالهم للكاتالوجات المطلوبة. يميل الأمريكيون إلى تغيير وظائفهم، ولا يحبون العمل في الصيف؛ لكنهم لا يحبون التغيير، إذا لم يكن ثمة فائدة من ورائه، أو عندما يخسر المرء بسببه الوقت والمال، لقد عمل حتى الآن في وظيفتين، بمعدل وظيفة كلّ خمسة سنوات، وعندما يعود إلى أمريكا– وهو يملك الآن إجازة مفتوحة – فسيرجع إلى وظيفته نفسها، فهم محتاجون دائماً إليه، وقادرون في الوقت ذاته على الاستغناء عنه. يمضي المساء غالباً في المنزل، يلعب الورق مع الأصدقاء، وقد يمضي ساعة في السينما للترويح عن النفس، أما في فصل الصيف فيتمشى، ويقوم يوم الأحد بجولة على مركب في البحيرة. وهو حذر من الزواج على الرغم من أنه في الرابعة والثلاثين من العمر؛ لأن الأمريكيات يتزوجن من أجل أن يتطلقن. وما يبدو عندهن تافهاً يبدو ثميناً جداً عند الرجال.

الثالث عشر من كانون الأول:

بدلاً من العمل كتبت صفحة واحدة (شرح الأسطورة)، وتصفحت الفصول المنتهية وأعجبتني بعض أجزائها. لقد اعتدت أن أدفع بوعي ثمن الإحساس بالرضا والسعادة، كما هي الحال في علاقتي بالأسطورة، وفضلاً عن ذلك فإنني سأدفع مستقبلاً ثمن حرماني من الاستمتاع بالراحة.

أخيراً عند فيليكس. أخبرت ماكس ونحن في الطريق إلى المنزل بأنني سأفترض، وأنا أستلقي على فراش الموت بأن الألم ليس عظيماً تماماً، وأنني سأكون في غاية الراحة. ونسيت أن أضيف، وقد حذفت ذلك عن قصد لاحقاً؛ أنّ الأفضل – وهذا ما سبق لي أن كتبته – هو القدرة على مواجهة الموت برضا. وكان الأمر يدور في كلّ تلك المواضع اللطيفة والقادرة على الإقناع

بقوة، حول وفاء المرء، وما يلاقيه من صعوبات، وما يتحمله من ظلم، وما يواجهه من قسوة، وهو أمر يمسّ القارئ فيما أقدّر. أما بالنسبة لي – أنا الذي يظن أنه سيكون قادراً على أن يستلقي برضا على فراش الموت – فإن هذه المشاهد تشكل لعبة سرّية، لأنني أبتهج أن أموت مع كلّ حالة موت، مستثمراً على نحو محسوب اهتمامات القارئ، الذي افترض أنني أفوقه على مستوى الوعي، وأنه سيشكو وهو على فراش الموت، وأنّ شكواي ستكون أكثر اكتمالاً، وأنه لن يتوقف فجأة، كما هي الحال في الشكوى الحقيقية؛ بل سيموت بجمال وصفاء. إنّ الحال تشبه شكواي الدائمة إلى أمي جرّاء آلامي التي لم تكن كبيرة تماماً، كما يمكن للمرء أن يعتقد عندما يستمع إليها لكنني لم أكن أحتاج في مواجهة أمي ما أحتاجه في مواجهة القارئ من مجهود فني.

الرابع عشر من كانون الأول:

يتقدم عملي إلى الأمام بخطى بائسة، ولعلّ هذا العمل في أجزائه الأكثر أهمية سيوقفني هناك، حيث تبدو الليلة السعيدة ضرورية تماماً.

عند باوم فترة ما بعد الظهر. كان يعطي بنتاً صغيرةً شاحبة تضع النظارات درس بيانو. يجلس الولد بهدوء في المطبخ نصف المظلم، ويلهو من دون اهتمام بشيء يستعصي تمييزه انطباع الراحة الكبرى. ولا سيما عند المقارنة مع عمل الخادمة الطويلة، التي كانت تغسل الصحون في الحوض.

الهزائم في صربيا، القيادة الغبيّة.

التاسع عشر من كانون الأول:

كتبت «معلم المدرسة الريفية» Dorfschullehrer * يوم أمس من دون وعي تقريباً، لكنني كنت أخشى الاستمرار في الكتابة بعد الثانية إلاّ ربعاً، وكان خوفي مسوّغاً. فلم أنم إلا مدة

قصير جداً، شاهدت في أثنائها ثلاثة أحلام قصيرة، وكنت في المكتب في الحال الذي يتوقعه المرء. تأنيب أمي لي يوم أمس جرّاء المصنع، «لقد خدعتني». ذهبت بعد ذلك إلى المنزل، وكتبت بهدوء مدة ثلاث ساعات، وأنا أعي أنّ ذنبي أمر مؤكد، وإن لم يكن كبيراً كما يتصّوره أبي. اليوم السبت: لم أشارك في طعام العشاء. ويعود ذلك جزئياً إلى خوفي من أبي، كما يعود إلى رغبتي أن أعمل طيلة الليل، ومع ذلك فلم أكتب سوى صفحة واحدة ليست جيدة تماماً.

تبدو بداية كلّ أقصوصة مضحكة في بادئ الأمر؛ فلا يظهر أيّ أمل يدّل على أنّ هذا المولود الجديد، غير المكتمل الحسّاس في جميع جوانبه يستطيع البقاء حيّاً في نظام هذا العالم المعدّ سلفاً، الذي تسعى الأنظمة للاندماج فيه. وينسى المرء في هذا المجال أنّ الأقصوصة عندما تستطيع أن تسوّغ وجودها؛ فإنها تحمل في ثناياها نظامها الجاهز حتى وإن لم تتبلور على نحو تام. لهذا السبب فإنّ اليأس من هذا المنظور الذي يمكن أن تبعثه بداية الأقصوصة أمر غير مسّوغ، لأنّ معناه أن ييأس الآباء في مثل هذه الحال، من رضيعهم، لأنه لم يكن لديهم نيّة لجلب هذا الكائن المثير للشفقة والضحك إلى العالم. لكنّ المرء لا يعرف على الإطلاق إن كان ما يستشعره من يأس مسوّغاً أو لا مسوغ له. لكنّ تأمله له يمكن أن يمنحه شيئاً من الدعم؛ لأنني عانيت في الماضي من نقص هذه الخبرة.

العشرون من كانون الأول:

اعتراضات ماكس على دستويفسكي، بأنّه يسمح للكثيرين من المصابين بالأمراض العقلية بالدخول إلى أعماله زعم خاطئ تماماً؛ فهذه الشخصيات ليست مريضة، وإصابتها بالمرض ليست إلا وسيلة لتمييزها على مستوى الشخصيات، علاوة على كونها وسيلة ناعمة ومثمرة تماماً. ولا يحتاج المرء إلاّ أن يكرّر بعناد كبير على مسمع شخصية بعينها أنها سطحية وغبية، لتصل بذلك إلى مستوى قياسي، إذا كانت تمتلك جوهراً دستويفسكياً في داخلها، إنّ لطريقة بنائه للشخصيات معنى يشبه عبارات الشتائم بين الأصدقاء؛ فإذا قالوا لأحد «أنت أبله» فهم لا يعنون بذلك أنه أبله حقاً، وأنهم يشعرون بالإهانة جرّاء صداقتهم له، فالعبارة تنطوي على

ما لا حصر له من المقاصد، إذا لم يكن الأمر مجرّد مزاح؛ فالأب كرامازوف- على سبيل المثال- ليس مهرّجاً بل هو رجل ذكي تماماً مع أنه شرير، ويكاد يماثل إيفان في الذكاء. وهو أكثر ذكاء على كل حال من تلك الشخصيات التي لا يعترض السارد عليها كابن العم أو ابن الأخ أو مالك الأرض، وتستشعر التفوق إزاءه.

الثالث والعشرون من كانون الأول:

قرأت بضع صفحات بعنوان «الضباب اللندني» (من كتاب لهيرتسن Herzen) لم تكن لديه فكرة عما كان يدور، ومع ذلك برز ذلك الرجل الفاقد للوعي مصمّماً معذباً ذاته، ومسيطراً عليها ليتلاشى من جديد.

السادس والعشرون من كانون الأول:

مع ماكس وزوجته في كوتن بيرغ، كم فكرّت في تلك الأيام الأربعة الحرّة، وكم من الساعات أنفقت في تأمل الطريقة المثلى لتصريفها. ولعلّي الآن بعد ذلك كله أشعر بخيبة الأمل. لم أكد أكتب شيئاً في هذه الليلة، ولعلي لست في حالة تجعلني قادراً على الاستمرار في (معلّم المدرسة الريفية)، فأنا أعمل بها منذ أسبوع، وكان عليّ أن أنهيها على نحو مثالي، ومن دون عيوب خارجية، في ثلاث ليال أتفرّغ فيها لذلك العمل. لكنّ ذلك العمل- وعلى الرغم من كونه في مرحلة البدايات- يحتوي على عيبين لا علاج لهما، فضلاً عن ذلك إنه غير قابل للنمو، جدول يوميّ جديد من الآن فصاعداً، استثمار أفضل للوقت! هل أشكو، بحثاً عن الخلاص؟ لن يأتي الخلاص من دفتر اليوميات، لكنّه سيجيء عندما أكون في السرير مستلقياً على ظهري، جميلاً، وخفيفاً، وأبيض ممتزجاً بالزرقة، ولن يأتي خلاص غيره.

فندق في كوتن بيرغ مورافتس، خادم ثمل، ساحة صغيرة مشوقة ذات ضوء مرتفع. الجندي المرسوم بألوان قاتمة يتكئ على سور الطابق الأول للبناية. الغرفة التي عرضت عليّ تفتح

نافذتها على ممر معتم من دون نوافذ. أريكة حمراء، ضوء شمعة، كنيسة يعقوب، الجنود الأتقياء، صوت الفتيات في الكورال.

السابع والعشرون من كانون الأول:

كان ثمة عرف بأنّ سوء الحظ لا يتّوقف عن ملاحقته. وقد ناء التاجر طويلاً بحمله؛ لكنه اقتنع في خاتمة المطاف بأنه عاجز عن أن يحمله مدة أطول من ذلك، فتوجه إلى أحد خبراء القانون، وهو ينوي طلب النصيحة، ومعرفة ما يمكن أن يجذبه سوء الحظ، أو ما يمكن أن يجعله أكثر قدرة على احتماله. كان الخبير القانوني هذا قد اعتاد أن يفتح الكتاب المقدس ويطالع فيه. وقد تعوّد أن يستقبل من يجيء إليه طالباً النصيحة بقوله: «لقد كنت أقرأ للتو شيئاً عن حالتك»، مشيراً في الوقت نفسه بإصبعه إلى الصفحة المفتوحة أمامه. أما التاجر الذي كان قد سمع بهذه العادة فلم تعجبه. صحيح أنّ الخبير القانوني كان يسعى من خلالها لمساعدة مقدّم الالتماس، وإبعاد هذا الخوف الفاعل في الظلام عنه، هذا الخوف الذي لا يمكن أن يشترك أحد معه فيه، ولا أن يتعاطف معه أحد؛ لكنّ غياب معقولية هذا الزعم كان واضحاً لدرجة أنه ردع التاجر عن الذهاب إلى هذا الخبير القانوني. وما يزال إلى اليوم يدخل إلى منزله متردداً، ويقف في العراء عند باب منزله المفتوح.

الحادي والثلاثون من كانون الأول:

منذ آب وأنا أعمل، وعملي ليس قليلاً ولا رديئاً على العموم؛ لكنه لا يبلغ في البداية والنهاية إلى الحدود القصوى لقدرتي، كما ينبغي أن تكون، ولاسيما أن قدرتي في ضوء الاحتمالات كلّها– أرق، صداع، ضعف القلب– لا تدوم مدة طويلة، العمل على نصوص لم تنته: المحاكمة، ذكريات سكة حديد كالدا، معلم المدرسة الريفية، مساعد المحامي، بدايات صغيرة). أما الكتابات التي أنهيتها فهي: في مستعمرة العقاب، وفصل من «المفقود». وكل ذلك جرى في

أثناء عطلة الأسبوعين، وأنا لا أدري لماذا أصنع هذا الاستعراض الذي لا يناسب طبيعتي على الإطلاق.

(1915)

الرابع من كانون الثاني:

شهوة كبرى أن تبدأ قصة جديدة لا أن تنهار. كل شيء عبث. هل أستطيع أن أطارد القصص عبر الليالي، فهي تنفجر ثم تتلاشى، كما هي الحال في «مساعد المحامي». سأذهب يوم غد إلى المصنع، ولعله يتوجب عليّ بعد تجنيد باول أن أذهب إلى هناك يومياً. هكذا يتوقف كلّ شيء. إن تفكيري في المصنع هو يوم غفراني المستمر*.

السادس من كانون الثاني:

«معلم مدرسة القرية» و«مساعد المحامي»[137] انتهتا مؤقتاً. لكنّني عاجز من الناحية العملية تقريباً عن دفع «المحكمة» إلى الأمام. أفكار حول ليمبرغرن *Lembergerin. وعود لحظّ ما، وآمال مشابهة بحياة خالدة. إذا نظر إليهم من مسافة محددة يراهم المرء يقاومون، ولا يتجاسر المرء على الاقتراب.

السابع عشر من كانون الثاني:

أمليت للمرة الأولى رسائل في المصنع. عمل غير ذي جدوى، (مدة ساعة) لكنه لم يكن عملاً خالياً من الرضا على كل حال. فترة ما بعد الظهر المرعبة قبل ذلك. صداع مستمر لدرجة أنه كان يتوجب علي أن أضع اليد من دون انقطاع فوق رأسي. (الحالة في مقهى آركو)[138]، ووجع القلب في المنزل وأنا على الكنبة.

قرأت رسالة أوتولا إلى Erna. لقد اضطهدتها من دون هوادة بسبب الإهمال والتقصير،

(137) كتب كافكا هذين النصّين غير المنشورين بين عامي 1914—1915.

(138) مقهى يقع في شمال براغ الجديدة، اعتاد أن يلتقي فيه منذ عام 1908 ڤرانتس فيرفل مع زملائه في المرحلة الثانوية، وقد تردّد كافكا على المقهى منذ عام 1908، لكنّ اختلافه إليها لم يكن منظماً.

وفي هذا الصدد فإنّ ف على صواب. ومن حسن الحظ أنّ أوتولا من القوة بحيث تستطيع أن تشفى وحدها في مدينة أجنبية في الحال. كم من قدراتها في التواصل مع الناس قد تعطلت بسببي. لقد كتبت أنها كانت تشعر في برلين بالتعاسة. غير صحيح!. أعترف بأنّني لم أستثمر الوقت منذ شهر آب إلى هذه اللحظة على نحو كاف؛ فقد كانت المحاولات المستمرة من خلال النوم الطويل فترة ما بعد الظهر، والعمل في جوف الليل بلا معنى، وقد تبيّن لي بعد أسبوعين أنّ أعصابي لا تسمح لي بالذهاب إلى السرير بعد الواحدة؛ لأنني لا أستطيع أن أنام لحظتها، ليغدو اليوم التالي لا يُطاق، وأدمر ذاتي. إنني معتاد أن أستلقي، فترة ما بعد الظهر مدة طويلة، وإن كنت نادراً ما أعمل بعد الواحدة، ولا يبدأ عملي قبل الحادية عشرة. كان ذلك خطأ، فقد كان يتوجّب عليّ أن أبدأ منذ الثامنة أو التاسعة. إن الليل هو الوقت الأنسب (للعطلة!) لكنها غير متاحة لي.

سأرى ف يوم السبت إذا كانت لا تزال تحبّني؛ فإنني لا أستحق هذا الحبّ. أظن أنّه سيتبيّن لي اليوم ضيق حدودي في كل شيء، وفي الكتابة من ثمّ. وعندما يعرف المرء حدوده على نحو عميق فيتوجّب عليه أن يتجاوزها. إنّ رسالة أوتولا هي التي أوصلتني إلى مثل هذا الوعي؛ فقد كنت في الآونة الأخيرة شديد الرضا، وكان لدي العديد من الاعتراضات على دفوعي ومزاعمي تجاه ف، ويؤلمني أنه لم يكن لدي الوقت لتدوينها، أما اليوم فلا أستطيع أن أفعل ذلك.

«أعلام سوداء»[139] لشترندبيرغ، القدرة على التأثير من بعيد: لقد أحسسّت بكلّ تأكيد كيف استنكر الآخرون سلوكك، من غير أن يصرّحوا باستنكارهم، لقد وجدتَ الراحة في العزلة الهادئة من دون أن تتبيّن سبب ذلك بوضوح، فثمة رجل بعيد ظن بك ظناً حسناً، وتحدث عنك حديثاً حسناً.

(139) صدرت هذه الرواية الهجائية الساخرة عام 1907، بعد انفصال شترندبيرغ عن زوجته.

الثامن عشر من كانون الثاني:

بقيت في المصنع حتى السادسة والنصف على النسق نفسه، فقد عملت وقرأت وأمليت واستمعت وكتبت من دون أدنى فائدة. شعور مشابه بالرضا، لا نفع فيه بعد ذلك صداع ونوم ورديء. العجز عن العمل الطويل المركّز. أوقات فراغ قليلة. بداية قصة جديدة، أخشى من أن تفسدها القصص الأخرى القديمة. والآن لا أرى أمامي سوى أربع أو خمس قصص تنتصب، كما تفعل الخيول أمام مدير السيرك شومان قبل بدء العمل.

التاسع عشر من كانون الثاني:

لن أستطيع الكتابة طالما ظل يتوجّب عليّ الذهاب إلى المصنع. وأظنّ أنّ ما أشعر به الآن هو لون من العجز الخاص عن العمل، وهو يشبه ذلك العجز الذي أحسست به عندما استخدمت في «غينرالي» *Generali. إنّ الاقتراب المباشر من حياة العمل يستلبني على الرغم من كوني غير مشارك في تلك الحياة على الصعيد الداخلي، وكأنني أكون في كل لحظة في مضيق أخفض فيه رأسي علاوة على ذلك، في الصحيفة اليوم مثلاً تصريح للسلطات السويدية المختصّة ترى أنّه بعد التهديدات التي وقعت فإنّ الحفاظ على حياد دول الاتحاد الثلاثة سيقع على نحو مؤكد. ثم نقرأ أخيراً: إن دول الاتحاد الثلاثي ستحفر في ستوكهولم في الصخر. واليوم تأكّد لي أنني كدت أفهم الأمر على الوجه المقصود، لقد شعرت منذ ثلاثة أيام حتى العظم أنه ثمة شبح من ستوكهولم يتحدث بأن تهديدات «دول الاتحاد الثلاثي» بشأن حياد «السلطات السويدية المختصة» هي على نحو ما نوع كالأشكال المتطايرة في الهواء، التي يمكن للمرء أن يستمتع بها باستخدام العين، وإن كان يعجز عن لمسها بالأصابع على الإطلاق.

سبق لي أن تواعدت مع صديقين للقيام برحلة قصيرة يوم الأحد، لكنني نمت على نحو غير متوقع نوماً عميقاً في الساعة التي كنا قد اتفقنا فيها على اللقاء. أصيب صديقاي اللذان يعرفان دقة مواعيدي بالدهشة، وتوجها إلى المنزل الذي أقيم فيه. وقفا طويلاً أمام المنزل، ثم صعدا الدرج وقرعا الباب، أصبت بالذعر وقفزت عن السرير. وكان همي تجهيز نفسي بالسرعة

القصوى، وعندما انتهيت من ارتداء ملابسي تماماً وخرجت من الباب تراجع صديقاي إلى الوراء، وبدا كأنه قد أصابهما الذعر. «ماذا في رأسك من الخلف؟». صاحا بي، لقد أحسست منذ صحوت أن شيئاً ما يحول بيني وبين أن أحني رأسي، وحاولت أن أتحسس بيدي هذا الذي يحول بيني وبين الانحناء. عندها صاح الأصدقاء الذين كانوا قد تجمعوا: «كن حذراً، وإياك أن تجرح نفسك!». عندها تبيّن لي أن هناك مقبض سيف في الجهة الخلفية من رأسي. اقترب الأصدقاء وشرعوا بفحصي، كان هناك سيف قديم كبير ذو مقبض، مصلّب يعود لأحد الفرسان، يخترق ظهري حدّ المقبض، لكن ذلك جرى على نحو يصعب استيعابه، حيث اندفع النصل بين الجلد واللحم من غير أن يترك جرحاً، كما أن موضع الطعنة في الرقبة لم يؤد هو الآخر إلى جرح. وقد تأكد الأصدقاء من الدم النازف والجاف حول الفتحة التي كان عليها أن تتكون إثر دخول النصل. وعندما صعد أصدقائي على الأريكة وشرعوا يسحبون السيف ببطء شديد وحذر لم ينزف دم؛ بل إنّ الفتحة التي كانت في الرقبة أخذت تنغلق بالتدريج حتى صارت تستعصي على الملاحظة. «ها هو سيفك، خذه!» قال أصدقائي ضاحكين وهم يناولونه لي. حملته بيديّ، فقد كان سلاحاً ثميناً، بوسع أحد فرسان الحروب الصليبية أن يكون قد استخدمه، ولكن من يستطيع أن يتصوّر وجود فرسان متقدمين في السن، يمكن أن يدخلوا عالم الأحلام، ويلوحوا بقبضات سيوفهم، ويمسوا بها أناساً نياماً، أبرياء من دون أن يسببوا لهم جراحاً بليغة؛ لأنّ أسلحتهم هذه تتحوّل عن الأجسام الحية أولاً، ولأنّ الأصدقاء المخلصين ثانياً يقفون وراء الباب على أهبة الاستعداد!.

العشرون من كانون الثاني:

نهاية الرسالة. ترى متى ستتقبلّني من جديد؟ وفي أيّ وضع رديء سيكون التقائي مع ف؟ إن بطء التفكير الذي يترافق حالاً مع الرسالة يجعلني في حالة عجز عن تحضير نفسي للقاء، مع أنني كنت في الأسبوع الماضي لا أكاد أستطيع التخلّص من أفكار مهمة بهذا الشأن، وآمل أن أستطيع في هذا السياق أن أتمتّع بربح ممكن، وهو أن أتمكن من النوم جيّداً.

«أعلام سوداء». ما أردأ قراءتي هي الأخرى! وما أخبث وأضعف مراقبتي لذاتي!. يبدو أنني لا أستطيع أن أخترق العالم؛ لكنني أستطيع أن أتمدّد بهدوء، وأن أستقبل، ليتسعّ هذا الذي استقبلته في داخلي، ولأخطو من ثمّ بهدوء.

الرابع والعشرون من كانون الثاني:

مع ف. في بودن باخ. إنّني أظن أنّ من المستحيل أن نتحد في أي وقت من الأوقات؛ لكنني لا أجرؤ أن أقول ذلك في اللحظة الحاسمة لا لها ولا لنفسي. وهكذا أجلت الأمر من جديد، على نحو لا معنى له، لأنّ كل يوم يجعلني أكبر سنّاً وأكثر جموداً. لقد أخذ الصداع القديم يعود إليّ من جديد، عندما أحاول فهمها، فهي تعاني من جهة، وتبدو هادئة وراضية في الوقت ذاته من جهة أخرى. علينا أن لا نسمح بتعذيب أنفسنا من خلال الرسائل الكثيرة، فمن الأفضل أن نتجاوز مسألة اللقاء بوصفها مسألة تحدث على نحو متباعد، أو لعله يتوجّب عليّ الاعتقاد أنّ عليّ تحرير نفسي من حياة الرسائل، وأن أسافر إلى الخارج أو إلى أيّ مكان آخر، وأن أعيش مع ف سرّاً؟ لقد تبيّن لنا نحن الاثنين أننا لم نتغيّر إطلاقاً؛ فقد كان كلّ واحد منا يقول لنفسه بطريقته الخاصة: إنّ الآخر هو شخص متصلب وبلا رحمة؛ فأنا لا أكفّ عن مطلبي في البحث عن حياة رائعة، تصبّ في صالح عملي، في حين تريد هي أن تبقى متبلّدة تجاه كل التوسلات الصامتة، وتجاه الاعتدال والسكن المريح والاهتمام بالمصنع والطعام الوفير، والنوم بدءاً من الحادية عشرة ليلاً، والغرفة الساخنة، وتسعى لضبط توقيت ساعتي على نحو دقيق، هذه الساعة التي تتقدم عن الوقت مقدار نصف ساعة منذ ثلاثة شهور. وهي على حق، وستظل دائماً على حق. وكانت على حقّ يوم وبختني عندما قلت للنادل: «أحضر الجريدة قبل أن تقرأ»، فضلاً عن كوني عاجزاً أن أضع أي أمر في نصابه السليم، كحديثها عن «المذكرات الشخصية»؛ فهي لا تعبّر عن ذاتها، إلا إذا رافق هذا التعبير لون من الصرير. وكحديثها عن التأثيث المأمول للشقة، وهي تصف شقيقتي الكبرى بـ «الضحالة»، ولا تسأل عن شقيقتي الصغرى على الإطلاق، أما بخصوص عملي فليس لديها تساؤلات، ولا تمتلك أيّ إدراك واضح. هذا هو أحد الجوانب.

إنّني عاجز ومُجدب كالعادة، ولا أملك الوقت، حقيقة، للتفكير بأيّ شيء آخر، بقدر تفكيري في كيفية تشكّل السؤال، وفي أنّ أحداً ما ليست لديه إلا رغبة وحيدة في أن يتلمسني بإصبعه الصغير. وباختصار فقد نفخت في وجوه ثلاثة على التوالي بهذا النَفَس البارد؛ جماعة هيللر أور، وعائلة ر. في بودن باخ و ف.

قالت ف. «ما أجمل أن نكون هنا معاً»، بينما كنت أصمت وكأنّ سمعي في أثناء هذا النداء قد تعطّل. أمضينا ساعتين في الغرفة وحدنا، ولم يكن حولي سوى السأم والوحشة. لم نُمض لحظة واحدة جيّدة، في حين كنت أتوق للتنفس بحرّية. إنني لم أعرف عذوبة العلاقة مع امرأة معشوقة كما وقع لي في تسوك مانتل وريفا Zuckmantel, Riva مع ف على الإطلاق، هذا بخلاف تبادلنا للرسائل. ولم أعرف معها إلاّ الإعجاب بلا حدود والخضوع والشفقة والشك والاحتقار. لقد قرأت أمامها فتداخلت الجمل على نحو فوضوي، ولم تعد لها صلة بالمستمعة التي كانت تستلقي على الأريكة، مغمضة العينين وتستقبل القراءة بصمت. بعدها طلبت بفتور أن تأخذ المخطوط لتنسخه إن أمكن. أبدت عند سماعها لقصة حارس البوابة اهتماماً ملحوظاً، وأصاخت السمع جيداً. أتنّبه للمرة الأولى لمدلول القصة التي استوعبتها هي الأخرى على نحو صحيح. بعد ذلك أخذنا ندخل إلى عالم القصة بملاحظات قاسية، كنت أنا قد بدأت بها. إن الصعوبات الجمة الحقيقية التي تتبّدى للآخرين في أثناء قراءتي لها ما يسّوغها، لأنّ تفكيري أو محتويات وعيي،– على الأصح،– تكون ضبابية، وأكون فيها– طالما أنّ أحداً غيري لا يعرفها– غير منزعج وراضياً وهادئاً في أغلب الأحيان، لدرجة أنها تحتاج إلى تصعيد درامي بشري وإلى تقوية وإلى علاقة دائمة، وهذه أمور لا تتوافر كلّها فيّ. إنّ أحداً لا يريد أن يستلقي معي في السحب المملوءة بالضباب، وحتى لو أراد فإنّني لا أستطيع طرد الضباب عن الجبين؛ لأنّ هذا الضباب يضمحل بين اثنين ثم يغدو أثراً بعد عين.

إنّ ف هي التي قررت سلوك هذا الطريق الطويل للوصول إلى بودن باخ، وبذلت الجهد لاستخراج جواز السفر، وكان يتوجب علي بعد معاناة ليلة طويلة لم أنم فيها الاستماع إلى إحدى المحاضرات، وكل ذلك بلا معنى. فهل تتألم مثلما أتألم؟ لا، بكلّ تأكيد؛ لأن ذلك يتطلب

وجود حساسية متشابهة. وهي لا تمتلك أي إحساس بالذنب. لقد كانت تأكيداتي صحيحة، وعدّت كذلك: إنّ كل واحد منا يحبّ الثاني على الشاكلة التي هو عليها. لكنه يظن أنه لا يستطيع أن يحيا معه، وهو على تلك الشاكلة.

هذه المجموعة: يحاول الدكتور (ڤ) أن يقنعني أنّ ف تستحق الكراهية، بينما تحاول ف إقناعي أنّ (ڤ) هو من يستحق الكراهية. وأنا أظن أن كليهما يستحقان الكراهية، وأنني أحبّهما، أو أطمح في ذلك.

التاسع والعشرون من كانون الثاني:

أحاول الكتابة مجدّداً، وهي مسألة تكاد تكون بلا جدوى أنام في اليومين الأخيرين عند العاشرة تقريباً، وهو أمر لم يحدث من زمن طويل. مشاعر حرّة في أثناء النهار، شعور جزئي بالرضا، تصاعد القيمة في المكتب. إمكانيّة الحديث مع الناس– والآن ثمة ألم قويّ في الركبتين.

الثلاثون من كانون الثاني:

العجز القديم، توقفت عن الكتابة بعد مرور ما يقرب من عشرة أيام، ثم رميت ما دوّنت. صارت الإرهاقات الكبرى قاب قوسين أو أدنى. من الضروري أن أندمج على نحو متكلّف، ثم أغوص أسرع ممّا يفعل الغريق.

السابع من شباط:

تعثّر تام. وعذاب لا حدود له.

في بعض الظروف المحدّدة، الخاصّة بالإدراك الذاتي، فضلاً عن ظروف أخرى مصاحبة ومناسبة؛ سيحدث بالضرورة على نحو منتظم أنّ يجد المرء نفسه مقززاً. فكل مقياس من مقاييس الخير– حتى لو كانت الآراء ما تزال مختلفة بصددها– ستظهر كبيرة تماماً. وسيدرك المرء

أنّ الإنسان ليس أكثر من جحر فيران، ذي خلفيات فكرية بائسة، ولن يكون أي عمل من أعماله مهما صغر متحرراً من هذه الخلفية الفكرية. وستكون هذه الخلفية الفكرية قذرة تماماً، لدرجة أنّ المرء لا يمعن في حال الملاحظة الذاتية بالتفكير فيها؛ بل يكتفي بالنظر إليها من بعيد. ولن يدور الحديث فيما يخص مسألة الملاحظة الذاتية حول الأنانية، لأن الأنانية ستبدو بالنسبة لهم مثالاً للخير والجمال. أما القذارة فسيكون وجودها غاية في حدّ ذاته، وسيلحظ المرء أنّه جاء إلى هذا العالم وهو يتصبّب عرقاً من هذا العبء، وسيغادره جرّاء ذلك؛ إمّا مجهولاً لا يعرفه أحد، أو معروفاً على نحو ظاهر. وستشكّل هذه القذارة الأرضية الأعمق التي يمكن للمرء أن يعثر عليها. وهذه الأرضية الأعمق لن تحتوي على حمم بركانية بل على قذارة. وستكون أعمق وأعلى، وستصاب شكوك الملاحظة الذاتية سريعاً بالضعف والغرور، لتشبه أرجوحة الخنازير في السماد العضوي السائل.

التاسع من شباط:

لم أكتب أمس واليوم إلاّ القليل. قصة كلب(140).

قرأت البداية الآن، إنّها قبيحة، وتبعث على الصداع، وهي على الرغم من الصدق كلّه شرّيرة، ومتحذلقة وآلية، وهي تشبه السمكة التي لا تكاد تحسن التنفس تحت الرمال الموجودة في الماء. إنني أكتب «بوفار وبيكوشيه»(141) Bouvard und pecuchet الخاصة بي منذ زمن مبكر تقريباً. ولو لم يمتزج العنصران على نحو جليّ في «الموقد» و «في مستعمرة العقاب»(142) لكنت قد انتهيت. ترى هل ثمة فرصة لهذا المزيج؟

أخيراً استؤجرت غرفة في المنزل نفسه في بيليك غاسيه.

(140) نشرت هذه الأقصوصة تحت عنوان Forschungen eines Hundes عام 1922، وقد كان العنوان من صنع ماكس برود. وترجمها إلى العربية كامل يوسف حسين عام 1986 تحت عنوان «تحريات كلب».

(141) الرواية هي من أكثر أعمال الروائي الفرنسي غوستاف فلوبير أهميّة.

(142) كتبت عام 1914، ونشرت عام 1919، وترجمها زكي الأسطة إلى العربية عام 1996.

العاشر من شباط:

المساء الأول: يتحدّث الجار لساعات طويلة مع صاحبة الملِك، كلاهما يتحدث بصوت منخفض. أما صاحبة الملك فتتحدث بصوت لا يكاد يكون مسموعاً، يزداد غضباً، توقفت الكتابة التي بدأت منذ يومين. ومن يدري إلى أي وقت سيمتد الأمر؟ يأس خالص. هل هذه هي حال كل منزل؟ وهل ينتظرني مثل هذا العناء المضحك والقاتل، لا محالة، مع كلّ صاحبة ملك في كلّ مدينة؟ غرفتا رئيس صفّي في الدير. من غير المعقول أن يُصاب المرء باليأس حالاً. ولعلّ من الأفضل أن يبحث عن وسيلة، هل يبحث كثيراً؛ لا، فهذا مما لا يتفق مع طبيعة شخصيتي التي ما تزال فيها بعض رواسب اليهودية الفظّة، لكنها غالباً ما تساعدني في الجانب المعاكس.

الرابع عشر من شباط:

جاذبية روسيا اللامتناهية. ليس ثمة أفضل من «حنطور بثلاثة خيول» لغوغول Gogol التي تشتمل على صورة نهر لا حدود له، ذي ماء أصفر يرمي موجاته في كل الأرجاء، لكنّها ليست موجات عالية. مروج بريّة شعثاء على الشاطئ، وأعشاب منكسرة. لا شيء يمكن أن يحيط بذلك؛ بل إنّ كل شيء ينطفئ.

الخامس عشر من شباط:

يتوقف كلّ شيء. توزيع رديء وغير منظم للزمن، تفسد الشّقة عليّ كلّ شيء. أصغيت اليوم ثانية إلى حصة اللغة الفرنسية لابنة صاحب المنزل.

السادس عشر من شباط:

لم أجد نفسي أبداً، كأن كلّ ما كنت أمتلكه قد هرب منيّ، وكأنّه لن يكون كافياً لي، لو قدّر له أن يعود ثانية.

الثاني والعشرون من شباط:

عجز من جميع الجوانب ونقص.

الخامس والعشرون من شباط:

بعد صداع استمر أياماً طويلة من دون انقطاع قليل من الانطلاق والثقة. لو أنني غريب أراقب ذاتي وسير حياتي لتوجب عليّ القول: إنّ على كل شيء أن ينتهي من دون جدوى، وأن يستهلك من خلال شك لا ينتهي، وإبداع في تعذيب الذات. إنني آمل ذلك بوصفي أحد المشاركين.

الأول من آذار:

لقد أعلمت بجهد كبير، وبعد أسابيع من التحضير والخوف، ومن دون إبداء للأسباب، وبما يكفي من الهدوء، أنني لم أنجز عملي على نحو جيّد؛ لذا فإنني لم أستطع أن أفيد من الهدوء أو الجلبة بما فيه الكفاية... إنني أريد تعذيب ذاتي، وأريد على الدوام تغيير وضعي، ظاناً أن خلاصي يكمن في هذا التغيير، وظاناً إلى جانب ذلك أنني عبر هذه التغييرات الصغيرة التي يصنعها الآخرون وهم نصف نائمين في حين أصنعها من خلال إثارة طاقتي الاستيعابية كلها أستطيع أن أكون قادراً على إعداد نفسي للتغيير الذي أحتاج إليه. إنني أغير بكل تأكيد مسكني، بواحد آخر من أسوأ أنواع المساكن. وعلى كل حال فهذا هو اليوم الأول (أو اليوم الثاني) الذي أستطيع فيه أن أنجز عملي على نحو جيد، إذا لم أصب بصداع قوي. لقد كتبت صفحة واحدة بسرعة.

الحادي عشر من آذار:

ما أسرع ما يمر الوقت، وها قد مرّت عشرة أيام من دون أن أتمكن من إنجاز شيء، إنني غير

قادر على تسجيل أي تقدم. أنجح أحياناً في كتابة صفحة لأكون في اليوم التالي بلا قوة.

لقاء اليهود الشرقيين والغربيين*. احتقار اليهود الشرقيين لليهود المحليين. مسوّغات هذا الاحتقار. معرفة اليهود الشرقيين لأسباب هذا الاحتقار، وجهل الغربيين لها. كالنزوات المروّعة المملوءة بالتفاهة التي تسعى الأم كي تستوعبها. حتى ماكس نفسه بخطابه الذي يتصّف بالضعف والنقصان ظلّ يفتح أزرار معطفه ويغلقها، فهو مملوء بالنوايا الطيبة، في خاتمة المطاف. وبالمقابل كان ثمة رجل يدعى (ڤ) يرتدي معطفاً بائساً، أغلقت أزراره، ويضع ياقة يصعب أن تتفوق عليها أي ياقة أخرى في قذارتها، وهو يرتديها بوصفها أفضل ما لديه. كان ينهق بنعم ولا تارة، وبلاو نعم تارة أخرى، وحول فمه ابتسامة شيطانية غير مريحة، تتلاشى في ثنايا ذلك الوجه الفتيّ، أما حركات الذراعين فهي عنيفة ومرتبكة. أما الأفضل فهو ذلك الصغير الذي تلقى تدريباً مدرسياً كاملاً، وهو ذو صوت حاد، غير قادر على الارتفاع، وكان يضع يداً في جيب بنطاله وأخرى في مواجهة النظارّة. ولا يكفّ عن التساؤل والبرهنة على ما يحتاج إلى برهان. إنّه صوت الكناري مملوء بزخارف الخطابة، وصولاً إلى عذاب المتاهات المشتعلة. يرفع الرأس بحركة مفاجئة. أما أنا فأكون شبيهاً بمشجب خشبي، دفع إلى منتصف القاعة، ومع ذلك فثمة أمل.

الثالث عشر من آذار:

أحد المساءات: استلقيت على الكنبة عند السادسة تقريباً، ونمت إلى الثامنة تقريباً. لم أكن قادراً على النهوض، كنت بانتظار رنين الساعة، لكنّني لم أتنبه للرنين في أثناء النوم، نهضت في التاسعة، لم أذهب إلى المنزل لتناول طعام العشاء، كما لم أذهب إلى ماكس، حيث كانت بيننا أمسية مشتركة.

الأسباب: فقدان الشهّية، الخوف من العودة إلى المنزل في وقت متأخّر، وانشغالي أولاً وأخيراً، لأنني لم أكتب شيئاً يوم أمس، وأنني أبتعد عن عالم الكتابة كثيراً، وأعيش في خطر خسارة كلّ ما سبق لي إنجازه بشق الأنفس في النصف الأخير من العام. والدليل على ذلك هو

أنني لم أكتب سوى نصف صفحة بائسة من قصة جديدة، قررّت أن أطّرحها جانباً على نحو نهائي، لأقع في حال من الاضطراب المعوي، بعدها قرأت هيرتسن، وأنا آمل أن ينقذني من هذه الحال. سعادته في السنة الأولى التي أعقبت زواجه، جعلتني أخشى أن أرى نفسي في سعادة شبيهة. عن الحياة الباذخة التي تحيط به، بيلنسكي Belinski وباكونين Bakunin[143] يرتديان الفراء وينامان على السرير طيلة اليوم.

أشعر بالتعاسة أحياناً، وهو شعور يكاد يمزقنّي، لكنني أكون في الوقت ذاته مقتنعاً بضرورة هذا الشعور، وبوجود هدف يتشكل من خلال لحظات الانجذاب للتعاسة. أنا الآن متأثر بذكرياتي عن هيرتسن، لكنّ تفكيري يستمر مع ذلك.

الرابع عشر من آذار:

أحد الصباحات: في السرير حتى الحادية عشرة والنصف. تربكني الأفكار التي تتشكل ببطء وتتوّطد على نحو غير قابل للتصديق. قرأت بعد الظهر (مقالة عن الشعر الغنائي لغوغول). تمشيّت في المساء وفي رأسي تجول أفكار تنتمي إلى الصباح، وهي أفكار قابلة للحياة؛ لكنّها غير قابلة للتصديق. جلست في ميدان تشوتك، وهو من أجمل الأمكنة في براغ. كانت العصافير تغرّد، وكان القصر وما يضمّ من رواق والأشجار القديمة وما عليها من أوراق خريفية تعود إلى العام المنصرم والضوء الخافت. فيما بعد جاءت أوتلا مع د.

السابع عشر من آذار:

الضجيج يلاحقني، غرفة أجمل وأكثر أنساً من الأخرى التي في بيليك غاسي. أنا شديد التعلق بالمنظر الذي يبدو جميلاً ها هنا، كنيسة تاين. لكن ثمة ضجيجاً عظيماً للعربات في

(143) ميشائيل باكونين (1814–1876)، فيساريون بيلينسكي (1811–1848) يُعدان من طلائع الثورة في روسيا، وهم من مؤسسي الحركات الفوضوية.

الأسفل، وهو ما سبق لي أن اعتدت عليه، وإن كان من المستحيل أن أتمكن من التعود على ضجة ما بعد الظهر، فمن حين لآخر ثمة قرقعة في المطبخ أو في الممّر. أما يوم أمس فقد كان على أرضية الغرفة التي تعلو غرفتي كرة لا تتوقف عن التدحرج، لغرض غير مفهوم، كأننا في لعبة بولينج. إضافة إلى وجود عزف على البيانو كان إلى جانبي أو أسفل مني. مساء أمس ساد هدوء نسبي، فتمكنت من العمل على نحو يبشر بالخير قليلاً. بدأت اليوم باستمتاع أكتب قصة «مساعد المحامي»، وفجأة بدأت جماعة إلى جواري أو تحتي حديثاً صاخباً متغيّراً، وكأنّ هذه الجماعة تتحلق من حولي. حاولت قليلاً مقاومة الضجيج؛ لكنني استلقيت بأعصاب محطمة على الأريكة. وعندما حلّ الهدوء بعد العاشرة لم أكن قادراً على العمل.

الثالث والعشرون من آذار:

عاجز عن كتابة سطر واحد، الشعور براحة البال عندما كنت أجلس يوم أمس في ميدان شوبك، وعندما أجلس اليوم في ساحة كارل ومعي «على البحر المفتوح»[144] لشترندبيرغ. الشعور براحة البال هذا اليوم في غرفتي. تجويف شبيه بالصدفة على الشاطئ يمكن لخطوة قدم واحدة أن تسحقه.

الخامس والعشرون من آذار:

محاضرة ماكس يوم أمس عن «الدين والأمّة» يهودية شرقية تلمودية. الفتاة من ليمبرغ Lemberg[145]. اليهودي الغربي الذي تماهى مع الشاسدية، الذي يضع قطناً طبياً في أذنه.

شتايدلر اشتراكي متألق منذ زمن طويل، ذو شعر قصير تماماً، الطريقة الخاصة التي يعبّر بها اليهود الشرقيون عن ابتهاجهم. جماعة اليهود الشرقيين عند الموقد، ج يرتدي القفطان، حياة اليهود العادية، حيرتي.

(144) ظهرت هذه الرواية عام 1912.

(145) مدينة تقع في غرب أوكرانيا.

التاسع من نيسان:

معاناة السكن، لا حدود لها. عملت جيّداً بعض الأمسيات. لو كان بوسعي أن أعمل ليلاً! تعطلت اليوم عن النوم بسبب الضجيج، والعمل وعن كل شيء.

الرابع عشر من نيسان:

الدرس الخاص بهوميروس للفتاة الغاليسية، التي ترتدي البلوزة الخضراء، وذات الوجه الحادّ القاسي. كانت ترفع ذراعها على شكل زاوية قائمة، عندما ترغب في الإعلان عن نفسها، وتتحرك بعجلة عندما تريد أن ترتدي ملابسها. أما عندما تعلن عن ذاتها، ولا يستجاب لها فإنها تشعر بالخجل وتدير وجهها جانباً. تلك الفتاة الصغيرة القوية التي تتشح باللون الأخضر تقف عند ماكينة الخياطة.

السابع والعشرون من نيسان:

مع شقيقتي* في ناغي ميهالي Nagy Mihaly[146]، عاجز عن الحياة مع الناس، وعن الحديث معهم. منغمس في ذاتي تماماً، ولا أفكر إلا بنفسي، متبلّد، وعاجز عن التفكير، وخائف، وليس عندي ما أقوله لأحد على الإطلاق، السفر إلى ڤيينا. ذلك الرجل الواسع المعرفة، القادر على القول الفصل ابن ڤيينا الطويل، ذو اللحية الشقراء، الذي يضع ساقاً على ساق والذي يقرأ Azest[147]، والمحبّ للمساعدة؛ تبيّن لي ولشقيقتي إيللي –وقد وقف كلانا له من هذا المنظور بالمرصاد– أنه إنسان متحفظ. قلت: «ما أوسع خبرتك في عالم الرحلات»، فهو يعرف خطوط السكك الحديدية التي أحتاج إليها. وقد تبيّن لاحقاً أن المعلومات لم تكن دقيقة تماماً. وهو يعرف كلّ خطوط القطارات الكهربائية في ڤيينا، ويرشدني بخصوص المكالمات الهاتفية في

(146) مدينة تقع في أقصى الشرق من سلوفاكيا على الحدود مع أوكرانيا.

(147) رواية للكاتب الواقعي الهنغاري Zsigmond Moricz (1879–1942)، وقد نشرت في أثناء الحرب العالمية الأولى.

بودابست، وهو يعرف أماكن إرسال الطرود، ويعرف أن تكلفة نقل أمتعة السفر تقل عندما يستأجر المرء عربة نقل خاصة. وهو لا يجيب عن هذه المسائل؛ بل يكتفي بالجلوس خافضاً رأسه من دون أن يتحرك.

تلك الفتاة من تسيسكوف رقيقة وثرثارة، ولكنها تكاد لا تكون قادرة على فعل شيء. جسدها متواضع، مصاب بفقر الدم، عديم القيمة، غير نام وغير قابل للنمو. المرأة العجوز من مدينة دريسدن، ذات الوجه الشبيه بوجه بسمارك، أضفت على نفسها فيما بعد مسحة امرأة من ڤيينا. المرأة السمينة التي تعمل محررة في جريدة «الزمان» Die Zeit، تملك كثيراً من المعلومات عن الصحف، وتتحدث بوضوح وتعبّر– على الرغم من كراهيتي الشديدة– عن الكثير من آرائي. وقد كنت في الغالب ألتزم الصمت، ولا أدري ما الذي سأقوله، فلم تكن الحرب في هذه الأوساط تستدعي أن أحتشد للتعبير عن آرائي المتواضعة. ڤيينا–بودابست.

البولنديان الملازم والسيّدة غادرا سريعاً، كانا يتهامسان قرب النافذة. هي امرأة شاحبة، وغير صغيرة في السن، وتكاد تكون غائرة الخدين، وغالباً ما كانت تضع يدها فوق تنورتها التي تضغط على خصرها وتسرف في التدخين. الهنغاريان أحدهما الواقف إلى جانب النافذة، شبيه بيرغمان، وهو يسند رأس الآخر النائم مستخدماً كتفه. انقضى الصباح منذ الخامسة فجراً بمحادثات عمل، فواتير ورسائل تتنقل من يد لأخرى، وكانت تجري عملية استخراج نماذج من بضائع شتى من الحقائب اليدوية لتعرض. قبالتي ملازم هنغاري، يبدو وجهه قبيحاً ومجدباً في أثناء النوم، فمه مفتوح وأنفه يبعث على الضحك بدائي، فقد بدا وهو يصف بودابست مملوءاً بالحيوية، تلتمع عيناه، ويضجّ صوته بالحياة، وتتفاعل شخصيته كلها في أثناء الوصف.

وفي المقصورة على مقربة منّي مجموعة من يهود بسترتس Bistritz[148]، عائدون إلى موطنهم. ثمة رجل يقود مجموعة من النساء، وقد علموا أن كوروس ميزو أغلق مؤخراً أمام حركة المدنيين، وصار يتوجّب عليهم أن يسافروا مدة عشرين ساعة في السيارة. وقد حكوا عن رجل بقي طويلاً في راد أوتس، حتى وصل الروس وصاروا على مقربة منه، ولم يبق أمامه فرصة

(148) عاصمة ولاية بستريا ناشاود في رومانيا.

للهرب، إلا من خلال تسلّق واحد من آخر المدافع النمساوية والعبور من خلاله. بودابست تقارير متناقضة تماماً بشأن الاتصال مع ناغي ميهالي، أما ذلك التقرير الذي بدا لي غير مناسب ولم أصدّقه فقد تبين لاحقاً أنه أصدق التقارير. في محطة السكة الحديدية، ثمة فارس يرقص، وهو يرتدي معطفاً من الفرو، ويحرك قدميه مثل أحد خيول الاستعراض، تودّعه سيّدة مسافرة، كان يحدثها بانسياب ومن دون انقطاع، إن لم يكن من خلال الكلام، فمن خلال حركات الرقص واللعب بقبضة السيف. وقد دفعها خوفاً من أن يفوتها القطار، مرة أو مرتين لتصعد درجات عربة القطار، ويده تكاد تكون تحت إبطها. إنّه متوسط الطول، ذو أسنان كبيرة وسليمة، ويبدو أنّ تفصيل معطفه، وطبيعة خصر المعطف تضفيان عليه مظهراً أنثوياً على نحو من الأنحاء. إنه كثير الابتسام ويوزع ابتساماته في الاتجاهات كلها، وهي ابتسامة متكلفة، وغير واعية ولا معنى لها، لكنها تجيء دليلاً واضحاً على حقيقة تكامل وجوده وانسجامه الدائم، وهو ما يتطلبه شرفه العسكري، الزوجان المتقدمان في السّن يودعان بعضهما بعضاً، وعيناهما مغرورقتان بالدموع. قبلات متكرّرة بلا معنى لا تكاد تحصى، وكان المرء عندما يكون في حالة يأس يلتقط السيجارة، ثم لا يتركها ولا يتوقف عن التدخين. إنّه سلوك عائلي لا يقيم وزناً للمحيط الخارجي، وهذا ما يحدث في غرف النوم كلها. إنني لم أستطع أن أتبيّن قسمات وجهها على الإطلاق؛ فهي امرأة متقدمة في السن، متواضعة الملامح، لكنك إذا ما نظرت إليها عن قرب، أو حاولت أن تتأمل ملامح وجهها بدّقة ذهب كلّ ذلك أدراج الرياح، ولم يبق لديك إلا ذكريات باهتة، ذات صلة بلون من القبح المألوف؛ فثمة أنف أحمر، لعل ما فوقه هو بقايا إصابة تعود إلى الجدري. أما الرجل فذو شارب كثيف، وأنف ضخم وإصابة حقيقية بالجدري، يرتدي معطف دراجة ويحمل عصا، وهو حسن التحكّم بذاته، ومع ذلك فقد كان عميق التأثر. وكان يداعب المرأة العجوز بألم واضح وذلك بلمس ذقنها. وأي سحر يكون هناك عندما تداعب امرأة عجوز بلمس ذقنها. وفي الختام نظر كل منهما إلى الآخر والدموع تملأ العينين. ولم يكونا يتقصدان ذلك؛ لكنّ المرء يمكنه أن يفسر ذلك على النحو التالي: لقد أسهمت الحرب في تدمير حتى هذه السعادة القليلة البائسة المتجسدة في العلاقة بين هذين العجوزين.

الضابط الألماني العملاق بملابسه التي احتشد عليها عدد ضخم من القطع الصغيرة، يتمشى أولاً عبر محطة السكة الحديدية ثم عبر القطار. وقد جعله كل من مشيته العسكرية وضخامته متصلباً، لدرجة أنه كان من الباعث على العجب أن يكون قادراً على الحركة. فقد كانت صلابة خصره واتساع ظهره والبناء الرشيق لذلك كله يجعل المرء يفتح عينيه من الدهشة، ليستطيع أن يستوعب ذلك كلّه بنظرة واحدة.

في المقصورة يهوديتان هنغاريتان؛ أمّ وابنتها، تشبه الواحدة منهما الأخرى. لكن الأم كانت تبدو في هيئة أكثر احتشاماً، في حين بدت البنت بقية بائسة، وإن كانت تتميز بالوعي الذاتي. فالأم ذات وجه كبير، متناسب الأجزاء، ولها زغب فوق الذقن، أما البنت فذات وجه صغير مدبّب، وبشرة غير نقّية، ترتدي ثوباً أزرق، وفوقه قطعة أخرى إضافية، على صدر يبعث على الرثاء.

ممرضة من الصليب الأحمر، واثقة تماماً وحازمة، تسافر كأنها عائلة بأكملها، مكتفية بذاتها، فهي تدخن السجائر وتذرع الممر جيئة وذهاباً كالأب، وكالولد الشاب تقفز على المقعد لتتناول شيئاً من كيسها، وكالأم تقطّع اللحم والخبز والبرتقال بعناية، وكالفتاة اللعوب- وقد كانت كذلك حقاً- تستعرض على المقعد المقابل قدميها الصغيرتين الجميلتين، وحذاءها الأصفر الطويل، وجواربها الصفر على الساقين الصلبتين. لم يكن لديها تحفّظ للحديث معها؛ بل لقد كانت هي من يبدأ بالاستفسار عن الجبال التي يراها المرء من بعيد، وتعطيني دليلها السياحي كي أتمكن من التفتيش عن موقع الجبل فوق الخارطة. استلقيت في زاويتي فاقداً للرغبة، تتراكم مشاعر الاشمئزاز في داخلي، على الرغم من أنها أعجبتني تماماً. وجه بنيّ قويّ، لا ينبئ عن عمر محدّد وبشرة خشنة، وشفة سفلية ماكرة. وهي ترتدي ملابس الرحلات، وتحتها ترتدي زيّ الممرضات الرسمي. قبعة ناعمة تتحرك على هواها فوق شعرها المربوط بقوّة. ونظراً لأنّ أحداً لم يسألها فقد شرعت هي ذاتها تحكي أجزاءً من حكايات، وقد ساعدتها شقيقتي قليلاً التي لم تعجب بها أبداً مثلما علمت لاحقاً. كانت مسافرة إلى ساتورليا أو يهل حيث سيجري هناك تحديد وجهة سيرها على نحو دقيق، وهي تتمنى أنت تذهب إلى مكان

مملوء بالعمل؛ لأن الوقت حينئذ ينقضي سريعاً. استنتجت شقيقتي أنها غير سعيدة، وهو ما رأيته أمراً غير صحيح. إن المرء يمرّ في أثناء السفر بتجارب متنوعة؛ فعلى سبيل المثال كان ثمة رجل له شخير لا يحتمل، فأيقظوه، ورجوه أن يأخذ المرضى الباقين بالحسبان، فوعد بذلك لكنه لم يكد ينام حتى عاد إلى شخيره المرعب. كان ذلك أمراً يبعث على الضحك، وقد رمى بقية المرضى أحذيتهم نحوه، ولما كان سريره في الزاوية فقد كان هدفاً يصعب إخطاؤه. كان يتوجب أن يكون المرء حازماً مع المرضى، وإلا تعذر الوصول إلى الهدف. فنعم ينبغي أن تعني نعم، ولا ينبغي أن تعني لا من دون أي مساومة على الإطلاق. وقد لاحظت فيما يخص هذه النقطة ملاحظة غبيّة، لكنّها صفة مميزّة بالنسبة لي وهي مداهنة وماكرة، وغير ذات صلة بالموضوع، وغير شخصية، وغير مكترثة، وغير حقيقية، وتأتي من بعيد، ومستمدة من طبيعة مرضية وهي متأثرة فضلاً عن ذلك بالعرض المسرحي في ستراندبيرغ في الليلة السابقة، والتي ترى أنّ على النساء أن يحسن صنعاً حتى يعاملهن الرجال بالمثل. تغاضيت عن الملاحظة أو تجاهلتها، استوعبت شقيقتي الملاحظة بالمعنى الذي أشرت إليه بهدوء، وعبّرت عن استيعابها بالضحك. وهناك حكايات أخرى عن أولئك المرضى المصابين بالتتانوس الذين لا يريدون الموت؛ فهناك الهنغاري مدير محطة السكة الحديدية، الذي صعد إلى القطار بصحبة ابنه الشاب الصغير. أعطت الممرضة للشاب برتقالة فأخذها، ثم أعطته قطعة من الحلوى بالسكر واللوز، فداعب شفتيه بها، لكنه أحجم عن أكلها. قلت: إنّه لا يصدق ذلك، فكررّت الممرضة كلامي حرفاً بحرف، أمر مفرح تماماً.

خارج النافذة تايس وبودروغ، وكم ضخم من منتوجات السنة الجديدة: مأكولات بحرية، إوّز برّي، جبال من خمور توكاير. فجأة موضع حصين على شكل نصف دائرة بين الحقول المحروثة بالقرب من بودابست. حواجز من الأسلاك الشائكة، مخابئ تحتوي على مقاعد، صفت أمامها بعناية أكياس رملية، وهي ملاجئ تبدو نموذجية. وقد قيل لي تعبير بدا بالنسبة لي أحجية: «مناسب لتضاريس الأرض». ومن أجل معرفة تضاريس الأرض يحتاج المرء إلى غريزة من يمشي على أربع.

فندق قذر في أويهل، كلّ شيء في الغرفة يبدو رثاً، رماد سيجارة النزيل الأخير ما يزال فوق المنضدة التي كانت على مقربة من السرير، الملاءات نظيفة على نحو ظاهري فحسب، محاولة للحصول على تصريح للسفر بالقطار العسكري، من قيادة الفرقة، ثم من قيادة الجبهة الخلفية للجيش. القيادتان كانتا في غرف فاخرة، ولاسيما القيادة الأخيرة للجيش، التناقض بين الجيش والبيروقراطية. تثمين صحيح للعمل المكتبي: ثمة طاولة وفوقها محبرة وريشة. باب الشرفة ونافذتها مفتوحان. أريكة مريحة. تمتلئ الحجرة الخشبية المغطاة التي على الشرفة مقابل الساحة، بالصحون والأواني.

قدمت وجبة الغداء. وكان أحدهم – وقد تبيّن أنّه الملازم الأوّل فيما بعد– قد رفع الستارة ليتبيّن إن كان ثمة أحد ينتظر. وقد توقف عن تناول طعامه وجاء إليّ وهو يقول «على المرء أن يكون جديراً بمرتّبه». لم أصل في الواقع إلى نتيجة، على الرغم من أنه كان يتوجب علي العودة إلى الفندق كي أحضر تصريحي الثاني. وكلّ ما كتب على التصريح كان لا يتعدّى إذناً عسكرياً يسمح باستخدام قطار اليوم التالي، وهو تصريح فاقد للمعنى تماماً.

كانت المنطقة المحيطة بمحطة السكة الحديدية ريفية، ومساحة دائرية مهملة، نصب كوزوث التذكاري، مقاهي تعزف موسيقى الغجر، محلات تبيع الفطائر، محل أنيق لبيع الأحذية نداء على زأتس إستز Az Est، حركات فخورة مملوءة بالمبالغة لجندي مسكين، يتجوّل هنا وهناك، لافتة ملّونة، فجّة تجسّد النصر الألماني، وقد ظلت الجموع مدة أربع وعشرين ساعة تحيط بها وتتفحصها، التقيت ذ. ضاحية نظيفة. مساء في المقهى، مدنيون محليّون، سكان أويهل بسطاء ولكنّهم عجيبون في الوقت ذاته، وهم يثيرون الريبة إلى حد ما، الريبة ليس بسبب الحرب؛ بل لأنهم غير مفهومين. قسيس عسكري يجلس وحده ويقرأ الجرائد. في الصباح جندي ألماني، شاب وسيم في دار البلدية، تجيء إليه كميات من الطعام، يدخن سيجاراً غليظاً ثم يشرع بعد ذلك في الكتابة. عينان حادتان، قاسيتان، لكنهما شابتان، ووجه مشرق ناعم يحلق بانتظام. بعد ذلك تراه يؤدي التحية العسكرية لأحدهم، ثم تراه ثانية ولكنك لا تدري أين؟

الثالث من أيّار:

لا مبالاة مطلقة وبلادة. بئر معطّلة، والماء فيها على عمق لا يمكن الوصول إليه، وهو على ذلك العمق تحيط بوجوده الشكوك. لا شيء، لا شيء، إنني لا أفهم الحياة «وحيداً»[149] عن شترندبيرغ فما يدعوه جميلاً، ينفرّني، عندما أنسبه إلى نفسي. رسالة إلى (ف) مملوءة بالأخطاء، وغير قابلة للإرسال. ما الذي يربطني بالماضي أو المستقبل؟ أما الحاضر فهو شبحي، فأنا لا أجلس إلى مكتب بل أدور حوله. لا شيء، لا شيء، جدب، ملل، لا. ليس مللا؛ بل جدب، ولا معنى وضعف. يوم أمس في دوبري شوفتس Dobrichowitz *.

الرابع من نيسان:

تحسنت حالتي، لأنني قرأت شترندبيرغ «وحيداً»، إنني لا أقرؤه من أجل القراءة؛ بل كي أستلقي على صدره، وهو يحملني كطفل على ذراعه الأيسر. وأنا أجلس هناك مثلما يجلس المرء فوق تمثال. كنت أواجه للمرة العاشرة خطر الانزلاق؛ لكنني جلست في المرة الحادية عشرة بثبات مملوءاً بالثقة والقدرة على الرؤية العريضة.

أتأمل في علاقة الآخرين بي، إنني لم أجد أحداً– على ضآلة شأني– يستطيع أن يتفهمني جيداً، مثلما أكون. ولكي يكون لك هذا الشخص الذي يمتلك هذا الفهم فينبغي أن يكون لك غالباً زوجة تقدّم لك الدعم من جميع الجوانب، وأن يكون الله معك. أوتولا تتفهم بعض الأشياء؛ بل الكثير منها، وماكس وفيليكس يتفهمون بعض الأشياء، أما إ فلا تتفهم سوى بعض التفصيلات، لكنها تفعل ذلك بقرف شديد، أما (ف) فلعلها لا تتفهم شيئاً على الإطلاق. وهذا يمنحها في كل الأحوال– نظراً للعلاقة الحميمة التي بيننا، وهي علاقة غير منكورة وضعاً متميزاً. أحياناً يخيّل إليّ أنها تتفهمني من دون أن تعي؛ فعندما انتظرتني مدة طويلة في المحطة السفلية للقطار وكنت متلهفاً للوصول السريع إليها، ظننت أنها كانت في الطابق العلوي من المحطة، ولما هممت بتجاوزها أمسكت يدي بهدوء.

(149) رواية بعنوان Entzweit ظهر عام 1909.

الخامس من أيّار:

لاشيء. رأسي بليد مصاب بصداع خفيف. بعد الظهر متنزه شوتك. قرأت شترندبيرغ، الذي أخذ يقترب مني.

الفتاة ذات السيقان الطويلة والعينين السوداوين والبشرة الصفراء، والطفولية، هي فتاة مرحة ووقحة ومفعمة بالحيوية والنشاط. رأت إحدى صديقاتها وهي تحمل قبعّتها في يدها فسألتها: «هل لديك رأسان؟». استوعبت صديقتها الدعابة الباهتة سريعاً. لكنّ الصوت وبعض الشخصية اللذين صاحبا الدعابة أضفيا عليها حيوية. وقد روت صديقتها ذلك لصديقة أخرى لقيتها على بعد خطوات: «لقد سألتني إن كان لي رأسان؟». التقيت الآنسة* (ر) منذ زمن مبكر، إنها في الواقع قبح لا حدود له، ولا أحد يستطيع تغييرها. جسد ثقيل الحركة، وكأنه ما يزال يغط في النوم، المعطف القديم الذي أعرفه، أما الذي ترتديه تحته فقد طمست معالمه إلى حدّ يثير الشكوك، ولعلي أستثني القميص. لعلّها كانت منزعجة أن تظهر على هذه الشاكلة؛ لكنها بدل أن تخفي ما كان باعثاً على الحرج تسلّلت كالمذنبة إلى داخل معطفها وارتدته. زغب كثيف فوق شفتها العليا، ولكنه لا يترك إلا في نقطة محددة تأثيراً قبيحاً. لكنها تعجبني كثيراً على الرغم من كل شيء؛ فعلى الرغم من قبحها الذي لا يرقى إليه الشك فإن جمال ابتسامتها لم يتغير، كما أن جمال عينيها صار يعاني من تراجعه بالمجمل. وخلاف ذلك فقد توزعنا بين شطري الأرض؛ فأنا لا أفهمها، وهي بالمقابل كانت قانعة بالانطباع السطحي الأول الذي شكّلته عني، وقد طلبت مني بكلّ براءة بطاقة خبز.

قرأت في المساء فصلاً في «المسيحيون الجدد»*.

الأب العجوز وابنته الكبرى. الأب واسع الأفق، ذو لحية مدببّة، محدودب قليلاً، يضع عصا صغيرة فوق ظهره، أما البنت فذات أنف عريض، وفك سفلي قوي، ووجه دائري منفوخ، وهي تتحرك بخصرها العريض بصعوبة. «إنهم يقولون إنّ منظري غير جميل؛ لكنني لا أبدو في الواقع قبيحة المظهر».

الرابع عشر من آيّار:

فقدتُ شتى أنواع الانتظام في الكتابة. وقت طويل في الفضاء الطلق. التمشي إلى ترويا مع الآنسة س.ت إلى دوبري شوفايس وشاستاليك مع الآنسة ر. وشقيقتها، وفيليكس وزوجته وأوتولا. كأنني في تعذيب مراسيم الصلاة اليوم في تاين غاسي، بعدها إلى توخ ماغرغاسي، وبعدها المطبخ الشعبي. قرأت اليوم فصلاً قديماً من «الموقِد». طاقة يتعذّر الوصول إليها اليوم كما يبدو لي، كان الوصول إليها متعذراً، مخاوف من أكون غير قادر على الأداء بسبب ضعف القلب.

السابع والعشرون من آيّار:

مقدار ضخم من التعاسة في التدوين الأخير. السير في طريق الهلاك. هكذا أذهب إلى الهلاك فاقداً للمعنى وزائداً عن الحاجة.

الثالث عشر من أيلول:

عشية عيد ميلاد والدي: يوميات جديدة. إنّه من غير الضروري كما جرت العادة أن أتصنّع الهدوء؛ فأنا مضطرب بما فيه الكفاية، ولكن، ولكن لأي هدف، ومتى يتحقق، وكيف يقدر قلب لا يتمتع بالصحة الكاملة؛ أن يحتمل هذا المقدار من الاستياء، وهذا المقدار الضخم من الرغبة المضنية التي لا تتوقف؟.

شرود بال، ضعف في الذاكرة، غباء.

الرابع عشر من أيلول:

يوم السبت بصحبة ماكس ولانغر* عند الحاخام المعجزة. تسيسكوف وشارع هارانتوفا. عدد ضخم من الأطفال فوق الرصيف، وعلى الأدراج. نُزُل. ظلام دامس في الطابق العلوي.

أسير على غير هدى، وأتحسس طريقي مستخدماً يدي لبضع خطوات. غرفة ذات نور شاحب، وجدران بيض، رمادية. مجموعة من النساء والفتيات. مناديل رأس بيضاء ووجوه ممتقعة، يقفن حولنا، ويتحركن بخطوات صغيرة. تأثير الحياة المجدبة. الغرفة التالية، مظلمة تماماً، مملوءة بالرجال والفتيان. الصلاة جهراً. حشرنا أنفسنا في إحدى الزوايا، وما كدنا نبصر ما حولنا، حتى انتهت الصلاة، وخَلَتْ الغرفة. غرفة في الزاوية، ذات نوافذ على الجانبين، في كل جانب نافذتان. دفعنا إلى طاولة على يمين الحاخام. تراجعنا إلى الوراء. «أنتم يهود أيضاً، أليس كذلك؟». إنّ الجوهر الأبوي الأقوى هو ما يصنع الحاخام. «فكل الحاخامات يبدون متوحشين». قال لانغر. كان ذلك الحاخام يرتدي قفطاناً حريرياً، يبدو بنطاله بوضوح من خلاله، وهناك شعيرات على أرنبة أنفه، وقبعة مكسّوة بالفراء فوق رأسه، يحركها إلى الأمام وإلى الوراء، قذر ونظيف، وهي الصفة المميّزة للناس الذين يفكرّون بعمق، يحكّ ذقنه، ويعطس على الأرض واضعاً أنفه بين يديه. يتناول الطعام مستخدماً أصابعه، وعندما يضع يديه على الطاولة مدة معينّة يرى المرء بياض يديه، وهو بياض يجعل المرء يظن أنه لم ير مثيلاً له إلاّ في خيالات الطفولة، حيث كان كل شيء وقتها نقيّاً حتى الوالدين.

السادس عشر من أيلول:

يتجه اليهود البولنديون إلى كول نيدره. الفتى الصغير، الذي يتأبط أردية الصلاة يجري بجانب والده. إنّ ذوي النزعات الانتحارية لا يذهبون إلى المعبد.

فتحت الكتاب المقدّس، القضاة غير النزيهين، ووجدت ما يصدّق رأيي، أو على الأقل لذلك الرأي الذي عثرت عليه في أعماقي، وبالمناسبة فإنّه لا أهميّة لذلك؛ فأنا لن أقاد إلى هذه الأشياء على نحو مرئي، فأوراق الكتاب المقدس لن تتطاير في حضوري.

يبدو أنّ المكان الأكثر استحقاقاً للطعن، هو الواقع بين الرقبة والذقن؛ لكنّ المرء يترك الذقن ويولج السكين في العضلات المشدودة. لكنّ هذا الموضع على الأرجح ذو جدوى في الخيال،

إذ يتوقع المرء أن يسيل دم غزير، وأن يرى شبكة من الأعصاب والعظام الصغيرة، تشبه تلك التي تجدها في فخذ الديك الرومي.

قرأت «فورستر فلك في روسيا»[150] Forester Fleck in Russland، عودة نابليون إلى ساحة المعركة في بورودينو Borodino. الدير هناك. سيتطاير في الهواء.

الثامن والعشرون من أيلول:

عاطل عن العمل تماماً. «مذكرات الجنرال مارسيل دي ماربو»[151] وهولتس هاوزن معاناة الألمان 1812[152].

عبثية الشكوى. أوجاع في رأسي تجيء بوصفها لوناً من الرد.

فتى صغير يتمدّد في البانيو، كان ذلك هو حمامّه الأول، الذي كان يتوق إليه، وتغيب أمّه والخادمة عنه. واستجابة لأمر والدته التي نادته من الغرفة المجاورة، مرر قطعة الإسفنج سريعاً فوق جسده، ثم تمطىّ مستمتعاً بالثبات في الماء الساخن. شعلة الغاز، أزيز منتظم، أما داخل الفرن فتأز النار التي أخذت بالتلاشي. حلّ الهدوء منذ زمن طويل في الغرفة المجاورة، لعل أميّ قد نأت.

لماذا يبدو توجيه السؤال أمراً بلا معنى؟ أن تشكو يعني أن تصوغ السؤال وتنتظر الإجابة؛ لكنّ الأسئلة التي لا تجيب عن ذاتها لحظة تشكلّها لن تكون قابلة للإجابة عنها على الإطلاق، فليس ثمة مسافة تفصل بين السائل والمجيب؛ وليس ثمة مسافة حتى يمكن تخطيّها؛ لذا فإن التساؤل والانتظار هما بلا معنى.

(150) عنوان الكتاب «حملات نابليون، وأسري في روسيا» Napoleons Feldzuge und meine Gefangen schaft in Russland. وقد كان فِلْك أحد الجنود في حملة نابليون.

(151) ظهر هذا الكتاب عام 1907.

(152) صدر هذا الكتاب عام 1912، وعنوانه: «الألمان في روسيا عام 1812، العيش والمعاناة في الزحف نحو موسكو».

التاسع والعشرون من أيلول:

مختلف أنواع القرارات المبهمة؛ هذا ما أستطيع أن أفعله بنجاح. شاهدت صورة في شارع فرديناد مصادفة ليست منفصلة تماماً عن بقيّة الصور الأخرى المعلّقة. إنّها سكيتش متواضع من الفريسكو Fresko[153]، وتحتها حكمة تشيكية تقول: أيها المصاب بعمى البصيرة، يا من حركت كأس الشراب من أجل الفتاة؛ ستعود سريعاً وقد استنارت بصيرتك.

نوم رديء، تعيس، صداع معذب في الصباح، لكنه يوم حرّ. أحلام كثيرة، المزج بين المدير مارشنر، والمراسل بيميسكر. خدود حمر صلبة، لحية سوداء كثة، وكذلك شعر كثيف تماماً.

فكّرت منذ وقت مبكر: لا شيء قادراً على تدميرك، حتى هذا الرأس الصلب اليقظ والفارغ تماماً في الواقع، كما أنّك لن تستطيع على الإطلاق– سواء أكنت غير واع أم متألماً– أن تغمض عينيك نصف إغماضه، أو تزوي ما بين حاجبيك، أو أن تغضّن جبينك، أو ترتعش يداك. إنك لن تكون قادراً إلا على أداء الدور المرسوم لك.

كيف يستطيع فورتن براس Fortinbras[154] أن يقول: إن هاملت قد أظهر نزعة ملكية عالية؟

إنني لم أستطع أن أمنع نفسي من أن أقرأ بعد الظهر ما سبق لي أن كتبته يوم أمس «قذارة أمس»، من دون أي أضرار.

الثلاثون من أيلول:

استطعت أن أحول من دون إزعاج فيليكس لماكس، بعد ذلك كنت عند فيليكس. روسمان* وك كلاهما قد ذبح في خاتمة المطاف من دون أدنى تمييز بينهما. أما البريء فقد ذبح بيد رقيقة، وإن كان قد نحي جانباً، أكثر من صرعه أرضاً.

(153) لوحة جصّية جدارية.

(154) إحدى الشخصيات الثانوية في هاملت.

الأول من تشرين الأول:

الجزء الثالث من مذكرات الجنرال مارسيل دي ماربو Marcellin de Marbot *. بولوستوك– بيرزينا– لايبتسج– واترلو.

السادس من تشرين الأول:

أشكال شتى للعصبية. أنا لا أظن أن الضجيج يمكن له أن يستّمر في إزعاجي. وفي الأحوال كلّها فإنني لا أعمل شيئاً الآن. ويبدو أنه كلما أمعن المرء في تعميق حفرته غدت أكثر هدوءاً، وكلّما غدا المرء أكثر خوفاً صار أكثر هدوءاً.

حكايات لانغر Langer:

على المرء أن يطيع الصادق Zaddik(155) أكثر مما يطيع الله؛ فقد قال بعل شيم Baalschem(156) لواحد من حوارييه المفضلّين ذات مرّة إنّ عليه أن يُعّمد. كان قد سبق لهذا الحواري أن عُمّد، وبلغ مرحلة الشهرة وغدا بطريرك. بعدها دعاه بعل شيم كي يزوره وسمح له بالعودة إلى اليهودية مجدداً، أطاعه تلميذه ثانية وقدم كفارة كبرى عن خطيئته. وقد أوضح بعل شيم ما صدر عنه من أمر بالقول: إنّه بالنظر لما يتحلّى به تلميذه من صفات استثنائية؛ فإن الشر لا يكفّ عن مطاردته، وأن هدف التعميد هو جعل الشرور تبتعد عنه. لقد رمى بعل شيم نفسه تلميذه في أتون الشر، ولا لوم على التلميذ في الخطوة التي خطاها، لأنه كان مأموراً، فضلاً عن صعوبة الوقوف في وجه الشر.

يظهر الصادق الأكبر مرة كلّ قرن، ويدعى صادق هادور (Zaddik Hador) وهو لا يحتاج أن يكون معروفاً، أو أن يكون منتمياً إلى فئة الحاخامات أصحاب المعجزات، ومع ذلك يكون

(155) كلمة عبرية تعني «الشخص المستقيم»، وتعني الشخصية المقدسة في التقاليد التشاسيدية Chassidism ، وتؤمن بعض التقاليد أن الدمار لن يحل على العالم؛ إذا وجد فيه على الأقل خمسون من هؤلاء.

(156) هو الحاخام إسرائيل بن أليعازر (1700–1760) ولقب بعل شم تو (سيّد الأسماء النبيلة)، وهو مؤسس التشاسيدية في اليهودية.

الصادق الأكبر. لم يكن بعل شيم صادق هادور زمانه؛ بل كان الصادق الأكبر رجلاً مغموراً يعمل في التجارة في درو هوبيتس. وقد سمع هذا الأخير أن بعل شيم يكتب التعاويذ، شأنه شأن بقية الصادقين؛ فصار يشك أن بعل شيم ينتمي إلى طائفة Sabbatai zw[157]. وأنه يكتب اسم تلك الطائفة على التعويذة، لهذا جردّه، عن بعد ومن دون أن يعرفه على المستوى الشخصي من القدرة على إعطاء التعاويذ. فطن بعل شيم سريعاً إلى ضعف تعاويذه لكنه لم يعتد أن يكتب فوقها سوى اسمه الشخصي، وعلم أنّ سبب ضعفها يعود إلى ذلك الرجل من دروهوبيتس. وعندما جاء هذا الرجل الدروهوبيتسي إلى بلدة بعل شيم– وكان ذلك أحد أيام الاثنين– جعله بعل شيم ينام يوماً كاملاً من دون أن يلحظ، لهذا تأخر الرجل يوماً إضافياً عن الموعد المحدد لرجوعه. وقرر السفر مساء الجمعة– وهو يظن أنه مساء الخميس– عائداً إلى بلدته كي يمضي اليوم المقدس في منزله. لكنه عندما شاهد الناس يذهبون إلى المعبد تنبّه إلى غلطته وقرر البقاء في البلدة، وطلب أن يؤخذ إلى بعل شيم، الذي أمر زوجته بعد الظهر أن تعد وجبة طعام لثلاثين رجلاً. وعندما وصل الدروهوبيتسي جلس مباشرة لتناول الطعام، بعد أن فرغ من الصلاة، والتهم الطعام الذي أعدّ رجال الثلاثين، بسرعة ولم يشبع بل طلب المزيد من الطعام. فقال بعل شيم: «لقد أعددت نفسي لاستقبال ملاك من الدرجة الأولى، ولم أستعّد لاستقبال ملاك من الدرجة الثانية»، بعدها جيء بكل ما يؤكل في المنزل، لكنّه لم يكن كافياً.

لم يكن بعل شيم الصادق هادور بل كان في منزلة أعلى. وكان الصادق هادور نفسه شاهداً على ذلك؛ فقد جاء هذا الأخير إلى المكان الذي تسكن فيه الزوجة المستقبلية لبعل شيم، وحلّ ضيفاً على منزل والديها، وقبل أن يصعد إلى السطح لينام طلب أن يعطى شيئاً يمكن أن يطرد الظلام، لكن البيت كان خالياً من كل أنواع الضوء، فصعد الرجل إلى السطح من دون إنارة. لكنّ غرفته سطعت بعد ذلك بالنور، وغدت كأنها حلّة من الأنوار كما تبين للفتاة التي نظرت نحوها وهي تقف في صحن المنزل. لحظتها أدركت الفتاة أنها أمام ضيف استثنائي، وطلبت منه أن يتزوّجها. كان من المسموح لها أن تطلب ذلك لأنّ قدرها النهائي كان قد تحدّد عندما

(157) مؤسس طائفة اليهود السبتيين (1626–1676).

عرفت الضيف؛ لكنّ صادق هادور قال: «إنك من نصيب رجل أكثر علواً»، وهذا يعني أن بعل شيم أرفع منزلة من صادق هادور.

السابع من تشرين الأول:

أمضيت يوم أمس وقتاً طويلاً مع الآنسة ر في ردهة الفندق، نمت نوماً رديئاً. صداع.

استطعت أن أخيف غيرتي* بمشيتي المترنّحة؛ أما الرعب فتمثّل في القدم المشوّهة.

في شارع نيكلاس يوم أمس كان هناك حصان متهشّم بركب مدّماة، أشحت نظري عنه، وتقلّصت عضلات وجهي على نحو لا إرادي في وضح النهار.

مشكلة غير قابلة للحل:

هل أنا منكسر؟ هل أعيش فترة انحطاط؟ تكاد المؤشرات كلّها تجمع على ذلك؛ البرودة، البلادة، الوضع العصبي، التمزّق، عدم الكفاءة في العمل، الصداع، الأرق، وحده الأمل يكاد يشكل نقيضاً لذلك.

الثالث من تشرين الثاني:

رأيت الكثير في الآونة الأخيرة. قليل من الصّداع. الكثير من المشي مع الآنسة ر. كنت بصحبتها في «هو وشقيقته» التي عزفها غيراردي (هل تمتلك الموهبة؟ هل تسمح لي أن أتدّخل وأن أجيب بدلاً منك؟ أجل، أجل) في صالة القراءة الخاصة بالمدينة رأيت الراية مع والديها. الشقيقتان الرائعتان إيستر وتلكا يشبهان التناقض بين النور والظلام. تيلكا جميلة على وجه الخصوص، بنّية، زيتونية اللون، حاجبان مقوسّان، منخفضان، من قلب آسيا. كلتاهما تضع شالاً على كتفها. وهما متوسطتا الطول، لكنهما أميل إلى القصر، وإن كانتا تبدوان منتصبتي القامة، وطويلتين كإلهتين، وتقف واحدة منهما على الوسادة المصنوعة من البولسترين الخاصة الأريكة. أما الأخرى فتقف في زاوية على مقعد غير قابل للتمييز، لعله يكون صندوقاً. رأيت

وأنا نصف نائم إيستر التي أثرّت فيّ من خلال معاناتها للوصول إلى كلّ ما هو روحي، وكانت تعضّ بقوة عقدة أحد الحبال، وتقفز في إحدى الغرف المغلقة على نحو يشبه لسان الجرس (ذكريات لملصق سينمائي).

كلّ من ل المعلّمة الشيطانية الصغيرة التي شاهدتها وأنا نصف نائم، والتي كانت تتحرك بصخب في أثناء رقصها الشبيه بالقوقازي، لكنّه رقص منساب، كانت تقفز إلى الأعلى وإلى الأسفل فوق شيء ما، مائل، خشن، بني غامق، يقع فوق رصيف من الآجر في العتمة.

الرابع من تشرين الثاني:

أتذكر زاوية في برسكيا حيث وزعت في وضح النهار وفوق رصيف مشابه Soldi[158] على الأطفال، وأتذكر كنيسة في فيرونا، دخلت إليها بائساً تماماً، ومرغماً، تحت ضغط الواجب الذي يستكمل به السائح متعته، وتحت إكراه الضغط الثقيل لإنسان يتلاشى في العدم. شاهدت قزماً أكبر من الحجم الطبيعي، ينحني على جرن المعمودية، ويدور حوله، جلست ثم خرجت على الرغم مني، وكأن كنيسة مشابهة في الخارج– التصق بابها بباب الكنيسة– في انتظاري.

رحيل اليهود مؤخراً بواسطة محطة السكة الحديدية التابعة للدولة. الرجلان اللذان يحملان كيساً، الأب الذي ألقى كلّ ثقل أمتعته على أطفاله الكثيرين وصولاً إلى أصغرهم، كي يستطيع أن يتخطىّ رصيف المحطة بالسرعة القصوى، تلك المرأة القوية التي تتحلى جيدة، والمرأة الشابة الفاقدة لما يميزها على مستوى الشكل، تجلس فوق الحقيبة حاملة رضيعها، يحيط بها معارفها ويدور بينهما حوار حيّ.

الخامس من تشرين الثاني:

حالة من الإثارة فترة ما بعد الظهر: وقد شرعت بالتفكير إذا ما كان يتوجّب عليّ أن أشتري

(158) بعض النقود الإيطالية في السابق.

كميّـة تزيد علـى المقدار الذي ينبغي شراؤه من القروض لتمويل الحرب. ذهبت مرّتين إلى المكتب لأعطيهم الأوامر اللازمة، لكنني عدت من دون أن أفعل ذلك. فوائد محسوبة ومحمومة. طلبت من أميّ أن تكتتب بما قيمته ألفاً من الكرونات، ثم رفعت المبلغ إلى ألفين. وقد تبّدى لي في هـذه الأثنـاء أنّني لا أعرف شيئاً عن الاستثمار؛ فقد كان من المسموح لي أن أشتري بقيمة ثلاثـة آلاف كـرون، لكنني لم أكد أهتم لذلك. فلم يكن في رأسي غير الشكوك تجاه قروض تمويـل الحرب، وهـي شـكوك لم تتوقـف عـن إزعاجـي إلا بعـد أكثر من نصف ساعة في أثناء سيري في شارعي المفضّل. لقد شعرت أنني متورط في الحرب مباشرة، وقدرت المشهد المالي العام، على الأقل في ضوء ما أعرف أنه تحت تصرفي، وضاعفت الفوائد وخفضتها، تلك الفوائـد التـي ستجيء إليّ ذات يـوم... الخ. ثـم بـدأت حالة الإثارة التي أمرّ بها تتحول تدريجياً، كما أنّ أفكاري أخذت تتجّه نحو الكتابة، وشعرت بأنني قادر على ذلك وأخذت أتأمل الليلة المناسبة في الزمن القادم التي سأختارها لذلك، وقطعت الجسر الحجري وقلبي موجع، وشعرت بما سبق لي أن جربته مراراً، وهو تعاسة الإحساس بالتهاب النار في الأعماق من دون أن يكون مسموحاً لها بالانطفاء. ثم ابتكرت جملة كي أعبر بها عن ذاتي وأهدئها: «أيّها الصديق الصغير تدفّق». كررتها من غير انقطاع، وبتنغيم خاص، وجعلت الغناء مصحوباً بإدخال يدي في جيبي، وسحب منديل منها شبيه بالقربة، وصرت أضغط عليه تارة، وأتركه تارة أخرى.

السادس من تشرين الثاني:

منظر حركات الحشود التي تشبه حركات النمل أمام الخنادق* وداخلها. عند والدة أوسكار بولاك*، لقد تركت شقيقته انطباعاً حسناً فيّ.

بالمناسبة هل ثمة أحد لا أنحني له؟ خذ غرون بيرغ *Gruenberg مثلاً، وهو يجسد في نظري رجلاً في غاية الأهمية، وإن ظل يستهان به عموماً لأسباب تبدو مستغلقة بالنسبة لي: ولو تخيلّنا أنني وضعت أمام خيار يقول بأنّ على واحد منّا أن يموت في الحال، بصرف النظر عن

شخص بيرغ تحديداً، لأنه كما يقال في مرحلة يعاني فيها من الإصابة بمرض السل في مراحله المتقدّمة. ويكون القرار مرتبطاً بي، كما ينبغي أن يكون في مثل هذا الوضع، فسأجد السؤال بعيداً عن العقلانية طالما بقي في الإطار النظري، لأن غرون بيرغ رجل أكثر قيمة مني؛ لذا تجدر المحافظة عليه. وسيتفق معي في هذا غرون بيرغ نفسه، لكنّني شأن الآخرين سابقاً، أخترع في اللحظات غير القابلة للسيطرة أدلة لصالحي، وهي أدلة بالنظر لما تتسّم به من فظاظة وبرودة وخطأ ستحملني على التقيؤ. وأنا واثق أن هذه اللحظات الأخيرة موجودة الآن، إذ لا أحد يجبرني على الاختيار؛ إنها تلك اللحظات التي أمتحن فيها قدرتي على البحث عن ذاتي تحت تأثير المعوقات كلها والموانع والتأثيرات الخارجية.

التاسع عشر من تشرين الثاني:

أيام تنقضي بلا جدوى، طاقة تذهب سدى بالانتظار. وعلى الرغم من كل هذه البطالة فثمة صداع يلتهب ويحفر في رأسي.

رسالة إلى ڤيرفل. جواب.

عند السيدة م – ت*، عجزي عن الدفاع عن أيّ شيء. حواري الخبيث عند ماكس. الاشمئزاز من ذلك في اليوم التالي.

مع الآنسة ف.ر و إيستير.

في الكنيس القديم– الجديد في أثناء محاضرة– المشنا Mischna[159]. مع الدكتور يايتلز Jeiteles* في أثناء العودة إلى المنزل، اهتمام كبير ببعض المسائل الخلافية.

الإشفاق على الذات بسبب البرد وبسبب كلّ شيء. الآن حين تبلغ الساعة التاسعة والنصف ليلاً ثمة من يسعى في الشقة المجاورة كي يدخل المسمار في الجدار المشترك.

(159) المجموعة الأكثر أهمية للقوانين اليهودية التي تشكّل أساس التلمود.

الحادي والعشرون من تشرين الثاني:

اللاجدوى الشاملة. الأحد: أرق غير عادي في الليل، في السرير إلى الثانية عشرة والربع، حتى غمر ضوء الشمس المكان. التمشّي. تناول طعام الغداء. قراءة الصحف، تصّفح أحد الكتالوجات القديمة. المشي في شارع هايبرنر، والحديقة العامة للمدينة، وميدان ڤنتسلز، وشارع فرديناد، ثم المشي باتجاه بودول. تمددت مجهداً مدة ساعتين. أستشعر صداعاً قوياً وألماً حاداً في رأسي بين الفينة والأخرى. تناولت طعام العشاء. أنا الآن في المنزل. من الذي يستطيع أن يلاحظ من الأعلى كلّ ذلك من بدايته إلى منتهاه؟.

الخامس والعشرون من كانون الأول:

أفتح دفتر اليوميات لغرض محدّد؛ وهو أن أهيئ نفسي للنوم، لكنني أرى مصادفة ما دونتّه مؤخّراً، وكنت أستطيع أن أتخيّل آلاف التدوينات المشابهة في المضمون في السنوات الثلاث أو الأربع الأخيرة. إنني أستهلك نفسي عبثاً، وينبغي أن أكون سعيداً إذا استطعت أن أكتب، لكنني لا أفعل. لا أستطيع الخلاص من الصداع، لقد أضعت قوتي حقاً.

تحدثت أمس بصراحة مع رئيسي في العمل، وكان قراري بالحديث وتعهّدي بعدم التراجع قد أتاحا لي إمكانية التمتع بساعتين من النوم– حتى لو كانتا مملوءتين بالقلق– في الليلة قبل السابقة. وقد وضعت أمام رئيسي الخيارات التالية:

1– أن ندع الأشياء كلها تسير مثلما كانت تسير في الأسبوع الماضي الذي كان مملوءاً بالمعاناة، وستكون النهاية حافلة بتوتر الأعصاب والجنون.

2– ترك الرغبة في الحصول على إجازة؛ ليس بسبب الشعور بواجب العمل بل لأنها لن تكون ذات جدوى.

3– عجزي في الوقت الحاضر عن التوقف نظراً لوضع والديّ وللمصنع.

4– تبقى بعد ذلك الخدمة العسكرية وحدها.

الجواب: إجازة لمدة أسبوع، ومعالجة تتعلق بالدم، يريد الرئيس أن يشاركني فيها. فهو الآخر مصاب على الأرجح بمرض عضال. وإذا ذهبت أيضاً فسيغدو القسم مهجوراً.

الراحة، نظراً لأنني تحدثت بصراحة؛ فللمرة الأولى تقريباً يضطرب الجو الرسمي للمكتب عند سماعه كلمة «توقف»، ومع ذلك فلم أستطيع النوم إلاّ بصعوبة.

الخوف الرئيسي الدائم. لو أنني استطعت في عام 1912 أن أغادر، ممتلكاً لطاقتي كلّها، قادراً على التفكير بوضوح، قبل أن تبتلعني معاناة قمع القوى الحيّة.

مع لانغر:

إنه يريد أن يكون قادراً على أن يقرأ كتاب ماركس في ثلاثة عشر يوماً؛ بل؛ بل إنه يستطيع أن يقرأه في أثناء أيام عطلة عيد الميلاد، لأنه من غير المسموح– نظراً لتقليد قديم– أن تقرأ التوراة في أثناء عيد الميلاد، مع أنّ عيد الميلاد قد صادف يوم السبت في هذا العام. وفي غضون ثلاثة عشر يوماً سيحلّ عيد الميلاد الروسي هنا، لذا فإنهم سيقرؤنه. وفي ضوء تقاليد العصور الوسطى فإنّه يسمح لك أن تشتغل بالأدب أو بالمعارف الدنيوية الأخرى بعد بلوغ السبعين، وإن كان من المسموح لك– في ضوء التصورات الأقل قسوة– أن تبدأ ذلك في الأربعينيات من العمر، مع أنّ الطب ظلّ على الدوام هو العلم المسموح للمرء أن يشتغل به على الدوام. ولم يعد ذلك مسموحاً اليوم؛ لأن الطب متصل بغيره من العلوم. كما أنه من غير المسموح للمرء أن يقرأ التوراة في المرحاض، ويجوز له أن يقرأ هناك الكتب الدنيوية. وهناك رجل تقيّ من براغ، وهو ك. تحديداً، كان يعرف كثيراً من العلوم الدنيوية، لأنه سبق له أن درسها في المرحاض.

(1916)

التاسع عشر من نيسان :

كان يحاول فتح الباب الذي يفضي إلى الممّر لكنّ الباب ظلّ يستعصي، نظر إلى الأعلى، وإلى الأسفل، ولم يستطع أن يكتشف ما يحول بين الباب والفتح. ولم يكن الباب موصداً فقد كان المفتاح في القفل. ولو حاول أحد إغلاقه من الخارج لاندفع المفتاح وسقط. ومن الذي يستطيع إغلاقه بعد ذلك؟ دفع الباب بركبته فاهتز الزجاج المصنفر، لكن الباب بقي قوياً. فتأمّل!.

عاد إلى الغرفة ودخل إلى الشرفة، وأخذ ينظر إلى الشارع في الأسفل، وقبل أن تستحوذ عليه حياة ما بعد الظهر الاعتيادية في الشارع، عاد مجدداً إلى الباب وحاول فتحه غير مرّة. وعندما كفّ عن محاولات فتحه انفتح الباب حالاً. فلم يكن الباب محتاجاً إلى ضغط؛ لأنّ التيار الهوائي القادم من الشرفة جعله ينفتح بسهولة، فدخل إلى الممرّ من دون جهد، كالطفل الذي يُسمح له من أجل الدعابة بلمس المزلاج، في اللحظة التي يكون فيها رجل أكبر سناً يمارس الضغط على الباب.

سأستخلص ثلاثة أسابيع لنفسي؛ فهل يسمى ذلك سلوكاً غير إنساني؟

قبل مدّة قصيرة رأيت هذا الحلم :

كنّا نسكن في غرابن قرب مقهى الكونتينتال، ثمة فوج تحوّل من هيرن غاسي صوب محطة السكة الحديدية. أبي: «هذا مشهد ينبغي على المرء أن يتأمّله، ما وسعه ذلك». ثم قفز إلى حافة النافذة، وكان يرتدي روب فيليكس البني، المخصص للنوم، وكانت الشخصية في الحلم مزيجاً من الاثنين. أمسكت به عن طريقة الأنشوطتين الصغيرتين اللتين كانتا في الروب، لكنه مدّ بخبث جسده أقصى ما يستطيع إلى الخارج؛ فبذلت ما في وسعي لأمسك به. وصرت أفكر أنه سيكون من الأفضل لو أنني أستطيع تثبيت قدميّ بشيء صلب، كي لا يتمكن والدي من

سحبي؛ لكنه كان يتوجب عليّ لتحقيق ذلك أن أترك والدي قليلاً، وهو أمر مستحيل. مثل هذا التوتر لا يستطيع النوم أن يحتمله – ولاسيما نومي– فاستيقظت.

العشرون من نيسان :

اتجهت مدبّرة المنزل نحوه، قاطعة الممرّ، وهي تحمل رسالة في يدها. لم يتفحّص الرسالة؛ بل تفحص وجه السيدة العجوز في أثناء فتحه للرسالة. ثم قرأ:

«سيدي العزيز:

إنك تسكن قبالتي منذ بضعة أيام، وقد جعلني هذا الشبه الكبير بينك وبين أحد معارفي القدامى أصاب بالدهشة. وسيكون من دواعي سروري أن تزورني هذا المساء. مع التحية. لويزي هلكا.

«حسناً» قالها مخاطباً مدبّرة المنزل التي كانت تقف في مواجهته وفي مواجهة الرسالة. إنها مناسبة طيّبة لبناء معرفة مفيدة في هذه المدينة التي يعاني فيها من الغربة التامّة.

«هل تعرف السيدة هلكا؟» سألت المدبّرة، وهو يتناول قبعته.

«لا» قالها متسائلاً.

«إن الفتاة التي أحضرت الرسالة، هي خادمتها» قالت المدبّرة كنوع من الاعتذار.

«هذا جائز» قالها منزعجاً من تدخّلها، وهو يغذّ الخطى لمغادرة المنزل.

«هي أرملة» قالتها المدبرة لاهثة وهي تعدو خلفه عند العتبة.

حلم: مجموعتان من الرجال تتصارعان، استطاعت المجموعة التي أنتمي إليها أن تأسر رجلاً عملاقاً عارياً من خصومنا. أمسك به خمسة منا، واحد أمسك به من رأسه، مثلما أمسك به من كل جهة اثنان قبضا على ذراعه ورجله. لم نكن نملك لسوء الحظ سكيناً كي نطعنه. وقد بحثنا في المحيط بلهفة عن سكيّن؛ لكنّ أحداً لم يكن يمتلك واحدة. ونظراً لأنه لم يكن لدينا، لأسباب شتى وقت كاف، وكنا نقف على مقربة من أحد الأفران، الذي كان بابه الحديدي

الصلب، يتوهّج من الحرارة؛ جررنا الرجل إلى الداخل، وقرّبنا إحدى قدميه من باب الفرن، حتى بدا الدخان يتصاعد منها، ثم سحبناها إلى الوراء، حتى توقفت عن إطلاق الدخان، لنقوم لنقربها من جديد. كررّنا ذلك على نحو منتظم، حتى استيقظت لا أتصبّب عرقاً من الخوف؛ بل ترتعد أسناني حقيقة.

كان هانز وأماليا ابنا الجزّار يلعبان بالكرات الزجاجية الصغيرة إلى جانب سور مخزن الشراء، وهو بناء حجري ضخم قديم، مشيّد على طراز القلعة، ويتألف من طابقين، وهو ذو نوافذ مسلّحة، ويمتد إلى ضفة النهر.

سدّد هانز نحو الهدف بحذر، وامتحن كراته، والطريق، والحفرة التي ستنتهي الكرات إليها، قبل أن يقوم يقذفها. أما أماليا فقد نبشت بنفاد صبر إلى جانب الحفرة، مستخدمة قبضتها الصغيرة. ثم قذف كل منهما كراته على نحو مفاجئ. نهضا بعد ذلك ونظرا إلى نافذة المخزن. سمعا صوتاً يشبه صوت رجل يحاول تنظيف الأوساخ عن الأجزاء الكثيرة التي تنقسم إليها النافذة القوية التسليح، لكنّ المحاولة أخفقت، وتكسّرت الألواح الزجاجية. برز بعد ذلك وجه نحيف، يبتسم من دون سبب ظاهر، برز على نحو غير واضح في المربّع الصغير، كان يبدو أنه رجل، قال بعدها: «تعالا أيها الطفلان، تعالا هل سبق لكما أن رأيتما مخزن البضائع من قبل؟».

هزّ الطفلان رأسيهما، نظرت أماليا مندهشة إلى الرجل. أمّا هانز فالتفت إلى الوراء، ليرى إن كان ثمة أناس قريبون، لكنه لم ير سوى رجل واحد، ذي ظهر محدودب، يدفع عربة محملّة من الوزن الثقيل، على امتداد رصيف السكة الحديدية، ويحدق بفضول في كلّ شيء. «إن الأمر سيكون مفاجأة بالنسبة لكليكما». قال الرجال بحماسة وكأنه يتوجب عليه أن يتجاوز من خلال هذه الحماسة رداءة العلاقات التي فصلته عن الأطفال بالسور والحواجز والنوافذ. «والآن تعالا. إنه الوقت المناسب». «كيف يمكن لنا أن ندخل؟» سألت أماليا «سأريكما الباب». قال الرجل «ما عليكما إلا أن تتبعاني؛ فأنا ذاهب إلى جهة اليمين، وسأدق على النوافذ كلها». حنت أماليا رأسها وركضت نحو النافذة القريبة. وقد سمعت في الواقع دقاً على تلك النافذة، وعلى النوافذ الأخرى. وفي الوقت الذي كانت فيه أماليا تطيع ذلك الرجل الغريب، وتركض وراءه

من دون تفكير مثلما يركض المرء خلف الخاتم كان هانز يمشي خلفه ببطء. كان هانز يشعر بالارتباك، فقد كان مخزن البضائع الذي لم يسمح له بزيارته من قبل يستحق المشاهدة بالتأكيد، لكن دعوة رجل غريب يسعى كي يكون لطيفاً لا تعني بالضرورة أن يسمح لنفسه بالدخول إلى هناك. كان الأمر بالنسبة له يقع في دائرة المنع لأنه لو كان يقع في دائرة المسموح لأخذه والده ذات مرة إلى هناك. فلم يكن والده يسكن على مقربة من المخزن فحسب؛ بل كان يعرف الناس في الدائرة الواسعة المحيطة به، الذين كان أهلها يحيونه ويعاملونه باحترام.

فجأة خطر ببال هانز أنّ الأمر قد لا يتعدى كونه ذريعة من الرجل الغريب، فجرى خلف أماليا ليتأكد من ذلك، فوصل إليها عندما كانت تقف عند بوابة حديدية بصحبة الرجل، وكانت البوابة مصّفحة، منخفضة، وصغيرة بمستوى الأرض، كانت تبدو مثل بوابة فرن كبير. كسر الرجل ثانية جزءاً من النافذة الأخيرة، وقال: «هذا هو الباب، انتظرا لحظة. سأفتح الأبواب الداخلية».

«هل تعرف والدنا؟» سأل هانز فوراً، لكنّ ذلك الوجه كان قد اختفى، وكان على هانز أن ينتظر مع سؤاله. ثم سمعا حقاً صوت الأبواب الداخلية وهي تفتح. كان صوت صرير المفتاح لا يكاد يسمع في البداية، ثم بدأ الصوت يعلو ويعلو في الأبواب القريبة. كان الثقب في هذا المبنى الضخم يبدو عند هذه النقطة مملوءاً بأعداد لا حصر لها من الأبواب، يقف كل باب وراء الآخر. ثم فتح الباب الأخير في النهاية باتجاه الداخل. وكان الطفلان يستلقيان على الأرض، كي يستطيعا الرؤية. وهناك كان وجه الرجل يبدو نصف معتم. «الأبواب مفتوحة. تعالا ! هيّا استعجلا، استعجلا!» وكان يدفع بذراعه الأبواب كلها نحو الحائط.

وكان يبدو كأنّ آماليا قد استردّت قليلاً من وعيها في أثناء مدة الانتظار؛ فتسلّلت لتقف خلف هانز. ولم تعد ترغب في أن تكون الأولى، لكنها دفعته إلى الأمام، لأنها كانت ترغب بقوة في دخول المخزن بصحبته. كان هانز على مقربة من الفتحة، وشعر بالنسيم البارد القادم من الداخل، ولم يرد الدخول، ولم يرغب في الذهاب إلى الغريب، ولا إلى ما وراء الأبواب الكثيرة التي يمكن أن تنغلق وراءه، ولا إلى برودة ذلك المنزل القديم العملاق. ونظراً لكونه كان يقف

على فتحة الباب سأل الغريب: «هل تعرف والدنا؟». «لا» قال الرجل. «ولكن هيّا ادخلا، لا يسمح لي أن أترك الأبواب مفتوحة مدة طويلة».

«إنّه لا يعرف والدنا». قال هانز لأماليا ووقف، كان يشعر بالراحة. إنه لن يدخل بالتأكيد إلى المخزن. «طبعاً أنا أعرف والدكما»، قال الرجل وهو يدفع برأسه داخل الفتحة. «طبعاً أعرفه، الجزار، الجزار الكبير عند الجسر، إنني أشتري اللحم من عنده أحياناً، صدّقاني، إنني ما كنت لأدعكما تدخلان المخزن لو لم أكن أعرف عائلتكما؟».

«حسناً لماذا قلت في البداية، إنك لا تعرف والدنا؟». سأل هانز واضعاً يديه في جيبه، وهو يكاد يدير ظهره للمخزن. «لأنني في هذا الموقع لا أرغب في الدخول في أحاديث مطوّلة، ادخلا أولاً، وبعد ذلك نستطيع الحديث عن كل شيء. بالمناسبة أنا أُفضّل أن تبقى أيّها الصغير في الخارج، أما شقيقتك فتبدو أكثر عقلانية منك، وهي ستدخل على الرحب والسعة». ومد يده تجاه آماليا. «هانز» قالت آماليا وهي تقرّب يدها من يد الغريب من دون أن تمسك بها «لماذا لا تريد الدخول؟». أما هانز الذي بدا بعد الجواب الأخير للرجل فإنه لا يمتلك سبباً واضحاً لرفضه الدخول، فقد قال هامساً لآماليا: «إن له صوتاً كالفحيح». ومن الحق أن الغريب كان يفّح لا عند الحديث فحسب؛ بل عند الصمت أيضاً. «لماذا تخرج صوتاً كالفحيح؟». سألت آماليا التي أرادت أن تتوسط بين هانز والغريب.

«سأجيبك أنت يا آماليا». قال الغريب: «إنّ تنفسي صعب، وهذا يرجع إلى إقامتي الطويلة في هذا المخزن الرطب؛ لذا فأنا أنصحكما أن لا تمكثا طويلاً ها هنا، أمّا البقاء مدة قصيرة هنا فهو ممتع فوق العادة». «أنا ذاهبة» قالت آماليا وضحكت، فقد فازت تماماً في تلك اللحظة «لكن» أضافت ببطء شديد «يجب أن يأتي هانز معنا أيضاً». «بالطبع» قال الغريب وهو يندفع بالجزء العلوي من جسده إلى الأمام، ممسكاً بيد هانز الذي أخذته المفاجأة على نحو كلّي، فهوى، فجذبه الرجل بكل قوته إلى الحفرة. «هيا ادخل يا عزيزي هانز» قائلاً، جاراً الولد– الذي كان يقاوم ويصرخ بصوت مرتفع– إلى الداخل من دون أن يهتم بكون كمّ سترته قد علق بالحواف الحادة للباب.

«ماليس صاح هانز فجأة– وقدماه تكادان تختفيان سريعاً في الحفرة، على الرغم من كلّ المقاومة التي أبداها– زمالي، أحضري أبي، أحضري أبي، أنا لا أستطيع الخروج، إنّه يجذبني بقوة». لكنَّ مالي التي كانت حائرة بسبب التدخل الفظ للغريب، فضلاً عن شيء من الشعور بالذنب، كونها مسؤولة نسبياً عن هذا الأمر السيئ؛ لم تهرب في خاتمة المطاف، فعلى نحو مملوء بالفضول تماماً، مثلما كانت في البداية، أمسكت بقدمي هانز ... [انقطاع].

لقد صار من المعروف بطبيعة الحال أنّ الحاخام يشتغل على تمثال من الصلصال. كانت أبواب غرف منزله جميعها مشرعة ليلاً ونهاراً. ولم تكن تحوي شيئاً مما لا يمكن للمرء أن يعرفه سريعاً. كان ثمة مريد أو جار أو غريب ينتظر على درجات البيت، صاعداً أو هابطاً، وكانوا جميعاً يتفحصون الغرف كلّها، ويدخلون، وعندما لا يلتقون بالحاخام في مكان ما من المنزل، يذهبون حيث يحلو لهم. وقد عثروا ذات مرّة في إحدى غرف الغسيل على كمية ضخمة من الصلصال الأحمر.

كانت الحرية التي يعطيها الحاخام لزائري بيته قد أفسدت هؤلاء الزوار، لدرجة أنهم لم يعودوا يترددون في لمس الصلصال. كان الصلصال صلباً، بحيث أن الضغط عليه لا يؤدّي إلى أن يترك لونه فوق الإصبع، أمّا مذاقه– وكان فضولهم القوي يدفع بهم إلى مسّه بألسنتهم– فكان مراً؛ لذا بقي سر احتفاظ الحاخام به في غرفة الغسيل أمراً غير مفهوم لديهم.

مرّ، مرّ، هذه هي اللفظة الرئيسية. كيف أستطيع أن أصنع قصة مناسبة من خلال شذرات متفرقة؟

كان ينبعث من المدخنة دخان أبيض، رمادي، ضعيف لكنّه مستّمر.

كان الحاخام يشمّر عن ساعديه أمام الصلصال، مثلما تفعل الغّسالة ويعجنه حتى يقترب من الملامح الأولى لشكل الإنسان، وكان يحافظ على جَلَده في التنّبه للشكل الكلي، حتى وهو يشتغل على تفصيلات صغيرة كعقلة الإصبع. وعلى الرغم من كون التمثال قد أخذ يكتسب ملامح إنسانية فقد ظل الحاخام يتصّرف كالمجنون؛ فكان لا يكفّ عن تحريك فكّه إلى الأمام، ولا يتوقف عن تمرير شفة فوق الأخرى. أما عندما كان يرطب يديه في دلو الماء الذي كان

دائمـاً على جانبـه فقـد كان يدخل يديه فيه بعنف، لدرجة أن الماء يتطاير على سقف القبو العاري.

الحادي عشر من أيار:

سلّمت الرسالة إلى المدير يوم أمس الأول، وطلبت فيها أحد أمرين: إما أن أُمنح إجازة طويلة من دون مرتب، إذا ما وضعت الحرب أوزارها في الخريف بطبيعة الحال، أو ألغي الطلب إذا ما استمرت الحرب. كان ذلك كذباً خالصاً، وقد كنت سأكون نصف كاذب لو كنت قد طلبت إجازة طويلة، ثم أطلب تسريحي من العمل في حالة رفضها. أمّا الصدق فيستحقق عندما أتراجع عن الأمر. لم أستطع احتمال الأمرين ففضلّت الكذب الخالص.

نقاش غير مجد اليوم، يظن المدير أنني أريد أن أبتزّه بإجازة الثلاثة أسابيع المعتادة التي لا أستحقها في وضعي الاستثنائي، عارضاً عليّ أن آخذها ببساطة، زاعماً أنه قرر ذلك قبل وصول رسالتي إليه. أما عن الجيش فلم يتحدث مطلقاً، وكأن رسالتي تخلو من الحديث عنه، وعندما أشير إليه فلا يستمع إليّ وهو يجد الإجازة الطويلة من دون مرتّب مضحكة على ما يبدو، ويشير إليها بنبرة صوت حذرة. وقد أجبرني على أخذ الأسابيع الثلاثة حالاً. وكان يتخلل حديثه كالآخرين ملاحظات عارضة، تشبه ملاحظات طبيب الأعصاب عديم الخبرة.

إنني لا أتحمل المسؤولية كما يتحملها المدير؛ فموقعه الوظيفي يؤدّي إلى المرض فكم عمل الرجل بجدّ في الماضي يوم كان يستعد لامتحان المحاماة، ويعمل في الوقت نفسه في المعهد؟ لقد ظلّ يعمل تسع ساعات يومياً مدة أحد عشر شهراً. وبعد ذلك يأتي الفارق الجوهري؛ فهل سبق لي أن خشيت ذات يوم بأيّ شكل من الأشكال أن أفقد وظيفتي؟ لقد عاش المدير مثل هذا النوع من الخوف، وكان له أعداء في المعهد، يبذلون كلّ ما في وسعهم ليجردّوه من «سبل كسب العيش»، ويرموا به إلى عالم المجهول.

لقد كنت أشعر بالضعف، ومع ذلك فقد أحسست أنّ المسألة بالنسبة لي مسألة حياة أو موت؛ لكنّني أصررت على الالتحاق بالجيش، أما عن الأسابيع الثلاثة فهي مدة غير كافية؛ لهذا

أجل النقاش، وكنت أتمنى لو لم يكن ودوداً ومهتماً. سأظل أتمسك بالأمور التالية: أريد الالتحاق بالجيش تحقيقاً لرغبة أرجأتها مدة سنتين، ولكنني بالنظر لأسباب شتى- لا تتّصل بشخصي- أفضل أن أحصل على إجازة طويلة المدة إن كان ذلك بوسعي. لكن ذلك يبدو شبه مستحيل لأسباب وظيفية وعسكرية معاً. إنني أفهم أنّ الإجازة الطويلة تعني- وهو أمر يخجل منه الموظف ولا يخجل منه المريض- تلك التي تمتد نصف عام أو عاماً كاملاً. إنني لا أريد مرتّبي؛ لأن الأمر لا يتعلق بمرض عضوي يمكن تشخيصه على نحو لا يرقى إليه الشك. هذا كلّه استمرار للكذب، لكنّ فاعليته- إذا ما بقيت ثابتاً على موقفي- تكاد تقارب الصدق.

الثاني من حزيران:

أيّ بلبلة أحياها مع البنات، على الرغم من كلّ أنواع الصداع والأرق والشيب واليأس؟. دعني أحصِ: منذ فصل الصيف عرفت على الأقل ست فتيات. إنني عاجز عن المقاومة، لأنّ لساني كان سيسل تماماً، لو لم أستسلم، وأبدي إعجابي بمن تستحق الإعجاب، وأعشق حتى نهاية الإعجاب. إنّ ذنبي مع البنات الست هو ذنب داخلي، لأنّ واحدة منهن شكتني إلى إحداهن.

كتاب «نشوء الإيمان بالله» Das Weden des Gottesglaubens من تأليف ن. سودر بلوم N.Soderblom[160]، رئيس أساقفة أوبسالا Upsala، علمي النزعة تماماً من دون أي تحيّز شخصي أو ديني.

الألوهية البدائية للـ Mesai[161]: كيف استطاع أن ينزل الفوج الأول من الماشية من السماء، على سيور جلدية في الكرال Kral، [قرية من قرى جنوب أفريقيا].

الألوهية البدائية لبعض القبائل الاسترالية: جاء من الغرب على هيئة رجل طبّ قوي، صنع الرجال والحيوانات والأشجار والأنهار والجبال، وقرّر الاحتفالات المقدسّة، وحدّد عشيرة

(160) هوناتان سودر بلوم (1866-1931) لاهوتي مسيحي من مواليد ترونو في السويد، وقد نال جائزة نوبل عام 1930.

(161) هم مجموعة عرقية أفريقية الأصل، شبه بدوية تقطن كينيا وشمال تنزانيا، وهي المجموعة الأكثر شهرة على الصعيد العالمي.

الزوجة التي ينبغي على الزوج من العشيرة المقابلة أن يرتبط بها. وعندما انتهى غادر المكان. ويستطيع رجال الطب أن يصعدوا إليه إمّا على ظهر شجرة أو على حبل، وأن يستمدوا قوتهم منه.

عند القبائل الأخرى: في أثناء تجوالهم الخلّاق من مكان إلى آخر، استطاعوا تصميم الرقصات المقدّسة للمرة الأولى، والطقوس.

عند القبائل الأخرى:

في العصور المبكرة الأولى استطاع البشر أنفسهم أن يخلقوا طوطمهم من خلال ممارسة احتفالاتهم. وقد أنتجوا بأنفسهم طقوسهم المقدسة تبجيلاً للهدف الذي وضعوه نصب أعينهم.

يعرف سكان بيمبيغا الواقعة قرب الشاطئ رجلين صنعا في أثناء تجوالهما في العصور المبكرة الأولى ينابيع، وغابات واحتفالات.

التاسع عشر من حزيران:

نسيت كلّ شيء؛ فتح النافذة، تفريغ الغرفة، الريح تهبّ في أرجائها. لا يرى المرء غير الفراغ، ولا يجد شيئاً عندما يبحث في جميع الزوايا.

مع أوتولا. استدعتها معلمة اللغة الإنجليزية. العودة إلى المنزل مروراً بالمناطق التالية: رصيف الميناء والجسر الحجري والمسافة القصيرة من كلاين زايتي والجسر الجديد. أثارتني تماثيل القديسّين على جسر كارل. ضوء المساء الصيفي الغريب يمتزج مع فراغ الجسر ليلاً.

الفرح نظراً لتحرّر ماكس، لقد آمنت بإمكانية حدوث ذلك؛ لكنّني لا أرى غير الواقع. ولا أرى إمكانية وقوع ذلك معي.

لقد سمعوا صوت خطوات في الحديقة؛ لأن النهار بدأ لحظتها يميل نحو البرودة.

هدوء آدم وحواء.

وقد صنع الله لآدم وزوجته حواء كساء من الجلد، وألبسه لهما.

غضب الله على السلالة البشرية.

الشجرتان.

المنع غير المعلّل.

عقاب الجميع (الأفعى والمرأة والرجل).

تفضيل قابيل الذي أثاره حديث الله معه.

لا يريد الناس أن يعاقبوا من خلال روحي، أكثر من ذلك.

في الوقت ذاته بدأ الإنسان يعظ باسم الربّ.

وفي في أثناء سيره على الطريق الإلهي يأخذه الله بعيداً، ولا يراه بعد ذلك أحد.

الثالث من تموز:

اليوم الأول في مارين باد مع ف. بابي بجوار بابها، المفاتيح موضوعة في الجانبين.

ثلاثة بيوت متجاورة تشكل مجتمعة ساحة صغيرة. كان في هذه الساحة ورشتان، وضعتا تحت سقيفة. وفي إحدى الزوايا كانت تقف أكوام مرتفعة من صناديق صغيرة. وفي إحدى الليالي التي بلغت العواصف فيها ذروتها، قادت الرياح المطر بعنف نحو البيوت الأكثر انخفاضاً في الساحة، وكان ثمة طالب ما يزال جالساً مع كتبه، في غرفة تحت السقف، فسمع صوتاً يجأر في الساحة بالشكوى. قفز الطالب، وأصاخ السمع؛ لكنّ الصمت كان يسود، وهو صمت لا يقطعه شيء. «لقد كنت على خطأ، أغلب الظن» قال الطالب وعاود الدراسة. «لم يكن خطأ» ثم بعد دقيقة، بدأت الحروف الهجائية في كتابه تتجمع من جديد «خطأ» كررّها، ثم حرك سبابتّه على امتداد السطور كي يهدئ اضطرابها.

الرابع من تموز:

استيقظت لأجد نفسي حبيس سياج خشبي مربّع، لا يكاد يتسّع لغير خطوة في كل الاتجاهات. وهناك حظائر شبيهة، وإن لم تكن على هذا القدر من الضيق. كانت أشعة الشمس متجهة نحوي مباشرة. ولكي أحني رأسي ضغطته نحو صدري، وجلست القرفصاء بظهر منحن.

ما طبيعتك؟ إنني شقيّ. إنّ لديّ لوحين صغيرين مثبتين في الاتجاه المعاكس لفوديّ.

الخامس من تموز:

معاناة العيش المشترك. يقيدّني الاغتراب والشفقة والرغبة والجبن والغرور وما في الأعماق السحيقة، لعله تيار صغير جدير باسم الحب يصعب الوصول إليه، ويومض في لحظة اللحظات.

ف. المسكينة.

السادس من تموز:

ليلة غير سعيدة. استحالة العيش مع ف. الحياة المشتركة غير القابلة للاحتمال مع أيّ شخص. لست نادماً على ذلك؛ نادم على استحالة العيش وحيداً، لكن فوق ذلك: عبثية الندم، الاستسلام والاستيعاب في خاتمة المطاف. النهوض عن الأرض. ملازمة الكتاب. ثم العودة مجدداً: الأرق، الصداع، القفز من النافذة المرتفعة، ولكن فوق أرض طرية هذه المرّة بسبب المطر، لا يودي إلى الموت.

التمرغ الذي لا نهاية له بعيون مغمضة، مكشوفاً أمام أي نظرة عشوائية.

وحده العهد القديم يرى؛ لكنّه لا يقول شيئاً بهذا الصدد.

حلمت بالدكتور هـ، كان يجس وراء مكتبه، لكنه كان في الوقت ذاته ممدداً ومنحنياً على نحو من الإنحاء. عينان منهكتان. يلاحق ببطء ودقة – على طريقته – المسار الواضح لأفكاره

إلى النهاية. لا يكاد يستمع حتى في في أثناء أحلامه إلى كلماته، لكنه يتبع ببساطة المنطق الذي حملها. وجدت نفسي إلى جانب زوجته. كانت تحمل كثيراً من الأمتعة وما أثار الدهشة، هو عبثها بأصابعي، كانت ثمة قطعة غليظة من حشوة كمّها قد انتزعت، وكان ذراعها يحتل جزءاً صغيراً من كمّها، الذي كان مملوءاً بالفراولة.

كارل البائس هذا الذي أضحكهم، يكاد يفوق كلّ وصف. أيّ فتيان كانوا، وما الذي عرفوه؟ وجوه أمريكية ناعمة، فيها تجعيدتان أو ثلاث تجعيدات، لكن هذه التجعيدات تغور عميقاً في هذا الجبين، أو على جانب الأنف أو الفم. أمريكيون أقحاح، لا تحتاج حتى تتأكد من نوعيتهم إلا أن تحدق في بلادة سحنهم المتحجرة.

رجل اشتد المرض عليه، تمدّد في السرير. جلس الطبيب على حافة الطاولة الصغيرة التي كانت قد دفعت قريباً من السرير، وراقب المريض الذي كان بالمقابل يتطلّع نحوه. «لا مساعدة» قال المريض، ليس بصيغة التساؤل؛ بل كأنّه يردّ على سؤال. فتح الطبيب جزئياً ورشة طبيّة كبيرة على حافة الطاولة الصغيرة، ونظر على نحو عابر من بعيد، وأغلق الكتاب وقال: «المساعدة تأتي من برغينتس» Bregenz وعندما زوى المريض ما بين عينيه بصعوبة أضاف الطبيب: «برغينتس في فور آرلبيرغ» Vorarlberg[162]. «إنها بعيدة» قال المريض.

احملني بين ذراعيك، إنّها الأعماق، احملني في الأعماق؛ فإذا رفضتني الآن ففي وقت لاحق.

خذني، خذني نسيجاً من الحماقة والألم.

يخرج الزنوج من الأدغال، ويقفزون للرقص الذي يؤدونه حول ساحة خشبية، محاطة بسلاسل فضية. يجلس القسيس في إحدى الجهات، وترتفع عصا صغيرة فوق الجرس. كانت السماء هادئة وملبّدة بالغيوم، لكنها غيوم غير ماطرة.

لم أشعر بالألفة مع امرأة على الإطلاق، باستثناء تلك الفترة الزمنية التي أمضيتها في تسوك

(162) برغينتس هي عاصمة ولاية فورال بيرغ في أقصى غرب النمسا، وتقع على بحيرة كونستانس.

مانتل، ومع الفتاة السويسرية في ريفا. كانت الأولى امرأة وكنت جاهلاً، أما الثانية فكانت طفلة وكنت مشوشاً تماماً.

الثالث عشر من تموز:

تفتّح إذن، ودع الإنسان فيك يبرز، تنفّس هواءً وكن هادئاً.

كانت ثمة مقهى مقام في مكان فيه مياه معدنية، كانت فترة ما بعد الظهر غائمة، ولم يأت أي زبون. عند المغيب بدأت السماء تصفو وشرعت النادلات بتجفيف الطاولات. كان المدير يقف تحت قوس البوابة وينتظر الزبائن. وكان هناك رجل قادم من ممّر يخترق الغابة. كان يضع على كتفيه شالاً مربعاً من القماش له حواش طويلة، ورأسه يتدلى فوق صدره، وينقل بذراعه الممدودة عصاه بعيداً عنه، في كل خطوة يخطوها.

الرابع عشر من تموز:

أنكر إسحق زوجته أمام أبي ميليش Abimelech[163]، كما سبق لإبراهيم من قبل أن أنكرها.

اضطراب الآبار في غيرار Gerar[164].

خطيئة يعقوب. إيمان عيصو[165] بالقضاء والقدر.

هناك ساعة تدّق على نحو يعكرّ الصفو.

أصغ لها، عندما تدخل المنزل*.

الخامس عشر من تموز:

جرى نحو الأدغال طلباً للمساعدة، قطع الهضاب بسرعة، عجّل بالذهاب نحو العيون،

(163) مصطلح عبري تكرّر في قصص توراتية متعدّدة، معناه البسيط «أبي ملك».

(164) بلدة في جنوب وسط فلسطين، تشير التوراة إلى أن إبراهيم واسحق – عليهما السلام – سكنا فيها.

(165) هو الابن الأكبر للنبي إسحق.

نزولاً إلى الغدران المنسابة، أزاح الهواء بيديه، جاء تنفسّه عسيراً من خلال الأنف والفم.

التاسع عشر من تموز:

احلم وابك أيها النوع الإنساني المسكين.

فلن تجد الطريق، لأنّك أضعته.

يا للخسارة، إنّ تحيّتك في المساء، يا للخسارة ! وفي الصباح.

إنني لا أريد شيئاً سوى انتزاع نفسي.

أيادي الأعماق التي تتمدّد.

تأخذني إلى الدرك الأسفل، فاقداً للوعي.

متثاقلاً أكون بين الأيدي العريضة.

انطلقت مدوّياً في أقاصي الجبال.

أحاديث بطيئة. وكنا نستمع.

آه، كانوا يضعون أقنعة الجحيم.

ويخفون عضلات وجوههم المتقلّصة، التي كانت تضغط أجسادهم بشّدة. تقليد غريب خاص بالمحكمة. يؤخذ من يحكم عليه بالإعدام إلى الغرفة من قبل الجلاّد، ويعدم من دون حضور أحد، فهو يجلس إلى الطاولة وينهي رسالته التي جاء فيها: أيتها المحبوبة، أيتها الملاك، يامن تحلقين في المجهول، في مكان ليس في استطاعة يدي الأرضية الوصول إليه [انقطاع].

العشرون من تموز:

فرّ عصفور صغير من مدخنة الجيران، ووقف على حافتها، تلفت حوله، ورفع صدره ثم طار. لم يكن عصفوراً عادياً ذلك العصفور الذي طار من المدخنة. كانت فتاة تنظر من نافذة

الطابق الأول نحو السماء، وشاهدت الطائر وهو يرتفع فصاحت: «إنّه يطير هناك، أسرعوا، إنّه يطير هناك». احتشد طفلان إلى جانبها، ليشاهدا العصفور.

ارحمني، إنني مخطئ فلم يكن وضعي في كل زاوية من زوايا وجودي مزرياً، إنّ لديّ مواهب بسيطة، بعثرتها. كنت مخلوقاً طائشاً وأنا الآن على حافة النهاية، وعلى مقربة من لحظة زمنية يمكن للأشياء كلّها أن تتّحول تحولاً إيجابياً فيما يتعلّق بي. لا تجعلني في عداد الضائعين، إنني أدرك أنّ ما يتكلم في هذه اللحظة هو حبي السخيف لذاتي؛ إنّه سخيف سواء تفحصته عن قرب أم عن بعد، لكن حبي لذاتي سيظلّ يرافقني طالما بقيت على قيد الحياة. وإذا كانت الحياة التي نعيشها غير سخيفة؛ فإنّ مظاهرها لن تكون كذلك بالضرورة يا صراع الأضداد البائس! إذا ما أدنت فإن الإدانة لا تعني الموت؛ بل إنها تشير إلى أنني أُدنت كي أبقى أدافع عن نفسي إلى النهاية.

قبل ظهر يوم الأحد وقبيل رحيلي كان يبدو كأنك تريدين الوقوف إلى جانبي، كنت آمل ذلك. لكنه بقي أملاً فارغاً إلى اليوم. وما أشكو منه، يحدث من دون اقتناع؛ بل من دون معاناة حقيقية، وهو شبيه بمرساة سفينة ضائعة، تترنح فوق الأعماق، التي يمكن أن تكبح جماحها.

امنحني الهدوء في الليل، على أقل تقدير شكوى طفولية.

الحادي والعشرون من تموز:

كانوا ينادون. كان الطقس جميلاً. نهضنا، نحن معشر الخليط من الناس، وتجمعّنا أمام المنزل. كان الشارع ما يزال هادئاً، كعادته في الصباح الباكر.

وضع صبيّ الخباز سلّته ونظر إلينا. نزلنا الدرج واحداً إثر واحد. وكان أولئك الذين يسكنون في الطابق السادس مختلطين ببعضهم بعضاً، على نحو يصعب تمييزهم. وقد ساعدت بنفسي التاجر الذي يسكن في الطابق الأول على ارتداء معطفه، الذي كان يرميه وراء ظهره. كان التاجر دليلنا، وهذا قرار صائب؛ لأنه يمتلك خبرة في العالم تفوق خبرة أيٍّ واحد منا. في

بادئ الأمر ربتنا التاجر في صفوف منظمة، ونبه المشاغبين إلى ضرورة الهدوء، وقذف قبّعة موظف البنك- التي كانت لا تتوقف عن التأرجح- إلى جانب الشارع، وأسمك كل بالغ يد واحد من الأطفال.

الثاني والعشرون من تموز:

تقليد غريب خاص بالمحكمة؛ ينفذ الجلاد الحكم بالإعدام على المدان في زنزانته، من غير أن يسمح لأحد بالحضور. يجلس المدان على الطاولة، وينهي رسالته أو عشاءه الأخير، يسمع صوت قرع الباب، إنّه الجلاد. «هل أنت على استعداد؟» يسأل؛ إن سؤال الجلاد وما يترتب عليه من أفعال هي أمور ينظمها القانون، وهو ما لا يستطيع أن يحيد عنه. أما المدان الذي يقفز من مكانه في البداية فإنه ما يلبث أن يجلس من جديد متحجراً، أو واضعاً وجهه بين راحتيه. وعندما لا يتلقّى الجلاد أي إجابة، يفتح صندوق أدواته فوق النطع، ويختار الخنجر، ويسعى لسن أطرافه هنا وهناك. لقد حلّ الظلام الدامس الآن، لهذا يثبت الجلاد قنديلاً صغيراً ويشعله. يلتفت المدان إلى الجلاد مراراً، وعندما يلحظ ما يفعله يأخذ بالارتجاف فيشيح برأسه، وتموت لديه الرغبة في النظر إليه مجدداً.

«إنني على أهبة الاستعداد» قال الجلاد، بعد هنيهة، «مستعد» يقول المدان بنبرة تساؤل، ثمّ يقفز، ويحدّق في الجلاد على نحو مباشر: «إنك لن تقتلني، ولن تضعني فوق النطع وتذبحني؛ فأنت في النهاية إنسان. إنك تستطيع أن تعدم من تشاء على المنصّة، وبمساعدة موظفي المحكمة وبحضورهم، ولكنْ ليس في زنزانة وكأنّ رجلاً يقتل رجلاً آخر».

وعندما انحنى الجلاد فوق صندوقه من دون أن ينبس ببنت شفة، أضاف المُدان بهدوء: «هذا مستحيل». ونظراً لأنّ الجلاد بقي صامتاً أضاف المُدان: «إنّه يجري الآن تنفيذ العادات الغريبة للمحكمة، نظراً لكون الأمر مستحيلاً. من الضروري الحفاظ على الشكل؛ لكنه لا يجوز تنفيذ عقوبة الإعدام. إنك ستنقلني إلى سجن آخر، وهناك يمكن أن أقضي مدة أطول، لكنهم لن يعدموني».

أخرج الجلاد بعد ذلك أحد الخناجر من غلافه القطني وهو يقول: «لعلك تفكّر، في أغلب الظن، بتلك الحكايات الأسطورية، التي يؤمر فيها الخادم بقتل أحد الأطفال؛ لكنه لا ينفذ الأمر؛ بل يسلمه إلى أحد صانعي الأحذية. تلك قصص أسطورية، وما تراه هنا ليس أسطورة».

الحادي والعشرون من آب:

عن التجميع: «كل الكلمات الجميلة عن الطبيعة المتعالية تثبت عدم فاعليتها تجاه القوى الأصلية للحياة». [Aufsaetze gegen Monogamie مقالات ضد الزواج الأحادي].

السابع والعشرون من آب:

الخلاصة النهائية بعد يومين وليليتين مخيفتين: تستطيع أن تشكر عيوب جهازك الوظيفي؛ الضعف، الادخار، التردّد، فن الحسابات، الحذر... الخ، وأنّك لم تبعث بالبطاقة إلى ف. من المحتمل أنّك لم تحاول الرجوع إليها. وأنا أقرّ بهذا، فهذا أمر ممكن، ولكن ماذا كانت النتيجة؟ بعض الفعل، وبعض التحفز. لقد سبق لك أن جرّبت ذلك الفعل غير مرّة، ولم يتحسن شيء. لا تحاول تفسير ذلك؛ فأنا واثق أنك تستطيع تفسير الماضي، لكنك لا تستطيع أن تغامر بتفسير المستقبل، من دون أن تكون قد وضحّت الأمر مقدّماً– وهو أمر مستحيل. إن الذي ينطوي على الشعور بالمسؤولية، ويمكن أن يكون مشرّفاً في حد ذاته؛ يقع في قرارة الروح الوظيفية، وفي مرحلة الطفولة التي أراد أبوك كسرها. والأفضل أن تغير ذلك. فهذا هو ما ينبغي عليك أن تفعله، وهو يقع بالضرورة ضمن إمكانياتك. إن هذا يعني أن لا تفعل ذلك على حساب حياة حبيبتك ف؛ فحماية ذاتك أمر مستحيل، وقد شاهدتَ كيف تمكنّتْ حمايتك لذاتك أن تقودك، على نحو جليّ اليوم إلى حافة الهاوية. إنّ الأمر لا يتعلّق بحماية نفسك من الشؤون المتعلّقة بـ ف، كالزواج والأطفال والمسؤوليات ...الخ؛ بل يتعلّق بحماية نفسك من شؤون المكتب الذي تجلس فيه القرفصاء، والغرفة التعيسة التي لا تستطيع الحركة في داخلها. كل شيء، عليك أن تضع حداً لذلك كله؛ فالمرء لا يستطيع أن ينأى بنفسه، ولا يستطيع أن يحسب الأمور

قبل وقوعها. فأنت تفتقد المنظور فيما يخصّ ما هو أفضل بالنسبة لك.

نشب هذه الليلة على سبيل المثال في أعماقك على حساب كلّ من دماغك وقلبك صراع بين دافعين متساويين في القوة والوزن. وكنت تستشعر القلق عليهما بالتساوي، الأمر الذي يعني استحالة هذه الحسبة. فما الذي بقي؟ عليك على الإطلاق أن لا تهبط بنفسك، إلى نقطة تغدو فيها مكاناً للصراع، الذي يجري من دون أن يقيم وزناً لك، ولا تستشعر فيه غير الصراع العنيف.

انهض إذن، أصلح مسارك، غادر قيود الوظيفة، ابدأ بتأمّل من تكون، بدلاً من أن تحسب، ما الذي عليك أن تكونه.

إنّ المهّمة القادمة التي لا يعتريها شك هي: أن تغدو جندياً. ودع عنك هذا الوهم غير المنطقي الذي يدعوك للمقارنة بينك وبين كلّ من فلوبير وكيركجارد وغريل بارتسر Grillparzer[166]. فهذه المقارنة – ببساطة – أمر صبياني. فبوصفك حلقة من حلقات الذين يحسبون الأمور؛ فإن المذكورين يمثلون من دون شك أمثلة نافعة، أو على الأصح أمثلة لا جدوى منها في إطار عمليات الحساب. إنّ الأمر لا يعدو أن يكون حالات قابلة للمقارنة على المستوى الفردي، لكنها عديمة الجدوى ابتداءً، ففلوبير وكيركجارد كانوا على بيّنة بطبيعة حالتهم، وكانوا أصحاب قرار، لا يحسبون بل يفعلون، أما في حالتك فثمة مسار لا ينقطع من عمليات الحساب، وأربع سنوات من ارتفاع الموج على نحو مرعب. ولعل المقارنة مع غريل بارتسر تكتسب لوناً من الشرعية لكنك لا ترى أنه جدير بالتقليد، فهو مثل سيئ الحظ، على الأجيال القادمة أن تشكره، لأنه عانى من أجلها.

الثامن من تشرين الأول:

فورستر: يريد أن تكون السلوكات التي تحدث في الحياة المدرسية موضوعاً للدروس.

(166) شاعر مسرحي نمساوي (1791–1872).

تربيـة الأطفال بوصفها مؤامرة يحوكها الكبار؛ فنحن نجتذب أولئك الذين يتحلون بالحيوية إلى منزلنا الضيق تحت ذرائع لا نؤمـن بها. ومن هو الذي لا يرغب في أن يكون رجلاً نبيلاً؟ إغلاق الباب. أما المضحك فيتجلى في إيضاح كل من ماكس وموريتس ومقاومتهما.

إنّ القيمة التي لا تعوّض لإعطاء الحرية الخالصة لشخص ما تتمثّل في أنها تظهر بكامل قوتها وحجمها، حتى لو لم يتمكن المرء في أثناء حمّى المشاركة إلاّ رؤية شعاع خافت منها. إن المرء لا يتعلم حياة البحارة في بركة ماء صغيرة جداً؛ بل إنّ التمرينات الكثيرة في تلك البركة الصغيرة تحول بين المرء وبين أن يصبح بحاراً.

السادس عشر من تشرين الأول:

من بين الشروط الأربعة التي اقترحها الهوستينيون على الكاثوليك قاعدة للتوافق ثمة شرط يجعل كلّ الخطايا الأخلاقية من مثل «الشره، والإدمان على الخمر، وعدم الطهارة، والكذب واليمين الكاذبة والربا، وقبول الاعتراف، والقدّاس مقابل أجر» تستحق عقوبة الموت، وقد أرادت إحدى الطوائف أن تعترف بحق كلّ فرد في تنفيذ عقوبة الموت في أيّ بقعة يلمح فيها شخصاً اقترف واحدة من الخطايا المذكورة.

هل من المعقول أن أميّز المستقبل بخطوطه العامة الباردة من خلال العقل والرغبة ،وأن تجري عملية تحريكي ودفعي تدريجياً إلى واقع ذلك المستقبل المتشابه؟

من المسموح أن نمتلك العزيمة كي نحمل السوط بأيدينا ونلوح به فوق أشخاصنا.

الثامن عشر من تشرين الأول:

من إحدى الرسائل* : من غير السّهل أن أستطيع تقبّل– من دون أي تصويب– ما سبق لك أن تفوّهت به عن والدتك ووالديك والزهور والسنة الجديدة وتناول الطعام بصحبة الآخرين. فأنت تقولين بأنه بالنسبة لك أيضاً «ليس من المتع الكبرى الجلوس على الطاولة في المنزل مع

جميع أفراد عائلتك». إنك تعبّرين بطبيعة الحال عن وجهة نظرك الخاصة عندما تقولين هذا، من دون أي اهتمام على الإطلاق فيما إذا كان هذا الرأي يسعدني أم لا. حسناً. إن هذا الرأي لا يسعدني؛ لكنّ سعادتي ستكون أقل بكثير لو أنك قد كتبت عكس ذلك. أرجو أن تقولي لي بأوضح العبارات مكوّنات هذه التعاسة، وأين تكمن بواعثها. أعرف أنه قد سبق لنا أن تحدثنا مراراً حول ذلك طالما كان المجال يسمح بالحديث، لكنّ من الصعوبة بمكان العثور على المقدار الأقل من الحقيقة في هذا المجال.

إنني أستطيع أن أرسم المعالم الكبرى لموقفي– بعيداً عن القسوة التي لا تتناسب مع الحقيقة؛ فأنا الذي غالباً ما كان يعيش على نحو غير مستقّل، يسكنني توق لا ينتهي للاستقلال والحرية في جميع المجالات. إنني أفضل أن أضع غطاء فوق عينيّ، وأسير في طريقي إلى النهايات القصوى، بدلاً من أن يظل القطيع المألوف من حولي يشتّت نظراتي. لذا فإنّ من السهل أن تغدو كلّ كلمة أقولها لوالديّ أو يقولانها لي حجر عثرة تحت قدميّ. إنّ كلّ علاقة لا أكونها، أو أكافح في سبيلها هي بلا قيمة، حتى لو صارت جزءاً من ذاتي. إنها تعيق مسيرتي فأنا أكرهها أو على وشك أن أكرهها. إن الطريق طويل وقوتي قليلة، وثمة ما يكفي لهذه الكراهية ويفيض، لكنّني أنتسب إلى والديّ وأشترك معهما ومع أخواتي برابطة الدم. صحيح أنني لا أستشعر حضور تلك القرابة في تفصيلات حياتي اليومية، وما يتصل بها من شؤون عائلية يتعذر تجنبّها، في إطار اهتماماتي الذاتية؛ لكنّني أستشعر لها في أعماقي احتراماً يفوق ما يبدو في الظاهر. وقد تغدو رابطة الدم هذه هدفاً لكراهيتي. في بعض الأحيان، ومنظر السرير المزدوج في المنزل والملاءات المستخدمة والقمصان الملقاة بعناية شديدة يمكنها أن توصلني إلى حد التقيؤ، وأن تقلبني رأساً على عقب، بحيث يبدو كأنني لم أولد على الإطلاق؛ بل أجيء على نحو لا يتوقف من هذه الحياة الخانقة إلى هذه الحجرة الرطبة، ويتوجّب عليّ إثبات نفسي هنا على الدوام، مثلما يتوجب عليّ أن أكون مرتبطاً بهذه الأشياء الكريهة، ارتباطاً لا تنفصم عراه، إن لم يكن ارتباطاً كلياً، فجزئياً على أقل تقدير. وهي ارتباطات ما تزال تثقل قدميّ اللتين ترغبان في الجري، وهما مغروستان في العجينة الورقية البدائية التي لا شكل لها. هكذا تبدو الأمور

أحياناً.

ومن الناحية الأخرى فإنني أعي أن والدي يمنحان من قبل ومن بعد وجودي الذاتي القوة باستمرار، وهما جزآن جوهريان مني، لا مجرد عائق. وفي الوقت ذاته فإنني أريد لهما أن يكونا أفضل زبونين يمكن للمرء أن يتمناهما، فإذا كنت بكلّ ما انطوي عليه من شرّ وجلافة وأنانية وقساوة قلب أرتجف أمامهما، وما زلت أفعل ذلك إلى يوم الناس هذا، فتلك عادات يصعب للمرء أن يتخلّى عنها. وإذا كان أبي من جهة وأمي من جهة أخرى قد أوشكا كسر إرادتي على وجه التأكيد؛ فكيف لي أن أراهما جديرين بهذا الانتصار؟. لقد خدعاني، ولا أستطيع من دون أن أغدو مجنوناً أن أثور على قانون الطبيعة فأكرههما، ثمّ أكرههما لا غير. تبدو لي أوتولا في لحظة ما، مثالاً للصورة التي أريد للأم أن تكون عليها: الصفاء، والصدق، والأمانة، والمنطقية، والتواضع، والعزة، والتفهم العاطفي والتحفّظ، والولاء، والاستقلالية والحياء والشجاعة على نحو متوازن لا تخطئه العين. إنني ذكرت أوتولا لأن أميّ كامنة في داخلها أيضاً، مع أن من المستحيل التحقق من ذلك. حسناً إنني أريد لهما أن يكونا جديرين بهذا.

إنك تنتمين لي، وقد جعلتك ملكي؛ فأنا لا أظن أن ثمة امرأة– حتى في عالم الحكايات الأسطورية– قد حورب من أجلها كما حاربت من أجلك في داخلي، منذ البداية، ومجدداً، وربما إلى الأبد. ولأنك تنتمين لي فإنّ علاقتي بأقربائك هي علاقتي بأقربائي، مع أنها أقلّ توتراً، على نحو غير قابل للمقارنة، في حالتي الخير والشر. إنهم يصنعون علاقة تعيقني، تعيقني حتى لو لم أتبادل معهم كلمة واحدة، وهم ليسوا – بالمعنى الذي سبق لي أن استخدمت فيه الكلمة من قبل – غير جديرين بذلك؛ إنني أتحدث معك على نحو يتسم بالصراحة، كما أتحدث مع ذاتي تماماً؛ فأرجو أن لا تسيئي توظيف ذلك أو تبحثي عن غطرسة في هذا الإطار، فهي غائبة، موجودة، أو هي ليست حاضرة حيث تظنين.

وعندما تكونين جالسة على طاولة والديّ تتضاعف مواطن الضعف التي أعدّها لوناً من عدوانية والديّ نحوي، وتبدو علاقتي كأنها قد نمت وقويت مع جميع أفراد العائلة، لكنها ليست كذلك في واقع الأمر، وما ينبغي لها أن تكون. إنني أبدو لوالديّ قطعة ملحقة بأجزاء

غرفة النوم القريبة (مع أنني لست جزءاً ملحقاً) وهما يأملان أن يجدا فيك الشريك لمقاومتي (فهما لم يجدا شريكاً حتى اللحظة)، كما أن قبحهما ووضاعتهما تنموان في داخلي إلى الحد الذي أتوقع منهما الكثير في ظروف كهذه.

فإذا كان كل شيء كما سبق لي وصفه؛ فلماذا لم أشعر بالفرح تجاه ملاحظتك؟ ذلك يعود إلى كوني أقرب ما أكون إلى موقع المواجهة تجاه عائلتي، ولأنهم يلوحون بسكاكينهم من حولي، كي يدافعوا، على الدوام عن العائلة، ويصيبوها بالجروح في الوقت نفسه. دعيني أمثّلك في هذا المقام من دون أن تكوني ممثلة لعائلتك في هذا المقام بالضرورة. أليس هذا تضحية كبرى أيتها الحبيبة!، إنها تضحية هائلة، أعرف ذلك، ولعلي أريد أن أسهّل الأمر عليك حين أبين أن طبيعتي تشبه تلك الطبيعة التي أريد أن أسلبك إياها، فإذا ما منحتني إياها فستكونين قد أسديت لي جميلاً كبيراً. لن أكتب إليك في اليومين القادمين، وقد تعمدت ذلك كي تفكري بالأمر من دون إزعاج مني، ولتستطيعي أن تجيبي. ويكفيني منك- وهذا يعكس مقدار ثقتي الكبيرة فيك- كلمة واحدة.

الثلاثون من تشرين الأول:

سيّدان كانا يتحدثان في الاصطبل عن حصان كان أحد المزارعين يدلك مؤخرّته. «لم أستطع» قال الرجل ذو الشعر الأبيض العجوز، وهو يعضّ قليلاً على شفته العليا، مضيّقاً إحدى عينيه. «لم أر أترو منذ أسبوع إنّ ذاكرة المرء نحو الحصان تبقى حتى بعد التمرينات الكبرى غير مضمونة. إنني أفتقد اللحظة في ماترو كثيراً مما كان يمتلكه في مخيّلتي بالضرورة. إنني أتحدث الآن عن الانطباع العام موقناً أنّ التفصيلات تتفّق مع ذلك الانطباع، مع أنه يلفت نظري الآن وجود تراخ في العضلات هنا وهناك، إنه يحرّك رأسه المنحني بتفحّص، ويداه تتحسان الأجواء.

(1917)

السادس من نيسان* :

اليوم: وفي أحد الموانئ الصغيرة الذي اعتاد أن يرسو فيه إضافة إلى قوارب الصيد سفينتا ركاب تعملان بالنقل البحري؛ كان يرسو قارب غريب، إنّه قارب قديم وثقيل ومنخفض بعض الشيء وواسع تماماً وغير نظيف، كانَّ ماءً قذراً سُكب فيه، ينساب من جدرانه الصفراء. صواريه عالية على نحو لا يوصف، أما الصارية الرئيسة فثلثها العلوي مكسور والقماش داخل الخشبة الأسطوانيّة التي تشد الصاري مجعّد وخشن، ولا يقوى على الصمود في وجه الرياح.

نظرت إليه طويلاً بدهشة، منتظراً ظهور شخص ما على سطحه، لكن أحداً لم يظهر، سألت أحد العمّال الذي كان يجلس على سور الميناء إلى جانبي «من صاحب هذا القارب؟»، «إنني أراه اليوم للمرة الأولى». فأجاب «أنه يأتي مرة كل سنتين أو ثلاث» و«تعود ملكيته للصياد غراسشوس Gracchus».

التاسع والعشرون من تموز:

مهرج البلاط. مقالة عن مهرّجي البلاط.

لعّل الأيام العظيمة لفنّ مهرّجي البلاط قد ولت إلى غير رجعة؛ فكل شيء يسير في الاتجاه المضاد، وهذه مسألة غير قابلة للنكران. لقد كنت على الدوام أستطيب هذا اللون من الفن، مع أنه لم يعد معروفاً في أيامنا هذه.

كنت قد اعتدت الجلوس في عمق الورشة في الظلام الدامس، الذي يضطر المرء فيه أن يحدس ما يحمله بيده، وعلى الرغم من هذا كان المرء يتلقى ضربة من المعلم مقابل كل حجر رديء.

لا يُبدي ملكنا أيّ نوع من الأبهّة؛ لهذا فالشخص الذي لا يعرفه من صوره لا يستطيع أن يميّزه بوصفة ملكاً على الإطلاق؛ فملابسه رديئة الصنع، وهي ليست من صنع محلاتنا على أي

حال، فقماشتها رقيقة، ومعطفه غير مزرّر، وعريض ومجعّد. أما قبعتّه فمثقوبة، وحذاؤه ثقيل، وحركات ذراعيه لا مبالية. وهو ذو وجه قوي وأنف رجولي ضخم، وذو شارب قصير وعينين سوداوتين بعض الشيء، وله عنق قوية بديعة التلوين.

توقف ذات مرّة في أثناء مروره عند باب محلاتنا، وضع يده اليمنى على دعامة الباب وسأل: «هل فرانتس هنا؟» كان يعرف الجميع بأسمائهم. خرجت من زاويتي المظلمة وشققت طريقي بين العمال «تعال!» قال لي بعد أن تأملني قليلاً. «إنه يتحرك باتجاه القلعة» قال لمعلمنا.

الثلاثون من تموز:

الآنسة ك. إغراءات لا تتناسب مع طبيعة جوهرها، فهي تمط شفتيها، وتزمهما وتفتحهما، وكأنّ أصابعها هي التي تشكلهما، على نحو غير مرئي. أما حركاتها المفاجئة العصبية نسبياً كترتيبها السريع لتنورتها فوق ركبتيها أو تغييرها لجلستها التي تجيء على نحو منظم، فتأخذ المرء على حين غرة. وهي تتحدث بألفاظ قليلة، وأفكار قليلة، من دون أي اعتماد على الآخرين، مستخدمة انحناءات الرأس في المقام الأول، وحركات اليدين، وأنماطاً شتى من التوقف، وحيوية النظرات، وعند الضرورة إطباق يديها الصغيرتين.

لقد تحرّر من أوساطهم. الضباب يحيط به. جولة في بقعة جرداء من الغابة. طائر الفينيق في الأدغال. يد تصنع إشارة الصليب من دون انقطاع على وجه غير مرئي. أمطار باردة على الدوام، أغنية متغيرة كأنها صادرة عن صدر يجيش.

إنسان غير ذي فائدة. صديق؟ لو حاولت في الوقت الراهن أن استحضر ما يملك فإن ما بقي له حتى بعد الحكم الأكثر ملاءمة، هو صوته، الذي هو أعمق من صوتي على نحو ما. فلو صحت «أنقذونا» أعني لو أنني روبنسون كروزو وصحت «أنقذونا» لكرّر ذلك بصوته العميق، ولو أنني كنت كوراخ Korach(167) وصحت «ضائع» لكرّر ذلك من فوره. من المتعب

(167) هو ابن عيصوا أو ابن اتسهار اللاوي الذي ثار ضد النبي موسى عليه السلام، كما ورد في سفر التكوين.

أن تظل تصطحب معك صوت الكمان هذا، فهو لا يفعل ذلك وهو يشعر بالطرب؛ لأن عليه أن يفعل ذلك وهو غير قادر على أن يفعل غيره.

وعندما يكون لديّ في في أثناء الرحلات بعض الوقت أحياناً، وحتى أستطيع أن ألتفت إلى هذه المسائل الخاصة؛ فإنني أنصحه أن نذهب إلى الحديقة، كي أتمكن من التحرر منه.

الحادي والثلاثون من تموز:

تجلس في أحد القطارات، تنسى الواقع، وتعيش كأنك في المنزل. ثم تتذكر فجأة أين تكون، وتشعر بالقوة المكتسحة للقطار، فتتحول إلى مسافر وتستخرج قبعتك من الحقيبة. تقابل زملاء السفر وأنت أكثر حرية وأكثر ابتهاجاً. تجبر نفسك على التوجه إلى هدفها من دون أن تبذل جهداً. تستمتع كطلل، وتغدو حبيباً للنساء. تجتذبك النافذة على نحو لا ينتهي، وتبقى إحدى يديك ممدودة خارج النافذة على الدوام، الوضع لم يتغير قيد أنمله.

انس ما ينساه المرء في العادة، تحول إلى طفل على وجه السرعة، سافر في القطار السريع وحدك، حيث تشبه العربة المهتزة في تفصيلاتها الفاتنة يد الساحر حين يخرجها من جيبه.

الأول من آب:

قصص الدكتور (أو) على بركة السباحة في براغ القديمة. خُطب فريدريش آدلر Friedrich Adler * العنيفة ضد الأغنياء؛ في أثناء طلبه للعلم التي أضحكت الجميع، وركونه إلى الصمت بعد ذلك، عندما تزوج من امرأة ثرية – سكن الدكتور (أو) صغيراً– بعد قدومه من أمشل بيرغ Amschelberg[168]، كي يلتحق بإحدى ثانويات براغ– مع عائلة عالم يهودي، كانت زوجته تعمل في مخزن لبيع الملابس المستعملة.

كان الطعام يُحمل إليهم من أحد المطابخ العامة. وكانوا يوقظون (أو) في الخامسة والنصف

(168) مدينة في بوهيميا.

صباح كل يوم لأداء الصلاة. كان مشغولاً بتربية إخوته الأصغر منه، وكان ذلك يحتاج إلى الكثير من الجهد. وإن ظلّ يمنحه الثقة بالنفس والطمأنينة.

الدكتور (أ). الذي صار فيما بعد مستشاراً مالياً، وأحيل على التقاعد منذ مدة طويلة (هو أناني عظيم)، نصحه أحدهم آنذاك أن يهاجر، وأن يختفي، وأن يبتعد ببساطة عن أهله، وإلا فسوف يدمرونه.

الثاني من آب:

غالباً ما يكون مني تبحث عنه يسكن إلى جوارك، وهذا أمر يصعب تفسيره؛ لهذا يتوجب عليك أن تتقبل ذلك بوصفه أمراً واقعاً. إنها مسألة عميقة الجذور لدرجة أن المرء لا يستطيع أن يوقفها، حتى لو بذل في سبيل ذلك كثيراً من الجهد. ويعود ذلك إلى جهل المرء بجاره الذي يبحث عنه؛ فمن جهة لا يعرف الجار أنّ أحداً يبحث عنه، ولا يدري من جهة أخرى أنه يسكن إلى جوار هذا الذي يبحث عنه. على المرء أن يدرك بطبيعة الحال أن هذا يمثل معلومة عامة في خبراته، وأن هذه المعرفة لا تشكل له الحدّ الأدنى من الإزعاج، حتى لو ظل يحملها في ثنايا تفكيره للحياة. وسأحكي حالة مشابهة [انقطاع].

نظم باسكال Pascal[169] كل شيء على نحو دقيق، قبل أن يتجلى الله عليه؛ لكن شّكاً عميقاً مخيفاً كان يسود، وكأنّ ثمة إنساناً يقطع ذاته بسكين رائعة، لكنه يفعل ذلك بهدوء الجزار. ما مصدر هذا الهدوء؟ أيعود ذلك إلى الثقة بطواعية السكين؟ وهل الله شبيه بعربة النصر المسرحية التي تحتاج إلى أن تصيب عامل المسرح بالمشقة الشديدة واليأس، كي يتمكن من سحبها بالحبال من بعيد نحو خشبة المسرح؟

(169) الإشارة إلى الرياضي والفيلسوف الديني الفرنسي Blaise Pascal (1623–1662)، وقد ظلّ منذ عام 1658 حتى وفاته يرى أن هناك حدوداً للحقائق التي يستطيع العقل إدراكها.

الثالث من آب:

مرة أخرى صرخت من أعماق قلبي في وجه العالم. بعدها أحكموا ربط المنديل حول فمي، وقيّدوا يديّ وقدميّ، وغطوا عيني، وجروني إلى الأمام وإلى الوراء مراراً وتكراراً، كما أجبروني على الوقوف وعلى الرقود عدة مرات. بعدها شدوا ساقيّ المرة تلو المّرة، إلى درجة أنني شببت من الألم. تركوني بعد ذلك أنعم بالهدوء قليلاً، لكنهم وعلى حين غرة صاروا يطعنوني بأداة حادة حيث يحلو لهم.

منذ سنوات وأنا أجلس على المفترق الواسع للطريق، لكنني مضطر إلى التخلي غداً عن هذا المكان، نظراً لوصول القيصر الجديد. إنني لا أتدخل فيما يدور من حولي، لأسباب مبدئية أولاً، ولنفوري ثانياً. كما أنني توقفت منذ زمن طويل عن التسول، فقد اعتاد العابرون أمامي منذ القديم أن يمنحوني بعض المال؛ إما من قبيل العادة أو الوفاء أو المعرفة.

ثم صار العابرون الجدد يقلدونهم. فأنا أضع إلى جانبي سلّة صغيرة يرمي من يريد فيها من المال ما يراه مناسباً. وبالنظر لعدم اكتراثي بأحد، ولمقدرتي على الاحتفاظ بالنظرة الهادئة والنفس المطمئنة، على الرغم من ضجيج الشارع وعبثيته، فإنني أعي أفضل من أي إنسان آخر كل ماله صلة بوضعي، وبالواجبات المطلوبة مني. وهذا أمر لا يتجادل حوله اثنان؛ فليس ثمة لغير وجهة نظري في هذا المجال قيمة، لهذا عند ما وقف أحد رجال الشرطة هذا الصباح إلى جانبي، وهو من الذين يعرفونني طبعاً، مع أنه لم يسبق لي كما هي عادتي أن تنبهت له؛ قال لي:

«غدا هو موعد وصول القيصر؛ لذا فإنك لا تستطيع المجيء إلى هنا غداً». أجبته بهذا السؤال: «كم عمرك؟».

الرابع من آب:

عندما نتلفظ بكلمة «أدب» كلون من التوبيخ؛ فإن ذلك لون من الاختصار اللغوي القوي، لعله يقصد في المقام الأوّل أن ينطوي على تفكير مختصر، يومئ إلى المنظور السليم، ومن ثم

يجعل التوبيخ يتنحى عن الهدف، ويسقط بعيداً.

ضوضاءُ بوقِ اللاشيء.

أ : أريد منك نصيحة.

ب: ولماذا تريدها مني على وجه التحديد؟

أ : لأنني أثق بك.

ب: لماذا؟.

أ : لقد اعتدتُ أن أراك على الدوام في اجتماعاتنا، التي اعتدنا أن نطلب النصيحة في خاتمتها، وهو أمر موضع اتفاقنا. فبصرف النظر عن طبيعة ذلك الاجتماع الذي يمكن للمرء أن يشارك فيه بالتمثيل المسرحي أو باحتساء الشاي أو بتحضير الأرواح أو بمساعدة الفقراء؛ فإنه لا بد أن ينتهي بطلب النصيحة. فيا له من شعب يفتقد الناصح!!. وهناك ما هو أكثر من ذلك، فعندما يظهر في مثل هذه الاجتماعات من يعرض النصيحة على طالبيها؛ فإنهم يعطونهم النصيحة بألسنتهم، لكنهم يضمرونها في أعماقهم لأنفسهم.

أما الشخصية الشبيهة بهم فتكون في مثل هذه الحالات بين المستمعين، وتكون الكلمات موجهة له على وجه التحديد. لكن هذا الشبيه يغادر أكثر من أي إنسان آخر، ساخطاً ومشمئزاً، وهو يجر الناصح وراءه ليتّجها نحو اجتماع آخر ولعبة مشابهة.

ب: هكذا إذن؟

أ : بالتأكيد، وقد لاحظت ذلك أنت بنفسك. وليس ثمة ميزة في ذلك؛ فالعالم كله يلاحظ هذا الأمر، وأمله أن يحدث ذلك على نحو عاجل.

الخامس من آب:

فترة ما بعد الظهر في رادسوفتس مع أوسكار. حزين وضعيف، أحاول جاهداً أن أمسك بجوهر السؤال.

السادس من آب:

أ : إنني غير سعيد معك.

ب: لا أريد أن أسأل عن السبب؛ فأنا أعرفه.

أ : وماذا بعد؟.

ب: إنني فاقد للقوة. إنني لا أستطيع أن أغير شيئاً، فأنا لا أستطيع شيئاً غير أن أهزّ كتفي، وألوي شفتي.

أ : سآخذك إلى سيدي؛ فهل تأتي معي؟

ب: إنني أشعر بالخجل، كيف سيستقبلني؟ هيّا إلى سيدك! إنّ ذهابنا غير سليم.

أ : دعني أتحمل المسؤولية! إنني سآخذك. هيا!. (يقطعان أحد الممرات. ويدق أ. على الباب. ثمة صوت يقول: «ادخل». يرغب ب في الهرب، لكن أ. يمسك به، وبعد ذلك يدخلان).

ج: من هو السيد؟.

أ : أنا فيما أظن، هل أنحني على قدميه، ارم نفسك على قدميه!

فيما يلي: [شذرات مضافة لـ «مستعمرة العقاب»] Strafkolonie.

شعر الرحّالة بالتعب الشديد والعجز عن إصدار الأوامر أو صنع أيّ شيء، اكتفى بسحب منديل من جيبه، وقام بحركة توهم بأنه يريد أن يلقي به في الدلو البعيد، لكنه ضغط على جبينه به، ثم وضعه إلى جانب الحفرة. بعد ذلك عثر عليه رجلان كان الحاكم قد أرسلهما ليحضراه. قفز الرحالة عندما تحدثا معه، وكأنه يعود إلى الحياة من جديد، ثم قال واضعاً يده على قلبه:

«سأكون كلباً هجيناً إذا سمحت بوقوع ذلك»، بعدها شرع الرحّالة ينفذ ما قاله حرفياً، وصار يمشي على أربع، كان يتخلص أحياناً من ذلك، ويتعلق بعنق أحد الرجلين، ثم يصيح والدموع ملء عينيه: «لماذا يحدث هذا معي على وجه التحديد؟» ثم يسارع من جديد بالعودة إلى موضعه.

ولما استطاع ذلك أن يعيد الرحالة إلى عالم الوعي لم ينشغل الرحالة إلا بشؤونه وشؤون الرجل الميُت، بعدها صرف الرّحالة الجندي والمحكوم عليه بحركة من يده، فترددا بالذهاب، فرمى حجراً نحوهما، لكنهما بقيا يتلكأان، عندها جرى الرحالة صوبهما وضربهما بقبضة يده.

«ماذا؟» صاح الرحّالة فجأة. هل نسي أمر ما؟ كلمة نهائية؟ مقبض؟ أداة التحكم؟ من الذي يستطيع أن يتدخل لإصلاح هذه البلبلة؟ أيها الهواء المداريّ الرديء؛ ما الذي تفعله بي؟ لا أدري ما الذي يحدث، لقد خلّفت قدرتي على الحكم في الشمال، في وطني.

«جهز الطريق للأفعى»! جاء الصراخ «جهّز الطريق للسيدة العظيمة!» «نحن جاهزون». جاء الجواب «نحن جاهزون»، ونحن الذين كان يتوجب علينا تجهيز الطريق، والمعروفون بمكسري الحجارة، جئنا مشياً على أقدامنا من الغابة. «هيّا» صاح حاكمنا، مبتهجاً كعادته «هيّا أيها التافهون!» على الفور، رفعنا مطارقنا، وبعدها بدأت أصوات طرقاتنا الدؤوب تسمع على أوسع مدى. لم تكن ثمة استراحة؛ بل كان يسمح لنا بتبديل المطرقة من يد إلى أخرى. كان ينبغي أن يتم نفتت كل شيء ليتحول إلى تراب، لأن أفعانا لا تستطيع احتمال الحجارة الصغيرة. ترى أين يمكن العثور على أفعى بمثل هذه الحساسية؟ وهي فضلاً عن ذلك أفعى ذات طبيعة خاصة، وهي في ضوء ما صنعناه لها مترفة على نحو لا يقارن. كما أنها الآن غير قابلة للمقارنة مع أي أفعى أخرى. إننا لا نستوعب الأمر، ونأسف أنها ما تزال تسمى نفسها أفعى. عليها أن تسّمي نفسها سيدة على أقل تقدير، مع أنها بوصفها سيدة غير قابلة للمقارنة مع أي سيدة أخرى، لكن هذا ليس أكبر همنا؛ فمسألتنا هي تحويل كل شيء إلى تراب.

ارفع المصباح إلى الأعلى، أنت يا من في المقدمة! أمّا البقية فاتبعوني من دون أي صوت!

امشوا جميعاً في صف واحد! هدوء! لم يحدث شيء، لا تخافوا أنا أتحمل المسؤولية أنا أقودكم إلى الخارج.

التاسع من آب:

حرك الرحالة يديه حركة غير محدّدة، وتخلى عن مجهوداته، دفع الرجلين مرة ثانية بعيداً عن الجثمان، وأشار صوب المستعمرة حيث يتوجب عليهما الذهاب فوراً. وقد أشارت ضحكتهما المتقطعة أنهما بدأا يستوعبان الأمر بالتدريج. أما المحكوم عليه فقد ضغط وجهه المدهون بمادة زيتية على يد الرحالة، أما الجندي فكان يربت بيده اليمنى على كتف الرحالة، ويلوح بسلاحه باليد اليسرى، بعدها بدا الثلاثة متلازمين.

كان على الرحالة أن يتجنب بقوة المشاعر الطاغية التي كانت ترى أنّه يتوجب في مثل هذه الحال أن يكون هناك حلّ مثالي. فقد تعب وتخلى عن رغبته في دفن الجثمان في الوقت الحاضر؛ فالحر ما يزال يتصاعد وكان الرحالة غير راغب في رفع رأسه نحو الشمس كي لا يصاب بالدوار، فسكوت الضابط المفاجئ والنهائي، ومنظر الرجلين المقابلين له اللذين ينظران إليه، نظرة استغراب جامدة، اللذين تقطعت صلاته بهما بعد وفاة الضابط، وأخيراً ذلك التفنيد الهادئ الآلي لرأي الضابط هاهنا؛ كل ذلك جعل الرّحالة لا يقوى على البقاء واقفاً، فاضطر للجلوس على كرسي الخيزران. ولو أنّ سفينته كانت قد طوحت به فوق هذه الرمال التي لم يمش فوقها أحد، لتلتقطه فيما بعد لكان ذلك هو الحل الأمثل، إذن لكان قد صعد إلى السطح معلنا– وهو ما يزال على السلم– لومه للضابط بسبب إعدامه الوحشي للمحكوم عليه. «سأحكي ذلك لهم في الوطن»، سيقول ذلك بصوت مرتفع، فلعل القبطان والبحارة الذين كانوا ينحنون بفضول فوق درابزين السفينة، سيسمعون. «محكوم بالإعدام؟» سيتساءل الضابط محقاً «هذا هو» سيقول مشيراً إلى الرجل الذي يحمل حقائب الرحالة. وفي الحق كان هو الرجل الذي حُكم عليه، كما تبين للرحالة عندما تأمله بحدة، وتفحص بدقة قسمات وجهه. «تحياتي وإعجابي» كان يتوجب على الرحالة أن يقول، وقد قالها بسرور. «أهي لعبة سحرية؟» تساءل

«لا» قال الضابط. «إنه خطأ من جهتك؛ لقد أعدمت كما كنتَ قد أمرت». أصغى القبطان والبحارة بانتباه في تلك اللحظة. ثم شاهدوا جميعاً كيف مرر الضابط يده فوق جبهته ليكشف عن مسمار معوج ناتىء في جبهته المتغضّنة.

كان ذلك في الحقبة التي شهدت المعارك الكبرى التي قادتها الحكومة الأمريكية ضد الهنود الحمر، كانت تلك المعارك تحدث على نطاق واسع في الأراضي الهندية، وكانت الأشد وطأة. وكان يقودها الجنرال سامسون الذي اعتاد أن يبدع، وأن يحوز ثقة الجماهير والجنود على نحو لا حدّ له، وكان الهتاف «الجنرال سامسون!» في مواجهة الهندي الأحمر في فاعلية البندقية.

«جنرال سامسون!» صرخت، ثم تراجعت مترنحاً إلى الوراء. وقد كان هو الذي جاء من جهة الأكمة المرتفعة. «هدوء!» قال مشيراً إلى الوراء. وكانت وراءه مجموعة تبلغ عشرة رجال تقريباً، يتعثرون في مشيهم.

«لا، دعني!» كنت أهتف من دون توقّف على امتداد الشوارع، وقد بقيت أيادي الجنّيات ذات الأظافر تمسك بي مراراً وتكراراً، من الخاصرة أو من الكتف لتصل إلى صدري.

الخامس عشر من أيلول*:

إنّ لديك الفرصة ما أمكن لصناعة بداية جدية، فلا تضيّعها. لكنّه ليس في وسعك تجنّب القذارة التي ستغمرك، إذا ما قررّت الحفر في ذاتك، فلا تتمرغ فيها! هل القرحة الكائنة في رئتك هي مجرد رمز كما تزعم، رمز القرحة التي أشعلتها ف، ويكمن في أعماقها التسويغ. وفي هذه الحالة تكون النصائح الطبيّة (النور، الهواء، الشمس، الراحة) رمزاً. تمسك بهذا الرمز!.

أيتها الساعة الجميلة، أيتها الصياغة الفذة، أيتها الحديقة المهملة، ها أنت تحيطين بالمنزل، وتدفعك آلهة الحظ نحو طريق الحديقة.

الحضور الملكي، أمير المملكة.

ميدان القرية يستسلم لليل. حكمة الأطفال. سيطرة الحيوانات. النساء. تتحرك الأبقار عبر

الميدان بالحد الأقصى من الحركة الطبيعية. كَنَبتي فوق البلد.

الثامن عشر من أيلول:

يتمزّق كل شيء.

التاسع عشر من أيلول:

بديلاً عن البرقية:

«أهلاً وسهلاً ومرحباً في محطة ميخيلوب، أشعر بالتميّز يا فراتس أوتولا». هذه هي البرقية التي أخذتها مارنيكا إلى فلوهاو. Fluehan[170] مرتين من دون أن تتمكن من إرسالها زاعمة أن مكتب البريد كان يغلق قبيل وصولها. وقد كتبت من جديد رسالة وداعية افتتحتها بالتعبير القوي عن مشاعر العذاب المسيطرة علي. وهي رسالة وداعية ملتبسة شبيهة برأيي على كل حال.

الطبيعة العدمية، المزاجيّة، الهشة– البرقية تطوّح بها، والرسالة تجعلها تنتصب على قدميها وتحييها من جديد؛ أما الصمت الذي يعقب الرسالة فيجعلها بليدة.

لعب القطة مع الماعز. الماعز متشابهة

اليهود البولنديون. العم. س. ف. ي

الخادم هـ الذي غادر اليوم من دون أن يتناول طعام العشاء، ومن دون تحية الوداع، سيكون قدومه غدا موضع تساؤل– والآنسة ومارينكا مختلفون؛ لكنهم متشابهون في تجهمهم. إن صدري يضيق في أثناء وجودهم، كما يحدث في أثناء وجود الحيوانات في الحظيرة، التي يطلب المرء منها فعل شيء، فتلبي على نحو يثير الاستغراب. لكن الحال هنا أكثر صعوبة، لأن هؤلاء كثيراً ما يظهرون على نحو أكثر تفتحاً وقابلية للفهم في بعض اللحظات.

(170) هو الاسم الألماني لمدينة تشيكية الآن تدعى Bl?any.

لم أستطع أن أستوعب كيف يمكن لكل من يستطيع الكتابة تقريباً أن ينظر في أثناء آلامه بالنظر، على نحو موضوعي إلى تلك الآلام! فأنا مثلاً أستطيع قادر في أثناء المصيبة ورأسي يغلي وتسيطر المصيبة عليه أن أجلس وأن أخبر من أشاء خطياً: إنني تعيس. بل أنا قادر على الذهاب بعيداً باستخدام أساليب التنميق التي أملك الموهبة في استخدامها، وهي التي لا علاقة لها بالمصيبة، وأن أتخيل على نحو بسيط، أو نقيض أو من خلال أوركسترا من التداعيات. وهذا ليس من قبيل الكذب على الإطلاق، كما أنه لا يوقف الألم. إنّه ببساطة فائض رحيم للقوة في اللحظة التي يقودني فيها الألم إلى حضيض وجودي، هذا الألم الذي استنفد قواي كلها، ولكنني أتساءل بعد ذلك: أي نوع من الفائض هذا؟.

يوم أمس: رسالة إلى ماكس. كاذب، مغرور، كوميدي، أسبوع في تسوراو.

في أوقات السلم لا تستطيع أن تتقدم إلى الأمام، وفي الحرب تنزف حتى الموت.

حلم ڤيرفل:

يحكي ڤيرفل أنه اصطدم في النمسا المنخفضة حيث يقيم الآن في أحد الشوارع برجل اصطداماً خفيفاً؛ فوجه الرجل على إثر ذلك الشتيمة له على نحو مخيف. لقد نسيت الكلمات على وجه التحديد ولا أتذكر إلا كلمة «بربري» (المنحدرة من الحرب العالمية)، والتي انتهت بجملة «أيها التورخ Turch البروليتاري». وهي جملة ذات تركيب لطيف: فكلمة تورخ هي اللفظة العامية لكلمة «تركي»، هذه الكلمة التي تعود على الأرجح إلى تراث الحرب القديمة ضدّ الأتراك، وإلى حصار ڤيينا، مضافة إلى لفظة السباب الجديدة «بروليتاري» التي تصف جيداً غباء الشاتم ورجعيته، لأن لفظة «بروليتاري» أو «تركي» لم تعودا من ألفاظ الشتائم في هذه الأيام.

الحادي والعشرون من أيلول:

ف كانت هنا، وقد سافرت ثلاثين ساعة كي تراني، كان يتوجّب عليّ أن أمنعها. وكما تخيّلت فإنها تعاني نتيجة لذنبي على نحو رئيسي أقصى درجات الشقاء، وأنا شخصياً لا أعرف

كيف أتحكم بذاتي، فأنا خِلوٌ من المشاعر تماماً، عاجز، أفكر في تدمير بعض راحتي، وألعب بوصفي مشاهداً دوراً كوميدياً. إنها ليست على حق في بعض المسائل الصغيرة، وليست على حق في الدفاع عن حقها الصحيح أو المزعوم؛ لكنها على العموم إنسانة بريئة حُكم عليها بالتعذيب العنيف. وقد أَقدمتُ على ارتكاب أمر خاطئ بخصوص الأمر الذي تعذبت من أجله، وفضلاً عن ذلك فأنا الذي يستخدم أدوات التعذيب. وبرحيلها (كانت العربة التي تركب فيها مع أوتولا تدور حول البركة، فقطعت الطريق على نحو مستقيم واقتربتُ منها ثانية) وقد شكّل الصداع (الذورة الأخيرة في المشهد الكوميدي) نهاية لليوم.

حلم عن الأب:

عدد قليل من المشاهدين (لتوصيف ذلك يشار إلى وجود السيدة فانتا بينهم)، وكان أبي يعرض للمرة الأولى أمام ذلك الجمهور فكرته عن الإصلاح الاجتماعي. وكان اهتمامه منصّباً على هذه النخبة أو على هذا الجمهور المختار كونه يشّكل دعاوة لفكرته. ظاهريّاً عبرّ عن ذلك على نحو متواضع تماماً، عندما اكتفى بالطلب من ذلك الجمهور أن يتفضلوا، بعد أن يستمعوا إلى وجهة نظره- بإعطائه عناوين المهتمين منهم، والذين يمكن دعوتهم إلى لقاء جماهيري قريب موسّع. لم تكن لأبي أدنى علاقة بمثل هؤلاء الناس؛ لهذا تعامل معهم على نحو بالغ الجدية، فارتدى معطفاً أسود، وعرض أفكاره أمامهم بدقة شديدة، مستخدماً كل الإشارات التي تدل على عدم الاحتراف.

أما الجمهور فقد لاحظ- على الرغم من أنه لم يكن قد استعّد لهذه المحاضرة على الإطلاق- أنّ أبي يعرض لهم بكل فخر مسألة الأصالة، التي هي ليست سوى فكرة قديمة بالية سبق لها أن نوقشت مراراً، وقد جعلوا والدي يستشعر ذلك. توقع والدي هذا الاعتراض، وعلى الرغم من الإدانة القوية لعبثيتها، الذي يبدو أنه حاول مراراً مواجهته؛ فقد حاول عرض المسألة بابتسامة لطيفة حزينة، وعندما انتهى كان يمكن للمرء أن يستمع من خلال الهمهمات المتعضة عموماً أنه لم يستطع إقناع الجمهور لا بأصالة أفكاره، ولا بطابعها العملي. ومع ذلك فقد كان بينهم

بعض المهتمين بأفكاره، وإن لم يكن عددهم كبيراً، كما كان هنا وهناك من كانوا يعطونه- بسبب حسن النوايا أو لأنهم يعرفونني- بعض العناوين. أما والدي الذي لم يستطع هذا المزاج أن يؤثر فيه فقد جمع أوراق محاضرته، وأعد كومة من الأوراق البيضاء الصغيرة يسجل العناوين القليلة، لم أسمع سوى اسم مستشار البلاط شترت تسانوفيسكي Stritzanowiski أو اسما مشابهاً له.

بعد ذلك رأيت أبي جالساً على الأرض، يتكئ على الكنبة، كما كان يجلس وهو يلعب مع فيليكس*. سألته فزعاً عما يفعله، كان ينعم النظر في أفكاره.

الثاني والعشرون من أيلول:

لا شيء.

الخامس والعشرون من أيلول:

في الطريق إلى الغابة دمرت كل شيء من دون أن تَتَمكّن من امتلاك شيء في حقيقة الأمر. ترى كيف يمكن لك أن تعيد من جديد الأمور إلى نصابها؟ وما هي القوة الباقية للروح الشاردة من أجل هذا العمل الضخم؟.

«الجنس الجديد» لتاغر. تعيس، ثرثار، حيوي، حاذق، ذو أسلوب حسن في بعض المواطن، تشوبه بعض الرعشات الخفيفة التي تشير إلى عدم التخصص، فبأي حق يتطاول على الآخرين؟ إنه في الأساس مثلي ومثل الآخرين، تعيس. ليس ثمة جريمة تفوق إصابة الأطفال بمرض السل، كان والد فلوبير مصاباً بالسل.

خيار: إمّا أن تُصفّر رئة الطفل، وهو تعبير موسيقي جميل جداً، ليضع الطبيب أذنه على صدر الطفل كي يستمع، أو أن يصبح الطفل فلوبير ارتعاش الأب، بينما يناقش الموضوع في الفراغ.

ما زلت قادراً على الاستمتاع جزئياً بعمل مثل «طبيب الريف» شريطة أن أكون قادراً على كتابة شيء مشابه (وهو احتمال جدّ بعيد).

لكنّ السعادة لا تتحقق إلا إذا كنت قادراً على دفع العالم نحو الصفاء والحق والثبات.

إنّ السياط التي نهوي بها على بعضنا بعضاً ثبتت الكثير من العقد في السنوات الخمس الأخيرة.

الثامن والعشرون من أيلول:

موجز محادثاتي مع ف.

أنا : هذه هي خلاصة ما توصلت إليه.

ف: هذا ما توصلت أنا إليه.

أنا : هذا ما جعلتك تفعلينه.

ف: هذا صحيح.

سأضع نفسي في عهدة الموت. بقايا اعتقاد عودة إلى الأب يوم التسامح الكبير.

من رسالة إلى ف، لعلها الرسالة الأخيرة، (الأول من تشرين الأول): عندما جري اختباراً دقيقاً لهدفي النهائي فسيتبين أنني لا أطمح في واقع الأمر إلى أن أكون إنساناً جيداً، قادراً على تلبية طلبات محكمة عليا؛ بل إن العكس تماماً هو الصحيح، فإنني أطمح للاطلاع على أوضاع المجتمعات الإنسانية والحيوانية، ومعرفة ميولها الأساسية ورغباتها، ومثلها الأخلاقية، واختصار ذلك إلى قواعد بسيطة وتطوير سلوكي، ما استطعت، في ضوئها، لعلي أجد الرضا من الجميع (وهنا يجيء التناقض)، وهو رضا قادر على أن يجعلني المخطئ الوحيد، من غير أن أفقد حب الجميع، ومن دون أن أكتوي بنارهم، ويسمح لي بإظهار البذاءات الباطنية أمام الناس جميعاً وباختصار فإنّ اهتمامي يتركز على المحكمة الإنسانية التي أريد أن أخدعها من دون أن أمارس الخداع.

الثامن من تشرين الأول:

في هذه الأثناء: رسالة شكوى من ف. رسالة من ج.ب يتهددني فيها، وضع يائس (ألم عصبي في أسفل الظهر). علف الماعز، حقل نخرته الفئران، بطاطا ملتقطة (مثلما تنفح الريح في مؤخراتنا)، جني أثمار الورود البرية، ف. الفلاحة (سبع فتيات، واحدة منهن قصيرة، ذات نظرة جميلة، وأرنب فوق كتفيها)، في الغرفة صورة «القيصر فرانت» يوسف في مقبرة الرهبان، الفلاح ك. (رجل قوي متفوق يحكي تاريخ العالم لمزرعته، لكنه ودود وطيب).

الانطباع العام عن الفلاحين:

الرجال النبلاء الذين هربوا إلى الريف، حيث أدوا أعمالهم هناك بحكمة وتواضع، فجاءت أعمالهم في مجملها خلواً من الثغرات، وكانوا مصانين من التقلبات ومن دوار البحر حتى وفاتهم قريري العين. إنهم أهل الأرض حقاً. الصبيّة الذين كانوا يطاردون في المساء قطيعاً متناثراً يركض فوق الحقول البعيدة، الواقعة على التلال. استطاعوا الإمساك في هذه الأثناء بثور صغير مقيد أبى أن يسير معهم.

تُعّد «الموقد» Der Heizer تقليداً خالصاً لكوبرفيلد Copperfield[171] لديكنز على نحو يتجاوز تخطيط الرواية. قصة الحقيبة، الفتى المحظوظ والجذاب، الأعمال الوضيعة، حبيبته التي في المنزل الريفي، البيوت القذرة... وغيرها. ويأتي الأسلوب في طليعة ذلك. كان في نيتي أن أكتب رواية على نسق رواية ديكنز، على أن تكون أوسع، لتكون قادرة على استيعاب الأضواء القوية التي اكتسبتها من العصر، والبلادة النابعة مني، أما غنى ديكنز وتدفقه العفوي القوي فتليهما مقاطع تتسم بالتفاهة المرعبة، يعثر فيها بضجر ما سبق له أن أنجزه. أما الانطباع الكلي فوق المعقول فهو وحشي. وهي وحشية استطعت أن أتجنبها، نظراً لضعفي، ولمقدرتي على أن أكون من الجيل الثاني من المقلّدين. إن ثمة قسوة تكمن وراء النزعة المفرطة في العاطفية تغمر

(171) يشير كافكا إلى أقصوصة الموقد التي ظهرت عام 1913، وتضمنتها رواية «أمريكا» ويوضح علاقتها برواية شارلز ديكنز (1812–1870) ديفيد كوبرفيلد التي صدرت 1849–1850.

أسلوبه. وهذه السمات الفظة التي تطبع سلوك الأفراد لم يكن لولا وجودها حضور لديكنز، يستطيع من خلاله الوصول إلى قصته. (يتشابه فالزر Walser مع ديكنز باستخدام المجازات المجردة الغامضة).

التاسع من تشرين الأول:

عند الريفي لوفتنر. المنزل الريفي الضخم. البعد المسرحي الكامل للمشهد. عصبيته هي هي، هاها، ضربه على الطاولة، رفعه لذراعيه وهزه لكتفيه وحمله لكأس البيرة على نحو يشبه رجال ڤالن شتاين Wallenstein[172]. زوجته إلى جانبه، وهي امرأة عجوز، تزوجها منذ عشر سنوات يوم كان خادماً عندها. إنّه صياد انفعالي يهمل المزرعة. حصانان ضخمان في الإسطبل، شكلان هومريّان من خلال أشعة الشمس السريعة الزوال يدخلان عبر نافذة الإسطبل.

الرابع عشر من تشرين الأول:

قدم إلينا شاب في الثامنة عشرة من عمره ليودعنا، بسبب سفر في اليوم التالي «لقد قدمت إليكم لأستأذنكم في السفر؛ لأنني مسافر يوم غد».

الخامس عشر من تشرين الأول:

ذهبت مساء نحو الطريق السريع باتجاه أوبركلي؛ لأن مدير المنزل وجنديين هنغاريين كانا يجلسان في المطبخ.

المنظر كما يبدو من نافذة أوتولا عند الفجر، ثمة منزل وخلف المنزل حقل مفتوح.

(ك) وزوجته في حقلهما، على المنحدر مقابل نافذتي.

(172) الإشارة إلى ألبرشت فون ڤالن شتاين الجنرال الأكثر فاعلية في حرب الثلاثين عاماً (1618–1648)، وقد حقق في الحرب عدة انتصارات.

الحادي والعشرون من تشرين الأول:

يوم جميل مشمس دافئ، الرياح فيه هادئة.

معظم الكلاب تنبح بلا معنى، ولاسيما عندما يكون ثمة أحد قادم من بعيد، لكن بعضها- الذي قد لا يعد من بين كلاب الحراسة الفضلى بل الأكثر عقلاً- يقترب من الغريب بهدوء، ويشمه ثم لا ينبح إلا عندما يشم رائحة تبعث على الشك.

السادس من تشرين الثاني:

العجز المطلق.

العاشر من تشرين الثاني:

لم أتمكن إلى الآنّ من كتابة الأمر الحاسم؛ فأنا ما أزال أجري في اتجاهين، أما العمل الذي ينتظرني فهو ضخم.

حلم عن معركة تاغالي أمنتو Tagliamento[173] سهل، أما النهر فلم يكن هناك. حشد من المشاهدين المثارين، يستعّد للتّقدم إلى الأمام أو للنكوص إلى الوراء في ضوء متغيرات الوضع. أمامنا سهل مرتفع، ووراءه نمساويون يقاتلون. كان الجميع متوترين، ما الذي سيؤول إليه الأمر؟ وعندما يرغب المرء في الترويح عن نفسه كان يتأمل بين الفينة والأخرى أجمة منفردة في الظلام خلفها جندي أو اثنان من الطليان يطلقان النار. كان ذلك كله بلا جدوى، فقد كنا تراجعنا بضع خطوات إلى الوراء. العودة مجدداً إلى السهل: كان النمساويون يركضون على امتداد الحافة العارية، ويقفون على دفعات، وراء الأجمة، ثم يركضون من جديد. كان الأمر يسوء على ما يبدو، ولم يكن أحد يعلم كيف يمكن للأمور أن تتحسن؛ لأن المرء ليس سوى إنسان في النهاية.

(173) إشارة إلى نهر يقع في شمال شرق إيطاليا، ولعل كافكا يشير إلى هزيمة الطليان في هذه المعركة في الحرب العالمية الأولى التي وقعت عام 1917.

أن يتغلب على بشر يملكون إرادة الدفاع عن أنفسهم. يأس مطبق، وقد أضحى الهرب ضرورة. في تلك الأثناء ظهر رائد بروسي، كان يراقب المعركة معنا طيلة الوقت، وعندما قفز إلى الأمام نحو المكان الذي أضحى خالياً فجأة كان يشكل ظاهرة جديدة، وضع إصبعين من كل يد في فمه، وأخذ يصفر كما يصفر المرء للكلب، وإن فعل ذلك على نحو أكثر حيوية. كان ذلك إشارة لمجموعة تقف غير بعيد، شرعت بالزحف، كانوا حرساً بروسيين وشباباً صامتين، لم يكونوا كثيرين؛ بل لعلهم كانوا مجموعة من الرفاق، يبدو أنهم جميعاً من الضباط، فقد كانوا يتقلدون سيوفاً طويلة، ويرتدون زياً رسمياً قاتماً. وعندما مرّوا بنا بخطواتهم القصيرة والبطيئة والمندفعة ينظرون هنا وهناك كان من الطبيعي أن تكون خطوات الموت قريبة ومهيبة وواعدة بالنصر. وقد صحوت من النوم عند شعوري بالراحة عند تدخل هؤلاء الرجال.

(1919)

السابع والعشرون من حزيران:

يوميات جديدة، لأنني في الواقع أخذت أقرأ في الأخرى القديمة بعض الأسباب والنوايا، يصعب الآن في الساعة الحادية عشرة وخمس وأربعين دقيقة التأكد منها.

الثلاثون من حزيران:

كنت في حديقة ريغر، كنت أتمشى مع (ل).* إلى جانب شجيرة الياسمين جيئة وذهاباً. كذب وصدق؛ كذب في لهفتي، وصدق في مشاعري للاقتراب منها، وفي الثقة، وفي شعوري بالأمان. قلب لا يهدأ.

السادس من تموز:

الأفكار نفسها على نحو مستمر، الرغبة، الخوف، لكنني أكثر هدوءاً من المعتاد، وكأن تطورات كبرى تدور، أستطيع أن أستشعر رعشتها من بعيد. لقد قيل الكثير.

الخامس من كانون الأول:

تجري عملية سحبي من جديد عبر هذا الشق المرعب، الطويل الضيق، الذي لا يمكن للمرء عبوره إلا في الحلم.

أما عبوره برغبة ذاتية وفي في أثناء اليقظة فأمر لا يمكن للمرء أن يقدم عليه.

الثامن من كانون الأول:

أمضيت يوم الاثنين، وكان يوم عطلة في المتّنزه والمطعم والجاليري، حزن وفرح، ذنب

وبراءة، كيدان متشابكتان يصعب فك الارتباط بينهما، وعلى المرء كي يفصل بينهما أن يقطع اللحم والدم والعظام.

التاسع من كانون الأول:

الكثير من إليسويس *Eleseus، لكنني حيثما وليت وجهي تضربني الأمواج السود.

الحادي عشر من كانون الأول:

الخميس. برد. في حديقة ريغر مع .(ل) لم أتفوه بكلمة. إغراء بين المقابر. كل ذلك في منتهى الصعوبة، وأنا لست مستعداً بما فيه الكفاية. إنه الأمر ذاته، بالمعنى نفسه يوم صرح معلمي من دون أن يلحظ الطرفة ذات البعد التنبئي التي صنعتها: «دعوه يواصل دراسته في الصف الخامس إلى حين، إنه ليس قوياً بما فيه الكفاية، كما أن إجباره على السير في هذا الطريق سيترك تأثيراته فيما بعد في شخصيته». وقد نشأت في واقع الأمر على تلك الشاكلة؛ فكنت كالغرسة التي نمت سريعاً، ونُسيت سريعاً. إن ثمة شيئاً من الرقة المصطنعة في هذه الحركة التي لا مندوحة عنها عندما يأتي تيار هوائي؛ بل إن فيها إن شئت ما يحرك. هذا كل شيء. إنه يشبه إيليسويس في سفراته الربيعية بين المدن، وهو من الناس الذين لا يجب النظر إليهم بازدراء؛ من الممكن أن يغدو إيليسويس بطلاً لهذا الكتاب، كما أن شيئاً من هذا يمكن أن يكون قد وقع في شباب هامسون Hamsun[174].

(174) لعلّ كافكا يشير إلى الكاتب النرويجي كنوت هامسون (1859–1952) الحاصل على جائزة نوبل عام 1920، وقد عد بعض النقاد رواياته إرهاصاً لكتابات كافكا وروائيّي القرن العشرين من حيث البنية.

(1920)

السادس من كانون الثاني:

كل فعل من أفعاله يبدو له جديداً على نحو استثنائي، ولو لم يمتلك فعله نضارة الحياة هذه فسيكون– وهذا أمر لا محيد عنه– قادماً من حمأة الجحيم القديم. وهذا ما يعيه، لكن هذه النضارة تخدعه؛ إنها تجعله ينسى معرفته أو يغفل عنها، أو تجعله مشاهداً ولكن بلا ألم. أما اليوم فهو بلا شك اليوم الذي يتجهز فيه التقدم كي يتقدم أكثر.

التاسع من كانون الثاني:

المعتقدات الخرافية والمبدأ وما يجعل الحياة يسيرة:

عبر سماء من الرذيلة يمكن الوصول إلى جحيم الفضيلة بهذه السهولة؟ بهذه القذارة؟ بهذه الاستحالة؟ إن الخرافة سهلة.

لقد قطع جزء من مؤخرة رأسه، كان يتأمل العالم كله من خلال الشمس، كانت تثير أعصابه، وتصرفه عن أداء عمله، وبالإضافة إلى ذلك فقد أغضبه حرمانه من مشاهدة العرض المسرحي.

ليس نقيضاً للإحساس الداخلي بالتحرر النهائي، إذ لم يتغير اليوم التالي للأسر؛ بل ازداد حدة، ولاسيما عندما يصرح على نحو واضح أن الحالة لن تتوقف على الإطلاق، كل ذلك يمكن أن يشكل شرطاً لازماً للتحرر النهائي*.

(1921)

الخامس عشر من تشرين الأول:

أعطيت منذ أسبوع تقريباً لـ(م)* يومياتي كلها. قليل من الحرية؟ لا. هل ما أزال قادراً على مواصلة الكتابة في يومياتي؟ إنها ستكون في كل الأحوال لوناً مغايراً من اليوميات، ولعلها تمحو ذاتها، ولن يكون ثمة يوميات على الإطلاق. ولعلي أكون قادراً بعد جهد جهيد على تدوين شيء فيما يخص هاردت الذي شغلني كثيراً إلى حد ما. ويبدو الأمر، وكأنني قد كتبت عنه منذ زمن طويل، أو كأنني– النتيجة واحدة– لم أعد على قيد الحياة. أما عن م. فإنني أستطيع الكتابة في الغالب، لكنني لن أفعل ذلك بإرادة حره؛ لأن الكتابة ستكون في غير صالحي، ولست محتاجاً كي أجعل من نفسي هدفاً لتلك الأشياء فأنا لم أعد شديد النسيان، كما كانت الحال سابقاً، فقد صارت ذاكرتي أشد حيوية، وغادرني الأرق.

السادس عشر من تشرين الأول:

الأحد: بؤس البداية السرمدية، غياب الوهم الذي يتخطى أن كل شيء ليس سوى بداية، وليس بداية في الوقت نفسه، غباء الآخرين الذين لا يعرفون ذلك، ويلعبون كرة القدم على سبيل المثال كي «يدفعوا الكرة إلى الأمام» في خاتمة المطاف. على المرء أن يدفن كالتابوت، غباءه الذاتي، وغباء الآخرين الذين يعتقدون أن ثمة تابوتاً حقيقياً هنا، بمعنى أنهم يظنون أنه تابوت يستطيع المرء أن ينقله ويفتحه ويتلفه ويبدله.

بين النساء الشابات في أعلى المتنزّه لا حسد، يكفي الخيال لتشاطرهن سعادتهن، وتكفي القدرة على الحكم لتعلم أنني أضعف من تحمل هذه السعادة، ويكفي الغباء لتظن أنني أتأمل في ظروفي وظروفهن. لا يكفي الغباء وحده؛ فثمة فجوة ضئيلة تصفر الرياح من خلالها، وتحول من دون الاستجابة التامة.

لو أن لدي الرغبة الكبرى لأكون من لاعبي القوى الخفيفة؛ فأغلب الظن أن الأمر سيكون

كما لو أنني أتمنى الوصول إلى السماء، وأن يكون من المسموح لي هناك أن أصاب بالقنوط كما يحدث معي الآن.

لا يهمّني أن تكون قواعدي بائسة حتى لو «تشابهت المعطيات»، (مع مراعاة ضعف الإرادة في المقام الأول)؛ بل إنّه لا يعنيني أن تكون تلك القواعد هي الأكثر بؤساً على وجه الأرض، لأنّه يتوجب عليّ أن أبذل قصارى جهدي، على الرغم من مستوى إدراكي للأشياء، كي أصل من خلال تلك القواعد إلى الأفضل. وإنه لمن السفسطة الفارغة أن يقال إن المرء لا يستطيع أن ينجز سوى أمر واحد، وهذا الأمر الأفضل في هذا السياق هو أن يصاب المرء بالقنوط.

السابع عشر من تشرين الأول:

لعل ثمة غاية تكمن وراء الحقيقة التي ترى أنني لم أتعلم شيئاً مفيداً على الإطلاق، وأنني – وهو ما يتصل بما سبق – قد غدوت كذلك منهكاً على المستوى الجسدي. إنني لم أرغب في البقاء ذاهلاً، لم أرغب في البقاء ذاهلاً بسبب متع الحياة الخاصة برجل نافع ومعافى. وكأنَّ المرض واليأس لا يكفيان كي يكونا سبباً للذهول!.

ثمة طرائق شتى كنت أستطيع من خلالها إكمال هذه الفكرة والوصول إلى خاتمة سعيدة، لكنني لا أجرؤ، ولا أعتقد – لا اليوم ولا في غالبية الأيام – بوجود حل مناسب.

إنني لا أحسد بعض الأزواج؛ بل أحسدهم جميعاً، وحتى لو لم أحسد سوى بعضهم فإنني أحسد في حقيقة الأمر السعادة الزوجية في تنوعاتها اللامتناهية، وأحسد السعادة التي يمكن أن تكون في أي زواج، والتي تقودني إلى اليأس حتى في حالاتها الفضلى.

لا أظن أن ثمة أناساً تشبه حالتهم الداخلية حالتي؛ لكنني قادر في كل الأحوال على تخيل مثل هؤلاء الناس، أما أن يحلق الغراب السري فوق رؤوسهم كما يفعل معي على الدوام فمن المستحيل تخيل ذلك.

إنه لمن المذهل تدميري لذاتي على نحو منظم، في غضون السنوات الأخيرة، كان الأمر شبيهاً بصدع يتسع ببطء في أحد السدود، وهو فعل مقصود تماماً. أما الروح التي استطاعت إنجاز ذلك فيتوجب عليها أن تحتفل بانتصارها؛ لكنني أتساءل لماذا لا تدعني أشارك في تلك الانتصارات؟ لعلها لم تنجز إلى الآن أهدافها، وهي لذلك لا تستطيع أن تفكر في أي شيء آخر.

الثامن عشر من تشرين الأول:

الطفولة الخالدة. الحياة تنادي من جديد.

من الممكن تماماً التخيل أن روعة الحياة تقف بكاملها في انتظار كل واحد منا؛ لكنها تختفي في الأعماق، على نحو غير مرئي وبعيد تماماً، لكنها لا تقبع هناك مشاكسة أو مكرهة أو صماء. فإذا ما استدعاها المرء مستخدماً الكلمة السليمة فإنها تجيء. وهذا هو جوهر السحر الذي لا تصنعه ولكنها تستدعيه.

التاسع عشر من تشرين الأول:

جوهر الطرق الصحراوية. الإنسان الذي يقود شعبه بوصفه زعيماً شعبياً على امتداد هذا الطريق مستخدماً بقايا وعي لما يجري وهو أمر يفوق قدرة المرء على التصور، وهو يقتفي آثار أرض كنعان طيلة حياته. ولعل مما هو غير قابل للتصديق أنه كان يريد رؤية الأرض وهو على مقربة من الموت. وليس ثمة معنى لهذه الإطلالة الأخيرة، إلا أنها تشبه اللحظة غير المكتملة للحياة الإنسانية. وهي ناقصة لأن هذا النوع من الحياة قادر على أن يستمر إلى ما لانهاية من دون أن يتمخض عنه شيء سوى لحظة واحدة.

إن موسى لم يستطع الوصول إلى أرض كنعان، ليس لأنّ حياته كانت قصيرة تماماً؛ بل لأنها كانت حياة إنسانية. فهذه النهاية لأسفار موسى الخمسة تتشابه مع المشهد الختامي «وجدانية التعليم».

من لا يستطيع الوصول على نحو حيوي إلى تفاهم فيما يخص علاقته بالحياة يحتاج إلى يد ليتمكن بها من إبعاد اليأس عن مصيره بعض الشيء، وهو ما يجري على نحو غير مكتمل، وإلى يد أخرى ليدون بها ما يراه تحت الأنقاض، لأنه يرى على نحو مختلف، وفوق ما يراه الآخرون. وهو بعد ذلك كله، ميت طيلة حياته، مع أنه حي في الحقيقة، ومن المفترض أنه لا يحتاج إلى يديه كلتيهما، أو إلى أكثر منهما كي يصارع اليأس.

العشرون من تشرين الأول:

بعد الظهر مع لانجر، ثم مع ماكس الذي تلا فرانتسي. حلم قصير في أثناء نوم قصير مرهق، لقد استولى عليّ الإرهاق في في أثناء سعادة لا حصر لها. وهو حلم ذو تفرعات لا نهاية لها، يتضمن في الوقت نفسه آلافاً من العلاقات التي اتضحت فجأة، أما ما بقي فهو تذكر المشاعر الرئيسة تقريباً: ارتكب أخي جريمة قتل، وكنت مع أناس آخرين متورطاً فيها، أما العقوبة والحل والخلاص فكانت تقترب من مكان بعيد، وتلوح عن بعد قوية. يستطيع المرء أن يرى الكثير من الإشارات في اقترابها الذي لم يتوقف. أما شقيقتي فقد استمرت فيما أظن تعلن عن هذه الإشارات التي ظللت أحييها بهتافات مجنونة، وكان جنوني يزداد كلما ازدادت اقتراباً. وقد وظننت أنه نظراً لما انطوت عليه هتافاتي المتفرقة وجملي المختصرة من وضوح وإنجاز فلن أكون قادراً على نسيانها، لكنني لا أتذكر منها الآن هتافاً واحداً، أستثني هتافاً واحداً منها، كان نطقه يسبب لي إجهاداً كبيراً، إذ كان يتوجب علي أن أنفخ خدي وأن ألوي فمي، كما يحدث في أثناء وجع الأسنان.

إن شعوري بالسعادة يكمن في أنني رحبت باقتناع وسعادة بالعقوبة التي جاءت. وهو منظر ينبغي أن يكون قادراً على تحريك الآلهة، وقد استطعت أن أتلمس عاطفة هؤلاء الآلهة حد الدموع.

الحادي والعشرون من تشرين الأول:

كان من المستحيل بالنسبة له أن يدخل المنزل لأنه سمع صوتاً يخاطبه: «انتظر حتى أقودك إلى الداخل!»، لذا استمر راقداً فوق التراب أمام المنزل، مع أن كل شيء كان يبدو آنذاك فاقداً للأمل (كما كان يمكن لسارة أن تقول).

كلّ شيء هو من نسج الخيال: العائلة، المكتب، الأصدقاء، الشارع كله من صنع الخيال، البعيد والقريب، المرأة، أما الحقيقة الأكثر قرباً فهي أنك تضغط برأسك على جدار إحدى النوافذ، وعلى زنزانة بلا أبواب.

الثاني والعشرون من تشرين الأول:

خبير، واختصاصي وآخر يعرف حقله الذي يشتغل فيه، معرفة لا تستطيع نقل ذاتها إلى الآخرين، غير أنها لحسن الحظ لا تبدو ضرورية لأحد.

الثالث والعشرون من تشرين الأول:

فيلم عن فلسطين بعد الظهر.

الخامس والعشرون من تشرين الأول:

يوم أمس: إيرين شتاين.

يلعب والداي الورق، بينما كنت أجلس وحدي استشعر الغربة التامة. طلب مني والدي أن أشارك في اللعب، أو أن أتفرج على الأقل، وقد اعتذرت على نحو من الأنحاء. ماذا يعني هذا الرفض المتكرر في حياتي منذ الطفولة؟ لقد كانت الدعوات التي توجه لي تسمح بقدر من المشاركة في الحياة الاجتماعية أو الحياة العامة، وكنت أنفذ الأعمال التي يطلب إليّ تنفيذها، إن لم يكن على نحو جيد، فعلى الأقل على نحو متوسط، أما لعب الورق فلعله لم يكن ليجعلني

أصاب كثيراً بالملل، ومع ذلك فقد رفضت أن أشارك فيه. لذا فإنني إذا قدر لأحد أن يحكم فلن أكون على حق في شكواي، عندما أزعم أن تيار الحياة لم يستطع أن يستولي عليّ أبداً، وأنني لم أستطع الانفصال عن براغ، وأنني لم أتعلم الرياضة أو التجارة مطلقاً، وأنّ عليّ في هذا السياق أن أظل أرفض مثل هذا العرض، مثلما كان يتوجب عليّ رفض كل الدعوات للعب الورق. ولم أكن أسمح سوى للأشياء التي لا معنى لها، للفت نظري، مثل دراسة الحقوق، والعمل في المكتب، ثم بعض الأعمال الإضافية اللاحقة التي لا معنى لها بعد ذلك كالعمل الخفيف في الحديقة والتجارة. وهذه الأعمال الإضافية تشبه سلوك الرجل الذي يطرد سائلاً محتاجاً عن بابه، ثم يقوم بتمثيل دور المحسن، عندما ينقل الصدقات من يده اليمنى إلى يده اليسرى.

لقد اعتدت أن أرفض، نظراً للضعف عموماً، ولضعف الإدارة على وجه الخصوص، وقد مرّ وقت طويل نسبياً قبل أن أستطيع إدراك ذلك. وقد اعتدت أن أرى في السابق هذا الرفض بوصفه إشارة جيدة؛ إذ كانت الآمال الكبرى العامة التي أعقدها على نفسي تغويني، أما اليوم فلم يبق إلا القليل من ذلك الإدراك.

التاسع والعشرون من تشرين الأول:

بعد مرور بضع ليال شاركت حقيقة في لعب الورق، وأخذت أسجل النقاط التي تتعلق بوالدتي، لكن ذلك لم يؤد في واقع الأمر إلى أيّ اقتراب، وعندما كان يلوح في الأفق مقدار ضئيل من هذا الاقتراب كانت تجري عملية إغراقه بالإرهاق والضجر والأسف على ما فات من الزمن. ولم أستطع إلاّ بالنادر القليل تخطي هذا الفاصل بين العزلة والصحبة؛ بل إنني أقمت فيه أكثر مما أقمت في العزلة ذاتها. أي مكان حيوي جميل كانت جزيرة روبنسون مقارنة بهذا المكان!

الثلاثون من تشرين الثاني:

بعد الظهر إلى مسرح بالينبرغ Pallenberg؛ إنّ إمكانياتي الداخلية لا تتوقف عند تمثيل أو كتابة «البخلاء»، بل تتعداها لأكون البخيل نفسه. الأمر لا يحتاج إلى أكثر من حركة سريعة حازمة من يديّ، تكون الأوركسترا كلها تحدّق بإعجاب للمكان الذي يقف فيه قائد الأوركسترا، حيث ستعلو عصا المايسترو.

الشعور بالعجز التام:

ما الذي يربطك بهذه الأجساد المغلقة التي لا تتوقف عن الحديث ذات العيون التي تومض، أكثر مما يربطك بقلم الحبر الذي بين يديك على سبيل المثال؟ لأنك تنتمي إلى الفصيل ذاته؟ لكنك لا تنتمي إلى الفئة نفسها؛ لهذا طرحت هذا السؤال.

إنّ جمود الجسد البشري أمر مرعب.

الغرابة، أحجية عدم الأفول، القوة الصامتة التي تقودني، إنها تجبر المرء على العبث Absurditaet. «لو أنني اعتمدت على وسائلي الخاصة لضعت منذ زمن طويل». وسائلي الخاصة.

الأول من تشرين الثاني:

«أغنية الوعل»[175] لڤيرفل

السيطرة المطلقة على العالم مع الاحتقار لقوانينه، فرض القانون، السعادة في الخضوع للقانون.

لكن من غير الممكن أن يفرض القانون وحدة على العالم، وأن يبقى كل شيء سواه على الحالة التي هو عليها، باستثناء المشرع الجديد الذي يملك الصلاحية المطلقة كي يفعل ما يحلو له. إن هذا لا يسمى قانوناً؛ بل تسلط وعصيان وإدانة للذات.

(175) اسمها Bocksgesange، وهي مسرحية لفرانتس ڤيرفل، تتكون من خمسة فصول، وقد ظهرت عام 1921.

الثاني من تشرين الثاني:

أمل غامض وثقة غامضة.

عصر يوم أحد كريه ولا نهاية له، عصر يبتلع السنوات كلها، وكل ساعاته كأنها سنة، أمشي متلفتا، يائساً في الشوارع الفارغة وأستلقي فوق الأريكة بهدوء. لكنني أصاب في كثير من الأحيان بالدهشة نظراً للغيوم التي لا لون ولا معنى لها والتي لا تتوقف عن الحركة. «إنك مؤجل إلى يوم الاثنين العظيم». حسناً لكن نهار الأحد لا نهاية له.

الثالث من تشرين الثاني:

النداء.

السابع من تشرين الثاني:

الواجب الذي لا مفر منه في مراقبة الذات: إذا كان ثّمة إنسان آخر يراقبني فمن الطبيعي أن أراقب ذاتي، أمّا إذا كان لا يراقبني أحد على الإطلاق فإن عليّ أن أراقب ذاتي بدقة.

محسودون كلّ أولئك الذين يعادونني أو لا يكترثون بي أو يرهقونني، بالنظر إلى السهولة التي يستطيعون من خلالها، التخلص مني. شريطة أن لا تكون المسألة بالنسبة لي مسألة حياة أو موت، كما كان الأمر مع ف. حيث بدت المسألة قضية حياة أو موت، لذا لم يكن من السهل التخلص مني، وإن كنت آنذاك شاباً وقوياً وذا رغبات قوية بطبيعة الحال .

الأول من كانون الأول:

ستغادر م بعد أن زارتني أربع مرات. أربعة أيام هادئة في خضم العذاب. لا أشعر بالأسى جراء سفرها. لا أشعر بالأسى الحقيقي؛ لكن طول المسافة التي ستقطعها من هنا إلى المكان الذي انطلقت منه يبعث فيّ حزناً لا نهاية له. لكنني أعترف أنه ليس الأسوأ.

الثاني من كانون الأول:

كتابة الرسائل في غرفة والديّ. الأشكال التي تدل على تدهور وضعي غير قابلة للتصور، ومن أبرزها أنني أتخيّل أنني طفل صغير يهزمني والدي، وأنه نظراً لولعي بالتفوق لا أستطيع مغادرة ساحة الصراع طيلة هذه السنوات، على الرغم من الهزائم المتلاحقة التي أعاني منها م. أو غير م. ثمة مبدأ، هو ضرورة وجود ضوء في الظلام.

السادس من كانون الأول:

من إحدى الرسائل.

«إنني أدفئ نفسي لديها في أثناء هذا الشتاء الحزين».

المجازات هي شيء من بين أشياء كثيرة تجعلني يائساً من الكتابة. الكتابة غير قادرة على أن تستقل عن العالم، فهي تعتمد على الخادمة التي تشعل النار، وعلى القطة التي تدفئ نفسها فوق الفرن، وحتى على الرجل العجوز البائس الذي يدفئ نفسه. كل تلك الفعاليات مستقلة تحكمها قوانينها الذاتية، وحدها الكتابة هي العاجزة، فهي لا تسكن في ذاتها. وهي مزيج من الفكاهة واليأس.

طفلان وحيدان في منزلهما، دخلا في حقيبة ضخمة، فانغلق غطاء الحقيبة، ولم يتمكنا من فتحه، فاختلفا.

العشرون من كانون الأول:

عمق المعاناة في أثناء التفكير.

نهضت من النوم فزعاً. رأيت على ضوء الشمعة رجلاً غريباً يجلس على المنضدة الصغيرة القابعة في وسط الغرفة. كان يجلس في شبه ظلام، ويبدو عريضاً وضخماً، وإن كان معطفه الشتوي المفتوح يجعله يبدو عريضاً أكثر.

قال أحد الحاخامات عند احتضاره وزوجته تمسح جبينه: «هذا جميل».

الجّد الذي كان يبتسم لحفيده بفم يخلو من الأسنان.

لا يُنكر أن هناك متعة مجددة في أن تكون قادراً على الكتابة بهدوء: «الاختناق أمر مرعب على نحو لا يمكن تصوره». إنه غير قابل للتصور حقاً، لهذا لم أكتب شيئاً على الإطلاق.

الثالث والعشرون من كانون الأول:

من جديد عن «ناش سكاويتك». *Na? SKautik*. ايفان إيليش *Iwan Iljitsch*.

(1922)

السادس عشر من كانون الثاني:

عانيت في الأسبوع المنصرم شيئاً يشبه انهيار الأعصاب، وهو شبيه تماماً بما أصابني ذات ليلة قبل سنتين. ولم أعش ما يشبه تلك التجربة على الإطلاق؛ كان يبدو أن كل شيء قد شارف على النهاية، وهو أمر ما زلت إلى اليوم أستشعره من دون أيّ تحسّن يذكر. ويمكن للمرء أن يشير فيما يخص هذا الانهيار إلى لونين من الإدراك، وكلاهما صحيح نسبياً.

أولاً: إنّ انهيار الأعصاب يجعل النوم مستحيلاً، ويجعل الصحو مستحيلاً، ويجعل الحياة أو احتمال تبعاتها على الأدق مستحيلاً هو الآخر. فلا تتطابق الساعات معه؛ فالساعات الداخلية تجري على نحو وحشي أو شيطاني أو غير إنساني في كل الأحوال. أما الأخرى الخارجية فتجري طبقاً لخط سيرها المعتاد. فما الذي يمكن أن يحدث أكثر من انفصال العالمين، وهما ينفصلان أو يتصادمان على الأقل على نحو مرعب؟. إن هناك أسباباً عديدة لهذا الإيقاع الوحشي الخاص بالتوقيت الداخلي، أما الأسباب الأكثر وضوحاً فتعود إلى الاستبطان الداخلي الذي لا يدع أي مجال للهدوء، ويدفع كي تغدو الذات فكرة، ليقع المرء مجدداً في أحبولة الاستبطان الذاتي.

ثانياً: إن هذه المطاردة تنشأ في أعماق المرء، وتسهم في إبعاده عن بني البشر؛ فالعزلة التي كان القسم الأكبر منها مفروضاً منذ زمن طويل عليّ كنت أنا الذي يبحث عنها إلى حد ما، ولكن أي دلالة يحمل هذا الأمر، إن لم يكن يشير إلى الاضطرار، الذي يفقد في هذه اللحظة غموضه ويقترب من الذروة. إلى أين يقود ذلك؟ إنّ هذا يمكن أن يقود إلى الجنون. وهو الاحتمال الأقوى. وليس بعد هذا زيادة لمستزيد. إنّ هذه المطاردة تخترقني ثم تمزقني، لكنّني أستطيع – هل أستطيع؟ أن أحافظ في الحد الأدنى على مواطئ قدميّ، لأنفل بعد ذلك إلى عالم المطاردة. إلى أين سأصل بعد ذلك؟ إن المطاردة ليست سوى مجاز فأنا أستطيع أن أقول بدلاً من ذلك «الهجوم على الحدود الأرضية الأخيرة». وهو هجوم من الأدنى أي من النوع الإنساني. نظراً للطابع المجازي

للحديث فإنني أستطيع أن أستبدل به مجاز الهجوم عليّ من الأعلى.

الأدب كله هو لون من الهجوم على الحدود، ولو لم تظهر الصهيونية في تلك الأثناء لتطور الأدب بسهولة إلى لون من التعاليم السرية أو القبلانية Kabbala والقابلية لذلك متوفرة. وهو أمر يستدعي وجود عبقري خارق للعادة، يغرس جذوره من جديد، في القرن القديم، أو يعيد خلق القرن من دون أن يضّيع مجهوده في ذلك الأمر؛ بل يبدأ بتسخير مجهوده ابتداءً من تلك اللحظة.

السابع عشر من كانون الثاني:

اختلاف نسبي.

الثامن عشر من كانون الثاني:

لحظة من التفكير: أَرْح نفسك، تَعلّمْ (تعلَمْ في أربعينيات العمر). استرح الآن؛ (أجل أنت تستطيع أن تفعل ذلك ذات مرة) نعم. في هذه اللحظة. اللحظة المرعبة، إنها ليست مرعبة؛ لكن الخوف من المستقبل هو الذي يجعلها تبدو كذلك، كما أن تأمل الماضي يجعلها تبدو كذلك أيضاً. ما الذي فعلته بنعمة الجنس؟ لقد كانت إخفاقاً، وهو ما يستطيع المرء أن يقوله في الختام. وقد كان من الممكن أن تكون ناجحة بكل يسر؛ فالذي يفصل بين النجاح والفشل خيط رفيع وغير مرئي. ما الذي يثير استغرابك؟ ذلك ما كان يقع في المعارك الكبرى في تاريخ العالم؛ فالأمور الصغيرة لا تحسمها إلا المسائل الصغيرة.

م على حق؛ الخوف يعني التعاسة، لكن هذا لا يعني أن الشجاعة مساوية للسعادة؛ بل إن انعدام الخوف لا الشجاعة هو الذي يرغب في إنجاز ما يفوق قدرة طاقتنا على الإنجاز. (كان في صفي يهوديان مسكونان بالشجاعة، أطلقا الرصاص على نفسيهما في أثناء الدراسة الثانوية أو

بعدها بقليل). إذن ليست الشجاعة؛ بل انعدام الخوف بما يتسم به من سكينة هو القادر على فتح العينين، وعلى تحمل كل شيء، لا تجبر نفسك. لكن إياك أن تكون تعيساً لأنك لا تجبر نفسك! على فعل شيء أبدا! كما أن عليك ألا تكون تعيساً؛ لأنه عندما يكون عليك أن تفعل شيئاً، يتوجب عليك أن تجبر نفسك. وإذا لم تجبر نفسك، فعليك أن لا تتوق لإمكانية أن تكون مجبراً. حقاً: إن الأمر لم يكن بهذا الوضوح أبداً، أو على الأصح إنه واضح هكذا على الدوام؛ فعلى سبيل المثال: إن الجنس يلح عليّ، يعذبني ليلاً ونهاراً، ويتوجب عليّ أن أتغلب على الخوف والخجل والحزن إلى حد ما، كي أتمكن من إشباعه. وبالمقابل فإنني واثق أنّ عليّ الآن أن استغل من دون أيّ شعور بالحزن أو الخجل الفرصة المتاحة لي سريعاً، وفي أقرب وقت وبتصميم. وإن ظل، في ضوء ما سبق ذكره، قانون الخوف غير القابل للتجاوز حاضراً (ولكن هذا لا يعني السماح بأدنى تلاعب بفكرة التغلّب) مع الحق باستغلال الفرصة (من دون التذمر عندما لا تجيء). من الحق أن يقال إن ثمة أرضية مشتركة بين «الفعل» و«الفرصة» أعني خلق «الفرصة» أو إغواءها، وهي ممارسة لم أقتصر في اتباعها على هذه المسألة؛ بل فعلتها في كل شيء. أما فيما يخص «القانون» فيصعب أن تقول شيئاً يناقضه على الرغم من هذا «الإغواء»، ولاسيما عندما يحدث بوسائل غير لائقة وينظر لـ «التلاعب بفكرة التغلب» على نحو مريب، من دون أن يبقى لانعدام الخوف الهادئ، المفتح العينين أي آثار. وعلى الرغم من كون هذا التوافق مع «القانون» «لفظياً»؛ فإن فيه ما يبعث على التقزز، وينبغي تجنبه بالضرورة. من الحق أن على المرء أن يجبر نفسه كي يتجنب ذلك؛ لذا فإنني لن أصل مع هذه المسألة إلى نهاية.

التاسع عشر من كانون الثاني:

ما الذي تعنيه نتائج الأمس هذا اليوم؟ إن لها المعاني ذاتها التي كانت لها يوم أمس، ما عدا الدم الذي ينساب بعيداً في الشقوق بين الحجارة الضخمة للقانون.

الشعور بالسعادة اللامتناهية، العميقة، الحارة، المريحة للجلوس إلى جانب مهد طفله، مقابل أمه.

إن في ذلك شيئاً من ذلك الشعور:

فالأمر لا يخصك وحدك، إلا إذا كنت تريده أن يكون كذلك. وعلى النقيض من ذلك مشاعر أولئك الذين لا أطفال لهم.

إن القرار– سواء رغبت أم لم ترغب– متروك على الدوام لك، في كل لحظة وحتى النهاية في كل لحظة تُمزّق الأعصاب، يبقى القرار متروكاً لك على الدوام، ومن دون الوصول إلى أي نتيجة. لقد كان سيزيف رجلاً أعزب.

لا وجود للشر على الإطلاق؛ فعندما تستطيع أن تتخطى العتبة فإن كل شيء يتحول إلى خير. إنه عالم جديد، ويتوجب عليك أن تصمت.

السؤالان*:

بسبب بعض الأمور التافهة التي أخجل من ذكرها؛ فإن لديّ الانطباع بأن زياراتك الأخيرة كانت ودودة، ومفعمة كالعادة بالكبرياء، لكنها كانت مرهقة بعض الشيء، ومفروضة عليك بعض الشيء، مثل زيارات المرضى، فهل هذا انطباع سليم؟ هل عثرت في اليوميات على شيء حاسم ضدي؟

العشرون من كانون الثاني:

قليل من الهدوء. كم كان ذلك ضرورياً؟ لكن هذا الهدوء القليل لم يكد يحلّ حتى تحوّل إلى هدوء مطلق. كأنني لا أعرف حقيقة مشاعري إلاّ لحظة أكون تعيساً على نحو لا يطاق، وهو أمر يكاد يكون صحيحاً أيضاً.

لقد أمسك بتلابيبي، وجررت إلى الشارع، ودفعت عبر الباب. على نحو مجّرد: هذا ما حدث أما على مستوى الواقع فثمة قوى مضادّة هي أقلّ وحشية من تلك القوى، وهي تدور حول مسائل تافهة يمكن أن تحافظ على الحياة، وتبقي على مصدر العذاب، وأنا ضحية الطرفين.

يبدو هذا السكون التام كأنه قد أغلق أمامي على نحو من الأنحاء، إمكانية الحياة الهادئة

الخلاّقة، أو الحياة المبدعة على الإطلاق، نظراً لأسباب جسدية أو لأسباب تتصل بعذاب جسدي استمر سنوات (الثقة، الثقة)، لأن العذاب لا يعني بالنسبة لي وجود شيء وراءه، فهو مغلق في وجه كل شيء.

جذع تمثال:

يبدو عندما ينظر إليه من الجانب ومن الحافة العليا للجوارب والركبة ومن أعلى الساق ومن الخصر كأنه تمثال لامرأة سمراء.

الحنين إلى الوطن؟ مسألة غير مؤكدة؛ فالوطن هو الذي يحشد الحنين صوبه، هذا الحنين الذي لا ينتهي.

(م) على صواب فيما يخصني. «الأشياء كلها رائعة، لكنها لا تبدو حقيقية كذلك. فأنا أقول الحق، وأبدو جديراً بالثقة في الحد الأدنى، ترى ألا أستحق الثقة؟ وليس صحيحاً في الواقع أنني أفكر في «الحق» لأنه لا مكان في الحياة، نظراً لما تنطوي عليه من قدرة عارمة على الإقناع، للحق والباطل. فأنت لا تستطيع في ساعات الاحتضار اليائسة أن تستغرق في التأمل. كما أنك لا تستطيع أن تفعل ذلك في الحياة اليائسة؛ إذ يكفي أن تخترق الرماح الجراح بدقة، هذه الجراح التي كانوا قد نكؤوها.

لكنني لا أمتلك بالمقابل ذرة من الإدانة العامة لجيلي.

الحادي والعشرون من كانون الثاني:

لم يحلّ الهدوء التام إلى الآن. عندما رأيت على نحو فاجأني سجن فلورستان على خشبة المسرح، انفتحت الهاوية أمامي وصار كلّ شيء؛ المغنون الموسيقى والجمهور والجيران صاروا كلهم أبعد من الهاوية.

لم تكن المهمة صعبة على الإطلاق حسب ما أعرف. بإمكان المرء أن يقول: إنها ليست مهمة

على الإطلاق، وليست حتى أمراً مستحيلاً؛ بل إنها ليست المستحيل ذاته، إنها لا شيء. كما أنها لا ترقى أن تكون مثل أمل امرأة عاقر بالأطفال، لكنها الهواء الذي أتنفسه، طالما كان في مقدوري أن أتنفس.

نمت بعد منتصف الليل، واستيقظت عند الخامسة تقريباً، وهو إنجاز غير عادي بالنسبة لي. وسعادة غير عاديّة، مع أنني كنت ما أزال نعساناً. لكن هذه السعادة كانت تحمل الشقاء بين طياتها، فقد ألحتّ عليّ فكرة لا تقاوم.

إنّك لا تستحق الكثير من السعادة؛ فكل آلهة الثأر كانت ترمي نفسها فوقي بوحشية، وقد رأيت زعيمها الغاضب يفتح أصابعه بوحشية، يتهددني أو يقرع الصنج بقوة. إنّ إثارة الساعتين هذه التي استمرت حتى السابعة لم تكتف بتدمير ما كسبته من النوم؛ بل جعلتني طيلة النهار خائفاً وقلقاً.

من دون أسلاف، ومن دون زواج ومن دون سلالة، ومع الأسلاف قساة وزواج ورغبة في وجود السلالة الكلّ يمدّ يديه نحوي: الأسلاف والزواج والسلالة؛ لكنهم يفعلون ذلك من بعيد.

إن ثمة بديلاً صناعياً وبائساً لكل شيء، للأسلاف وللزواج وللسلالة، يمكن للمرء أن يخلق هذا البديل على نحو محموم، وإذا لم تتمكن هذه الحميّ من تدميره؛ فإن كآبة البديل ستؤدي هذه المهمة.

الثاني والعشرون من كانون الثاني:

قرار ليلي.

كانت الملاحظة المتعلّقة بـ «ذكريات العُزّاب*» قادرة على الاستشراف، لكن في ظل شروط ملائمة تماماً. إن التشابه بيني وبين خالي رودلف O (*) R هو مما يبعث على الدهشة في كل الأحوال؛ فكلانا يتسم بالهدوء (وإن كنت أنا أقل هدوءاً)، وكلانا يعتمد على والديه (وإن كنت

أنا أكثر اعتماداً)، وكلانا يرتبط بعلاقة عدائية مع أبيه، في حين تحبه أمه (وهو محكوم عليه فضلاً عن ذلك بالعيش المرعب مع أبيه، كما أن أباه محكوم عليه هو الآخر بمثل ذلك العيش)، وكلانا حييّ، مفرط في التواضع)، وهو أكثر تواضعاً مني، (وكلانا يُنظْرُ إليه بوصفة إنساناً نبيلاً، مع العلم أنه ليس لدي شيء من ذلك على الإطلاق، كما أن ما لديه من النبل قليل. إن الحياء والتواضع والجبن تعد نبلاً وميزة لأنها تقاوم الغرائز العدوانية للآخرين قليلاً، وكنا في بادئ الأمر مصابين بوسواس المرض، ثم أصابنا المرض بعد ذلك حقيقة، وقد عامَلَنا العالم بوصفنا عاطلين عن العمل، معاملة لا بأس بها، ولأنه كان أقل بطالة، فقد عومل على نحو أسوأ كما في وسع المرء المقارنة حتى يومنا هذا. كلانا موّظف (هو في وضع أفضل)، وكلانا يعيش حياة رتيبة، ليس فيها ذرّة من التطوّر من الشباب إلى آخر أيامنا، (أفضل من الشباب مصطلح «مُصان جيداً»). كلانا على حافة الجنون، بعيدان عن اليهود بشجاعة هائلة، وحيوية مخيفة (التي يستطيع المرء أن يتخذها مقياساً لخطر الجنون)، اللجوء من ثمّ إلى الكنيسة حيث يضع [خالي]- بقدر ما في وسع المرء أن يحكي- ميله للجنون على المحك، مع أنه لم يستطع أن يفعل ذلك منذ زمن طويل. وهناك اختلاف لا أدري إن كان لصالحه أم لا، وهو يتمثل في أن موهبته الفنية أقل من موهبتي؛ لذا فقد كان قادراً في شبابه أن يمتلك الاختيار، لا أن يتمزق من خلال طموحاته. ولا أعلم إذا كانت تتنازعه الرغبة نحو المرأة، وإن كانت القصة التي قرأتها له تومئ إلى ذلك، كما أنهّم كانوا يتحدثون في أثناء طفولتي عن شيء من هذا القبيل، إنني لا أعرف عنه إلا القليل كما أنني لا أجرؤ على السؤال عنه. وبالمناسبة فإنني أكتب عنه بلامبالاة، وكأنه ما يزال على قيد الحياة. وليس صحيحاً أنه لم يكن إنساناً جيداً؛ فأنا لم أجد لديه ذرة من البخل والحسد والكراهية والطمع. فقد كان في أغلب الظن أضعف بكثير من أن يقدر على مساعدة الآخرين. وكان بريئاً أكثر مني بكثير، ففي هذا الإطار ليس ثمة مجال للمقارنة، فعلى مستوى التفصيلات كان يمثل رسماً كاريكاتورياً من صنعي، أما على مستوى الجوهر فإنني رسم كاريكاتوري من صنعه.

الثالث والعشرون من كانون الثاني:

الشعور بالقلق من جديد. من أين يأتي هذا الشعور؟ إنه يتولّد من أفكار بعينها، سرعان ما تُنسى، لكنها تخلّف وراءها قلقاً غير قابل للنسيان. إنني أستطيع أن أسمي الأماكن التي تداهمني فيها مثل تلك الأفكار كالطريق الضيق الذي يمر بالكنيس القديم – الجديد. وهناك لون من القلق ينبع على وجه اليقين من راحة البال التي تدنو مني بين الحين والآخر على نحو خجول ومتأخر بما فيه الكفاية.

وقد يتولد القلق لأن القرار الليلي يظل قراراً ليلياً، وقد يتولد لأن حياتي إلى هذه اللحظة ما تزال تراوح مكانها. وهي تتطور على الأغلب بالمعنى الذي يتسع فيه التجويف في أحد الأسنان المتداعية. إنني لم أظهر أدنى مستوى من الصلابة في تصريف شؤون حياتي، وبدا الأمر بالنسبة لي كأيّ إنسان آخر وضع في منتصف الدائرة، وكأنني كأيّ إنسان آخر كان يتوجب عليّ أن أرسم دائرتي المثالية حول تلك النقطة، لكنني اخترت الوقوف بدلاً من ذلك، عند نصف قطر الدائرة، وظل يتوجب عليّ أن أكسرها على الدوام (أمثلة: البيانو، الكمان، اللغات، دراسة الأدب الألماني، مناهضة الصهيونية، الصهيونية، العبرية، البستنة، النجارة، الأدب، محاولات الزواج، السكن الخاص). إنّ مركز دائرة تخيلاتي تقف إلى جانب بدايات أنصاف قطر الدائرة، ولم يعد ثمة مكان لمحاولة جديدة، وعدم وجود مكان يتعلق بالعمر وضعف الأعصاب، أما ترك إجراء محاولة أخرى فتعني النهاية، وإذا كنت قد مددت خط قطر الدائرة أكثر قليلاً من المعتاد، مثلما وقع لي في أثناء دراستي للحقوق أو في أثناء خطوبتي؛ فقد غدا كل شيء أسوأ بدلاً من أن يغدو أفضل جراء هذه المسافة الإضافية القليلة.

حديثك لـ.م عن الليلة غير كاف. تقبّل الأعراض ولا تَشْكُ منها، أدخل ذاتك في خضم معاناتك.

قلق القلب

الرابع والعشرون من كانون الثاني:

يا لسعادة المتزوجين في المكتب، صغير السن منهم والمتقدم في العمر على حدّ سواء! ليس هذا في مقدوري، ولو صار في مقدوري فسأجده لا يطاق مع أنه الأمر الوحيد الذي أستطيع بوساطته الوصول إلى أنا مشبعة.

التلكؤ قبل الولادة. إذا كان ثمة تناسخ للأرواح؛ فإنني لم أصل إلى الدرك الأسفل بعد. إن حياتي هي تجسيد للتلكؤ قبل الولادة.

التجلّد، إنني لا أرغب في تطوير ذاتي على نحو معين، إنني أريد أن أذهب إلى مكان مختلف، وهذا يعني في حقيقة الأمر «الذهاب إلى كوكب آخر»، ولعله يكفيني أن أستطيع الوقوف إلى جانب ذاتي قليلاً، ولعله يكفيني أن أعّد المكان الذي أقف فوقه مختلفاً.

كان تطوري بسيطاً؛ فعندما كنت راضياً أردت أن أكون غير راض، واندفعت بكل الوسائل التي أتاحها لي الزمان والتقاليد إلى عدم الرضا. ثم وددت بعدها لو كنت أستطيع أن أعود. ومن الغريب أن يتولد الواقع من الكوميديا عندما تقدم على نحو كاف من التنظيم. إن تراجعي الروحي بدأ من الطفولة، وحدث من خلال لعبة طفولية، بقدر ما أستطيع أن أعي. لقد تركتُ عضلات وجهي ترتعش على نحو مصطنع، وكنت أرغب في قطع المناطق العميقة، ويداي تتقاطعان وراء رأسي. وهي لعبة طفولية كريهة، لكنها ناجحة. (وقد بدأت الكتابة بالطريقة نفسها؛ لولا أن تطورها قد تعثر لسوء الحظ بعد ذلك). ولو كان من الممكن إجبار الشقاء على هذا النحو لكان من الممكن إجبار كل شيء. وبالقدر الذي يبدو فيه تطوري مناقضاً لي، وبالمقدار الذي يبدو فيه مناقضا لطبيعتي كما يراها؛ فإنني لا أستطيع أن أعتقد أن بدايات شقائي كانت ضرورية على المستوى الداخلي. لقد كان من الممكن أن تكون ضرورية من دون أن تكون ضرورتها داخلية، لقد كانت تندفع على شكل مجموعات كالذباب، وكان من المستطاع عندها أن تطرد بيسر.

تعاستي على الشاطئ الآخر ستكون عظيمة، ولعلها ستكون أعظم (نتيجة لضعفي)، وبعد ذلك كله فإن لدي بعض الخبرة، كما أن الرافعة ما تزال تهتز منذ أن حاولت تحويلها؛ فلماذا

أضخم التعاسة على هذا الشاطئ من خلال الحنين إلى الشاطئ الآخر؟

حزين ولحزني أسباب وحزني يتوقف على هذا السبب. دائماً في خطر. لا مفر. ما أسهل الأمر في المرة الأولى، وما أصعبه الآن! كيف كان الطاغية ينظر إليّ بعجز، «هل هذا هو ما تقودني إليه؟»، وعلى الرغم من ذلك فليس ثمة سلام؛ فآمال الصباح تدفن بعد الظهر. من المستحيل أن يصل المرء إلى علاقة وديّة مع حياة من هذا الطراز. وليس ثمة أحد يستطيع أن يفعل ذلك؛ فعندما تمكن الآخرون من الاقتراب من هذه التخوم – حتى أولئك الذين اقتربوا منها على نحو يبعث على الرثاء– نكصوا على أعقابهم، لكنني لا أستطيع أن أفعل ذلك. يبدو الأمر كأنني لم أجئ إلى هنا مختاراً؛ بل دفعت لأني طفل. وهناك تم قيدت بالسلاسل. لكن وعيي الشقيّ بدأ يتضح لي بالتدريج، أما شقائي ذاته فقد اكتمل، وهو لا يحتاج إلى نبوءة؛ بل إلى عين نافذة كي تكون قادرة على رؤيته.

فكرت في الصباح «ثمة فرصة أستطيع من خلالها العيش على هذا النمط؛ لكن عليّ أن أحمي هذه الحياة من النساء»، أحميها من النساء اللاتي استطعن من خلال – «هذا النمط» – التسلل من قبل.

من غير العدل أن يقال إنّكِ تركتني؛ أما القول بأنني قد تُركت، وأن ذلك حدث على نحو مرعب فهو قول صحيح.

وحتى فيما يتعلق بقدرتي على اتخاذ «القرار» فإن لديّ الحق أن أيأس من حياتي يائساً بلا حدود.

السابع والعشرون من كانون الثاني:

شبندلر موهلي[176]. ضرورة الاستقلال عن سوء الحظّ الممزوج بعدم اللياقة مثل: خطأي مع الزلاجة، والحقيبة المكسورة والطاولة المهتزة والضوء الرديء، واستحالة الحصول على الهدوء

(176) Spindlermuehle مدينة قليلة السكان تقع على جبال التشيك. كان يقصدها كافكا للعلاج.

في الفندق، فترة ما بعد الظهر. وما شابه... وهذه أمور بعيدة المنال عندما يهملها المرء؛ لأنها أمور غير قابلة للإهمال، والوصول إليها لا يكون إلا باستدعاء طاقات جديدة.

ثمة مفاجآت بالانتظار هاهنا، وهي تجعل أكثر الناس قنوطاً يقرّ بأن التجربة تثبت بأن شيئاً يمكن أن يتولّد من شيء، وأنّ الحوذي وخيله يمكن أن يزحفوا من حظيرة الخنازير المتداعية*.

قواي الممزقة في أثناء رحلة الانزلاق. إن المرء لا يستطيع أن يصنع الحياة مثل لاعب جمباز يقف على يديه.

الغرابة والسرية وربما الخطورة وربما العزاء المريح هي ما نجده في الكتابة: القفز من صفوف الهراوات القاتلة، مراقبة ما يحدث في الواقع. ومراقبة ما يحدث في الواقع، يصنع فيه لون عال من المراقبة، لون عال وليس لوناً عنيفاً، وكلما ارتفعت المراقبة صارت «الصفوف» عاجزة عن الوصول إليها، وكلما صارت أكثر استقلالية غدت أكثر طواعية لقوانين حركتها الذاتية، وغدت غير قابلة للحصر، وأكثر متعة وصعوداً في طريقها.

على الرغم من أنني كتبت اسمي في الفندق بكل وضوح، وعلى الرغم من أنهم كتبوه مرتين على نحو سليم على أقل تقدير؛ فإن اسمي ظل في القائمة (يوسف. ك Josef K*). ترى هل أوضح المسألة لهم، أم أنّ عليّ أن انتظر الإيضاح منهم؟.

الثامن والعشرون من كانون الثاني:

مشوش الذهن قليلاً، متعب من الانزلاق. ما يزال هناك سلاح لكنني نادراً ما أوظفه، ويصعب عليّ أن أمسك به لأنني جاهل بمتعة استخدامه، فلم أتعلّم ذلك في طفولتي على الإطلاق. إن عدم تدريبي على السلاح لا يعود إلى ذنب الأب وحده؛ بل لأنني أريد تقويض «السلام» وقلب التوازن. ولهذا السبب فإنني لا أرغب في السماح لإنسان جديد مولود في أي مكان أن يرهقني كي أدفنه هنا. إن سؤال «الذنب» يتجلى هنا حقيقة؛ وإلا فلماذا أرغب بمغادرة العالم؟ لأنه «هو» لا يريدني في العالم أو في عالمه على وجه التحديد. إنه ليس لي الحق في الحكم

على هذه المسائل بمثل هذا الحسم؛ لأنني غدوت مواطناً في هذا العالم المختلف الذي يسلك نحو العالم العادي سلوك الصحراء تجاه الأرض الزراعية، منذ أربعين سنة وأنا أتجول بعيداً عن أرض كنعان، وأتلفت صوبها كالغريب، صحيح أنني في هذا العالم المغاير – وهذا متحدّر إليّ من تراث الآباء – الأكثر تفاهة، والأكثر جبناً بين كل المخلوقات. وبقائي على قيد الحياة راجع إلى الطبيعة الخاصة بنظام هذا العالم، حيث يتمكن الرعاع فيه من الوصول بسرعة البرق إلى القمة، وإن كان يمكن أن يحطموا إلى الأبد، مثلما يفعل ضغط البخار. أليس من واجبي على الرغم من كل شيء أن أظل شاكراً؟ ألم يكن يتوجب عليّ أن أجد طريقي في هذا العالم؟ ألم يكن في وسع «النفي» هناك الاتصال مع الرفض هنا لتنفيذ عملية سحقي على الحدود؟ ألم تعد سلطة الأب ضعيفة بحيث لم تعد (هي لا أنا) قادرة على رفض عدم السماح بالإقامة؟ إن المسألة هي في واقع الأمر لون من التيه الصحراوي المعكوس الذي يجد المرء ذاته فيه يقترب على نحو دائم من الصحراء، مصحوباً بآمال طفولية (ولاسيما تجاه النساء): «لعلي قد وصلت إلى أرض كنعان في خاتمة المطاف» – مع أنني كنت منذ زمن طويل في الصحراء؛ وهذه التمنيات ليست أكثر من رؤى اليأس، ولاسيما في الأوقات التي كنت فيها الأكثر بؤساً وشقاء بين الجميع، لذا ينبغي أن تشكل لي أرض كنعان أرض الميعاد، لأنه ليس ثمة مكان ثالث للنوع البشري.

التاسع والعشرون من كانون الثاني:

اعتداءات خلال المشي في الطريق تحت الثلج مساءً، ثمة خليط من الأفكار يدور في رأسي على النحو التالي:

يبدو وضعي في هذا العالم مخيفاً؛ فأنا وحيد في شبندلر موهلي، وأسير فوق ذلك في طريق مهجور، وتنزلق قدماي في الظلام وعلى الثلج الذي يملأ الطريق. وهو فوق ذلك كله طريق بلا معنى، ليس لها هدف أرضي (إلى الجسر؟ لماذا هناك تحديداً؟ فضلاً عن أنني لم أصل إلى هناك أبداً) وفوق هذا فأنا منبوذ في المنطقة، (إنني لا أستطيع أن أرى أن مساعدة الطبيب لي تحمل قيمة إنسانية شخصية؛ فأنا لا أستحقها في نظره، ففي الأعماق يشكل الأجر المدفوع له علاقتي

اليتيمة به)، وعاجز عن التعرف على أحد، وتملؤني الدهشة بلا حدود عندما أرى مجموعة من الناس منشرحي الصدر، (ليس في الفندق مكان للبهجة، ولست أريد أن أمضي بعيداً لأقول إنني السبب في ذلك «أكثر من ذلك الرجل، صاحب الظل الواسع». لكن ظلّي في هذا العالم واسع جداً؛ لذا أنظر بدهشة جديدة إلى مقدرة بعض الناس على المقاومة «على الرغم من كل شيء» ورغبتهم في العيش تحت هذا الظل أو أسفل منه مباشرة. ويبدو أن هناك الكثير مما يمكن قوله في هذا الصدد). وعندما أرى أبوي، لا يعانيان من النبذ ها هنا فحسب؛ بل يعانيانه حتى في براغ «مسقط رأسي» وهما ليسا منبوذين من الناس فهذا ليس الأسوأ، لأنني أستطيع لحظتها الركض خلفهما طالما بقي فيّ عرق ينبض؛ بل منبوذان مني بالمقارنة مع الآخرين، ومن قواي مقارنة مع الآخرين إنّني مسكون بالحب، لكنني عاجز عن أن أحب، وأنا مقصى تماماً، فقد طردت. ونظراً لكوني بشراً فإن جذوري تحتاج إلى غذاء، أما أولئك الذين يمثلونني في «الأسفل» أو (في الأعلى) فهم ممثلون كوميديون. كثيرو الشكوى ضعيفو المستوى، لكنهم قادرون على إقناعي لهذا السبب، (إنهم في الواقع غير قادرين على إقناعي أبداً؛ لذا فأنا منبوذ تماماً)، فغذائي الرئيسي يأتي عبر جذور أخرى إلى هواء مختلف، فضلاً عن أن هذه الجذور تبعث على الرثاء مع أنها تملك القابلية للحياة.

يقودني هذا إلى الاختلاط في تصوراتي، فإذا كانت الأشياء تتبدى على الشاكلة التي تبدت عليها في الطريق المملوء بالثلج، فإن ذلك سيكون مرعباً، وهو يعني أنني ضائع. ليس هذا أمراً يبعث على الفزع بقدر ما هو حكم سريع بالإعدام. غير أنني أحيا في مكان آخر، وإن بقي عنصر الجذب للعالم الإنساني هائلاً، مع أنني قادر على نسيان ذلك خلال لحظة واحدة. لكنّ عنصر الجذب الإنساني قويّ هو الآخر في عالمي. فأولئك الذين يحبّونني لأنني «منبوذ» لا لأنني أشعر بأنني صفحة بيضاء، إنهم يشعرون أن حرية الحركة التي تنقصني تماماً ها هنا أستطيع أن أمتلكها كلّها في الأوقات السعيدة على مستوى آخر تماماً.

لو أنّ (م) جاءت على نحو مفاجئ إلى هنا فإن ذلك سيكون باعثاً على الرعب؛ فعلى المستوى السطحي تبدو حالتي بالمقارنة أكثر تألقاً. ويتوجب عليّ أن أتحلى بالاحترام، كوني

إنساناً وسط مجموعة بشرية، كما يتوجب عليّ أن أبحث عن ألفاظ تتجاوز الصيغ الرسمية، مثلما يتوجب عليّ أن أجلس على طاولة المثلين، (وقامتي أقل انتصابا من هذه اللحظة التي أجلس فيها إلى «المنضدة وأنا على وشك السقوط) كما يتوجب عليّ أن أجاري الدكتور (هـ). على المستوى الاجتماعي، ويعني ذلك أنني سأُقذف إلى عالم لا أستطيع أن أحيا فيه. لكنه يبقى عليّ أن أعرف سرّ سعادتي التي استمرت أربعة عشر يوماً في مارين باد، ولماذا بقيتُ على الرغم من الآلام المبرحة التي تجاوزت الحدود سعيداً، لإمكانية أن التقي ب.م؟ ولعل الصعوبات ستكون أكثر صعوبة من مارين باد؛ فعقيدتي صلبة، وتجاربي أوسع، وما اعتاد الناس أن يسموه جزءاً فاصلاً تحول اليوم إلى جدار، أو سلسلة من الجبال أو على الأصح تحول إلى قبر.

الثلاثون من كانون الثاني:

بانتظار التهاب الرئة. خائف إلى حد كبير، ليس من المرض؛ بل لأجل أمي ومنها، ومن أبي ومن المدير العام ومن الجميع. وهنا يتضح أن ثمة عالمين، وأنني أبدو جاهلاً ومعزولاً ومرعوباً وأنا أواجه المرض، وكأنني أواجه النادل الرئيسي. وأكثر من هذا تبدو القسمة محددّة على نحو دقيق، وفي تحديدها خطر وحزن واستبداد. هل أحيا في عالم آخر؟ وهل أجرؤ على قول ذلك؟

عندما يقول أحدهم:

«لماذا يتوجب عليّ أن اهتم بالحياة؟ إنني من أجل عائلتي فحسب لا أرغب في الموت»؛ لكن العائلة هي التي تمثل الحياة، وهذا يعني أنه يرغب في البقاء حياً من أجل الحياة ذاتها. حسناً إن هذا يمكن أن يسري على أمي، وإن لم يظهر ذلك لأمي في المدة الأخيرة. لكن أليس العرفان بالجميل والشفقة هما اللذين استطاعا أن يفعلا بي ذلك؟ نعم، العرفان بالجميل والشفقة، لأنني أراها وهي في هذا العمر تسعى لبذل طاقة لا تعرف الكلل، كي تعوضني عن انقطاع صلتي بالحياة، لكن أليس العرفان بالجميل هو الحياة أيضاً؟

الحادي والثلاثون من كانون الثاني:

إن هذا قد يعني أنني أعيش لأجل والدتي، وهو أمر غير صحيح. ولو كانت أهميتي تتفوق بكثير على واقعي؛ فسأبقى رسولاً للحياة حتى لو لم تربطني بها صلة أخرى غير هذه المهمة.

إن السلبي وحده- مهما بلغت قوته- لا يستطيع أن ينجز كما أظن ما تستطيع أن تنجزه أوقات التعاسة، ولو أنني تمكنت من صعود درجة بالغة الصغر نحو الأعلى حتى لو كانت لبلوغ أكثر أنواع الأمان التباساً بالنسبة لي؛ فإنني سأتمدد على تلك الدرجة، منتظراً قدوم ذلك السلبي، ولا أصعد نحو ذاتي؛ بل أدحرجها.

لذلك فإن لدي غريزة دفاعية لا تستطيع التسامح مع أدنى درجات القبول التي لا تمانع بتحطيم سرير الزواج قبل أن يتم نصبه.

الأول من شباط:

لا شيء؛ مُتْعَب لا غير. سعادة سائق العربة الذي يعيش أمسياته كلها مثلما أعيش هذا المساء؛ بل على نحو أكثر جمالاً. فهو يتمدد مساء على سبيل المثال فوق الفرن؛ لأن المرء يكون أكثر صفاء من الصباح، ولأن زمن ما قبل الوقوع متعباً في النوم هو الوقت الحقيقي الذي لا تتراءى الأشباح فيه المرء، حيث تطرد، وهي لا تستطيع العودة إلا عندما يتقدم الليل، لتتجمع ثانية عند الصباح، حتى لو لم يكن في مقدور المرء تمييزها، ثم تبدأ- كما يحدث عند الإنسان السليم- عمليات طردها من جديد.

النظر بعينين بدائيتين هو الصدق الحقيقي غير القابل للجدل، وهو صدق لا تعكره الظروف الخارجية (الشهادة، التضحية لأجل إنسان آخر) باستثناء الألم الجسدي. من الغريب أن إله الألم لم يكن الإله الأكبر في الديانات الأولى؛ (بل لعله كان في البداية يقع في المؤخرة). لكل مريض إلهه المنزلي؛ فلمريض السل إله الاختناق، ترى كيف يمكن للمرء أن يطيق اقترابه، إذا لم يشاطره سلفاً ذلك الاتحاد المرعب؟.

الثاني من شباط:

عراك في الطريق إلى تانن شتاين قبل الظهر، وصراع عند مشاهدة قفزات التزلج. الصغير السعيد (ب) بكل ما يمتلكه من براءة، تظلله أشباحي على نحو ما، ولاسيما تلك الساق المعروضة بجوربها الرمادي المستدير، والنظرة المتجولة بلا معنى، والكلمات التي بلا معنى. لقد خطر ببالي – لكن ذلك متكلف – أنه يريد أن يصاحبني إلى المنزل عند المساء.

ربما يكون «الصراع» مرعباً إذا كان عليّ أن أتدرب على أعمال التجارة.

إن السلبي الذي سيعظم ويتسع في أغلب الظن من خلال «العراك» يجعل القرار يقع بالقرب من الجنون والأمن.

السعادة هي أن تكون مع الناس.

الثالث من شباط:

لا أكاد أستطيع النوم، مبتلى بالأحلام، وكأنها محفورة في أعماقي فوق مادة صلبة.

ضعف وعيب واضح، لكنه عصيّ على التوصيف، وهو مزيج من الجبن والتحفظ والثرثرة والفتور. إنني أقصد توصيف شيء بعينه، مجموعة من نقاط الضعف التي تجسد من منظور محدد سجايا ضعيفة، (لا صلة لها بالرذائل الكبرى كالإفراط في الكذب والغرور... الخ) إن هذا الضعف يحول بيني وبين الجنون، مثلما يحول بيني وبين التقدم إلى الأمام. ولكونه يحول بيني وبين الجنون فقد اعتدت أن أضحي، نظراً للخوف من الجنون، بالتقدم، وأن أكون على وجه اليقين الخاسر في هذه الصفقة، مع أنه ليس هناك صفقة في هذا المستوى، شريطة أن لا يتدّخل النعاس ليدمر من خلال نشاطه الليلي – النهاري كل ما يقف في وجهه، والكشف عن ملامح الطريق. عندها سيستولي عليّ الجنون؛ لأنني راغب عن هذا التقدم الذي يصل المرء إليه عندما يريد.

الرابع من شباط:

البرد القارس، الوجه المتغير، وجوه الآخرين المبهمة. ما قالته (م) من غير أن تكون قادرة على استيعاب حقيقة الأمر (هناك لون من الكبرياء الحزينة المسوغة تماماً) فيما يتعلق بمتعة الثرثرة مع الناس. كيف تستطيع الثرثرة أن تسعد الجميع باستثنائي؟ لقد فات الأوان في غالب الظن للعودة من خلال طريق ملتوية غريبة إلى الناس.

الخامس من شباط:

أهرب منهم! نوع من أنواع القفزات الرشيقة. في المنزل إلى جانب المصباح الكهربائي في الغرفة الهادئة. من الطيش أن تقول ذلك؛ إنها تناديهم من الغابة، وكأن أحداً يشعل المصباح كي يساعدك للعثور على الطريق.

السادس من شباط:

العزاء في الاستماع إلى إنسان سبق له أن خدم في باريس وبروكسيل ولندن وليفربول، وقطع الأمازون بالباخرة البرازيلية وصولاً إلى حدود البيرو، استطاع أن يحتمل نسبياً تأثيرات المعاناة المرعبة للحملات الشتوية الحربية على المجتمعات السبعة، لأنه اعتاد منذ الطفولة على مواجهة المتاعب. إن العزاء لا يكمن في إيضاح إمكانية حدوث تلك الأشياء؛ بل في السعادة التي يستشعرها المرء عند تحقيق هذه الإنجازات من جهة، وعندما يدرك أن أشياء أخرى كثيرة من جهة أخرى ينبغي أن تنجز، وأن هناك الكثير مما ينبغي انتزاعه من القبضات المتصلبة، إن ذلك أمر ممكن.

السابع من شباط:

مصان، ومستهلك من ك. وهـ.

الثامن من شباط:

أقصى درجات الاستغلال من الطرفين، ومع ذلك فأنا عاجز عن الحياة على تلك الشاكلة، وهي ليست حياة أصلاً. إنها لعبة شدّ الحبل التي يظل الآخر يحاول فيها على نحو متواصل، ثم يفوز، لكنه لا يستطيع على الإطلاق أن يجرني إلى الجانب الآخر، لقد سقطت في حذر هادئ شبيه بالأيام الخوالي مع م.

التاسع من شباط:

أضعت يومين، واستخدمتهما على كل حال من أجل الاستقرار.

العاشر من شباط:

لا أستطيع أن أنام. فاقد لأدنى درجة من درجات العلاقة مع الناس، باستثناء ما يمكن أن يبادروا به، وهذا أمر استطاع أن يقنعني للحظات، شأنه شأن أي فعل يفعلونه.

هجوم جديد ل ج. من الواضح– أكثر من أي شيء آخر– أن خصوماً أقوياء يهاجمونني من اليمين واليسار، وأنني لا أستطيع الهرب نحو اليمين ولا نحو اليسار، ولا يسمح لي بالتقدم إلا نحو الأمام، ثمة حيوان جائع يقودك إلى طريق الغذاء القابل للتناول، والهواء القابل للتنفس، وإلى الحياة الحرّة، حتى لو كانت ستقودك إلى ما بعد الحياة: إنك تقود الجموع، أيها القائد الحربي الطويل الضخم قُدْ اليائسين عبر الممرات الجبلية، وراء الثلوج، التي لم تطأها قدم إنسان! ومن هو الذي يمنحك القوة يا ترى؟ ومن الذي يمنحك وضوح الرؤية؟.

كان القائد العسكري يقف على نافذة الكوخ المتداعي، ويحدق بعنين واسعتين لا يغمض لهما جفن، نحو الفرق التي كانت تسير بصفوف منتظمة تحت أشعة القمر الباهتة. وكان يبدو له من حين لآخر أن ثمة جندياً يقف خارج تلك الصفوف المنظمة، يتوقف عند النافذة، ويلصق وجهه على لوح الزجاج، ثم ينظر نحوه للحظة، ويمشي بعدها في خط سيره المعتاد. وعلى

الرغم من أنه كان يتوقف في كل مرة جندي آخر مختلف؛ فقد كان يبدو للقائد أنه الجندي نفسه، بوجهه ذي العظام الضخمة، وخديه المنتفختين، وعينيه المستديرتين، وبشرته الغليظة الشاحبة. وعندما كان الجندي يغادر كان يصلح من وضع حزامه، ويهز كتفيه، وتضطرب ساقاه، كي يتمكن من اللحاق بالمشية المنتظمة للفرق التي كانت تسير كالمعتاد في الخلف. ولم يرغب القائد في تحمل المزيد من هذه اللعبة؛ فوقف للجندي القادم بالمرصاد، وفتح النافذة بعنف في وجهه، وأمسك بتلابيبه وقال له: «هيا إلى الداخل»، ثم أفسح له المجال ليصعد من خلال النافذة، بعدها دفع القائد العسكري الجندي نحو الزاوية، ووقف قبالته وسأله: «من أنت؟»

- «أنا لا أحد» قال الجندي وهو يرتعش.

- «هذا هو المنتظر» قال القائد العسكري. ثم سأله: «لماذا كنت تنظر نحو الداخل؟»

- «كي أرى إذا كنت لا تزال ها هنا».

الثاني عشر من شباط:

لم يكن الشبح الرافض الذي اعتدت لقاءه هو الذي قال: «أنا لا أحبك»؛ بل إنه هو الذي قال: «إنك لا تستطيع أن تحبني بالقوة التي تريدها؛ فأنت شقيٌّ في حبك لحبي لأن حبّك لي لا يحبك»، وفي ضوء ذلك يبدو من غير الصواب أن يقال إنني أعي مدلول معنى «أنا أحبك»؛ فأنا لم أعرف سوى الهدوء المنتظر الذي انكسر عند «أنا أحبك»، هذا هو كلّ ما أعرفه ولا شيء سواه.

الخوف عند التزلج، الرعب من المشي فوق المناطق المتجمدة، الملساء. قرأت اليوم قصة قصيرة أعادت لي مجدداً الأفكار التي ظلت على مقربة مني، ولم أنتبه لها طويلاً، وهذه الأفكار تتلخص فيما إذا كان السبب وراء تدهوري يكمن في الأنانية الجنونية، وفي القلق المتزايد على ذاتي، وهو ليس قلقاً على الأنا العليا؛ بل هو قلق مبتذل على وجودي، لدرجة يبدو معها أنني تخلصت من نوازع الانتقام (ولاسيما أن اليد اليمنى لا تدري ماذا تفعل اليسرى). في مكتبي يجري الحساب كأن حياتي ستبدأ غداً، مع أنني على مشارف النهاية.

الثالث عشر من شباط:

إمكانية أن يخدم المرء بعاطفته كلها.

الرابع عشر من شباط:

تأثير الراحة فيّ، وضعفي من دونها. إنني لا أعرف أحداً لهما عليه مثل هذا التأثير الكبير، وبناءً على ذلك فإنّ كل ما أفعله واه وغير مستقر؛ فالخادمة التي نسيت أن تحضر لي الماء الساخن في الصباح قلبت عالمي رأساً على عقب. ومن يومها والراحة تكدر عالمي، فهي لم تكتف بسلبي قوة تحملّ الأشياء؛ بل سلبتني القدرة على خلق الراحة، التي تتشكل وحدها من حولي، أو أتوصل إليها من خلال التوسل أو البكاء أو التنازل عن أشياء مهّمة.

الخامس عشر من شباط:

قليل من الغناء أسفل مني، قليل من الضجة في الممر بسبب إغلاق الباب، وبعدها يضيع كلّ شيء.

السادس عشر من شباط:

قصة شقوق المجرى الجليدي.

الثامن عشر من شباط:

مدير المسرح الذي يتوجب عليه أن يخلق الأشياء منذ نقطة التأسيس، يتوجب عليه أن يربي الممثلين قبل كل شيء، لا يسمح للزوار بالدخول؛ فالمدير منشغل بأشغال مسرحية مهمة. ما هذا؟ إنه يبدل الحفّاظات لممثلي المستقبل!.

التاسع عشر من شباط:

آمال؟.

العشرون من شباط:

حياة غير جديرة بالاهتمام، وأخطاء جديرة بالملاحظة.

الخامس والعشرون من شباط:

رسالة.

السادس والعشرون من شباط:

إنني أوافق – لمن أمنح موافقتي؟ للرسالة؟ إنّ الفرص تكمن في داخلي، وهي فرص على مقربة مني، مع أنني لا أعرفها حتى اللحظة، وإن كنت في طريقي إلى معرفتها، وعندما وجدتها، سأغامر! هذا يشير إلى أشياء عظيمة كثيرة:

إن ثمة فرصاً، بل إن هذا يعني إمكانية أن يتحول الوغد إلى إنسان مخلص، سعيد في إخلاصه.

خيالاتك في مرحلة الوسن في المدة الأخيرة.

السابع والعشرون من شباط:

نوم رديء فترة ما بعد الظهر، لقد تغير كل شيء، لقد بدأت تعاستي تضغط عليّ من جديد.

الثامن والعشرون من شباط:

منظر البرج والسماء الزرقاء. يبعث على الهدوء.

الأول من آذار:

«ريتشارد الثالث». العجز

الخامس من آذار:

ثلاثة أيام في السرير. حفلة صغيرة إلى جانب سريري. انقلاب. هروب هزيمة كاملة. التاريخ العالمي دائم الدخول إلى الغرف.

السادس من آذار:

رزانة جديدة وإرهاق.

السابع من آذار:

كانت ليلة أمس أسوأ ليلة عشتها؛ وكأن الأشياء كانت كلها في نهاياتها.

التاسع من آذار:

كان الأمر في البداية مجرد إرهاق؛ أما اليوم فهو هجوم جديد جعل العرق ينزف من فوق الجبين، ترى كيف يبدو الأمر عندما يخنق المرء ذاته حتى الموت؟ وعندما يصغر تحت وطأة الاستبطان الذاتي الفتحة التي يستطيع المرء أن يتدفق عبرها نحو العالم أو يسدها؟ إنني غير بعيد عن تلك اللحظة؛ فثمة نهر ينساب عكس التيار، وهو أمر غالباً ما كان يحدث منذ وقت طويل.

امتط حصانك المعد للهجوم من أجل نزهتك الخاصة، الفرصة اليتيمة. ولكن أيّ قوة ومهارة يتطلب الأمر؟ وكم تأخر الوقت عن ذلك؟

العيش في الغاب، الغيرة من السعادة والطبيعة التي لا تعرف الكلل ولا الملل، وقوتها البادية للعيان (مثلي تماماً) تعاني العوز الشديد، على الرغم من أنها لا تكف عن تلبية طلبات الخصوم جميعاً، وبكل سهولة وانسجام.

في الماضي كنت أشعر بالسعادة، عندما كان الألم الذي يصيبني يتلاشى؛ أما اليوم فلا أشعر سوى بالارتياح، وإن ظل شعور بالمرارة يخالطني. (أن تكون معافى من جديد، ولا شيء أكثر من ذلك).

في مكان ما تكون المساعدة بالانتظار، أما الحادي فيقودني إلى هناك.

الثالث عشر في آذار:

المشاعر النقية التي أمتلكها، والوضوح إزاء العوامل التي ولّدتها، منظر الأطفال، ولاسيما إحدى الفتيات (المشية المنتصبة، والشعر الأسود القصير)، وأخرى (شقراء غير واضحة القسمات، وباهتة الابتسامة)، الموسيقى التي تبعث على البهجة. الخطوة المنتظمة. إنها مشاعر إنسان يعاني من العوز ويرى المساعدة قادمة، لكنه لا يفرح لأنه سينقذ؛ مع أن أنقاده لم يقع، لكنه يفرح لأن شباباً ملؤهم الثقة قد وصلوا، وهم على أتم استعداد للبدء بالقتال. صحيح أنهم يجهلون ماذا ينتظرهم؛ لكنه جهل لا يثير اليأس بل الإعجاب والفرح مثلما يستنزل الدموع. كما أن الكراهية نحو أولئك الذين يقاتلونهم تختلط بتلك المشاعر. (لكنها مشاعر يهودية ضئيلة. كما أظن).

الخامس عشر من آذار:

اعتراضات على الكتاب:

التبسيط كي يغدو في مستوى العامة، ومع الرغبة، إضافة إلى السحر. كيف استطاع أن يتهرب من المخاطر؟ (بلوهر*) Blueher [177].

الهروب إلى بلد يستولي عليه حديثاً، لكنك سرعان ما تجده بلداً لا يطاق، لذلك لا تستطيع أن تجد بلداً يمكنك أن تهرب إليه لم يولد بعد، لكنه مضطر كي يتجول في الشوارع، وأن يتحدث مع الناس.

العشرون من آذار:

حديث المائدة لحظة تناول طعام العشاء يدور حول القتلة والإعدام. الصدر الذي يتنفس برباطة جأش لا يعرف الخوف، كما أنه لا يعرف الفرق بين القتل المخطط له وبين القتل الذي أنجز.

الثاني والعشرون من آذار:

بعد الظهر: حلمت بوجود دمّل فوق خدي، إنها الحدود الدائمة المضطربة بين الحياة العادية والرعب الذي يبدو أكثر واقعية.

الرابع والعشرون من آذار:

كيف كانت تقف لي بالمرصاد؟ ففي الطريق في أثناء ذهابي إلى الطبيب على سبيل المثال كانت غالباً ما تكون هناك.

التاسع والعشرون من آذار:

في مهب العاصفة.

(177) يشير كافكا إلى الفيلسوف الألماني هانز بلوهر (1888–1955).

الرابع من نيسان:

ما أطول المسافة بين الكرب الداخلي وصولاً إلى أحد المشاهد التي وقعت في إحدى الساحات، وما أقصر طريق العودة. وبما أن المرء وصل إلى وطنه فلا مجال لمغادرته على الإطلاق.

السادس من نيسان:

الانفجار الذي اندلع يوم أمس هو ما كنت أخشى وقوعه منذ يومين، نتائج لاحقة، قوة الأعداء الكبرى. أحد تلك الأسباب: الحوار مع أميّ، السخرية من المستقبل الرسالة التي أخطط بإرسالها إلى ميلينا Milena. آلهة الثأر الثلاثة. الهرب نحو الغابة الصغيرة. ميلينا.

السابع من نيسان:

اللوحتان والتمثالان الطيفيان في المعرض.

أميرة الأساطير كوبين Kudin[178]، عارية فوق الديوان، تنظر عبر النافذة المفتوحة، المنظر الطبيعي المترامي الأطراف في الخارج، من النوع الذي يبعث على الانطلاق، كما هو الحال في لوحة شفند Schwind.

فتيات عاريات لبرودر Brueder*، ألمانيا من بوهيميا، رشاقتهن لا تجارى، وهنّ ملك عشاقهن، نبيلات، رائعات، فاتنات.

بيتش Pietsch فتاة ريفية جالسة، تضع رجلاً تحت الأخرى، بمتعة وهدوء. عقباها محنيتان. فتاة منتصبة القامة، تطبق بذراعها اليمنى على جسدها، مروراً ببطنها. في حين تدعم ذراعها اليسرى الرأس من تحت الذقن، وجه نادر المثال. ذو أنف عريض، ساذج، عميق الغور.

رسالة من شتروم.

(178) يصف كافكا لوحة للرسام النمساوي الهنغاري ألفرد كوبن (1877–1959).

العاشر من نيسان:

المبادئ الخمسة التي تقود إلى الجحيم (مرتبة حسب التسلسل الوراثي).

1. «الأسوأ يقع خارج النافذة»، وما سواه يعدّ ملائكياً، إما على نحو صريح، وإما بالتجاهل الصامت (وهذا هو الأغلب).

2. «يتوجب عليك امتلاك كل فتاة» ليس على الطريقة الدونجوانية؛ بل في ضوء التعبير الشيطاني «الاتيكيت الجنسي».

3. «من غير المسموح لك تملّك هذه الفتاة»، كما أنك غير قادر على امتلاكها للسبب نفسه، سراب سماوي في الجحيم.

4. «كل شيء يقوم على مبدأ الضرورة»، ولأنك مضطر فاقنع بما لديك.

5. «الحاجة هي كل شيء»، ولكن كيف تستطيع الحصول على كل شيء؟.

وفي ضوء ذلك فإنك لا تمتلك حتى حاجتك.

كنت بريئاً، قليل الاهتمام بالمسائل الجنسية، (أتمنى لو بقيت طويلاً على تلك الحال، ولم تندفع مضطرة تلك المسائل نحوي)، شأن اهتمامي في هذه الأيام بالنظرية النسبية على سبيل المثال، فلا يخطر ببالي سوى التفصيلات التافهة، (وحتى تلك فلا تخطر على بالي إلا بعد تدريب محدد)، فعلى سبيل المثال، إن هؤلاء النسوة اللاتي يظهرن في الشارع على نحو يجمع بين الجمال الفائق وحسن المظهر من المتوقع أن يكن رديئات.

الشباب الخالد مستحيل، حتى لو لم تكن هناك عقبة أخرى، إنّ الاستبطان الذاتي يجعله أمراً مستحيلاً.

الثالث عشر من نيسان:

آلام ماكس. قبل الظهر في مكتبه.

بعد الظهر مقابل كنيسة. (فصح الأحد).

شابة صغيرة في الثامنة عشرة، أنف، شكل الرأس، الشقرة، تأملها من الجانب على نحو عابر، خرجت من الكنيسة.

السادس عشر من نيسان:

آلام ماكس، المشي بصحبته. سيغادر يوم الثلاثاء.

السابع والعشرون من نيسان:

يوم أمس كانت شابة مكابية* في إدارة تحرير «الدفاع الذاتي» Selbswehr تتصل هاتفياً: «لقد جئت خصيصاً كي أساعدك»، صوتها واضح ودود وكذلك لغتها.

بعدها بقليل فتح الباب لـ. م.

الثامن من أيار:

العمل بالمحراث. إنه يحفر عميقاً، ويدخل إلى هناك بانسياب، وقد يكتفي بشق الأرض، أو يتحرك إلى الأمام بشفرة المحراث، ويرفعها إلى الأعلى عبثاً، وجود تلك الشفرة أو عدمه سيان.

التأم العمل بالطريقة التي يستطيع فيها جرح غير قابل للشفاء أن يلتئم.

هل تسميه حواراً عندما يكون الطرف الآخر صامتاً وتضطر أنت من أجل الإبقاء على مظهر ذلك الحوار أن تكون بديلاً عنه، فتقلده، ثم تقلده على نحو ساخر؛ أي أن تقلد نفسك على نحو ساخر.

كانت (م) هنا. وهي لا ترغب في القدوم ثانية، ولعلها كانت حكيمة، ومحقة في ذلك القرار، ولعل هناك إمكانية أن نحرس بابها المغلق معاً، حتى لا تفتحه. وأكثر من ذلك خشية أن نفتحه نحن؛ لأنه لن ينفتح من تلقاء نفسه.

الثاني عشر من أيار:

«Maggid» * التنوع الذي لا ينقطع وفي وسط ذلك كله تجيء النظرة العاطفية المؤثرة للقوة الباهتة في تنوعها[179].

من Pilger Kamanita من الفيدا:

أيها العزيز لو أن رجلاً أحضر من بلاد قندهار بعينين معصوبتين، ثم ترك في أرض مقفرة، وصار بعدها يتجول شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، لأنه جيء به إلى هنا وعيناه معصوبتان، وفي لحظة ما يفك أحدهم الرباط عن عينيه ويقول له: «هناك يسكن أهل قندهار، فعد إليهم»*. بعدها يشرع الرجل بالتنقل بين القرى ويسأل ويستنير، ويستعلم عن كيفية العودة إلى وطنه قندهار. وكذا الحال لو أن رجلاً وجد هاهنا معلماً يعي: «أنني سأظل أنتمي إلى هذه السلالة الأرضية حتى يجيء خلاصي، وبعدها أذهب إلى وطني».

في الموضع نفسه: «وكل واحد طالما ظل باقياً في جسده؛ فإن الناس والآلهة تراه، أما عندما يموت ويتحلل جسده بعد الموت فإن الناس والآلهة لن يروه، وكذا الحال بالنسبة للطبيعة التي ترى كل شيء لن تعود قادرة على رؤيته؛ فقد أصاب عينيها بالعمى، وبذلك يكون قد اختفى عن الشر».

التاسع عشر من أيار:

إنه يشعر بأنه مهجور عندما يكون ثاني اثنين أكثر مما يكون وحيداً، فعندما يكون مع آخر. يمد هذا الآخر يد المساعدة نحوه؛ لكنه يبدو عاجزاً عن تقديم المساعدة، أما عندما يكون وحيداً فإن البشرية كلها تمد يدها نحوه، لكن تلك الأيادي الممدودة التي لا حصر لها تتشابك فلا يصل إليه يد منها.

(179) هذه الرواية للكاتب الدنماركي Karl Adolf Gjellerup (1857–1919) الذي حصل على جائزة نوبل عام 1917. أما الفيدا فهي الكتب الهندوسية المقدسّة.

العشرون من أيار:

البناؤون الأحرار على Altstaeader Ring[180] ، الحقيقة الممكنة في كل خطاب وتعاليم.

الفتاة القذرة بقدميها الصغيرتين الحافيتين، تركض بقميصها وشعرها المتطاير.

الثالث والعشرون من أيار:

من غير الصحيح أن يقال عن إنسان ما: إنّ الأمور كانت ميسرة له، أو أن معاناته كانت قليلة؛ فالصحيح أن يقال: إن طبيعته كانت على هذه الشاكلة لدرجة أنه يتعذر أن يصيبه شيء، أما الأصح:

فهو أنه عانى كل شيء؛ لكن ذلك حدث في لحظة واحدة مشتركة، وكيف يمكن أن يستطيع رؤية هذا الذي يحدث له، إذا كانت تنوعات الألم حقيقية، أو من خلال قوتها الآمرة، قد تلاشت؟ (عجوزتان إنجليزيتان في تين Taine).

الخامس من حزيران:

جنازة ميزل بك *Myslbeck، موهبة ل «العمل الترقيعي».

السادس عشر من حزيران:

بصرف النظر تماماً عن الصعوبات غير القابلة للتجاوز التي اعتادت القوة الفلسفية والرؤيوية لبلوهر Blueher[181] أن تقدمها؛ فإن المرء يجد نفسه وهو يعرض للكتاب في وضع صعب، بسبب سهولة الوقوع في دائرة الريبة، مع كل ملاحظة يبديها، وهو يريد أن يفرغ من أفكار ذلك الكتاب على نحو ساخر. ويقع المرء في دائرة الاتهام حتى في حالة مثل حالتي، التي ليس

(180) السوق المركزي في براغ القديمة.

(181) لعل كافكا يشير إلى كتاب بلوهر «الرايخ الألماني اليهود والاشتراكية»، الذي صدر عام 1920.

في ذهن صاحبها في أثناء مواجهة الكتاب غير السخرية. وهذه الصعوبة في عرض كتابه لها نظيرها من الصعوبات، التي لا يستطيع بلوهر نفسه تجاوزها. فهو يعد نفسه مناهضاً للسامية من دون حقد، Sine ira et studio[182] ، وهو حقاً كذلك لكنه يثير الريبة بسهولة أثر كل ملاحظة، إنه عدو لليهود سواء أكان ذلك من باب الحقد السعيد أو الحب الشقي. إن هذه الصعوبات تقف مثل معطيات الطبيعية واحدة قبالة الأخرى، ومن الضروري أن يتنبه إليها، كي لا يقع المرء عند تمحيصه للكتاب في الأخطاء، ويكون عندها عاجزاً عن مواصلة اقتحامه.

وطبقاً لبلوهر فإن المرء عاجز عن نقض اليهودية على نحو استقرائي، سواء كان ذلك بطريقة إحصائية، أم في ضوء الاعتماد على التجربة؛ فهذه الأساليب لمناهضة السامية القديمة لا تستطيع التغلب على اليهودية، فهي قد تستطيع دحض الشعوب الأخرى بالأساليب نفسها. لكن اليهود– شعب الله المختار– قادرون على تقديم إجابات محددة تؤكد براءتهم من كل تهمة يثيرها المعادون للسامية. إن بلوهر يقدم عرضاً سطحياً خالصاً على كل حال لتلك الاتهامات بعينها والإجابات عنها.

إن كون هذه المعلومة تخص اليهود وحدهم، ولا تخص الشعوب الأخرى هو أمر عميق وصحيح. ويستخلص بلوهر استنتاجين من ذلك، واحد كلي وآخر جزئي (.. انقطاع).

الثالث والعشرون من حزيران:

بلانا *Plana.

السابع والعشرون من حزيران:

الهجمات. التمشي مع الكلب مساء أمس TVRZ. Sedlec. الطريق المزروعة بأشجار الكرز على الجانبين، القريبة من مدخل الغابة، تولّد الشعور عند المرء بالعزلة داخل غرفة. عودة المرأة

---

(182) عبارة لاتينية معناها: «دون غضب وحماس».

والرجل من الحقل. الفتاة التي تقف بباب الأصطبل الخاص بفناء المزرعة الخربة تبدو كأنها في صراع مع ثدييها الكبيرين. إنها نظرة حيوانية بريئة مهذبة. الرجل ذو النظارة الذي يجر حمل قارّة من العلف، متقدم في السن، محدودب الظهر قليلاً؛ لكنه مع ذلك يمشي وقامته منتصبة تماماً، بالنظر إلى ما يبذله من مجهود، أما المرأة التي تحمل المنجل فتارة تكون إلى جانبه، وتارة أخرى تكون خلفه.

السادس والعشرون من أيلول:

مرّ شهران لم أدون فيهما شيئاً. عشت أوقاتاً طيبة استثنائية يعود الفضل فيها إلى أوتولا. انهيار صحي قبل بضعة أيام. في يومه الأول أجرى نوعاً من الاكتشاف للغابة.

الرابع عشر من تشرين الثاني:

درجة الحرارة مساء هي على الدوام: 6 ,37 ,7 ,37. أجلس إلى الطاولة من دون أي نتيجة على الإطلاق، لا شيء يكاد يحدث حتى في الشارع. التظاهر رغم ذلك بعدم الشكوى من المرض.

الثامن عشر من كانون الأول:

أمضي الوقت بأكلمه في السرير، أمس كان الوضع: «إما / أو»*.

(1923)

الثاني عشر من حزيران:

الأوقات المرعبة في الآونة الأخيرة غدت لا تحصى، وتمر من غير انقطاع تقريباً. التمشي. ليالٍ. أيام. لم أعد قادراً على شيء سوى تحمل الآلام.

ومع ذلك لا. «ومع ذلك» فأنت تراني خائفاً ومتوتراً. كريتس أنوفاسكايا Krizanowaskaja على البطاقة البريدية أمامي.

الخوف المتزايد عند الكتابة ذلك أمر مفهوم؛ فكلّ كلمة تتحول في أيدي الأرواح – إن اهتزاز اليد هي الحركة المميزة لها – تتحول إلى رمح ينطلق صوب المتكلم. وعلى وجه الخصوص صوب ملاحظة كهذه، على نحو لا ينتهي. أما العزاء فهو: أن ذلك يحدث شئت أم أبيت، أما ما تريده فلا يساعدك إلا على نحو ضئيل. وأكثر من العزاء هو: أنك تمتلك سلاحاً أيضاً.

ملاحظات المحرّر

ص 19 سطر 7

تبدو هذه السطور الأربعة التي تلي السطر الأول كأنها قطعة تنتمي إلى إحدى القصص، وإن كان قد فصل بينها في المخطوط بخطوط أفقية.

ص 19 سطر 8

Eduardowa إشارة إلى المسرحية التي عرضتها فرقة «الباليه الروسية» على المسرح الألماني في براغ.

ص 20 السطر الأخير

الاختباء: يلي ذلك على صفحات المخطوط رسومات بالريشة، نجد لها شبيها في غالب صفحات المخطوط.

ص 21 سطر 2

الخيّاطات:

يعتمد على هذه الملاحظة ما سيدونه كافكا في 1910/12/16 عن عمل هاوبتمان «عذارى بيشوفزبيرغ»

ص 25 سطر 2

يليها تحت عنوان قصة «أن تكون شقياً»، وهي مأخوذة من «تأمل» (قارن ب: قصص وقليل من النثر)، لكن ما دونه كافكا ها هنا يتوقف قبل نهاية القصة ببضعة سطور. ويلي ذلك وعلى صفحة منفردة عنوان وحيد «مساكن الأطلال الصغيرة» الذي يبدو أنه على صلة بشذرات سابقة للنقد الإصلاحي. وهذه الشذرات اللاحقة تصنع لوناً من الموازييك يصعب تنظيمه، ويتكرر العديد من جزئياته حيث تبدأ القصة على الدوام بالكلمات المعتادة، لتبدأ عام 1911 موجة منفردة. وهذا الجزء كلّه على تماس كثير مع بعض فصول «وصف واحد من النضالات»، (قارن على وجه الخصوص محادثات مع بيتر، وفيما بعد الدراسة التي نشرها كافكا تحت عنوان «كشف أحد الغشاشين»).

ص 30 سطر 4

الشاعر Paul claudel هو القنصل الفرنسي آنذاك في براغ. ولم يسبق لكافكا أن تعرف إليه.

ص 30 سطر 6

فيغلر. هو Paul wiegler مترجم «أساطير أخلاقية» من تأليف Jules laforgue، وقد شكلت الترجمة لكافكا ولي مثلما شكل الأصل حدثاً كبيراً. ويمكن للمرء أن يتلمس بوضوح تأثير أشعار laforgue في بعض قصائد ڤيرفل، وقد ألف ڤيغلر بعد ذلك «ماضي المسرح الفرنسي»، فضلاً عن كتابه المفيد والموسوعي «تاريخ الأدب الألماني»، كما عمل محرراً في برلين وبراغ، وأخيراً في دار نشر أولشتاين في برلين. وقد توفي سنة 1949.

ص 34 سطر 7

عذارى بيشوفز بيرغ مسرحية فكاهية من تأليف غيرهارد هاوتيمان Gerhard Hauptmann.

ص 36 سطر 1

الزيارة:

ترك كافكا ثلاث شقيقات وعائلاتهن، وجميع شقيقاته بمن فيهن أوتلا ottla شقيقته المفضلة قضين نحبهن في معسكرات التعذيب، كما توفي في تلك المعسكرات صهراه، وواحد من أبناء شقيقاته، وكثير من الذين ذكرهم كافكا في يومياته من الذين كانوا على صلة قريبة به.

ص 37 سطر 6

باوم: الشاعر الأعمى Oskar Baum أحد الأصدقاء المقربين لكافكا وناشر كتبه. وقد توفي في أثناء الاحتلال الألماني لمدينة براغ 1940 أما زوجته فقد توفيت في الغيتو: Theresien stdt. أما أهم أعماله فهو روايته عن الخزر وعنوانها «شعب النوم العميق».

ص 46 سطر 16

المجتمع:

شطب كافكا الفقرة الأخيرة.

ص 47 سطر 4

Promenior ذكريات عن الرحلة الباريسية في العام السابق (1910).

ص 54 سطر 11

اليهوديات:

روايتي التي صدرت عام 1911. وثمة ثلاثة انتقادات تتضمن اعتراضات أخرى مشابهة.

ص 55 سطر 10

Dr. Steiner «كيف يحصل المرء على معلومات عن العالم العلوي»؟ وهو عنوان أحد كتب رودولف شتاينر.

ص 59 سطر 16

أن أحدس: ينتمي هذا النص للقصة التي كانت قد ابتدأت في 1910/7/19.

ص 61 سطر 6

لقد كان من عادة: بين هذه الفقرة والتدوين السابق يقع كتاب الرحلات الخاص ب لوغانو- باريس - إيرلن باخ. ولهذا التدوين صلة بمخطط رواية «ريتشارد وصموئيل» التي تولدت في تلك الرحلة. (قارن ب: قصص وقليل من النثر).

ص 66 سطر 21

لونغن Longen:

كتب في وقت لاحق سيرة يروسلاف هاشك Jaroslav Hasek مؤلف كتاب «الجندي الشجاع شفيجك»، أما غرونباوم Gruenbaum المذكور في الملاحظة نفسها فهو الكوميدي المعروف.

ص 69 سطر 10

Kol nidre الصلاة الافتتاحية عشية يوم الغفران.

ص 75 سطر 16

Café savoy يدور الأمر حول فرقة تمثيلية متجولة ليهود شرقيين صار لها في التطورات التي شهدتها حياة كافكا منذ تلك اللحظة أهمية واضحة، وقد استخدمت الفرقة مقهى صغيراً قليل الأهمية ليكون صالة للعرض. وقد شاهدنا معاً منذ 1919 (في شهر أيار) عروضاً مشابهة لفرق أخرى في المقهى ذاته.

ص 76 سطر 12

(Meschumed المعّمد) (حرفياً: المقضيّ عليه): لعل المرء لا يكاد يجانب الصواب عندما يلحظ أنّ الشخصيتين اللتين توصفان هنا تشكلان لوناً من الكورس، يرسم الملامح الأولى لشخصيتي «العريفين» في رواية «القلعة».

ص 76 سطر 23

Schlapak. رقص شعبي تشيكي:

ص 81 سطر 23

Mesua. حرفياً: قائمة الباب. فوق باب كل شقة يهودي أرثوذوكسي؛ ثمة حافظة فيها رق للكتابة يحوي قطعاً توراتية بعينها.

ص 86 سطر 2

يوميات باريس:

تحضير للعمل المشترك «ريتشارد وصموئيل» (قارن بـ قصص وقليل من النثر) – (هي السيدة التي توصف في الفصل الأول تحت اسم دورا ليبرت. Dora lippert).

ص 92 سطر 17

Pawlatsche تعني هذه الكلمة التشيكية شُرفة، وهي تجيء في ألمانية براغ وفيينا بمنزلة السمة

الفارقة لما يكون إلى جانب الفناء المنزلي على امتداد أحد الطوابق سواء أكانت مفتوحة أم مقفلة بالزجاج.

ص 96 سطر 16

السادسة عشر: كان العمر الحقيقي لكافكا يومها ثمانية وعشرين عاماً.

ص 97 سطر 9

ثلاثية دوبرڤنيكا: «ثلاثية من راغوسا» لمؤلفها إيفو فوينوفتش.

ص 110 سطر 21

Otto: أخي وصديقي الشاعر أوتو برود، وقد ذهبنا نحن الثلاثة عام 1909 في رحلة إلى ريفا وبريسكيا.

ص 113 سطر 3

لقد كتبت آنذاك بالاشتراك مع الآنسة التي تزوجتها بعد ذلك أقصوصته «حكم النساء»، أما ما يلي ذلك من كلام فيشير إلى «ريتشارد وصموئيل».

ص 13 سطر 14

سيئو الحظ:

رواية لڤيلهلم شيفر Wilhelm Schaefer، وكان كافكا يكن له احتراماً كبيراً، والذي غدا للأسف فيما بعد متعاطفاً مع الاشتراكيين القوميين (النازيين).

ص 114 سطر 16

Valli إحدى شقيقات كافكا الثلاث.

ص 114 سطر 21

Ritoch.Meschuggenen : هذا التعبير القادم من لغة الإيديش يمكن ترجمته بـ «رأس مجنون

سريع الانفعال».

ص 128 سطر 17

Parnusse هي صيغة الإيديش للكلمة العبرية Parnassah الضرورية للعيش.

ص 136 سطر 5

نجد هذا النص مع قليل من التغييرات والاختصارات في كتاب كافكا الأول «تأمل».

ص 137 سطر 5

مقتبسة من دفتر ملاحظات اعتماداً على الدراسة قبل مرحلة امتحان الدولة الخاص بالحقوق وامتحان الدكتوراه.

ص 138 سطر 8

Utitz: هو الفيلسوف إميل أوتيتس، الذي صار بعد ذلك أستاذاً جامعياً، وكان زميلاً لكافكا في المرحلة الثانوية.

ص 139 سطر 3

Kisch: هي عائلة إيغون إيرفن كيش «المراسل السريع»، وقد درس أخوه باول كيش الأدب الألماني.

ص 141 سطر 19

عجلة الحياة:

لعبة تسمح للمرء من خلال فتحة معينة أن يرى أوضاعاً متتابعة لإحدى الشخصيات باستخدام شريط متحرك، وهي تقوم على خداع الحركة.

ص 149 سطر 13

Amhorez: رجل غير مثقف، هذه الملاحظة وبقية الملاحظات الأخرى يعتمد كافكا فيها على محادثاته الطويلة مع الممثل (إسحق) لوفي.

ص 168 سطر 10

Weltsch: هو الفيلسوف فيليكس ڤيلتش، صديقنا المشترك. وقد ألف دراسات كثيرة من بينها «الرحمة والحرية» و«مغامرة المنتصف».

ص 170 سطر 3

Moule: تعني Mohel، وتدل الكلمة طبقاً للطقوس اليهودية على من يجري عملية ختان صحيحة.

ص 183 سطر 4

Bergmann: هو هوغو بيرغمان (من مواليد 1883)، يعمل اليوم أستاذاً للفلسفة في الجامعة العبرية في القدس.

ص 187 السطر الأخير

الرجل العاري:

رواية لإميل شتراوس، وقد عُدّت ملاحظة كافكا حول المؤلف وروايته سارية على ڤيلهلم شيفر.

ص 191 سطر 6

انظر «التمشي المفاجئ» في «قصص وقليل من النثر».

ص 200 سطر 4

تحتوي الصفحات السبع والنص الذي يليها من اليوميات على مقاطع منقولة من كتاب (ماير إسر) بنس (Meyer Isser) pines (تاريخ الأدب اليهودي – الألماني).

ص 202 سطر 9

Ehrenfels: كريستيان فون إيرن فلز فيلسوف، وهو مؤسس نظرية الجشتالت Gestalt Theorie.

ص 202 سطر 18

تعود الملاحظات التالية في المخطوط مع قليل من الاختلافات الأسلوبية إلى «تأمل»، قارن بـ «قرارات» في «قصص وقليل من النثر».

ص 206 سطر 14

Pick: هو الناقد أوتو بك الذي صار فيما بعد محرراً للمطبوعات الرسمية في براغ.

ص 221 سطر 19

تتضمن الصفحات السبع والنصف من اليوميات مقاطع من كتاب (الدمر فون) بيدرمان «محاوراتي مع غوته»، وفي الختام نجد الملاحظة التالية:

شيلنج: كتاب غوته السنوي، الرسائل المتبادلة بين راحيل ود. فايت.

ص 223 سطر 15

«مقاطع من حياة أحد رسامي المعارك»، أما العنوان الدقيق فهو: «ذكريات أحد رسامي المعارك في ميدان القتال» 1870–1871، أما المؤلف فهو رسام المعارك هاينريش لانغ.

ص 223 السطر الأخير

Stossel: هو أوتو شتوسل (1875-1936) القاص النمساوي وكاتب المقالات، الذي يقدره كافكا كثيراً.

ص 224 سطر 11

Mamzelle Nitouche: هي مسرحية هزلية تصاحبها الموسيقى، وهي من تأليف (هـ. مايل هاس) و(أ. ميللاود).

ص 227 سطر 16

Haas: هو ڤيللي هاز، الذي صار فيما بعد ناشراً لمجلة «العالم الأدبي» المجلة الغنية بالمعرفة على نحو استثنائي، وهو كاتب مقالات متميز. ويوم كان كافكا يخط يومياته كان هاز يحررّ

«أوراق هيردر»، التي نشر فيها الفصل الأول من «ريتشارد وصموئيل»، وبعد ذلك أعمال ڤيرفل وهو في سن الشباب.

ص 229 سطر 4

Amold Beer: رواية لماكس برود.

ص 229 سطر 6

في روايتي: كان كافكا يومها يعمل على رواية (المفقود) التي صار عنوانها النهائي «أمريكا».

ص 229 سطر 13

«حلم صباح ربيعي»: هي مسرحية لـ DAnnunzio

ص 232 سطر 11

السادس من تموز:

وقت تسطير هذه اليوميات وقعت بداية رحلة العطلة إلى ڤايمار وهارتس 6/28 إلى 7/29.

ص 233 سطر 16

الكتاب:

يتعلق الأمر بكتاب كافكا الأول «تأمل»، الذي احتاج إنجازه إلى أكثر من جمع قطع نثرية مكتوبة من قبل. وقد ألححت عليه في ذلك، حتى سلمني الكتاب نهاية آب، وسلمته أنا إلى دار نشر روڤولت (Rowohlt كورت ڤولف) وقد ظهر الكتاب عام 1913.

ص 235 سطر 15

ف. ب: تعرف كافكا قبل هذا التاريخ بيومين إلى الآنسة فيليس باور Felcie Bauer من برلين، التي لعبت دوراً مركزياً في حياته.

ص 235 سطر 15

الاقتصاد البولندي عنوان أوبريت لجين غلبرت، وهو اسم مستعار للكاتب ماكس فنترفيلد Max Winterfeld.

ص 244 سطر 7

يتبع ذلك التدوين الكامل للقصة القصيرة «الحكم» Das Urteil.

ص 246 سطر 7

يلي ذلك صورة مبيضة عن القصة القصيرة «الموقد» من دون عنوان، انظر «أمريكا» الفصل الأول.

ص 253 سطر 9

أسافر إلى برلين: يدور الأمر حول زيارة لفيليس باور.

ص 253 س طر 14

السيدة ب: مربية كان لها أهمية عند كافكا في سنوات الطفولة.

ص 255 السطر قبل الأخير

فايس Weiss : القاص والمسرحي واسع الموهبة إرنست فايس الذي صار كافكا فيما بعد على صلة حميمة به. ظهرت روايته الأولى «الغاليري» عام 1913، وبعدها ظهرت أعمال أخرى من بينها: «حيوانات في السلسلة» و«إنسان ضد إنسان»، «ناهار»، و«نجمة الفجر»، و«رجال في الظلام»، هرب عام 1933 إلى فرنسا لكنه أقدم على الانتحار عندما احتل الألمان باريس.

ص 256 سطر 3

بين هذا الحديث وما يليه من ملاحظات بدأ كافكا رحلته إلى ريفا Riva. مصح هارتونغن Hartungen.

ص 268 سطر 17

Krapotkin كانت مذكرات كرابوتكين من الكتب المفضلة عند كافكا، وكذا حال ألكساندر هوتسن التي ستذكرها اليوميات بعد ذلك.

ص 270 سطر 8

«المسخ»: في الملاحظة المقبلة نجد النواة الأولى للقصص المتعلقة بـ «يغر غراك شوس» Jaeger Gracchus، التي أوحتها له البيئة في ريفا.

ص 284 سطر 2

Dnes to bylo docela hezky : تعني «كان اليوم جميلاً للغاية»، هذا النقد المتصل بمحاضرته غير الموفقة عن كلايست (انظر الملاحظة التي أبداها كافكا في الحادي عشر من كانون الأول)، ظل كافكا يردده في كثير من الأحيان بقدر كبير من المرح، إلى درجة أن كلمات ذلك الشاب الصغير صارت بيننا نحن الأصدقاء شبيهة بالمثل. وقد روى كافكا أن الفتى قد أضاف ومعالم وجهه شبيهة بوجوه كبار السن.

«Very Well» ثم صار من يرغب في الثناء على أمر ما بقدر من الاستخفاف والمكر يقتبس «very well» لنعرف المقصود في الحال. وقد صنعت واقعة المحاضرة في حقيقة الأمر شيئاً من الانطباع السودادي تسعى اليوميات إلى إيصاله. ولعل من البديهي أن يقال إن كافكا كان قد قرأ على نحو رائع، وما زلت أتذكر ذلك بوصفي واحداً من الذين استمعوا للمحاضرة. لكنه قد اختار نصاً كبيراً، وكان يتوجب عليه أن يختصر في أثناء القراءة، ومن هنا جاء هذا التناقض المضحك بين هذا الأدب العظيم والجمهور البائس الضعيف الاهتمام بالأدب، الذي جاءت غالبيته العظمى لاحتساء كوب من الشاي يقدم مجاناً في مثل هذه الحفلات.

ص 284 سطر 14

يرجو ڤايس: كان إرنست فايس Ernst weiss يعيش في برلين حيث كانت فيلسي باور هي الأخرى تعيش.

ص 285 سطر 2

Beermann : هو ريتشارد أرنولد بيرمان، الصحفي المعروف، ذو الاسم المستعار Arnold Hoellriegel، كاتب رحلات، وأسلوبه رائع.

ص 291 سطر 4

كانت ليسل Liesl التي ستذكر بعد ذلك عروسه A.

ص 291 سطر 6

الرأس الذهبي: مسرحية لباول كلاودل Paul claudel. أما فانتل Fantl فهو الآخر ينتمي إلى الدائرة التي كانت تدعى دائرة هيللراو Hellerau شأنه شأن كل من: Dalcroze, paul adler, jakob.

ص 292 سطر 5

تل هايم Tellheim مقتبس من كتاب التجربة والشعر لفيلهلم دلثي Wilhelm Dilthey، وتل هايم هو بطل إحدى مسرحيات لسنج Lessing، وعنوانها مينافون بارهلم أو حظ الجنود التي صدرت عام 1767.

ص 295 سطر 9

Elli: شقيقة كافكا الكبرى، أما الكتاب المذكور فهو رواية لأوسكار باوم Oskar Baum.

ص 301 سطر 3

Kohl: كاتب ومؤرخ. وقد نشر– فضلاً عن أعمال أخرى– (بالتعاون مع مخطوطة أوتوبك) مخطوطة المتحف القومي لبوهيميا التي تضم الرسائل المتبادلة بين كازانوفا وج. ف. أوبتس.

ص 301 سطر 10

استخدمت هنا ينتهي الدفتر السابع من اليوميات، الذي يبدأ بالتدوين الخاص بالثاني من أيار 1913.

ص 302 سطر 2

Musil: روبرت موسل الذي اشتهر بعد ذلك بروايته «الرجل الذي لا خصائص له»، دعا كافكا ليساعده في تحرير مجلة أدبية.

ص 320   سطر 16

شقيقة موظف المجلس البلدي، ما من دون هنا وما يليه من كتابة يجيئان مثل النذير، فقد كتبا قبل اندلاع الحرب بشهرين. وقد عشنا بعد ذلك بقليل– عندما أحتل الروس أجزاء من روسيا– مشاهد شبيهة جداً بماوصفه كافكا ها هنا.

ص 321   السطر الأخير

إغراء في القرية: هذه الكتابة في الحادي عشر من حزيران عام 1914 تشكل المرحلة الأولى لرواية القلعة التي كتبت بعد ذلك بسنوات.

ص 332   سطر 8

مكانة شبيهة بيايروز: يضع كافكا ملاحظة (P) في إطار ساخر، وتكمن المفارقة ها هنا في كون (P) يقارن ببراءة بين الفنان البالغ الأهمية Alfred Kubin ورسومات الكتب الإباحية المسماة «Marquis Bayrosz » التي كانت موضة رائجة في تلك الأيام.

ص 333   سطر 8

Pistekovodivadlo: اسم لأحد المسارح في ضاحية من ضواحي براغ.

ص 333   سطر 11

قبر الوالدين: وهنا يمكن للمرء أن يرى نبوءة غريبة؛ لأن كافكا قد دفن مع والديه في قبر مشترك.

ص 336   سطر 14

الآنسة L.B. (Gerete Bloch) : هي صديقة فيلسي، أما E فهي Erna التي سبق ذكرها، والتي سيتكرّر ذكرها عدة مرات بعد ذلك، وهي شقيقة فيلسي.

ص 339   سطر 18

W.Dr : هذه الرحلة بعد الخطبة قام بها كافكا بصحبة إرنست ڤايس وصديقته.

ص 342 سطر 8

كفاح: أغلب الظن أن الإشارة إلى Frauziska في رواية إرنست ڤايس.

ص 345 السطر الأخير

لا وقت لديّ: بدأ كافكا منذ 1914/2/16 يدون يومياته في دفترين، متنقلاً بين دفتر وآخر من دون الالتزام بنظام دقيق. وقد أعدت في هذه النسخة المطبوعة تنظيم الفقرات المدونة في ضوء التاريخ المحدد؛ فالجملة الأولى التي تنتمي إلى 7/31 تبدأ بجملة «لا وقت لدي»، في حين تنتهي الفقرة المدونة في 7/29 بجملة «إن لدي الوقت» في دفتر اليوميات ذاته. أما ما كتبه كافكا بتاريخ 7/30 فقد دوّن في دفتر آخر.

ص 348 سطر 7

Nazdar: الهتاف التشيكي للتشجيع.

ص 349 سطر 2

Vojtisku : صيغة التصغير التشيكية لـ Adalbert.

ص 349 سطر 13

كتبت: بدأ كافكا مشروع كتابه رواية المحاكمة؛ وقد كتب قبل ذلك بسنتين «الحكم» وأجزاء من «أمريكا».

ص 362 سطر 13

بعض أجزاء الصحيفة قد اقتطعت، الأمر الذي أدىّ إلى إحداث فجوات هنا، وفي اليوميات المدونة بتاريخ 10/25.

ص 364 سطر 6

عودة P. (Josef pollak): زوج أخت كافكا الذي عاد إلى الوطن من رحلته في فرونت هايم.

ص 365   سطر 6

السيدة برود: أمي، التي التحقت في الحال برعاية اللاجئين، ومارست هناك الكثير من الأعمال الخيرية مدة طويلة، وعلى نحو تطوعي وبكامل الحيوية والالتزام.

ص 365   السطر الأخير

Mizwe : يعني العمل الخيّر. (حرفياً: إكمال أحد الواجبات).

ص 368   سطر 13

فصل الأم: نشر هذا الفصل تحت عنوان «السفر إلى الأم» بوصفه جزءاً ملحقاً بالرواية.

ص 370   السطر قبل الأخير

معلم مدرسة القرية: نشرت هذا القصة تحت عنوان «الخلد الضخم»، أما عن تاريخ الطبعة الأولى لـ «وصف كفاح ما» فيصعب تحديده بدقة.

ص 375   سطر 5

وفي هذا اليوم ينبغي أن يستعيد المرء ذنوبه طبقاً للتعاليم اليهودية؛ لأن اليوم هو يوم الغفران.

ص 375   سطر 8

الآنسة من ليمبرغ: سبق لي أن درست مادة «الأدب العالمي» في المدرسة التابعة لأطفال اللاجئين القادمين من Galizien، التي كان قد أسسها وظل يديرها البروفسور Alfred Engel، وكان كافكا الضيف الوحيد الذي شاركني تدريس بعض الساعات، والذي كان كثير الاختلاف إلى تلك المدرسة، (انظر ما دونه كافكا في 4/14 عن «حصة هوميروس»)، وقد تعرف كافكا في المدرسة إلى بعض تلميذاتي وأقربائهن ومن بينهن الآنسة من ليمبرغ، التي ظل كثيراً يذكرها، R.F وهي Fanny Reis، انظر على سبيل المثال اليوميات بتاريخ 5/14.

ص 377   سطر 9

"General": هي شركة التأمين الايطالية التي حصل فيها كافكا على أول وظيفة، وقد بذل في الوظيفة جهداً كبيراً.

ص 385 سطر 2

استغل الصهاينة حقيقة وجود لاجئين في أثناء الحرب من اليهود الشرقيين في براغ، وأجروا حوارات كانت تهدف إلى إيضاح العلاقات بين الشرق والغرب. وكان من الطبيعي أن ينشأ في البداية الكثير من سوء الفهم، لكن تلك الحوارات استطاعت أن تثمر عملاً جماعياً، وتأثيراً متبادلاً.

ص 388 سطر 11

اصطحب كافكا شقيقته الكبرى Elli لتزور زوجها ضابط الاحتياط الذي كان قد انتقل إلى موقع قريب من الجبهة.

ص 393 سطر 7

متنزه بالقرب من براغ.

ص 395 سطر 8

الآنسة ر: تعارفنا الذي وقع في أثناء الرحلة إلى زيورخ عام 1911.

ص 395 سطر 19

المسيحيون الجدد: رواية لي غير مكتملة.

ص 396 السطر قبل الأخير

Langer: هو جورج مردخاي لانغر من براغ، قضى سنوات طويلة في الشرق، وهو يحاول أن يحيا حياة الشاسديين "Chassid"، وقد كتب فيما بعد دراسات عن الكابالا Kabbala، وما يتصل بها من أفكار باللغات التشيكية والألمانية والعبرية، كما ظهر له– من بين أعمال كثيرة– ديوانان شعريان صغيران بالعبرية، أما الحاخام المعجزة أو الصادق المشار إليه هاهنا فهو قريب «الحاخام بلتس» الذي لجأ إلى براغ مع مريديه، قادماً من غرودغ هرباً من الروس.

ص 399 السطر قبل الأخير

روسمان في «أمريكا» وك في «المحاكمة».

ص 400 سطر 2

تتضمن صفحات المخطوط الثماني خلاصات من العمل المذكور، يلي ذلك ما يقرب من صفحتين تحويان خلاصة شاملة مقتطفة من كتاب «الألمان في روسيا» لباول هولتس هاوزن الصادر عام 1812.

ص 402 سطر 5

Gerti : هي ابنة أخت كافكا Elli، وكانت طفلة صغيرة آنذاك.

ص 404 سطر 18

خنادق، نموذج من الخنادق في أحد المعارض الذي أقيم دعماً للصليب الأحمر بالقرب من براغ.

ص 404 سطر 20

Oskar Pollak صديق كافكا أيام الشباب.

ص 404 سطر 21

إبراهام غرون بيرغ من وارسو شاب يمتلك موهبة متميزة، وكان أحد اللاجئين الذي قدموا في أثناء الحرب إلى براغ، وكانت لنا به اتصالات وثيقة، وقد توفي في أثناء الحرب بمرض السل.

ص 405 سطر 13

السيدة م- ت: قدم كافكا تقريراً ساخراً عن زيارته للسيدة م — ت، وقد ندم بعد ذلك على تلك السخرية غير الجارحة.

ص 405 سطر 17

Dr. Jeiteles : عالم تلمودي يتحّدر من أسرة ورعة تعيش في براغ، ولم ينج من تلك الأسرة الواسعة الانتشار في في أثناء السيطرة النازية سوى اثنين هما العالم المشار إليه، وشاب صغير يعيشان في أحد الكيبوتسات في فلسطين.

ص 421 سطر 15

ثمة إشارات في هذا الموطن وفي غيره من المواطن، وهنا يشار إلى تضحية إبراهيم بابنه إسحق.

ص 427 سطر 18

رسالة: إلى فيلسي باور.

ص 431 سطر 1

سقطت في المدة الواقعة بين 1916/10/30 و1917/4/6 بعض الكتابات من دفاتر اليوميات من القطع المثمن، علماً بأن اليوميات المدونة في تلك الدفاتر تنطوي على شخصية أكثر «موضوعية» من تلك المدونة في دفاتر القطع المربع، فتلك الدفاتر تضم بالدرجة الأولى أقاصيص وشذرات من قصص (بدايات) وتأملات (حكم وأمثال)، لكنها لا تحتوي على حوادث تشير إلى تلك الأيام.

ص 433 سطر 14

فريدريش آدلر: شاعر من براغ شكل لجيلنا مع (هوغوسالوس Hugo Salus) شخصية أدبية مهمة، وقد عرف من خلال ترجماته الشعرية الحرة للمسرح الإسباني، ومن أهم أعماله «دون غيل صاحب البنطال الأخضر».

ص 440 سطر 14

بين هذه الكتابة والكتابة السابقة سقط التقرير الطبي الذي يقرر إصابة كافكا بمرض السل، كما لم يذكر عزمه على فسخ خطبته لفيلسي باور، وقراره القيام برحلة وظيفية، ومغادرة البلاد إلى شقيقته أوتلا (إلى تسوراو وفلوهاو الواقعة على بعد نحو خمسين كيلومتراً إلى الشرق من كارلسباد)، وقد تمت هذه الرحلة في 1917/9/12.

ص 444 سطر 7

هو ابن شقيقة كافكا إيللي واسمه فيليكس هيرمان Felix Hermann.

ص 450   سطر 5

مع (J). خطيبة كافكا الثانية، الآنسة يولي ڤوريست Juli Wohryzek التي استمرت علاقته بها حوالي ستة أشهر.

ص 451   سطر 4

Eleseus قرأ كافكا آنذاك رواية «بركات الأرض» لكنوت هامسون Knut Hamsun، وهو أديب كان كافكا يحبه ويعجب به على وجه الخصوص.

ص 452   السطر الأخير

ينتهي الدفتر الثاني لليوميات هنا، ويتكون من أوراق في ملف مزقها المؤلف وأعدم الكثير منها.

ص 453   سطر 2

في مطلع عام 1920 تعرف كافكا إلى السيدة Milena Jesenska، وهي امرأة تشيكية عاقلة شجاعة، ذات أفق متحرر، فضلاً عن كونها «أديبة ممتازة»، وقد نشأت بينها وبين كافكا علاقة عميقة جداً، كانت بدايتها مملوءة بالأمل والسعادة؛ لكنها انتهت إلى علاقة بائسة، وقد استمرت تلك العلاقة ما يقرب من السنتين. وقد أودعت السيدة يشنسكا السجن عام 1939 في براغ، وقتلت في أحد معسكرات التعذيب.

ص 462   سطر 6

Nas - Skautik : مجلة حركة الكشافة التشيكية، كانت المشكلات التربوية محور اهتمام كافكا.

ص 462   سطر 6

Iwan Ilijitsch: قصة تولستوي الشهيرة، التي كانت– فضلاً عن «القصص الشعبية» (العجائز الثلاثة)– تحظى بمحبة كافكا.

ص 466 سطر 9

سؤالان: إلى ميلينا يشنسكي.

ص 468 سطر 18

ذكريات العزاب: وردت هذه الملاحظة في كتاب كافكا الأول «تأمل»، انظر دراسة «شتاء العازب» في (قصص وقليل من النثر).

ص 468 سطر 19

R.O الخال رودلف شقيق والدة كافكا، ويدعى Rudolf loewy .

ص 473 سطر 4

حوذي مع خيول: اقتباس من العمل المنشور عام 1919 بعنوان «طبيب القرية».

ص 473 سطر 13

يوسف ك: بطل «المحاكمة» التي كتبت بين عامين 1914 و1915 ولم تنشر في حياة كافكا.

ص 486 سطر 2

بداية الهجوم العدائي ضد كتاب هانز بلوهر «عزلة اليهود»، وهنا يبرز كافكا الأخطاء التي زعم بلوهر وجودها في الكتب اليهودية.

ص 487 سطر 12

برودر: وهو اسم لأحد الرسامين الاستعراضيين.

ص 489 سطر 6

تشير كلمة مكابي Makkabi إلى ناد رياضي صهيوني. أما «الدفاع الذاتي» فتدل على اسم صحيفة أسبوعية صهيونية كانت تصدر في براغ. والجملة التشيكية تعني «لقد جئت لمساعدتك».

ص 490 سطر 2

Der Grosse Maggid : عنوان كتاب مارتين بوبر (الواعظ الكبير) عن الحاخام الشاسيدي دوف بير Dov Baer من Mezritch، حواري البعل شم Baalschem. وعلى هذا الكتاب يعتمد ما كتبه كافكا كذلك في 5/12.

ص 490 سطر 7

يعود هذا الاقتباس إلى الرواية الأسطورية «الحاج كامانيتا» لصاحبها كارل غيليروب Karl Gjellerup.

ص 491 سطر 11

ميزل بك: مثّال تشيكي مرموق.

ص 492 سطر 16

كان كافكا مجدداً في مدينة بلانا Plana الواقعة في الجنوب الشرقي من بوهيميا، عن شقيقته أوتلا، طلباً للراحة. Tvrz - تعني في الكتابات اللاحقة «الحصن» – أما لوشنتس (luschnitz) فهو رافد من روافد نهر المولداو Moldau في جنوب شرق بوهيميا.

ص 493 السطر الأخير

إما/ أو: كتاب لكيركجارد Kierkegaard.

تذييل المحّرر

يقف محرر يوميات كافكا اليوم بخلاف موقفه عام 1937، يوم أصدر «للمرة الأولى»، مختارات من تلك اليوميات، لأن الأمر في هذه المرة، لا يتعلق بمختارات؛ بل يتصل بنشر كل ما خلفه كافكا من كتابات، ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً. فلم تكن الأجواء يومها ولا الفاصل الزمني القريب بيننا وبين وفاة كافكا يسمحان بالتعامل مع كتابات كافكا بالقدر الكافي من الموضوعية، التي غدت ممكنة بعد مرور أكثر من ربع قرن على ذلك الحدث الأليم.

ومع ذلك فإن شيئاً من الاختصار يبدو أمراً ضرورياً حتى في مثل هذه اللحظة؛ ففي اليوميات فقرات تخلو من المعنى، لأنها تجيء على شكل شظايا، لهذا حذفت. لكن الأمر في مجمله لا يتعدى في الغالب بضع كلمات. لم أتقبل بعضها، وإن كانت قد تكررت هنا مع بعض التعديل. ولعل أحداً يرى أنني بقبولي لمسألة التحويرات في النص قد تجاوزت الحدود كثيراً، وإن كان يصعب رسم هذه الحدود في هذا السياق. فقد حذفت في بعض الحالات (النادرة) المسائل الحميمية، كما حذفت النقد الجارح الموجه إلى هذه الشخصية أو تلك، لأن كافكا وهو يكتب يومياته لم يكن يتوجه بكتابته إلى الجمهور. أما عن أسماء الشخصيات التي ما تزال على قيد الحياة، فسنشير إليها بالحروف الأولى لأسماء أصحابها، ما لم يكونوا فنانين أو ساسة، لأن عليهم توقع مثل ذلك النقد نظراً لكونهم شخصيات عامة. وإذا كنت نقحت ما كتبه كافكا في الهجوم على الأحياء؛ فإنني لم أمارس هذا الدور الرقابي في هذا القليل الذي كتبه كافكا ضدي، (بعضه بلون من سخرية عابثة مستخفة، وبعضه بجدية)، أما الانطباع الخاطئ الوحيد الذي سيتولد جراء ذلك، إذ إنني أبدو الإنسان الوحيد الذي يخفي كافكا في نفسه شيئاً نحوي؛ فإن القارئ سيصححه من تلقاء نفسه، وقد سلكت في هذه النقطة كما في غيرها من العلاقات سلوك تشيركوف Tschertkow يوم نشر يوميات تولستوي (انظر مقدمة تشيركوف لتلك اليوميات).

إن على المرء أن يأخذ الانطباع الخاطئ الذي تصنعه اليوميات على نحو غير مقصود بالحسبان؛ فعندما يكتب المرء يومياته لا يضع فيها إلا ما يثقل كاهله أو يثير غضبه، ففي مثل تلك

الكتابات يتحرر المرء من الانطباعات السلبية والمؤلمة. أما الانطباعات الإيجابية فتعامل في الغالب على نحو مختلف. لأن المرء يدونها مثلما تستطيع ذاكرته أن تستحضرها من تجربته، باستثناءات قليلة، أو عندما يدون المرء يوميات رحلاته، لأنه يعي لحظتها مراده الذي يريد الوصول إليه. لكن غالبية اليوميات تحتوي على مقياس للضغط الجوي لا يستطيع أن يقيس إلا أقوى ساعات الضغط الجوي «انخفاضاً»، ويعجز عن قياس أكثرها «ارتفاعاً».

تسري هذه القاعدة على الدفاتر الثلاثة عشر من اليوميات ذات القطع المربع، التي تشكل في واقع الأمر يوميات كافكا الحقيقية. أما يومياته الخاصة برحلاته– وهي تنتمي إلى حقبة اليوميات ذاتها– فيسود فيها بالمقارنة مزاج رائق. كما يبدو جلياً ميله للدعابة في رسائله. وقد بدت الكتابة تسيطر على تلك الرسائل، عندما بدأ مرضه يزداد سوءاً، حتى استطاعت أن تصبغ بالسواد شعوره العميق باليأس. وبشكل عام يستطيع المرء أن يميز معيار الألق هذا في جميع أقوال كافكا (إن كل عمل من أعماله الأدبية له بطبيعة الحال نصيب من مجموع درجات هذا المعيار)، إن يوميات الدفاتر ذات القطع المربع هي التي تظهر الجزء الأكثر سواداً في ألوان الطيف. أما بصيص الضوء فيتبدى في اليوميات الخاصة برحلاته، وفي الكثير من رسائله (وصولاً إلى مرحلة تسوراور Zuerauer بل وفي أثنائها)، وفي حواراته وتعامله اليومي. فقد كان يغلب؛ بل يكاد يسيطر على مراحل حياته المبكرة تلك السذاجة البريئة، التي يصعب أن يصدق أحد نسبتها إلى صاحب هذه اليوميات.

إن جسم اليوميات الرئيسي كانت في تلك الدفاتر الثلاثة عشر من القطع المربع.

رقم كافكا نفسه الدفاتر الخمسة بالأعداد الرومانية (I-V)، باستثناء الدفتر الثاني الذي يخلو من الرقم. أما الصفحات فتحمل هي الأخرى أرقاماً متسلسلة، لكن كافكا رقم الصفحات مرة ثانية، وهو ترقيم صار مصدراً للارتباك. وهناك صعوبة أخرى تتمثل في رغبة كافكا في أن يبدأ الكتابة بين الحين والآخر من الصفحة الأخيرة، فتلتقي الكتابات بالتالي في منتصف الدفتر ومع ذلك يستطيع القارئ أن يطمئن إلى دقة الترتيب الزمني لتلك اليوميات.

يبدأ الدفتر الأول ببعض الكتابات غير المؤرخة، أما التاريخ الذي يظهر للمرة الأولى في

اليوميات فهو 17– 1910/5/18، ويلي ذلك بصفحات قليلة الكتابات من 1911/2/19 وصولاً إلى 1911/11/14. أما دفاتر اليوميات الثلاثة الأولى فهي تتشابك في إطار علاقة ستتكرر في الدفترين الثامن والتاسع. أما الدفتر الرابع فيحوي المدة من 1911/11/28 وصولاً إلى نهاية عام 1911. وكذا الحال فيما يخص الدفتر الخامس الذي يبدأ بـ 1912/1/4 وينتهي بـ 1912/4/8 (مع التنبيه إلى وجود بعض تواريخ خاطئة ينبغي تصحيحها). أما الدفتر السادس فهو يغطي الحقبة الواقعة بين 1912/5/6 وأيلول 1912، وفي الدفتر نفسه نجد قصة «المحاكمة» والجزء الثاني من « الموقد». ثم تواصل اليوميات بعد قليل من الانقطاع مسيرتها في الدفتر السابع بدءاً من 1913/5/2 وصولاً إلى 1914/2/14، وفي الدفتر الثامن من 1914/2/16 وصولاً إلى 1914/8/15. يحوي الدفتر الثامن (الذي تبدأ الكتابة فيه من الصفحة الأخيرة رجوعاً إلى الوراء) اليوميات التي تعود إلى شباط 1913، كما ينتمي الدفتر التاسع إلى الحقبة نفسها التي يتحدث الدفتر الثامن عنها. أما في الدفتر التاسع والعاشر فهناك كثير من الصفحات قد مزقت. أما الدفتر الأخير فهو يبدأ من 1914/8/21 (أي أنه يجيء بعد الدفتر الثامن مباشرة) ويصل إلى 1915/5/27. في حين يحوي الدفتر الحادي عشر كتابات تعود إلى الحقبة من 1915/11/13 وصولاً إلى 1916/10/30، وبعض الكتابات بدءاً من نيسان وصولاً إلى آب 1918. وقد مزقت من الدفتر الثاني عشر الكثير من الصفحات. وهذا الدفتر يبدأ من مدينة Zuerau في 1917/9/15، وينتهي في 1917/11/10. يواصل كافكا بعد انقطاع طويل الكتابة ابتداءً من 1919/6/27 حتى 1920/1/10. أما الدفتر الأخير فيضم الحقبة الواقعة بين 1921/10/15 وتشرين الثاني 1922. مثلما يحوي بعض الكتابات التي تعود إلى 1923/6/12، ويضم هذا الدفتر جزءاً من القصة غير المكتملة «تحريات كلب»، (وهذا الجزء هو غير المقدمة على كل حال)، والقصة مكتوبة بخط صغير تماماً. ومن الملاحظ أن كافكا ظل يكتب حتى الدفاتر الثمانية الأولى بخط كبير وعريض، ثم صار هذا الخط يتحول بالتدريج إلى خط صغير وحاد. تشكل هذه الدفاتر الثلاثة عشر وحدة أسلوبية، بذلت جهدي للإبقاء عليها؛ فالكاتب يدون ومضات أدبية، وبدايات لبعض قصصه، أو تأملات كانت تخطر في ذهنه. مثلما يكشف عن البواعث التي تحركه، وعن الطريقة التي يرى من خلالها جهوده الأدبية،

بوصفها قوة مضادة للوسط غير الودود، وللوظيفة الكريهة الشاقة بل المضنية، وكل ذلك يعرضه الكاتب في تفصيلات اليوميات ذاتها، ولا يتوقف عن تكراره. فضلاً عن استيحائه لخياله، فقد من دون كافكا ما كان يعيشه في عالمه اليومي، إلى جانب أحلام تجيء على شكل قطع تتجاوز تلك الكتابات ذات الطابع الواقعي، لتشكل نقاط ارتكاز لإبداع أدبي. وفي بعض الحالات الاستثنائية السعيدة كانت تتشكل قطع أدبية صغيرة كانت أم كبيرة، اختارها كافكا كي ينشرها. ويمكن للدارس أن يعثر على تلك القطع في الجزء الأول الأول من الكتابات الكاملة Gesammelte Schriften، ونحن نعثر في سياق اليوميات على أضواء غير متوقعة، تكشف مضامين تلك القطع.

ويمكن للمرء أن يعثر في سياق هذه اليوميات على بعض القطع الأدبية المستقلة التي يمكن أن تنشر، والتي تشكل للأديب في الوقت ذاته نقطة لإبداعه الأدبي. وعلى المرء أن يضع في الوقت نفسه هذه الشخصيات نصف – المكتملة بإزاء الرخام غير الصقيل.

إن لهذه الدفاتر الثلاثة عشر ذات القطع المربع بنية تختلف عن ذلك الدفتر «الأزرق من القطع المثمن» الذي لا يحوي غير ومضات أدبية وشذرات وأمثال وحكم (من دون أدنى إشارة إلى معطيات الحياة اليومية)، وستنشر هذه الدفاتر في مجلد آخر من الكتابات الكاملة. أما عن احتواء تلك الكتابات على إشارات إلى تاريخ كتابتها فلا يحدث إلا على سبيل الاستثناء.

وبالمقابل فإن يوميات رحلات كافكا هي ذات شخصية أسلوبية مختلفة؛ فالوقائع والتجارب تجيء في إطار كتابه براغماتية، لا تشكل نقاط ارتكاز لأعمال لاحقة كما يفعل السائح عادة. صحيح أن هذا السائح يدعى فرانتس كافكا لكن طريقة مقاربته لمعطيات الواقع تبدو طبيعية تماماً، لكنها ذات طبيعة مملوءة بالغموض، تجعلها بعيدة عن كل ما هو عادي وذات أبعاد رمزية.

وكلا الجزئين الواقعي الخالص والمعد أولياً ليكون عملاً أدبياً، (الذي تحول في الحالات المحظوظة إلى عمل مكتمل) يمتزجان في الدفاتر الثلاثة عشر ذات القطع المربع على نحو فريد.

ماكس برود 1950

حياة كافكا وأعماله

نظرة عامة:

1883: 7/3 ولد في مدينة براغ، كان الابن الأكبر للتاجر هيرمان كافكا (1852–1931) وزوجته يولي Julie (1856-1934).

1901: الحصول على شهادة الثانوية الألمانية.

الالتحاق بقسم الكيمياء (مدة أسبوعين) في الجامعة الألمانية في براغ، والانتقال بعد ذلك إلى قسم القانون.

1903: 7/18 اجتياز امتحان الدولة في تاريخ القانون.

1906: 6/18 الحصول على درجة الدكتوراه في القانون.

قبيل 1907: كتب كافكا «وصف كفاح ما» و«استعدادات لحفل زفاف في الريف».

1908: العمل في شركة التأمين شبه الحكومية ضد حوادث العمال في براغ.

1909: نشر جزأين من «وصف كفاح ما» في مجلة Hyperion الأدبية الفصلية.

1910: بداية الشروع في كتابة اليوميات على الدفاتر ذات القطع المربع، الفرقة المسرحية اليهودية الشرقية، وزيارة باريس بصحبة ماكس وأوتو برود.

السفر إلى فريدلاند ورايشن بيرغ.

السفر إلى سويسرا، إيطاليا، باريس، إيرلن باخ.

1912: بداية كتابة رواية «المفقود» =أمريكا. السفر (بصحبة ماكس برود) إلى فايمار ولايبتسج، ثم وحيداً إلى مصح العلاج الطبيعي في يونج بورن. الالتقاء بفيليس باور للمرة الأولى (8/13).

22–9/23 كتابة قصته «الحكم».

1913: نشر «تأمل»، وصدورها عن دار نشر روڤولت.

«الموقد» = الفصل الأول من رواية أمريكا.

نشر «الحكم» في الكتاب السنوي الأدبي Arkadia.

1914: 5/31 خطبته لـ بفيليس باور.

7/12 فسخ الخطوبة.

بداية آب: العمل في «المحاكمة» وفي «مستعمرة العقاب»، السفر إلى هللر آو، كوبك، مارين ليست، وقد رافقه إرنست فايس في جزء من الرحلة.

10/27 تجديد الاتصال بفيليس باور.

1915: نشر «المسخ».

الانتهاء من رواية «المحاكمة».

حصول «الموقد» على جائزة فونتاني.

الانتقال من منزل العائلة واستئجار غرفة.

1916: 3–7/13 رحلة مع بفيليس باور في مارين باد.

كتابة جزء من «طبيب ريفي».

إلقاء محاضرة في ميونيخ.

1917: 7/4 خطوبته لـ بفيليس باور للمرة الثانية.

9/3 التأكد من إصابته بمرض الرئة.

9/12 السفر إلى شقيقته أوتوللا التي تسكن تسوراو طلباً للراحة.

الانفصال النهائي عن بفيليس باور.

1918: كتابة «سور الصين العظيم»

3/30 الرجوع إلى براغ والالتحاق بالعمل في 5/2.

6/30 السفر مع أمه إلى شيليزن طلباً للراحة.

1919: نشر المجموعة القصصية «طبيب الأرياف».

صدور «في مستعمرة العقاب».

صدور «رسالة إلى الوالد».

1920: بداية نيسان- نهاية حزيران في ميران Meran. تبادل الرسائل مع الصحفية التشيكية ميلينا يشينسكا.

5/29–7/4 مع ميلينا في فيينا.

14–8/15 لقاء ميلينا مجدداً.

12/18 الذهاب إلى مرتفعات تاترا Tatra للقضاء على مرض السل المستفحل.

1921: 826 العودة إلى براغ

1922: التوقف عن العمل في براغ. زيارة ميلينا.

بداية العمل في «القلعة».

الإحالة على التقاعد ابتداءً من 7/1.

نشر «فنان جائع» في صحيفة Neue Rundschau.

1923: كتابة «تحريات كلب» و«الجحر» و«جوزفين المغنية».

9/24 الانتقال إلى برلين. ولقاء دورا دايمانت Dora Dymant.

1924: عودة كافكا إلى براغ، وقد اشتدت عليه وطأة المرض.

4/10 الذهاب إلى مصح الدكتور هو فمان في Kierling.

6/3 وفاة كافكا في كيرلنج.

6/11 دفنه في المقبرة اليهودية في براغ.

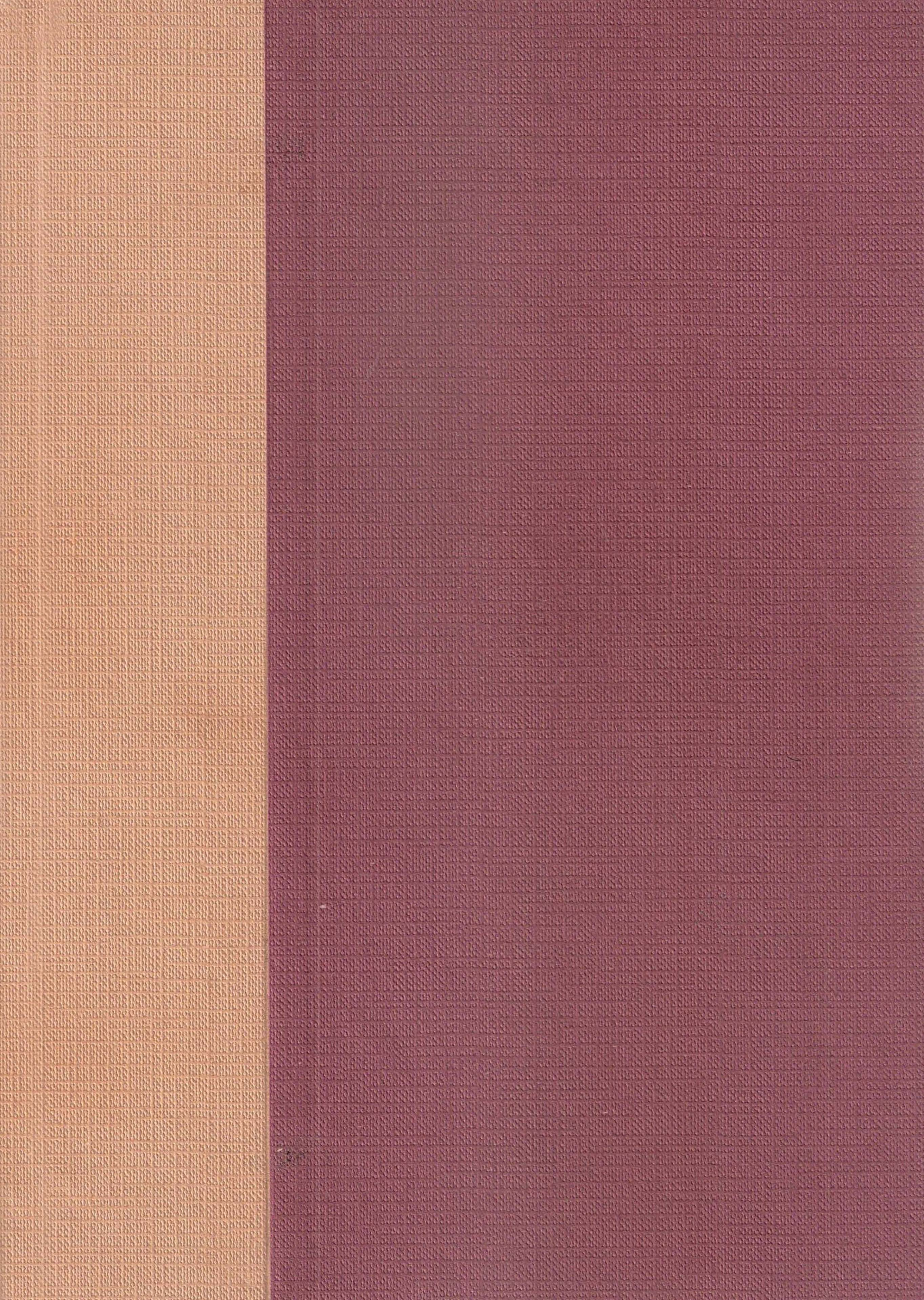
المترجم:

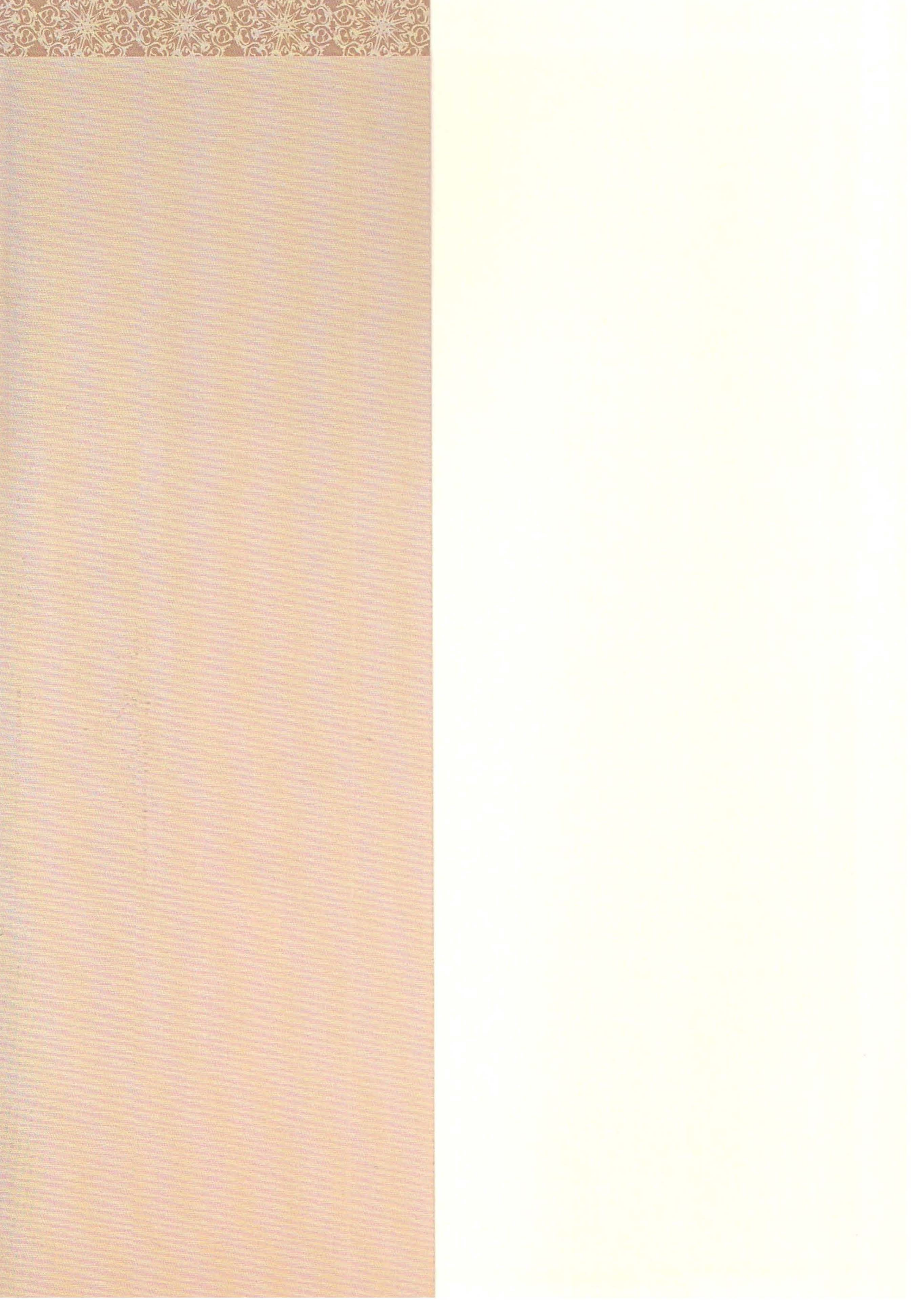
- أستاذ الأدب المقارن – قسم اللغة العربية العربية – جامعة اليرموك – الأردن.
- عمل أستاذاً للدراسات النقدية المقارنة في غير جامعة أردنية وعربية.
- من مؤلفاته:

1. الانتحار في الأدب العربي، دراسة في جدلية العلاقة بين الأدب والسيرة، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1977.
2. باريس في الأدب العربي الحديث، دراسة نقدية في إشكالية العلاقة بين المركز والأطراف، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1998.
3. دوائر المقارنة، دراسات نقدية في العلاقة بين الذات والآخر، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2000.
4. السيرة والمتخيل، قراءات في نماذج عربية معاصرة، دار أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، 2005.

- من مترجماته:

– هلموت بوتيجر: ما بعد اليوتوبيات، تاريخ للأدب المعاصر الناطق بالألمانية، دار أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، 2007. حصل هذا الكتاب على جائزة أفضل كتاب مترجم للعام 2007 التي تمنحها جامعة فيلادلفيا الأردنية.





يوميات فرانتس كافكا
1923-1910

جاءت يوميات كافكا، ونصوصه السردية ورسائله لتبني فضاءً مأزوماً يقف الإنسان فيه وحيداً ومنعزلاً وعارياً في مجابهة قوى خفيّة، مسيطرة يلاحقه شعور جارف باللاجدوى واهتزاز الكينونة. مثلما تبلور في تلك المدة أسلوب كافكا السردي القائم على التدفق والاسترسال والحوار الداخلي والمزج بين الحلم والواقع، وهو ما أدى إلى إنتاج عوالم رمزية شديدة الغموض، تحيل العالم الماديّ المشخص إلى كيان هلامي مسكون بالسوداوية والرعب.

تشكّل هذه اليوميات في إطار علاقتها مع نصوص كافكا السردية نصّاً شارحاً يضيء الكثير من أبعاد تلك النصوص، ويفسر غوامضها، ويضيء سياقات ولادتها. فضلاً عن كونها تلقي أضواءً كاشفة على دواخل عالم كافكا، وتبيّن الكثير من أزمات ذلك العالم وما شهده من اضطراب وإحساس باللاجدوى.



أبوظبي للثقافة و التراث
ABU DHABI CULTURE & HERITAGE

السعر 80 درهماً


ISBN 9948-01-234-8
9 789948 012344